

رَفَع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

المدخل

إلى

مصادر اللغة العربية

كبر شعاع

مؤسسة  
المختار  
للنشر والتوزيع

تأليف الأستاذ الدكتور  
سعيد بن بحيري  
كلية الألسن - جامعة عين شمس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

# الملك

إلى

# مصائد اللغة العربية

تأليف الأستاذ الدكتور

سعيد حسن بخيري

أستاذ علوم اللغة

كلية الألسن - جامعة عين شمس

المختار  
مؤسسة

للنشر والتوزيع - القاهرة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنم الله الفردوس

اسم الكتاب : المدخل إلى مصادر اللغة العربية  
اسم المؤلف : سعيد حسن بحيرى

الطبعة الثانية

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

رقم الإيداع : ٧٣٧٣ / ٢٠٠١  
الترقيم الدولى : 9-63-5283-977

مؤسسة المختار

للنشر والتوزيع

القاهرة : ٦ ش عبد الحكيم الرفاعى - مدينة نصر

تليفون : ٢٢٧١٣٢٠٢ - ٢٢٧١٣٩٤٥

E-mail: mokhtar\_est@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، ووهبه التمييز والحكمة ، وكرمه على سائر خلقه فأحسن تصويره ، وحمله الأمانة ، وأرسل إليه الرسل لتهدية حين ضل ، ويضضره حين زاغ بصره ، وتذكره حين نسي ، وتقرأ عليه كلام الله ليرشد إلى عقله ، وليدرك منزلته ويحمده على ما أتاه من علم وحكمة ، لا يزهو ولا يتكبر ، فقد قال تعالى في محكم التنزيل : ﴿ وَمَا أوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء / ٨٥ .

شغل عدد كبير من الباحثين بالتراث اللغوي العربي ؛ فمنهم من وجه كل همه إلى تحقيقه ، فوهب عمره ووقته وماله لا يرجو جزاء ولا شكورا من أحد ، فأخرج كثيرا من كنوزه إلى النور ، إذ جمع المخطوطات ، وقارن بينها ، وأثبت الصحيح وصب ما يتنا من تصحيف وتحريف ، وشرح المادة وعلق عليها ثم تلقفها القارئ لينهل منها دون أى جهد أو نصب . ومنهم من عنى ببحث النصوص ودراساتها وتحليلها للكشف عن الجوانب المشرقة في هذا التراث ، وتتبع نظرات علماء العربية وآرائهم وأفكارهم ومحاولاتهم التي لم تعرف الكلل أو الملل للحفاظ على لغة التنزيل ، بجمعها وتدوينها ودرسها ، فنشأت علوم التفسير والقراءات والحديث والنحو والشعر والبلاغة وغيرها . والحق أن جهد كل منهما مكمل للآخر ، فهذا يحرص كل الحرص على أن يقدم مادة صحيحة سليمة ، وذاك يستخرج ما فيها ، وكلاهما يصل الماضي بالحاضر .

لا شك أن ثمة صعوبات كبيرة تواجه من يتصدى للحديث عن مظاهر هذا التراث ، وتمثل ذلك في اكتفاء فريق بالعرض والشرح ، ومجشم فريق آخر عناء المواجهة ، فتجاوز ذلك إلى الدرس التقدي الذي لا يقع بطواهر الأشياء بل يغوص إلى أعماقها ليكشف عن أوجه التفرد أو القصور . ومن ثم لم يكن من المعقول أن أركن إلى نهج واحد ، وأثرت أن أجمع بينهما ما أمكنتني ذلك للإفادة من فوائد الجمع بين النهجين معا . ولما كان من المستحيل أن أتناول ذلك الكم الضخم من التراث اللغوي ، فخلت أنه من المنطقي أن أبداً بالوان مختلفة من التأليف اللغوي ، ثم أستكمل تلك البداية - إن

شاء الله - على مراحل متعاقبة حتى أعالج ما أظن ثم قيمته لم تتغير وأنه ضروري للدرس اللغوي الحديث .

هكذا يتحدد بوضوح هدفى من هذا العمل ، إذ إننى قصدت إلى درس ألوان من التأليف اللغوى ، حتى يتعرف القارئ على ذلك الجهد الذى بذله اللغويون العرب ، ويقف على مقدرتهم ووعيمهم بتلك اللغة وحرصهم على الحفاظ عليها وإيصالها إلى الأجيال التالية ، ورصد المشكلات والظواهر التى اختصت بها والإسهام بجهد كبير فى معالجتها من زوايا عدة . أما الاقتصار على لون بعينه يستغرق العمل كله فلا يخلو من نقص أو خلل ، إذ يعجز عن أن يشكل للقارئ صورة دقيقة عن تنوع الجهد اللغوى الذى بذله علماء العربية . وقد بدأت بالرسائل اللغوية الصغيرة ، فهى تشكل البدايات المبكرة ثم من الرسائل اللغوية الصغيرة اخترت عددا محدودا ، ومن رسائل المشكلة اللغوية الواحدة رسالة الهمز والمقصور والمدود ، والمذكر والمؤنث ، وفعلت وأفعلت ، ومن كتب الموضوعات كتاب الغريب والألفاظ الكتابية والمخصص ، ومن كتب الظواهر اللفظية كتابى النوادر والأضداد ومن كتب التثقيف أو التصويب اللغوى كتاب إصلاح المنطق ولحن العامة ودرة الغواص وتثقيف اللسان ، ومن كتب فقه اللغة الصحابى وفقه اللغة العربية والخصائص والمزهر .

ولما كان من غير الممكن أن يستغنى أى دارس للتراث العربى مهما كانت كفاءته ووجهته واهتماماته ، عن المعجمات العربية بكافة أنواعها ، فاخترت منها بعد تقديم لمفهوم المعجم نماذج توضح طرق التأليف المعجمى ، واكتفيت من المعاجم التى بنيت على أساس صوتى بالعين والجمهرة والتهديب ، ومن المعاجم التى بنيت على الأصول (الأخيرة فالأول) صحاح العربية ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس ، ومن المعاجم التى بنيت على أساس الترتيب الهجائى ، المعجم الوسيط ، ومعجم هانزفير ، ومعجم لاروس وقد عنيت فى درسى لكل مؤلف بتحديد الهدف من التأليف ، والمادة التى يحتويها العمل ، والمنهج الذى اتبعه المؤلف فى عرض مادته ، وأخيرا طريقتة فى معالجتها ، ولذا لم أعن بضرب الأمثلة على طبيعة المادة أو الملامح المميزة لكل منهج أو طريقة المؤلف فى عرض مادته وتحليلها وشرحها والاستشهاد عليها وغير ذلك . فقد رجحت أن أعرض لكل ما تقدم فى إيجاز ، إذ رأيت أن النموذج أو

النماذج الواردة الواردة في نهاية كل موضوع - مع ملاحظة أني احتفظت فيها بالصورة الأساسية التي نشرت عليها دون أدنى تغيير - كافية بإيضاح بعض ما قيل في صورة مقتضية .

وبديهي ألا نسهب هنا في بيان قيمة دراسة تلك التصانيف اللغوية الفريدة ، فمن المؤكد أن مفردات اللغة تحمل معارف الأمة وثقافتها وعالمها وصورة تفكيرها وضموماتها ، فمن أراد أن يعرف ذلك معرفة جيدة فعليه أن ينظر فيها في عمق ، فهي تعد الأداة المتفردة القادرة على إزالة أي لبس يتعرض له المرء في أثناء عملية الاكتساب اللغوي ، وهي الأداة الحافظة القادرة على استيعاب كل ما في الألفاظ ودلالاتها التي يعجز الإنسان ، مهما أوتى من قدرة ذاكرة ، عن أن يستوعبها . فليس هناك من شك في أن لهذا الدرس اللغوي أوجه نفع عملية عدة للباحث كلما ازداد تعمقه فيه ، قد تتجاوز أفق المقاصد الفوائد المعرفية فحسب .

أمل أن يحقق هذا العمل بعض ما يلمح إليه ، والله من وراء القصد ،

## المؤلف

سعيد حسن بحيرى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

مدخل

## بدايات التأليف اللغوي عند العرب

لا يملك المرء إلا ينحني احتراماً لهؤلاء العلماء الذين وعبوا أعمارهم لإنتاج تراث ضخم في معارف شتى ، اجتهدوا في وضعه أو تعميقه وإثرائه ، وبشكل التراث اللغوي الذي ينم عن جهد كبير ورغبة خالصة وغيره شديدة وعشق قوى جزءاً مهماً منه ، فقد كان الوازع الحقيقي وراء كل هذا خدمة تلك اللغة التي شرفت بنزول القرآن الكريم بها ، قال تعالى في كتابه العزيز ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف / ٣٠ .

بذلت جهود كبيرة مهدت الطريق لعملية التأليف ؛ فقد أثمرت الجهود التي بذلت لإعداد حروف اللغة العربية لتدوين مختلف العلوم ، تحول العرب من الاعتماد على الذاكرة كأداة لنقل المعرفة إلى أداة أخرى قادرة على استيعاب التضخم المعرفي ، وحفظها من الاندثار ونقلها إلى الأمم الإسلامية في أرجاء دولة الإسلام المترامية الأطراف آنذاك ، واستفادة الحضارة الحديثة من الجوانب المشرقة منها بعد ذلك وبقاء جانب كبير منها ، تتولى الجهود المخلصة الكشف عنها ، وتقديمها للأمة الإسلامية المعاصرة تحت ما اصطلح على تسميته بـ « التراث » .

ذهب عدد غير قليل من الباحثين إلى أن الاعتماد الأول كان على الذاكرة والرواية الشفوية ، ولم تدون إلا الصكوك والعهود والأحلاف والمواثيق . أما الأخبار والأنساب والقصص والأمثال والمعارف البسيطة في الطب والأنواء والقيافة والفراسة واللغة والشعر فلم تكن تدون إلا في أحوال نادرة . فلم تكن الكتابة أمراً شائعاً ، ولم يكن عدد القادرين على الكتاب إلا نقرأ محدوداً آنذاك .

وتخبرنا المصادر أن الكتابة العربية كانت خالية من التنقيط والشكل ، كما أن الكتابة كانوا يواجهون صعوبات في الإملاء لعدم استقرار قواعد معينة للخط والإملاء ، ويرجح بعض العلماء أن شأنها في ذلك شأن الكتابة الأم النبطية التي استقيت منها . ولم تتشكل قبل نزول القرآن الكريم دوافع كافية تدفع العلماء إلى تذليل تلك

الصعوبات . وحين توفرت بأضطراب العرب إلى تدوين القرآن لسلامة قراءته وحفظه من اللحن أو التصحيف أو التحريف اقتنع الصحابة بضرورة تدوينه للحفاظ عليه ، ولا سيما أن عددا كبيرا من حفظة القرآن قد استشهد في الغزوات والحروب التي لحاضها المسلمون دفاعا عن عقيدتهم أو لتثبيت دعائم دينهم أو لبناء دولتهم الفتية فيما بعد .  
وأم زيد بن ثابت في عهد الخليفة الأول ، أبي بكر ، بجمع القرآن وتدوينه ، ثم أعيد تدوينه مرة أخرى في عهد الخليفة الثالث ، عثمان بن عفان لجمع الناس على ترتيب موحد .

عهد ولاية الأمر إلى أبي الأسد الدؤلي ( ت ٦٩ هـ ) لوضع علامات للشكل بعد تفسى اللحن بين العرب وفساد الألسنة لمخالطة الأعاجم - ولا تغفل هنا كثرة الزوايات واختلافها حول البداية والدافع إليها وطبيعتها ، وبخاصة دور على بن أبي طالب في هذا الأمر المحير ، وإن كان تفسى اللحن وتسريه إلى بعض آيات القرآن عاملاً عقلياً مقبولاً يفسر هذا التوجه - فوضع نظام النقاط ؛ فكانت النقطة فوق الحرف للفتحة ، وتحت للكسرة ، وعلى خط مستو معه للضمة ، والنقطتان للتنوين وأهمل السكون ، ثم كلف نصر بن عاصم ( ت ٩٠ هـ ) أو غيره بوضع نقط لإعجام الحروف ، ورتبت الحروف بعد ذلك مسaire لهذا التعديل بوضع الحروف المتناظرة متجاورة ( من أ ب ج د إى أ ب ت ث ج ح خ د ) . ولكن اختلاط نقط الإعجام مع نقط الشكل دفع الخليل بن أحمد الفراهيدى ( ت ١٧٥ هـ ) إلى استبدال نقط الشكل بالحركات ( الفتحة والضمة وانكسرة ) ، وأضيفت علامات ورموز أخرى لتيسير قراءة القرآن الكريم .

يتفق أغلب رواة المصادر على أنه قد نهى رسول الله ( ﷺ ) الناس عن تدوين الحديث الشريف خلال حياته خشية اختلاطه بآيات القرآن الكريم . واستمر الأمر فترة طويلة بعد وفاته ، غير أنه قد تهيأت بعد ذلك بواعث تدوينه ، فقد استشهد كما قلنا من قبل عدد كبير من الصحابة ، حفظته ، في الغزوات والحروب ، وخشى من ضياع المصدر الثانى من مصادر تشكيل العقيدة الإسلامية ، بل قام عدد من الواضعين بتأليف أحاديث ونسبتها للرسول لأغراض متباينة ، ففزع العلماء إلى وضع قواعد صارمة دقيقة للتحقق من صحة الأحاديث عرفت بقواعد الجرح والتعديل ، ودون علماء الحديث الأحاديث التى تيقنوا من صحتها ، ورفضوا كل ما لم يثبت أمام قواعدهم ، وأهمها كتب الصحيح والسنن ومسنند أحمد وموطأ مالك .

يرجع ذلك الاهتمام البالغ باللغة العربية - في حقيقة الأمر - إلى تلك المكانة التي صارت إليها بعد ظهور الإسلام ، إذ إنها صارت لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ، بل لغة الدين بوجه عام . وصار اهتمام العلماء بها عن رغبة قوية في معرفة أسرار تلك اللغة التي نزل بها القرآن . فسعوا إلى حفظ تراثها اللغوي والدفاع عنه . وكان الناس على عهد الرسول يسألون فيما صعب عليهم فهمه من ألفاظ القرآن ، وبعد وفاته كانوا يرجعون إلى أهل العلم بحثاً عن تفسير كلمة أو فهم معنى مستغلق ، وكانوا لا يتخرجون من التنقيب في الشعر حتى يعثروا على ضالتهم ويصلوا إلى هدفهم ، وتنقل المصادر عن ابن عباس ، ترجمان القرآن ، عبارات تؤكد هذا النهج ، إذ ورد فيها قوله : « الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله رجعنا إلى الشعر فالتمسنا إلى ذلك فيه . . »

وقد تحرى العلماء الدقة في جمع اللغة ، وبالغوا في تقصي فصاحة الرواة والمادة التي أخذوها عنهم ، حفاظاً على سلامة اللغة واستقصاء لأصولها وتنقيتها من الشوائب . فلم يصل إلينا على أرجح الآراء من ألفاظها إلا ما اطمان إليه هؤلاء العلماء وطرح كثير من الألفاظ التي تطرق إليها الشك . وعلى الرغم من ذلك فإن المعاجم العربية قد حفظت مادة لغوية قل أن نجد نظيراً لها في لغة أخرى ، فقد أورد العلماء أن «صحاح العربية» للجوهري مثلاً يحوى أربعين ألف مادة ، و «القاموس المحيط» للفيروز أبادي يحوى ستين ألف مادة ، و «لسان العرب» لابن منظور ثمانين ألف مادة ، و «تاج العروس» للزبيدي مائة وعشرين ألف مادة تقريباً .

يرى عدد غير قليل من الباحثين أن التأليف اللغوي ارتبط في نشأته بالنص القرآني ، إذ إن التأليف في اللغة أو النحو أو الصرف أو غيرها من علوم اللغة بإجماع الباحثين كان يهدف أساساً إلى سلامة قراءته وفهمه وتفسيره . وقد ارتكز التأليف في المعاجم العربية - وهو الأمر الذي نعني به في هذا المقام - على المادة الغزيرة التي جمعها عدد كبير من اللغويين الذين صرفوا جل همهم في إخلاص وأفنوا أعمارهم عن رضى في الحفاظ على هذه المادة من الضياع . وتذكر المراجع أنهم خرجوا في فترة متقدمة من القرن الثاني الهجري إلى البادية ( ما عرف بالرحلة إلى البادية ) لجمع هذه اللغة من أفواه أبناء القبائل العربية ، فقد كانوا يصدرون عن تصور خاص للعربية الفصحى ، إذ هي العربية النقية من الشوائب التي لم تخالطها لغة أخرى .

رأى علماء اللغة القدامى أن الطريق إلى الحكم على سلامة اللغة وفصاحتها ونقاؤها هو قياسها على لغات البدو البعيدين عن مواضع الاختلاط إذ إن لغتهم تمثل معيار الصحة أو السلامة اللغوية . فإذا ما أريد التعرف على اللغة في أنقى صورها فيجب الارتحال إلى هؤلاء الأعراب في مواطنهم أو إلى البوادي التي تعيش فيها القبائل العربية الفصيحة ، ومعاشرتهم وسؤالهم والأخذ عنهم وتدوين ما سمعوا . ولم يكن هدفهم إلا تسجيل الألفاظ الفصيحة عن تلك القبائل الفصيحة التي تحددها المصادر بقبس وتميم وأند وهذيل وبعض كنانة وبعض طيء ، وتجنّبوا الأخذ عن أهل الحضر أو عن القبائل التي سكنت التخوم لمجاورتهم جماعات لغوية ليست عربية .

لما رأى بعض الأعراب هذا التعلق بأهل البادية ، وتكشف لهم استمرار حرص العلماء واهتمامهم بالرجوع إليهم ونقل مواد اللغة عنهم هاجر جماعة من هؤلاء الأعراب - في عملية أو حركة مضادة - إليهم في مدنهم وبخاصة في البصرة والكوفة ليقدّموا لهم ما يريدون مقابل جزاء مادي ، ومن أشهر هؤلاء الأعراب : أبو مالك عمرو بن كركرة ، وأبو ثروان العكلى وأبو جراح العقيلي وأبو سنبل الأعرابي وأبو البيداء الرياحي وغيرهم . وقد أفاد العلماء منهم كل الإفادة ودونوا أقوالهم وألفاظهم ونواديرهم وغرائبهم وملحهم وطرفهم . وقد حرصوا كل الحرص على التأكد من سلامة لغتهم وفصاحة منطقتهم وعدم ضياع خصائص لهجات القبائل التي ينحدرون منها .

كان الأعراب إذن أهم مصدر لمعرفة الخصائص اللغوية للهجات ، وقد احتكم إليهم في التمييز بين الفصح وغير الفصح ، والدلالات الدقيقة للألفاظ وتقديم الشواهد المؤيدة لضبط أو اشتقاق أو صحة استعمال ، ويكشف د . حجازي في أسس علم اللغة العربية ( ص ٩٩ ) عن مغزى العمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري حين قال : ( وبذلك لم يكن العمل اللغوي الميداني في القرن الثاني الهجري محاولة لتسجيل الحياة اللغوية عند أبناء اللغة العربية أو محاولة لبحث جوانب التنوع اللغوي في الجزيرة العربية ، بل كان محاولة للبحث عن الصيغ الفصيحة والكلمات الفصيحة عند القبائل العربية التي يقترب استخدامها للغة من المستوى اللغوي المنشود ) ، ولا يعنى إبراز الأمر الثالث مغزى جوهريا للعمل اللغوي الميداني إنكار إغفال الأمرين الأول والثاني اللذين تكشف المراجع عن قيمتهما غير المحدودة .

أنثرت حركة جمع اللغة مجموعة من الكتب أو الرسائل اللغوية التي اعتمدت عليها المعاجم العربية اعتماداً كبيراً إذ استوعبت كل ما ورد فيها من ثروة لغوية نادرة ، بل يعتمد عليها كذلك في التعرف على مبادئ وأصول نظرية اللغة عند العرب بشكل عام . ويلاحظ أن حركة تأليف المعاجم العربية بدأت موازية لتدوين الرسائل اللغوية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري تقريبا . وتضم الرسائل مجموعات لفظية صنفت على أساس موضوعي ، أي أن كل رسالة كانت تعنى بجمع كل الألفاظ التي وردت في موضوع بعينه ، بلا ترتيب معين في بادئ الأمر ، ومن أشهر الموضوعات التي تم التأليف فيها :

الحشرات وخلق الإنسان والإبل والنعم والشاء وخلق الفرس والخيل وأسماء الخيل والصفات والمعاني أو أبيات المعاني ، والظواهر الطبيعية كالمنطق والأقواس والبرق والرعد وغيرها ، والنبات والشجر والنخل والكرم والسرج واللجام والقوس والسيوف والرجل والمنزل . . الخ .

يتفق الباحثون في أن هذه الرسائل اللغوية تعد اللبنة الأولى أو الأساس في عمل المعاجم الموضوعية ، بل أنها إرهاصات ظهور المعجم العربي بشكل عام ، ويرى د . ياقوت في معاجم الموضوعات ( ص ٤٠ ) : أن هذا الظهور المبكر لفكرة الجمع الموضوعي للألفاظ على نحو ما يتمثل في ( الرسائل اللغوية ) يدل على إدراك العرب لبعض وظائف اللغة في المجتمع ، ومنها أن المتكلم للغة والمستعمل لألفاظها قد نجد في ذهنه فكرة ، ولكن محصوره اللغوي لا يسعفه للتعبير عنها ، وهنا يقدم المعجم الموضوعي اللفظ الذي يعبر عن تلك الفكرة . ولم يقدم اللفظ مجردا ، وإنما قدمه في سياق ؛ وذلك يساعد على الدقة في التعبير ، والسهولة في الحصول على المعنى ، وهو أهم ما في هذه المعاجم بصفة عامة .

يرجع الفضل في جمع ألفاظ اللغة وتصنيفها في موضوعات منفردة ، وشرح دلالات هذه الألفاظ إلى جماعة من الرواد الأوائل ، جامعي اللغة كأبي عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي وأبي زيد الأنصاري وأبي عمرو الشيباني ، والرياشي ، ومؤرخ السدوسي وقطرب وابن قتيبة والنضر بن شميل والمبرد والفراء وغيرهم . فقد كانوا المعين الذي قدم للمتأخرين ألفاظ اللغة اعتماداً على الرواية الشفاهية أو الخبرة الذاتية أو كليهما معاً .

ويصعب - استناد إلى عِدَدٍ من الشواهد - أن نقبل رأى من ذهب إلى أن حركة العمل اللغوى الميدانى قد توقفت فى القرن الثانى الهجرى ، وبدأت ملاحظة التغير الذى يعترى الاستخدام اللغوى بعد القرن الثانى ، إذ نرى مثلاً أن الأزهرى ( ت ٣٧٠ هـ ) فى القرن الرابع قد اعتمد فى معظم المادة التى وردت فى معجمه ( تهذيب اللغة ) على النقل المباشر ، إذ إنه جمعها من البدو الذين عاش بينهم فترة من الزمن . ونميل إلى ما ورد لدى المصادر العربية من أن الاستشهاد باللغة ( العمل اللغوى الميدانى ) قد انتهى فى القرن الرابع الهجرى .

دعا القرآن الكريم ، تنزيل العزيز الحكيم ، العرب إلى النظر فى خلق الإنسان وانكون وما فى السموات والأرض من إبداع الخالق الذى سخر ما خلق للكائن الذى شرفه واصطفاه لحمل الأمانة . وتكشف عناوين الرسائل التى وضعها هؤلاء اللغويون أنها استقيت من أسماء بعض السور الكريمة ، فقد جمعت كل الألفاظ التى كانت لشرح النحل والنمل والأنعام والشمس والقمر والليل والنهار والأيام والشهور . . . الخ . كما عنت الرسائل بستجيل الألفاظ الخاصة ببيئتهم وحياتهم وأيامهم وقيمهم ومثلهم ، فتناولوا الحيوان والنبات والشجر والأزمنة والأنواء والمطر والآبار والسيوف والرياح والقمى والدروع ، والشجاعة والثأر والكرم والبخل والطمع والتفاؤل والتشاؤم وغير ذلك .

وحرصوا على تقديم الأدلة على صحة ما أوردوا من ألفاظ وتفسيرات لها من خلال شواهد استقيت من أشعار أصحاب المعلقة أساساً ، والرجز ، والأقوال والحكم والأمثال التى كانت سائرة بين العرب . وعُنوا أشد العناية بتسجيل الفروق بين اللهجات العربية وبخاصة لهجات الحجاز وتميم وهذيل . وظلت التعبيرات الشائعة فى كتب اللغة مثل لغة الحجاز أو لغة أهل الحجاز أو لغة تميم أو لغة هذيل لا تعنى الاستخدام اللغوى عند هذه القبائل عموماً ، بل تعنى الاستخدام اللغوى عند هذه القبائل فى القرن الثانى الهجرى . فقد حظى ذلك المستوى الذى رصد فى تلك الفترة بأهمية بالغة ، بل عده كثير من المتأخرين المعيار الذى يحكم بالسلامة أو الفصاحة .

اتفق اللغويون إلى حد بعيد فى طريقة شرح الألفاظ التى دارت حولها رسائلهم ، إذ كان النهج الأساسى استخدام العبارات الموضحة للألفاظ وتقديم الشواهد المؤكدة لصحة المعانى المختارة ، فإذا لم يجدوا الشواهد لجأوا إلى افتراض عبارات وسياقات

تعين على إيضاح المعنى . وكانت تصنف الألفاظ حسب أحوال الشيء ودرجاته ،  
ويشار إلى الموضوع واللهجة التي تختص بدلالة ما مخالفة للدلالة العامة للفظ ، وربما  
يفسر اللفظ بلفظ مرادف له إلى حد ما إلا أنهم يبنهون إلى السياقات والمواقف للتمييز  
بين الاستخدامات المختلفة في بعض الأحيان .

وتبين المادة اللغوية التي تضمها هذه الرسائل ولعهم ببعض الظواهر اللغوية التي رأوا  
أنها تميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات ، وهي « الاشتقاق والنحت والأضداد  
والترادف والمشارك اللفظي ، بل إنهم قد حرصوا على إحياء الألفاظ التي غابت أو  
كانت غير شائعة على ألسنة الناس ، فرصدوها وفسروها وأثبتوا فصاحتها وقيمتها في  
الاستعمال فيما عرف عندهم بـ « النوادر والغرائب والشوارد » ، ونبهوا على الألفاظ  
التي تنفر عنها الأسماع وضرورة ابتعاد الأدباء أو الكتاب عن استعمالها فيما عرف  
عندهم بـ « الوحشى أو حوشى الكلام ، كما أنهم لم يغفلوا رصد ما دخل إلى العربية  
وصار مألوفاً في لغة الناس تحت اسم « المعرب والذخيل » ، وتتبعوا الدلالات الجديدة  
التي اكتسبتها الألفاظ العربية قديمة ، فحملت دلالات مخالفة لما كان يعرفه العرب ،  
وعرف ذلك تحت مصطلح « المولد » .

لا شك أن حركة التأليف قد شهدت نهضة كبيرة منذ أواخر القرن الثانى الهجرى  
بعد معرفة العرب صناعة الورق نقلاً عن الصينيين فى سمرقند عام ( ٩٤ هـ - ٧١٢ م )  
فى أثناء الفتوح الإسلامية ، فقد كانت وسائل الكتابة قبل الإسلام وبعد ظهوره بقليل  
صعبة ومحدودة ولا تسمح بانتشار العلم والمعرفة وثقافة ذلك العصر مدونا إلا فى قدر  
محدود ، ثم عرفت القرايطيس المصرية ( أوراق البردى ) مادة للكتابة التى تعمم خزائن  
المكتبات فى مصر وبعض البلاد العربية والأوروبية وأمريكا . وقد أدى ذلك الكشف أو  
على الأصح معرفة العرب بالورق إلى إمكان ازدياد حركة التأليف والترجمة والتدوين  
لما يسرته هذه المادة كما وكيفاً ، كما أن تلك الحركة قد لقيت تشجيعاً بالغاً من الخلفاء  
والولاة وأولى الأمر ، بل إن بعضهم قد بالغ فى اقتناء الكتب والمكافأة على التأليف أو  
الترجمة . بيد أن نوائب الدهر ونوازل الأيام والمحن التى مر بها العالم الإسلامى قد  
أبت إلا أن يحتفظ بقدر محدود من تراثه .

رَفَعُ

عبد الرحمن التجدي  
أسكنها الفردوس

(١)

## الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد

- مقدمة

- الحشرات

- خلق الإنسان

- الخيل

- الإبل

- النخل والكرم

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(١)

## الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد

### مقدمة

عنى اللغويون العرب الأوائل بتأليف رسائل صغيرة تدور كل رسالة منها حول موضوع واحد ، وتعرض لجزئيات كل موضوع وصفاته وأحواله والفروق الخاصة بكل منها ، وتتحدد هذه الموضوعات فى خلق الإنسان ، والحشرات والوحوش والحيوان وبخاصة الخيل والإبل والشاء ، والنبات والشجر وبخاصة النخل والكرم ، والمطر والأيام والليالى والشهور والرحل والمنزل والدارات وغير ذلك .

وتكرر هنا أسماء عدد من اللغويين الأوائل الذين حرصوا على جمع اللغة العربية فى صورة هذه الرسائل التى صارت فيما بعد نواة المعاجم العربية ، وعليها اعتمد مؤلفو المعاجم فى موادهم اللغوية وتوثيقها والتثبت من صحتها ومعرفة الدلالات والفروق بين المفردات المختلفة ، وإمكان تفسيرها وشرحها شرحاً دقيقاً . ومن هذه الأسماء الأصمعى (عبد الملك بن قريب «ت ٢١٥ هـ») الذى أسهم بدور جوهري فى الحفاظ على العربية الفصحى ونقل موادها سليمة بريئة من الشوائب ، غير أن كثيراً من مؤلفاته قد ضاع ، ولم يبق منها إلا رسائل فى الإبل والخيول والشاء والوحوش والفرق وخلق الإنسان والنبات والشجر ، وأبو زيد الأنصارى (٢١٥ هـ) الذى لا يقل دوره عن دور الأصمعى وقد بقيت من مؤلفاته رسائل فى المطر والهمز واللبأ واللبن وكتاب النوادر فى اللغة ، والفراء (ت ٢٠٧ هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) ، وأبو عمرو الشيبانى (٢٠٦ هـ) ، وأبو عبيدة (٢١٠ هـ) وابن الأعرابى (٢٣١ هـ) وأبو حاتم السجستاني (٢٥٥ هـ) وغيرهم .

وتتسم رسائل هؤلاء الأوائل بخصوصية من جهات عدة ؛ فهم لا ينقلون من الأتفاظ إلا ما تأكدوا من فصاحتها أخذاً عن مجموعة من الأعراب الفصحاء ، إذ لم تتوقف رحلتهم إلى البوادي التي تعيش فيها القبائل الفصيحة ليسمعوا ويدونوا ، وأعرضوا عن إثبات كل ما يرقى الشك إليه . كما أنهم قد حرصوا على جمع كل ما يمكن أن يصلوا إليه في الموضوع ، غير أنهم قد أثبتوا هذه المواد بلا ترتيب ولا تنظيم ، فقد يغلب على هذه الرسائل سرد معين متكرر تحكمه مفردات الموضوع دون اعتبارات منهجية أخرى ، وإن كان من الممكن تقسيم هذه المادة وفق مجالات دلالات جزئية .

وعلى الرغم من العناية بتفسير مواد اللغة إلا أن عدداً غير قليل منها يذكر بلا شرح ، فضل غامضاً بلا فائدة . والتفت جماعة منهم إلى الحديث عن المذكر والمؤنث والمفرد والجمع وبعض مشتقات اللفظ من فعل وصفة ومصدر ، وعنوا برصد الاختلاف بين اللغات أو اللهجات العربية . واتفق معظمهم في طريقة الاستشهاد ، إذ إنهم حرصوا على التدليل على صحة ما يدونون بذكر شواهد من الشعر والقرآن والأقوال والحكم والأمثال السائرة وبعض الحديث ، وإن اختلفوا فيما بينهم في كثافة المادة والاستشهاد عليها ، وإن كان المتأخرون قد توسعوا في الاستشهاد .

ونحاول فيما يلي أن نعرض لبعض موضوعات هذه الرسائل الصغيرة ، وتتوقف عند بعض موادها ، ثم أثرها في الكتب المتأخرة ، لاكتشاف الفروق الدقيقة بينها ، وتتبع الإضافات من جهتي المادة والمنهج في المقام الأول . وأول هذه الموضوعات هو الحشرات ، إذ يذهب عدد من الباحثين إلى أن كل من المفسرين واللغويين قد أولوه عناية كبيرة لورود طائفة من الحشرات في القرآن كالنمل والنحل والذباب والعنكبوت والجراد والبعوض .

وعلى الرغم مما ينقل عن كتب التراجم والطبقات أنه قد ألف فيه عدد من اللغويين الأوائل كأبي خيرة الأعرابي وأبي عمرو والشيباني وأبي عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي وأبي حاتم السجستاني وغيرهم إلا أنه لم يبق فيها أي كتاب مستقل ، وإنما أفراد لها المتأخرون أبواباً كما فعل أبو عبيد في الغريب المصنف ، والخطيب الإسكافي في مبادئ اللغة ، والثعالبي في فقه اللغة ، وابن سيده في المخصص . ومن البديهي أن تكون المادة لدى الأوائل محدودة ثم تتسع لدى المتأخرين ، كما يتضح بخاصة لدى أبي عبيد في غريبه ، إذ خصص لها أبواباً ، تناول فيها عدداً من الحشرات ، وعالج فيها

أسماءها وأسماء أعضائها وصفاتها وجماعاتها وحرص على إثبات اللفظ المفرد والجمع والمذكر والمؤنث واختلاف اللغات وذكر بعض الأشعار التي ورد فيها حديث عنها وإن كانت قليلة .

وقد وصل التأليف في هذا الموضوع إلى ذروته لدى ابن سيده في مخصصه ، حين أفرد لها جزءاً كبيره قسمه قسمين ، فجعل الأول للحشرات والثاني للهوام ، وانتهج طريقة واحدة في العرض ، إذ كان يبدأ بالتعريف ثم يدرج تحته ما يدخل فيه ، وعنى بأوصافها وأنواعها وأصواتها ، وإن كان قد أولى اهتماماً أكبر بالحشرات . غير أنه تابع أبا عبيد في ذكر المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ، وخالفه في العناية ببعض المسائل اللغوية والنحوية والصرفية واللغات والاستشهاد بالشعر والأمثال وذكر الحكايات والأخبار .

انفرد عدد من اللغويين في تأليف رسائل صغيرة دقيقة في خلق الإنسان يعرضون فيها لتكوينه الخلقى ، أى وصف كل عضو من أعضائه وذكر كل المفردات التي أطلقت على كل عضو ، والصفات والأحوال التي تعتر بها . كما عرضوا الصفات الخلقية من كرم وبخل وشجاعة وجبن وضعف وقوة ، وحدة العقل وضعفه وذكاء القلب وفتوره إلى آخره ، كما أشاروا إلى اختلاف الناس في النعوت والأوصاف والأصوات ، بل إن كتب أو رسائل ( الفرق ) قد حرصت على بيان أوجه التمييز بين الإنسان وغيره من المخلوقات من جهات عدة ، وبخاصة تحديد الأسماء والأحوال والأوصاف التي يخص بها بعض مخلوقات الله . وأظن أن سبب وضع هذا اللون من الرسائل لا يرجع إلى مجرد الجمع لأغراض تعليمية أو معرفية فحسب ، وإنما يمكن أن يضاف إلى ذلك استدراك الضعف الذي نشأ ، وتمثل في عدم التمييز والفصل بين أسماء وأوصاف وأحوال يختص بها الإنسان ، وأخرى يختص بها غيره . ولم يستغ اللغويون هذه الحال إذ رأوا ضرورة التبصير بحرص العرب على التمييز الدقيق وتضمن لغتهم مفردات كثيرة قادرة على إيضاح ذلك .

ومن الرسائل الأولى التي وصلت إلينا رسالة أو كتاب خلق الإنسان للأصمعي ، وهو ينقسم ثلاثة أقسام ، الأول مقدمة تعرض لأموار عامة مثل الحمل والولادة والسن ، ثم وصف الإنسان وكل عضو من أعضائه والأحوال التي تعتر بها ويختصه ببعض أوصافه الخلقية والخلقية . وتشكل المادة التي أوردتها الأساس لكثير من الكتب

التي ألفت فيها بعد في هذا الموضوع ، كما أن طريقته في المعالجة قد أثرت فيها أيضاً ، إذ إنه قد أكثر من الاستشهاد بالشعر والتعليق عليه ، والأخبار والأقوال والأمثال ، وعنى كذلك بأمور صرفية ، مثل التفاته إلى المذكر والمؤنث والمفرد والجمع وذكر المفردات المختلفة التي أطلقت على عضو واحد وعنى باختلاف اللغات ، ومشتقات اللفظ ، وإن لم ينتظم في ذلك ، إذ كانت تحكمه - في رأبي - المادة التي جمعها .

وأورد أبو عبيد أكثر مادة الأصمعي في غريبه إلا أنه أضاف إليها من عدد من اللغويين الآخرين كأبي زيد والفراء والكسائي وأبي عمرو الشيباني وابن الأعرابي وغيرهم . كما أنه تأثر بالأصمعي في نهجه ، إذ ليس له نهج خاص به في ترتيب أبواب كتاب خلق الإنسان ، بل كانت تحكمه المادة المنقولة ، لذا نجد تكراراً لموضوعات كان من الممكن أن تجمع تحت باب واحد ، وتابع من سبقه أيضاً في عنايتهم بذكر صيغ صرفية مختلفة للمفردات ، وإن كانت محدودة لديه . ويعبارة موجزة لم يخرج أبو عبيد في هذا الباب عن النهج التي اختطه لنفسه في مؤلفه كله من توثيق المادة وعزو الوارد فيها إلى أصحابها .

أما كتاب خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت ( من علماء القرن الثالث الهجري ) فيغد من أفضل ما ألف في هذا الباب ويذكر محققه الأستاذ عبد الستار فراج في مقدمته (١) :  
ونقد صدق من قال إن كتاب خلق الإنسان أجاد فيه حق الإجابة - وقد دلنا هذا الكتاب عنى سعة في الإطلاع ، وبراعة في الاستشهاد ، وخبرة عظيمة في تفصيل جميع أجزاء الإنسان ، ودقائق ما يحويه جسمه ، ومسميات كل ذلك وأوصافه ، مما يعين الباحثين والمعربين على أداء مهمتهم . وقد حرص المؤلف أيضاً على إثبات مراجعه ، إذ إنه اختص بالمادة التي نقلها عن أبي عبيد والأثرم وسلمة بن عاصم بعناية أكثر ، وأطال في وصف الإنسان وأعضائه وأحواله وأوصافه الخلقية والخلقية ، مقتفياً في ذلك خطي الأصمعي - مع ملاحظة أن كتاب الأصمعي لا يبلغ نصف ما في كتاب ثابت ، من حيث اللغة والشواهد والتفصيل ، ونسبة ما فيه من الشواهد إلى قائلها - في ترتيبه الجميل في وصف أعضاء الإنسان دون أبي عبيد ، غير أنه أكثر من الشواهد الشعرية بالإضافة إلى بعض آيات وأحاديث وأمثال .

ووصل التأليف فيه إلى قمته على يد ابن سيده في مخصصه الذي سار على نهج أبي عبيد ، غير أنه توسع في المادة توسعاً شديداً إلى حد - رأى معه د . حسين نصار في

المعجم العربي ص ١٠٨ - أنه أراد بذلك أن يضيع وجه الشبه بين معالجته ومعالجة الأصمعى ، وإن كان قد أدخل أبواباً كثيرة جديدة ليست عند الأصمعى مثل أبواب الغريب المصنف الاجتماعية ، بالإضافة إلى أنه نقل فى جزئيه الأول والثانى أغلب ما فى كتاب ثابت ، مع إيجاز وترك اسم الشاعر فى كثير من المواضع وإدماج مع المؤلفين الآخرين ، كما يقول الأستاذ عبد الستار فراج فى المقدمة أيضاً ص ( ج ) .

لم يحد ابن سيده عن نظام الأصمعى ، إذ إنه أفضل نظام ألف فى هذا الموضوع ، غير أن اتساع المادة يرجع إلى تأخره ، فقد سبق بكتب توالى فى علاج هذا الموضوع وغيره ، فكتاب ثابت مثلاً ضعف كتاب الأصمعى من حيث اللغة ( المادة ) والشواهد والتفصيلات كما أشرنا آنفاً ، وقد عول عليهما كل من ألف بعدهما فى هذا الموضوع ، غير أننا نجد ابن سيده قد تردد فى نهجه فى التعامل مع المادة اللغوية ، فنلحظ عناوين الكتب السابقة عليه ، وبخاصة كتابا الأصمعى وأبى عبيد ، بلا أدنى تغيير ، أما ترتيب المادة التى اقتبسها منها فقد أجرى عليها تغييراً بالتوسيع والحشو والإضافة ، وتفرد بعناية أكبر بمسائل صرفية ونحوية . ( سنورد فهرس كتاب « خلق الإنسان » لثابت بن أبى ثابت كاملاً فى بداية النماذج وباباً واحداً فقط منه حتى يتعرف القارئ مدى إجادة هذا العالم الجليل فى التأليف فى هذا الموضوع القيم ) .

عنى اللغويون العرب بالتصنيف فى الخيل والإبل عناية فائقة ، إذ إن الخيل والإبل أداتهم فى الحرب والسلم معاً ، فتناولوا الأسماء والصفات والأعضاء والعيوب والمحاسن والأمراض والأدواء وغير ذلك . وقد أشرت من قبل إلى أن للأصمعى ( ٢١٦ هـ ) كتاباً فى الإبل ، تحدث فيه عن نتائجها وحلبها وأسماء أعضائها وألوانها وطريقة ورودها الماء وأدواتها وأوصافها وأمراضها وعيوبها ومحاسنها . . الخ . أما فى كتاب الخيل فتحدث فيه عن أعضائها وما يستحب أو يكره فيه ، ووصف مشيها وعدوها وألوانها وعلاماتها والخيل المشهور وأصحابها وغير ذلك ، وإن اختص اتجاه آخر عنى بأنساب الخيل وأسمائها وقبائلها وأخبارها كما فى كتابى ابن الكلبي وابن الأعرابي . فقد فصلوا فى صيانة العرب لها وإيثارهم لها وذكر ما ورد فيها من أشعار وآيات قرآنية وأحاديث شريفة وأقوال وأخبار وأثار وغير ذلك . وعلى الرغم من قلة المادة مقارنة بما ورد لدى غيره مما عالج الموضوع ذاته إلا أنه قد عرض لمعظمها فى انتظام ، وحرص على ذكر المفردات والأفعال والصفات الخاصة بكل حالة من حالات

الخيل مما جعل مادته أكثر ثراء ، إذ عرف عن الأصمعي أنه كان قادراً على تحديد كل مسمى والعضو الذي يشير إليه عملياً وليس حفظاً أو نقلاً عن الآخرين دون خبرة أو درية أو دراية دقيقة . ويتضح كذلك أنه قد عنى كعادته بالاستشهاد بالشعر ، وإن كان أقل من غيره .

وقد عالج غيره من اللغويين الموضوعات ذاتها ، ولكنهم اختلفوا عنه من نواح عدة ، فمن جهة المادة نجدتها زادت واتسعت الأبواب لدى أبي عبيد في غريبه ، إذ حرص على ذكر كثير من نواحي الخيل التي وردت لدى الأصمعي ، وإن فارقه في مواضع عدة بمرعاة تقديم مجموعة الأسماء التي يفسرها في صدر فصوله ، ثم يأخذ في تفسيرها تباعاً ، وعلى الرغم من ذلك نجد تكراراً بلا غناء ، وفاق الأصمعي أيضاً في شواهد الشعرية . ونجد ذلك التقسيم الموضوع ذاته في كتاب الخيل من مخصص ابن سيده ، وكذلك التكرار . ولم يخرج هذا أيضاً عن نهجه السابق ذكره ، إذ كان يتدخل في الاقتباسات فيحذف ويغير ويبدل ويضيف ، ولم يعن بأسماء الرواة ، وأغفل بعض الأشعار والشواهد الأخرى ، وأضاف مسائل لغوية نحوية وصرفية واختلافات حول المفردات أو الشواهد أو التفسيرات إلى غير ذلك مما اختص به ابن سيده .

ونختم معالجتنا للرسائل بوصف للمادة التي تضمها رسائل النخل والكرم ، إذ إن للأصمعي أو لأبي حاتم السجستاني رواية عن الأصمعي رسالة بذلك العنوان ، يصدرها بذكر أحوال النخل وزرعها ونعوت سعتها وكربها وقُلبها وحمل النخل وسقوطه وطلعه وإدراك ثمره وتغير ثمره وفساده . وتضم أيضاً نعوت النخلة في طولها وحملها وأجناسها وعذوقها ، ويعرض لنعوتها في نباتها وجماعاتها ومنافعها . أما رسالة الكرم فتبدأ بحديث عن العنب ، ثم ضروره وزرعه وأحوال نضجه والخمر وأسمائها وكيفية صنعها . . الخ ، ولا تختلف عن سابقتها في ثراء المادة اللغوية ، والنهج الموضوعي في عرضها ، والعناية بالاستشهاد والتفسير ودلالات المفردات .

### وفيما يلي نماذج من الرسائل اللغوية الصغيرة

رَفْعٌ

عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس

٥ - فهرس الكتاب

مقدمة المحقق (١)

الحمل والولادة ١

- ١٢ باب ما يخلق في الرحم وما يخرج مع الولد  
١٥ ومن أسماء الصغير إلى أقصى منتهى الكبر  
٢٩ ومن صنعة الجارية إلى أقصى منتهى الكبر  
[ أسماء العجوز ] ٣١  
[ أسماء الحائض ] ٣٢  
[ أسماء التي لا تحيض ] ٣٢  
[ من اقتضت والتي لم تقتض ] ٣٣  
[ ما تقوله العرب عن الشخص في مراحل عمره ] ٣٥  
٣٦ ابتداء وصف خلق الإنسان  
٤٣ باب الرأس  
٦٠ باب ابتداء نبات الشعر وكثرته  
٧٢ باب قلة الشعر وتفرقه في الرأس  
٧٩ باب الشيب ونعوته وشعث الرأس  
٨٥ باب ألوان الشعر  
٨٨ باب الشجاج ونعوتها

	باب الأذن ونعوتها	٩٠
	باب الوجه	٩٨
	باب الحاجب	١٠٣
	باب العين	١٠٦
	باب غوور العين	١١٤
	باب العيوب فى العين	١١٦
١٢٧	باب ما استحسّن فى العين من الصفات	
	باب صفات ألوان الحدقة	١٣٠
١٣٤	باب ما يستقبح فى العين من الصفات بالنظر	
	باب الدمع وما فيه	١٢٩
	باب الأنف وصفاته	١٤٤
١٥٢	باب الفم وما فيه من الشفه والأسنان وغير ذلك	
١٦٠	باب ذكر ما فى الفم غير الأسنان واللسان	
	باب الأسنان	١٦٥
	ثم اللسان	١٨١
	باب الخلق وما فيه	١٩٠
	باب اللحيّ	١٩٢
	ثم اللحيّة	١٩٧
	باب العنق	٢٠٠
٢١١	باب المنكب والكتف وما فيهما	
	باب العضد والذراع	٢١٦
	باب الكفّ	٢٢٥

٢٢٧	باب الأصابع
٢٣٢	[ أوصاف اليد ]
٢٣٥	باب الظهر
٢٤٤	باب الصدر وما احترام به
٢٤٤	[ النحر واللبة والثغرة ]
٢٤٥	[ الترائب والترقوتان ]
٢٤٦	[ الحاقنة والذاقنة والحيزوم ]
٢٤٨	[ الزور والجوانح . . . . ]
٢٤٩	[ الشراسيف والثدى ]
٢٥٠	[ الضبعان والإبط ]
	[ الفريضة والقص والرهاية ]
٢٥٣	[ المسرية والاضلاع والجوانح أيضاً ]
٢٥٤	باب الجنين وما احترام بهما
٢٥٤	[ الجوانح أيضاً ]
٢٥٥	[ الشراسيف أيضاً والقصرى ]
٢٥٦	[ الخاصرة والشاكلة والطفطقة والحصيرة ]
٢٥٧	[ الخصر والحقو والكشح ]
٢٥٨	[ الخالبان والحشاشان ]
٢٥٩	باب البطن وما فيه
٢٥٩	[ القلب ]
٢٦٢	[ الكبعد ]
٢٦٣	[ الطحال ]

- [الرئسة] ٢٦٣  
 [الكليتان] ٢٦٤  
 [المعدة] ٢٦٤  
 [المصارين] ٢٦٤  
 [الحشوة] ٢٦٤  
 [الأعفاج والأقتاب والمحشى] ٢٦٥  
 [الحوايا والمبعر والسرة والسرر] ٢٦٦  
 [الثنة والمربطاء والصفاق] ٢٦٧  
 [الحالبات والمراق وخثلة البطن] ٢٦٨  
 [وسط الإنسان وأوصافه] ٢٦٨ - ٢٦٩  
 باب محاسن البطون ٢٧٠  
 ومن قبح البطون ٢٧١  
 باب أدواء البطن وفساده ٢٧٣  
 باب الركب وما فيه ٢٧٦  
 أسماء الذكر [وما فيه وأوصافه] ٢٧٧  
 باب الأنثيين ٢٩٠  
 باب فرج المرأة ٢٩٤  
 باب الوركين ٣٠٠  
 [الغرابان والحجبتان] ٣٠١  
 [الجامعرتان والمأكمتان] ٣٠٢  
 [الحرقتان والحناجف والصلوان] ٣٠٣  
 [الفائل] ٣٠٤

	باب العجز	٣٠٤
	[الخورات والدبر وأسمائها]	٣٠٨ ، ٣١١
	[ما فى الدبر]	٣١١
	باب الفخذين	٣١٢
	باب الركبة	٣١٧
	باب الساق	٣١٩
	باب القدم	٣٢٢
٣٢٤	أسماء الأصابع وصفاتها	
٣٢٧	[أوصاف للقدم والمشى وعيوبه]	
٣٢٩	[العظام التى فى الإنسان]	
٣٣٠	[طرائف الكبد]	
٣٣٠	[قنوات المعدة]	
٣٣٠	[طرائف المرارة]	
٣٣١	[الكافات التى فى جسم الإنسان]	
٣٣٣	الفهارس	

## من كتاب « خلق الإنسان » لثابت بن أبي ثابت

### باب

(٩٨) ما يُسْتَفْجِحُ فِي الْعَيْنِ مِنَ الصِّفَاتِ بِالنَّظَرِ

وَفِي الْعَيْنِ الْخَزْرُ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ فِي أَحَدِ عُرْضَيْهِ . أَيْ جَانِبَيْهِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لِيَتَخَازَرُ إِلَى الشَّيْءِ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَلَمْ يَسْتَقْبِلْهُ بِنَظَرِهِ ، وَقَالَ لَقِيَطُ بْنُ يَعْمُرَ الْإِيَادِيُّ (١) :

خَزْرُ عِيُونِهِمْ كَأَنَّ لِحَظَّهُمْ

حَرِيقُ نَارٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قَطْعًا (٢)

وَمِنَ النَّظَرِ الشَّرْزُ ، يُقَالُ نَظَرَ إِلَيْهِ شَرْزًا ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ عَنِ يَمِينِهِ أَوْ عَنِ شِمَالِهِ ، قَالَ الْأَخْطَلُ (٣) :

تَنَحَّ ابْنُ صَفَّارٍ إِلَيْكَ فَإِنْسَى

صَبُورٌ عَلَى الشَّحْنَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرْزُ

وَفِي النَّظَرِ الْبَرَهْمَةُ ، وَهُوَ فَتْحُ الْعَيْنِ وَإِدْمَةُ النَّظَرِ ، بَرَهُمْ يُبْرِهَمُ بَرَهْمَةً ، قَالَ الْعَجَّاجُ (٤) :

يَمْزُجْنَ بِالنَّاصِعِ لَوْنَا مُسَهَمًا

وَنَظَرًا هَوْنَ الْهُوَيْنَا بَرَهْمًا

(١) فوق « يعمر » كلمة عمرو . وفي الهامش ما يأتي : في النسخة لقيط بن زرارة وتحتها إشارة تدل على أن ذلك خطأ .

(٢) مختارات ابن الشجري ٣ والمختصر ١ : ١١٩ .

(٣) ديوانه ٢٢٠ والمختصر ١ : ١١٩ .

(٤) مجموع أشعار العرب ٢ : ٨٨ والمختصر ١ : ١١٨ وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٧

وانظر اختلاف الرواية .

وإذا أدام النَّظَرَ في سكونِ الطَّرْفِ فذلك الرُّثُوُّ ، يقال : رثا يَرثُو رُثُوًّا ، وظل فلانٌ ركنياً إلى فلان ، وقد (٩٩) أرتانى حَسَنُ المنظرِ إرناءً ، أى الجانى إلى أن أنظر إليه دائماً ، قال العجاج (١) :

فَلَقَدْ أَرْتَى وَلَقَدْ أَرْتَى

عُرّاً كَأَرَامِ الصَّرِيمِ الْغَنِّ

ومن النظرِ البرِشْمَةُ ، وهو خِدَّةُ النظرِ ، والبرِشَامُ مثله ، يقال : برِشَمَ يبرِشِمُ برِشْمَةً ، قال الراجز :

\* والقومُ من مبرِشَمٍ وضامر\*

ومن النظرِ التَّحْمِيجُ ، وهو شِدَّةُ النظرِ مع فَتْحِ العَيْنِ ، قال أبو العيال (٢) :

وَحَمَجَ لِلجَبَانِ المَوِّ

تُ حَتَّى قَلْبِهِ يَجِبُ

ومن النظرِ الشُّوسُ ، وهو أن يَنْظُرَ الرَّجُلُ بِأَحَدَى عَيْنَيْهِ وَيَمِيلُ وَجْهَهُ في شِقِّ العَيْنِ التى يَنْظُرُ بها ، وقال ذو الإضْبَعِ العَدَوَانِي التَّحْمِيجِ : والشُّوسِ .

أإن رأيت بنى أيبى

ك مُحمَّجِين إلى شوساً (٣) :

ومن النظرِ التَّدْوِيمُ ، وهو أن تُدَوِّمَ الحَدَقَةَ كأنها فى فَلَكَةٍ ، يقال : دَوَّمتُ عينه تَدْوِيماً ، قال رؤبة (٤) :

(١) مجموع أشعار العرب ٢ : ٦٥-٦٦ وبينهما بيت والمخصص ١ : ١١٧ وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٧ .

(٢) أشعار الهذليين تحقيقى ٤٣٠ واللسان (حمج) وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٧ والمخصص ١ : ١١٧ .

(٣) اللسان (شوس) و (حمج) وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٧ .

(٤) مجموع أشعار العرب ٣ : ١٨٤ والمخصص ١ : ١١٨ وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٥ .

تَيْهِيَاءَ لَا يَنْجُو بِهَا مَن دَوْمًا

إِذَا عَلَاهَا دُوٌّ انْقِبَاضِ أَجْذَمًا

(١٠٠) أَي أَسْرَعَ ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الدَّوَامَةُ لِذَوْرَانِهَا ، وَالدَّوَامُ لِذَوْرَانِهِ ، وَقَالَ ذُو

الرَّمَّةِ :

يُدْوِمُ رِقْرَاقُ السَّرَابِ بِرَأْسِهِ

كَمَا دَوَّمَتْ فِي الْأَرْضِ فَلَكَّهُ مَغْرَكٌ (١) :

وَمِنَ النَّظْرِ الْإِتَارُ ، وَهُوَ إِدَامَةُ النَّظْرِ ، يُقَالُ أَتَارَ النَّظْرَ إِتَارًا . قَالَ الْكُمَيْتُ :

أَتَارَتْهُمْ بَصْرِي وَأَلَالٌ يَرَفَعُهُمْ

حَتَّى اسْمَدَرَ بِطَرْفِ الْعَيْنِ إِتَارِي (٢)

وَقَدْ يُقَالُ : أَتَارَهُ ، بِغَيْرِ هَمْزٍ

وَالشُّقْنُ : النَّظْرُ فِي اعْتِرَاضٍ ، يُقَالُ : شَقَنْ يَشُقْنُ شُقُونًا . قَالَ جَنْدَلٌ :

دُوٌّ (٣) خُتْرُ وَأَنَاتٌ وَلَمَّاحٌ شُقْنٌ (٤)

وَيُقَالُ « شُقْنٌ » وَالخُنْزُورَانُ وَالخُنْزُورَانَةُ وَالخُنْزُورَانِيَّةُ : الْكَبِيرُ ، يُقَالُ : فِي رَأْسِهِ

خُنْزُورَانَةٌ ، أَي كَبِيرٌ .

وَالرَّارَأَةُ : فَتْحُ الْعَيْنِ وَاسْتِدَارَةُ الْحَدِيقَةِ كَأَنَّهَا تَمُوجُ فِي الْعَيْنِ ، يُقَالُ : إِنَّ فُلَانَةً إِذَا

نَظَرَتْ رَأَرَاتٌ ، وَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ كَذَلِكَ قِيلَ : إِنَّ فُلَانَةً لِرَأْرَأَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ

الْمَرْأَةُ الرَّارَأَةُ ابْنَةُ مَرْأَتِ تَمِيمِ بْنِ مَرْءٍ ، وَكَانَتْ كَذَلِكَ :

١٠١ - وَيُقَالُ : أَرَشَقْتُ إِذَا حَدَّدْتُ النَّظْرَ ، قَالَ الشَّاعِرُ (٥) :

\* وَيَرُوْعُنِي مَقْلُ الصُّوَاكِ الْمُرْشِقِ \*

(١) ديوانه ٥١٧ والمخصص ١ : ١١٨ وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٥ .

(٢) اللسان (تأر) والمخصص ١ : ١١٦ وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٢ .

(٣) في الهامش « ذى » .

(٤) المخصص ١ : ١١٩ وخلق الإنسان للأصمعي ١٨٧ .

(٥) الشاعر هو القطامي ديوانه ٣٤ واللسان (مقل) والمخصص ١ : ١١٦ .

وصدره : « ولقد يروع قلوبهن تكلمي » ورواية أخرى « ولقد يروق ... » .

ويقال : رَجُلٌ شَاهَهُ الْبَصْرَ ، وشاهى البصر إذا كان حديداً البصر .

ويقال : شَصَا بَصْرَهُ يَشْصُو شُصُوءًا ، وهو مثل الشُّخُوصِ .

ومثله سَمَا بَصْرَهُ ، وطَمَحَ بَصْرَهُ ، مثل الشُّخُوصِ أيضاً .

ويقال : شَطَرَ بَصْرَهُ يَشْطُرُ شَطْرًا وشَطُورًا ، وهو الذى كأنه يَنْظُرُ إِلَيْكَ وإلى آخَرَ .

قال الفراءُ : ويقال : عَيَّاهُ تَرَزَّانٌ فى رأسِهِ ، إذا تَوَقَّدْنَا .

ويقال : جَلَّى بِبَصْرِهِ ، إذا رَمَى بِبَصْرِهِ .

وكذلك جَلَّى الصَّقْرُ ، إذا نَظَرَ إلى صَيْدِهِ ، وهو يُجَلَّى تَجْلِيًا وتَجْلِيَةً .

قال الأصمعى ، ويقال : غَيَّقَ ذَلِكَ الأَمْرُ بَصْرِي يُغَيِّقُهُ تَغْيِيقًا ، وهو أن يُهَيِّجَهُ وَيُحِيرَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ ، قال العجاجُ :

لا تَحْسَبَنَّ الخَنْدَقَيْنِ والحَفَرَ

أذى أوراَد يُغَيِّقَنَّ البَصْرَ (١)

قال الأصمعى : والعربُ تقول للرجل إذا خَشُوا أن يُصِيبَ الرَّجُلَ بالعينِ أو المرأةَ : لا تُشَوِّءُ (١٠٢) عُلَى ، أى لا تَرْفَعُ طَرْفَكَ تَنْظُرُ إلى .

ومن ذلك قولهم : فَرَسٌ أشوهُ - وفَرَسٌ شوهاهُ - إذا كان يُرْفَعُ إِلَيْهِمَا الطَّرْفُ من حُسْنِهِمَا ، وقال ابنُ مقبلٍ :

وَشَوْهَاءَ مَلْوَاحٍ يَزُلُّ بِرَيْمِهَا

تُوقِرُّ بَعْدَ الرُّوعِ طَوْرًا وتُتَمَسَّحُ (٢) :

(١) مجموع أشعار العرب ٢ : ٢٠ وبينهما بيتان والمخصص ١ : ١٠٦ .

(٢) فى الهامش ما يأتى : فى أخرى : توقر بعد الربو وفى الهامش من الجهة الأخرى وضعت كلمة « الرنو » وعلى كلمة الروع فى البيت إشارة إلى اختلاف الرواية وفى ديوانه ٣٦ :  
وجرداء ملواح يجول برئيمها توقر بعد الربو فرطا وتمسح

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنها الله الفردوس

باب

الدمع وما فيه

قال الأصمعيُّ : وفي الجبهة عِرْقَانِ يُسَمَّيَانِ الشَّائِنَيْنِ يَسْقِيَانِ الْعَيْنَيْنِ ، قال عبيدُ بنُ الأبرص (١) :

عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبُ

كَأَنَّ شَأْنَهُمَا شَعِيبُ

« فالسَّرُوبُ » : السائلُ « والشَّعِيبُ » : المَزَادَةُ مِنْ .....

## من كتاب « خلق الإنسان » للأصمعي

مَا يُذَكَّرُ مِنْ تَقَلُّبِ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ

• قَالَ أَبُو سَعِيدٍ يُقَالُ لِنَمُولٍ جِيئِدٌ وَوَيْدٌ ، ثُمَّ يَطْمَلُ قَالَ وَلَا أُذْرِي  
مَا وَقْتُهُ وَيُقَالُ يَطْمَلُ وَطَطْلٌ ، فَأَمَّا الْبَطْلُ فَهُوَ الْمَنْعِيُّ وَأَمَّا الْبَطْلُ  
فَهُوَ الرَّخْصُ الْتَائِعُ ، ثُمَّ شَدَخَ إِذَا كَانَ صَغِيرًا رَطْبًا ، فَإِذَا سَبِنَ  
شَيْئًا قِيلَ قَدْ تَحَلَّمَ وَقَدْ اغْتَالَ ، فَإِذَا فُطِمَ فَهُوَ فُطِيمٌ ، فَإِذَا انْتَجَحَ  
وَأَرْتَمَعَ فَهُوَ جَبْرٌ ، فَإِذَا أَرْتَمَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ جَحُوشٌ ، قَالَ الْمَتْرِبِيُّ  
الْمَذَلِيُّ

فَتَلْنَا مَخْلُومًا وَأَبْنَى حُرَاقِي وَأَخْرَجَ جَحُوشًا فَوْقَ الْعَطِيمِ

فَإِذَا خَدَمَ وَقَوِيَ فَهُوَ حَزْرٌ ، قَالَ النَّابِغَةُ  
وَإِذَا رَعَتْ رَعَتْ عَنْ مُتَخَصِّفٍ رَعَّ الْحَزْرُ بِالرِّشَاءِ الْمُجْصَدِ  
فَإِذَا أَرْتَمَعَ وَلَمْ يَلْبِغِ الْحَلْمَ فَهُوَ يَمَّةٌ وَيَابِغٌ يُقَالُ غُلَامٌ يَابِغٌ وَغُلَامٌ يَمَّةٌ  
وَعَلْمَانٌ يَمَّةٌ الرَّاجِدُ وَالْجَمِيعُ فِيهِ سَوَاءٌ ، وَقَدْ يُقَالُ غِلْمَانٌ أَيْ يَابِغٌ وَقَدْ  
أَبْغَعَ النَّوْلُ يُبْغِعُ إِفَاعًا ، قَالَ الشَّاعِرُ [ وَهُوَ مُتَمِّمٌ بْنُ مَوْدَةَ  
الْبُرْبُوعِي ]

كَمَوْلٍ وَمَرْدٍ مِنْ بَنِي عَمْرِو مَالِكٍ وَأَيْبَاعُ صِدْقِي لَوْ تَمَلَّيْتُمْ رِضَى  
تَمَلَّيْتُمْ أَي تَمَلَّيْتُمْ بِهِمْ ، وَيُقَالُ مِنْ هَذَا لَيْسَ جَدِيدًا وَتَمَلَّيْتُ حَبِيبًا  
أَي تَمَلَّيْتُ بِهِ ، فَإِذَا أَحْتَلَمَ فَهُوَ حَالِمٌ ، فَإِذَا خَرَجَ وَجْهَهُ فَهُوَ طَارِدٌ

وَيَقَالُ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ [ وَهُوَ أَبُو قَيْسٍ بْنِ رِقَاعَةَ ]  
 مِمَّا الَّذِي هُوَ مَا أَنْ طَرَّ شَارِبُهُ وَاللَّائِنُونَ وَمِمَّا الْمُرْدُ وَالشَّيْبُ  
 مَا أَنْ طَرَّ شَارِبُهُ بِالْفَتْحِ هَكَذَا يُشَدُّهُ بِالْفَتْحِ ، وَيَقَالُ لِلشَّاعِرِ إِذَا  
 آتَى وَرَثَهُ وَوَبَّتْ لَهُ وَرَثٌ آخَرٌ جَدِيدٌ قَدْ طَرَّ يَطْرُ طُرُورًا ، وَيَقَالُ  
 لِلشَّاعِرِ إِذَا آتَى شَرَّهُ وَوَبَّتْ لَهُ شَرٌّ آخَرٌ جَدِيدٌ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَإِذَا  
 أَتَى وَجْهَهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي الشَّرِّ مَزِيدٌ فَهُوَ مُجْتَمِعٌ ، قَالَ سُحَيْمُ بْنُ  
 رَبِيعٍ الرَّيَّاحِيُّ

أَخُو تَمِيمٍ مُجْتَمِعُ أَشْدِي وَتَجَدِّي مُدَاوِرَةُ الشُّوْنِ  
 يُرِيدُ بِقَوْلِهِ تَجَدِّي دَرَبِي وَحَكْمِي ، دَرَبِي أَي صَبْرِي دَرَبًا  
 حَادًا ، وَهُوَ شَابٌ مِنَ الْحَلْمِ إِلَى أَنْ يَكْتَمَلَ ، فَإِذَا تَمَّ فَهُوَ كَمَلٌ ،  
 فَإِذَا قَدَّمَ بَدَأَ بُلُوغَ وَقْتِ النِّكَاحِ أَعْوَامًا لَا يَنْكِحُ فَهُوَ عَائِسٌ  
 يُقَالُ رَجُلٌ عَائِسٌ وَأَمْرَأَةٌ عَائِسَةٌ ، قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ

فَإِنِّي عَلَى مَا كُنْتُ تَمِيدُ بَيْتًا وَلِيدِي حَتَّى أَنْتَ أَشْطُ عَائِسٌ  
 وَيَقَالُ قَدْ عَنَّتْ سُنْسُ عُنُوسًا وَعَلَّتْ تَمِيمًا وَهِيَ أَمْرَأَةٌ مُعِينَةٌ  
 وَعَائِسٌ ، فَإِذَا تَمَّتْ شِدَّتُهُ فَهُوَ صُلٌّ ، وَإِذَا رَأَى الْيَاسَ فَهُوَ  
 أَشْيَبُ وَأَشْطُ ، فَإِذَا ظَهَرَ بِهِ الشَّيْبُ وَأَسْتَبَاتَ فِيهِ أَلْسِنٌ فَهُوَ  
 شَيْخٌ ، فَإِذَا جَاوَزَ ذَلِكَ فَهُوَ مِينٌ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنِ ذَلِكَ فَهُوَ  
 قَحْمٌ وَقَحْرٌ ، قَالَ رُوَيْبَةُ

رَأَيْتَ قَحْمًا شَابًا وَأَقْلَحًا طَالَ عَلَيْهِ الْأَدْمُ فَاسْلَمَهَا  
 وَاللَّهِمُّ الشَّاعِرُ ، وَقَالَ رُوَيْبَةُ أَيْضًا  
 تَهْوِي رُؤُوسَ النَّاعِرَاتِ الشَّحْرِ إِذَا هَوَتْ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّجْرِ

وَيَعَالُ جُلَّ قَمَرٍ وَصَارِيَةٍ يِثْلُ قُرَاسِيَةٍ وَالْفَرَايِبَةُ الشُّخْمُ مِنْ  
الْأَيْلِ الْكَبِيرِ ، فَإِذَا أَخَانَ هُوَ إِتْمَعَلَ وَيَعَالُ رَجُلٌ إِتْمَعَلَ  
وَأَمْرَأَةٌ إِتْمَعَتْ ، قَالَ الرَّاجِزُ

لَا رَأْسِي خَلَقًا إِتْمَعَلًا

وَرَجُلٌ نَهَشَلُ وَأَمْرَأَةٌ نَهَشَلَةٌ وَقَدْ نَهَشَكَ الرَّأءُ وَخَشَكَ إِذَا أَسْتَتْ  
وَفِيهَا بَيْعَةٌ لَمْ يَذْهَبْ جُلُّ شَبَابِهَا ، فَإِذَا قَصَرَ خَطْوُهُ وَصَفَتْ قَبْلَ  
دَلْفٍ يُدَلِّفُ وَهُوَ دَالِفٌ ، وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ

كَهْمِكَ لِأَحَدِ الشَّبَابِ يُعَلِّفِي وَلَا هَرِيمٌ مِنْ تَوَجَّهَ دَالِفٌ

تَوَجَّهَ أَيُّ مِنْ تَهَيَّأَ لِلْهَلَاكِ ، فَإِذَا أُنْحَتَى وَصَرَ فَهُوَ عَشْبَةٌ وَعَشْمَةٌ

الْمَتَانِ . فَإِذَا بَلَغَ أَقْصَى ذَلِكَ فَهُوَ هَرِيمٌ ، فَإِذَا أَكْثَرَ الْكَلَامَ وَأَخْتَابَ

قَوْلُهُ فَهُوَ الْمُهْتَرِمُ بَيْعًا ، وَإِذَا ذَهَبَ عَمَلُهُ فَهُوَ الْحَرْفُ وَقَدْ حَرَفَ

يُحْرَفُ حَرْفًا ، وَالْمُهْمُ الْكَبِيرُ مِنَ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ يُقَالُ رَجُلٌ

هَيْمٌ وَأَمْرَأَةٌ هَيْمَةٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ [وَهُوَ أَعَشَى بَاهِلَةً]

وَتَابُ هَيْمَةٌ لَا خَيْرَ فِيهَا بِشَرْمَةٍ الْأَشَاعِرِ بِالْدَّارِيِّ

الْمَشْرَمُ الْمَحْرَمُ يُقَالُ شَرَمَ أَنْفَهُ أَيُّ حَرَمَهُ ، يَقُولُ هَدِيءُ أَمْرَأَةٍ

وَلَدَتْ فَتَمَّتْ فَشَدَّتْ لِيَعْفَ رَجُلًا ، وَالْأَشَاعِرُ مَنَابِتُ الشَّعْرِ مِنْ

الْفَرْجِ ، وَالنَّلُّ الْكَبِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْمَسِينُ الْعَصِيرُ الْجَزِيمُ ، وَالْجِيمُ

خَلْقُهُ ، قَالَ الْمُتَعَلِّمُ

لَيْسَ يَمَلُّ كَبِيرٌ لِأَشْبَابٍ يَدِي لَكِنِ أُنْيَةٌ صَابِي أَلْوَجِي مُتَمَلِّ

وَالْمُتَعَلِّمُ الْمُنَافِقُ إِشْبَابٌ مُبْتَدَأٌ ، وَقَالَ بَغْرُ شُرَّادِ عَبْدِ الْقَيْسِ

عَلَّتْ نَلَاةٌ لَا تُرَاعُ مِنَ الشَّدَى وَلَوْ خَلَّ فِي أَرْصَالِمَا أَلُّ رَدَّتِي

من كتاب «النخل والكرم» للأصمعي

الأرض ثم تابت. وناس يريشون، والدقران الحطب الذي يقصب  
في الأرض ويبرش عليه النيب والواحدة دقراة، وقال الجباب  
الر كلبا تحفر فينب فيها الخليل أي ينرس كما يخفر للقبيلة  
من النخل والواحد الجب، والزهوة الأرض المشرقة المستوية،  
قد قبع كرمه إذا ما حفر الدقران حرا فيه فيها، والسرية (١)  
الطريقة من شجر النيب كل طريقة سرية، والبقنة شجرة  
الكرم، والتلق (٢) ورق الكرم.

(أسماء الخمر ونوعها عن الطائي) (٣) قالوا هي الخمر  
وهو الخمر (مؤث ومذكر لثانوا) والششمة (ص ٢٨٨) واللدانة  
والأصنط (وقال أبو الرقيش: الأصنط (٤) والأملأه والبايلة  
والمانيه والشول والصباه والزهوة والخمرطوم والألاف والخدرين  
والشموس والخريال والبقار والقرقف والحميا. قال أبو سبيد:  
والرساطون بالرومية.

فأما (الخمر) فاسم جامع وأصناف الخمر. والششمة  
المزوجة. شعثوها أي مزجوها. قال الأصمعي: كل شيء مزج  
فأريق مزجه فهو مشتع. ودجل شعث الخمر (٥) وقال

- 
- (١) وفي اللسان: السرية الصنف من الكرم. وجاء في مادة شرب: والشرية الطريقة من شجر  
العنب.  
(٢) وفي الأصل: المتلق وهو تصحيف.  
(٣) لابن السكيت فصل واسع في كتاب غريب الألفاظ عن أسماء الخمر وأوصافها تشرح هذا الباب  
وتوضحه (راجع الصفحة ٢١١-٢٢٢ من طبعة المطبعة الكاثوليكية).  
(٤) وفي الأصل الأصنط والاصند بالصاد.  
(٥) رجل شعث وشعثان إذا كان طويلاً خفيف اللحم.

لَا يُقَارِبُهَا أَبَدًا. وَالْحَيْضُ النَّدِيُّ ، وَقَالَ الطَّائِفِيُّ : (الْحُرْطُومُ)  
 اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهَا. وَقَالَ الْأَصْبَعِيُّ : الْحُرْطُومُ أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ مِنْ  
 الدَّنِّ إِذَا بُرِّئَ وَأَنْشَدَ لِلْبَعَّاجِ :

سَهَاءَ حُرْطُومًا خَارًا قَرَفًا

وَأَنْشَدَ :

بَادَتْ لَمَّا مِنْ ذَوَاتِ الْفَكَارِ مُرْتَعَةً كَلْفَاءَ يَنْتَحِثُ مِنْ تُرْطُومِهَا الْمَدْرُ  
 (كَلْفَاءُ أَي سَوْدَاءُ) وَحُرْطُومُ الْخَمْرِ زَعَمَ حَدَّثَهَا حِينَ تَنْحَدِرُ  
 مِنَ الْإِبْرِيقِ . (قَالَ) وَالْخَمْرُ قَسَمًا قَسَمًا أَسْمَاءُ الْحُرْطُومِ ، وَقَالَ الطَّائِفِيُّ :  
 السُّلَافُ وَالسُّلَاقَةُ الْخَالِصُ مِنْهَا . قَالَ الْأَصْبَعِيُّ : هُوَ أَوَّلُ مَا يُبْرَأُ  
 مِنْهَا . وَأَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ سُلْفَةٌ ، وَالْحَنْدَرِيْسُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهَا .  
 قَالَ أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ : قَالَ أَخْبَرَنِي الرَّيَاشِيُّ وَالزُّبَيْدِيُّ عَنْ  
 الْأَصْبَعِيِّ قَالَ قَالَ : حَيْضَةُ حَنْدَرِيْسَةَ أَي عَيْقَةَ (ص ٢٩٠) (قَالَ) وَلَا  
 آدِرِي أَلَى أَي شَيْءٍ نُسِبَتْ ، قَالَ (وَالشُّوسُ) مَثَلٌ لِأَنَّهَا تَجْحَجُ  
 بِصَاحِبِهَا ، قَالَ (وَالجُرْيَالُ) شَيْءٌ أَحْمَرٌ رَجْمًا جَيْلِي صَبَا وَرَجْمًا جَيْلِي  
 لِلْخَمْرِ . (قَالَ) وَأَطْنُ أَنَّهُ اسْمٌ لَهَا رُوِيَ بِمَرْبٍ (١) ، وَقَالَ  
 الْأَصْبَعِيُّ : يُقَالُ الْكُمَيْتُ وَالْقَرْفُ وَالرَّاحُ وَالْمَعَادُ وَالْمُرَّةُ (٢)  
 وَالْحَمِيَا وَالنِّطَافُ وَالسُّجُوزُ وَأُمُّ لَيْلَى وَالصَّفْرَاءُ وَالْمُقَارِطَةُ  
 وَأَنْشَدَ :

أَخْرَجْتَنِي مَا يَقْرَبُ الْفَكَارَةَ

(١) يُقَالُ الْجُرْيَالُ وَالْجُرْيَالَةُ وَالْجُرْوَالُ وَهِيَ الْخَمْرُ الشَّلِيلَةُ الْحَسْرَةُ وَقِيلَ الْجُرْيَالُ لَوْنُهَا الْأَصْفَرُ  
 وَالْأَحْمَرُ وَهِيَ مَعْرِيَةٌ كُرْيَالُ الْفَارَسِيَّةِ وَمَعْنَاهَا الزُّعْفَرَانُ وَالذَّهَبُ .  
 (٢) الْمُرَّةُ وَالزُّو وَالزُّو الْخَمْرُ اللَّذِيذَةُ الطَّعْمُ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَلْدَعُ اللِّسَانَ .

لَا يُقَارِبُهَا أَبَدًا. وَالْحِضْلُ النَّدِيُّ ، وَقَالَ الطَّائِنِيُّ : (الْحَرْطُومُ)  
 اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهَا. وَقَالَ الْأَصْبَعِيُّ : الْحَرْطُومُ أَوَّلُ مَا يَخْرُجُ مِنَ  
 الدَّنِّ إِذَا بُرِلَ وَأَنْشَدَ السَّبَّاحُ :

سَهْبًا حَرْطُومًا عَقَارًا قَرَقًا

وَأَنْشَدَ :

جَادَتْ لَهَا مِنْ ذَوَاتِ الْفَكَارِ ثَمَرَةٌ كَلْفَاءَ بَنَتْ مِنْ لُحْرُوبِهَا الْكَدْرُ

(كَلْفَاءُ أَي سَوْدَاءُ) وَحَرْطُومُ الْخَمْرُ زَعَمَ حَدَّثَهَا حِينَ تَحْدِثُ  
 مِنَ الْإِبْرَاقِ ، (قَالَ) وَالْخَمْرُ قَسَمًا أَسْمَاءُ الْحَرْطُومِ ، وَقَالَ الطَّائِنِيُّ :  
 السُّلَافُ وَالسُّلَاقَةُ الْفَالِصُ مِنْهَا. قَالَ الْأَصْبَعِيُّ : هُوَ أَوَّلُ مَا يُبْرَلُ  
 مِنْهَا. وَأَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ سَأَمَةٌ ، وَالْخَنْدَرِيسُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهَا.  
 قَالَ أَبُو سَعِيدٍ السُّكْرِيُّ : قَالَ أَخْبَرَنِي الرَّيَاشِيُّ وَالزُّيَادِيُّ عَنْ  
 الْأَصْبَعِيِّ قَالَ يُقَالُ : حِمْطَةٌ خَنْدَرِيسَةٌ أَي عَيْبَةٌ (ص ٢٩٠) (قَالَ) وَلَا  
 أَحَدِي إِلَى أَي شَيْءٍ نُسِبَتْ ، قَالَ (وَالشُّبُوسُ) مَثَلٌ لِأَنَّهَا تَجْبَحُ  
 بِصَاحِبِهَا ، قَالَ (وَالجُرْيَالُ) شَيْءٌ أَحْمَرٌ رَجْمًا جَبِيلٌ صَبَا وَرَجْمًا جَبَلٌ  
 لِلْخَمْرِ. (قَالَ) وَأَطْنُ أَنَّهُ اسْمٌ لَهَا رَوِيَّ مَعْرَبٌ (١) وَقَالَ  
 الْأَصْبَعِيُّ : يُقَالُ الْكَمَيْتُ وَالْقَرْتَفُ وَالرَّاحُ وَالْمُقَارُ وَالْمَزَّةُ (٢)  
 وَالْحَبْيَا وَالنِّطَافُ وَالْعَجُوزُ وَأُمُّ لَيْلَى وَالصَّقْرَاءُ وَالْمُقَارِطَةُ  
 وَأَنْشَدَ :

أَخُو نَدَى مَا يَفْرَبُ الْمُقَارِطَةَ

(١) يقال الجربال والجربالة والجروال وهي الخمر الشديدة الحسرة وقيل الجربال لونها الأصفر  
 والأحمر وهي معربة كربال الفارسية ومعناها الزعفران والذهب.

(٢) المزة والمز والراز الخمر اللذيذة الطعم سميت بذلك لأنها تلذع اللسان.

قَالَ الْأَصْمَبِيُّ: يُقَالُ لَهَا (الْمَقَارُ) لِأَنَّهَا عَاقَرَتِ الدُّنَّ زَمَانًا.  
 وَيُقَالُ قَدَّ عَاقَرُ الرَّجُلُ الشَّرْبَ إِذَا لَزِمَهُ، (وَالْفَرْقَفُ) الَّتِي  
 يُقَرِّفُ عَنْهَا صَاحِبُهَا تَأْخُذُهُ عَنْهَا رِعْدَةٌ، (وَالْحَيَاءُ) سَوْرَةُ الشَّرَابِ  
 وَصَدَنَتُهُ فِي الرَّأْسِ وَحِيًّا كُلُّ شَيْءٍ شِدَّتُهُ، (وَالْمَعْتَنَةُ) الَّتِي  
 أُطِيلَ حَبْسُهَا فِي الدُّنِّ، (وَالْكَيْتُ) لَوْنُ النَّخْرِ إِلَى الْكَيْتَةِ.  
 وَأَشَدُّ:

كَيْتُ سَمَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمَنْطِقَةٍ وَلَا خَلَّةٍ يَكْوِي أَشْرُوبًا شَيْبَانًا (١)

خَلَّةُ الْحَائِضَةِ. وَالْخَنْطَةُ الَّتِي تَنْفِرُ طَنْبُهَا فِيهِ حَلَاوَةٌ. وَقِيلَ  
 الْخَنْطَةُ الَّتِي أَخَذَتْ شَيْئًا مِنَ الرِّيحِ كَرِيحِ الثَّبَرِ وَالنَّفْحِ وَقِيلَ  
 هِيَ الْحَائِضَةُ مَعَ رِيحٍ.

قَالَ الطَّاغُوبِيُّ: إِذَا أَرَدْتَ صِنَةَ الرَّبِّ أَخَذْتَ مِنَ الْغَرِيبِ (مَنْ  
 ٢٩١) وَالْإِقْلَاعِيَّ الْقَارِئِيَّ أَوْ الْإِقْلَاعِيَّ الْغَرِيبِيَّ أَوْ النَّوَاسِيَّ  
 مَا بَدَأَ لَكَ جِنٌّ يَمِيقُ قَيْلَهُ وَأَعْمَالَهُ أَنْ تَجْمَلَهُ فِي عَرَادَةٍ أَوْ  
 مِكْتَلٍ وَتَصُبُّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ قَدَعَهُ فِي الشَّمْسِ نَكْلًا أَوْ أَرْبَابًا  
 ثُمَّ تَنْفُضُهُ ثُمَّ يُصْبِغُهُ ثُمَّ تَجْمَلُهُ فِي قِدْرِ مُتَوَقِّدٍ وَقُوْدًا غَيْرَ  
 شَدِيدٍ وَتُخْرَجُ زَعْفُونُهُ وَزَيْدُهُ وَتَطْبُخُهُ حَتَّى يَمِيقَ (وَقَالَ قَبْرُ  
 الطَّاغُوبِيِّ: عَمَلُهُ يَمِيلُهُ)

وَأَنْ أَرَدْتَ صِنَةَ الْمَرِيبِ أَخَذْتَ تَفَارِيقَ النَّبِ وَالْحَبَّةِ  
 فَيَسْتَمَّا ثُمَّ دَقَقْتَهَا دَقًّا شَدِيدًا ثُمَّ بَلَّغْتَهَا بِمَضِغِ النَّبِ شَيْئًا ثُمَّ  
 لَتَلْتَهُ بِرُغْوَةِ الرَّبِّ ثُمَّ شَيْءٌ مِنْ رَبِّهِ تَخْلُطُ فِيهَا شَيْئًا مِنْ سَوِيقِ

(١) ويروى: يكوى الوجوه شهابها.

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس

(٢)

## رسائل المشكلة اللغوية الواحدة

- مقدمة

- رسالة الهمز لأبي زيد الأنصاري

- المذكر والمؤنث للبراء

- المقصود والممدود لابن ولاد

- كتاب فعلت وأفعلت للزجاج

رَفْعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٢)

## رسائل المشكلة اللغوية الواحدة

### مقدمة

ليس من شك في أن التأليف في موضوع بعينه والحرص الشديد على الاستمرار في تنميته وتعميقه يكون له دوافع وأسباب تدفع اللغويين إلى العناية به وإشارته على غيره . وقد أشارنا فيما سلف إلى غيرة أهل العربية على لغتهم ومبالغة العلماء في الحفاظ على سلامتها وتعقب أي لون من ألوان الخطأ أو التغيير عن الصورة القديمة التي نقلت عن القبائل العربية الفصيحة ، فقد صارت لغة التنزيل ، وصار الحفاظ عليها والدفاع عنها حفاظاً عن لغة القرآن ردفاعاً عنها . وتتساءل هنا عن علة التأليف في ظاهرة أو صيغ بعينها ، لماذا ألف في الهمز وفي الفرق بين المقصور والمدود والمذكر والمؤنث وصيغتي (فعل وأفعل) والعدد ، والأبنية الصرفية كالمصادر والأفعال والأسماء؟

لا خلاف في أن علماء اللغة اجتهدوا في جمع مفردات اللغة ، وبيان الفروق اللهجية والدلالية المختلفة ، غير أن التوقف عند طبيعة الرسائل التي ألفت والتفكير في المادة التي جمعت والنهج الذي اتسع في عرضها يدفع بنا إلى فروض أخرى تتجاوز مجرد الجمع ، ففي الهمز مثلاً نجد اختلافاً كبيراً قد وقع بين القراء واللغويين ، ولهذا الخلاف جذور في اللهجات العربية الفصيحة ، إذ وجدت لهذا الصوت صورتان نطقيتان ؛ الأولى التحقيق ، أي نطق الصوت في وضوح ، وترجع إلى لهجة تميم ، والأخرى التسهيل ، أي عدم نطقه وإطالة صوت اللين قبله ، وترجع إلى لهجة الحجاز . ولتم يمثل ذلك الخلاف مشكلة لدى القدماء غير أنه برز حين قرأ بعض الناس ألفاظاً مهموزة أو غير مهموزة في القرآن الكريم على نحو لم يقبله القراء وإن أقر اللغويون صحته في اللغة ، بل إن الأمر قد تجاوز ذلك - في رأيي - استناداً إلى ما يمكن

استتاجه من كتب اللغة الأولى ، إذ وجدت أشكال من القياس الخاطيء ، قام بها الناس لخلطهم واضطرابهم ، فحققت الهمز في ألفاظ لم يسمع فيها التحقيق مثل قولهم : (رثأت بدلاً من رثيت) ، وسهلت في ألفاظ لم يسمع فيها التسهيل مثل قولهم : (فقيت بدلاً من فقأت) .

والفرض الآخر يرجع إلى الصعوبة الخطيئة التي تتمثل في موقع الهمزة وعلاقتها بالأصوات أو الحركات السابقة أو اللاحقة لها ، وينبغي أن نضع في الاعتبار أيضاً ما نشأ عن تحول اللغة من صورة منطوقة (شفاهية) إلى صورة مكتوبة (كتابية) من صعوبات كبيرة ؛ فربما حدث اضطراب كبير في كتابة هذا الصوت استدعى وجوب إسهام اللغويين في معالجته ببيان كيفية وضعه على الفعل أو لاثم المصدر وفي بعض الأحيان الاسم والمشتقات .

والأمر ذاته ينسحب على كتب العدد ، فلا يخفى على الدارسين ما يمثله العدد من صعوبة ليس من جهة معرفة اللفظ فحسب ، بل من جهة استعماله أيضاً ، فإلى جانب عناية بعض اللغويين كالأصمعي والفراء وأبي زيد وأبي عبيد وابن السكيت بهذا اللون من ألوان التأليف من خلال معالجتهم للألفاظ المفردة والمثناة وأبنية الجموع بكل صورها والعلاقة بينهما ببيان العلاقة بين المفرد والمثنى من جهة ، والمفرد والجمع من جهة أخرى ، وجمع مادة لغوية وافية قيمة ، فإنهم قد أولوا الاستعمال أهمية خاصة ، فأشاروا إلى المفرد الدال على الجمع في الاستعمال والجمع المفرد في الاستعمال والمفرد المثنى في الاستعمال ، وأكثروا من الاستشهاد على ذلك بالقرآن والشعر والأقوال ، ونبهوا كذلك إلى ما يعرف جمعه ويُشكل مفرده وما يعرف مفرده ويُشكل جمعه (أو ما يسمى بالمفرد أو الجمع المُشكل) ، وحرصوا على التمييز بين جموع القلة وجموع الكثرة وأوزانها ودلالاتها وغير ذلك مما يتصل ببنية العدد .

وقد ألف عدد من اللغويين أيضاً في أبنية أخرى وقع الناس في اضطراب عند استعمالها ، واشتبه عليهم الأمر فيها ، فأسرع علماء العربية إلى تقديم الصور الصحيحة ليتمكنوا من التمييز ويتجنبوا الخطأ فألف الفراء وابن ولاد والأنباري والقالبي وغيرهم في التمييز بين المنقوص والممدود ، وألف أبو حاتم السجستاني والمبرد والمفضل بن سلمه وابن الأنباري وابن التستري وابن جنى وابن فارس وغيرهم في التمييز بين المذكر والمؤنث ، وحرصوا على إثبات المؤنثات السماعية التي يحدث معها الخلط ، ويعاملها الناس معاملة المذكر . وعالج قطرب والفراء وأبو عبيد والتوزي (أبو محمد

عبد الله بن محمد (ت ٢٣٣ هـ) وابن السكيت والزجاج وغيرهم صيغتي (فعل وأفعل) ، إذ خلط العامة بين هاتين الصيغتين (فعل وأفعل) من فعل واحد ، حين تتفقان في المعنى أو تختلفان أو حين لا يرد لدى العرب إلا صيغة واحدة .

أما المجموعة الأخيرة وتضم كتب المصادر والأفعال والأسماء فيبدو أن سبب التأليف فيها في بداياته يرجع إلى تفسير القرآن ، إذ تذكر كتب التراجم والطبقات أن أول من ألف في المصادر هو الكسائي (١٨٩ هـ) ، كما ألف الفراء (٢٠٧ هـ) وإبراهيم بن يحيى اليزيدي (٢٢٥ هـ) في مصادر القرآن ، وقد أسهم عدد من اللغويين في هذا اللون من التأليف ، واختلفوا في كثافة المادة والترتيب والتنظيم . وعنوان بيان المصادر من الثلاثي ومن غير الثلاثي ، والمصادر القياسية والسماعية والميمية . إلخ . وقد بدأ اللغويون الأوائل أيضاً بتأليف في صيغ خاصة للأفعال ، ثم الأفعال بوجه عام ، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم بين الاختصار والإطالة والتوسط من جهة المادة اللغوية . أما من حيث الاستشهاد فقد تراوح بين القلة والتنوع والاختصار على الشعر ، وأما من حيث منهج التأليف فقد انتقل من الجمع إلى التنظيم بمراعاة بنيتها وجروفها الأصول . ومن أهم من ألف في هذا اللون ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر) ت ٣٦٧ هـ) ثم هذب كتابه وأكمله كل من السرقسطي (أبي عثمان سعيد بن محمد المعافري) ت ٤٠٠ هـ) وابن القطاع (علي بن جعفر السعدي) (٥١٥ هـ) .

وعُنوان أيضاً بالكتابة في أبنية الأسماء ، وإن كان التأليف فيها قد بدأ متأخراً عن المصادر والأفعال ، ونجد أبواباً لها لدى أبي عبيد في غريبه وابن السكيت في إصلاح المنطق وابن قتيبة وابن القطاع والصغاني وغيرهم . وقد تقدم الاهتمام بأبنية خاصة - كما ذكرنا - على العدول إلى معالجة الأبنية كلها . ومن أهم من ألف في هذا الباب الفراء وأبو حاتم السجستاني والمبرد وابن الأنباري ، وازدادت عناية المتأخرين بها ، فنجد في القرن الثالث كتاب (التقفية) للبندنجي (أبي بشر اليمان بن أبي اليمان) : ت ٢٨٤ هـ) ، وفي القرن الرابع (ديوان الأدب) للفارابي (إسحق بن إبراهيم) ت ١٥٠ هـ) ، وفي القرن السادس (كتاب شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم) لشوان بن سعيد الحمير (ت ٥٧٣ هـ) .

وجدير بالذكر هنا أيضاً أن نشير إلى ظهور كتب أخرى تعالج موضوعات صوتية

فحسب ، وهى تعالج ظواهر عرفتها اللهجات العربية القديمة ، فقد وجدت فيها كلمات معينة فى عدة صيغ ، كل صيغة فيها فى صوت بعينه ، ومن أهم هذه الكتب ، القلب والإبدال لابن السكيت ( ت ٢٤٤ هـ ) والإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجى ( ت ٣٣٧ هـ ) ، كما أن الخلط بين صوتين معينين ( الضاد والظاء ) دفع عدداً من اللغويين إلى الاهتمام بتأليف رسائل لغوية تضم الألفاظ التى يرد فيها أحد الصوتين حتى لا يحدث فيها خطأ ويتم التمييز بينهما . ومن هؤلاء أبو عمرو الزاهد ( ت ٣٤٥ هـ ) والصاحب بن عباد ( ٣٨٥ هـ ) والحريرى ( ت ٥١٦ هـ ) وغيرهم . والغالب على هذا التصانيف - كما يبدو - أنها ترجع إلى سبب لغوى عام ، وإن ارتبط بصورة أساسية بما ورد فى لغة القرآن ، ثم تجاوزها إلى اللغة ككل ، ولم يعنوا فى البداية بالتنظيم قدر عنايتهم بالمادة وإن وجد معيار تقسيمى قد لا يطرد فى كل أجزاء الكتاب ، غير أن المتأخرين قد حرصوا على الترتيب والتقسيم والتبويب والتنظيم والتوسع فى المادة وشواهدا حرساً شديداً .

## رسالة الهمز

لأبي زيد الأنصاري ( ت ٢١٤ هـ )

ربما يعود ظهور هذا اللون من التأليف إلى الخلط والاضطراب الذي حدث بين الناس مع الألفاظ المهموزة - كما قلنا - وليس لهذه الحال سبب واحد ، بل عدة أسباب أهمها يرجع اللهجات ذاتها ، والناس في لغتهم اليومية لم يكونوا يهمزون ، فإذا ما حاكوا الفصحى ، همزوا ما لا يستحق الهمز وسهلوا ما لم يرد فيه التسهيل فوقعوا في الخطأ اللفظي ، ومن ثم إبهام الدلالات التي تحملها المفردات المهموزة . كما أن صوت الهمزة ذاته أسهم في خلق مشكلة حوله لما يعكسه من صعوبة خطية تبرز في تغير شكله عند تغير أحواله باختلاف الصيغ أو الحركات السابقة له أو اللاحقة به .

وتنسب المصادر إلى عدد من اللغويين رسائل ألقت في هذا الباب ، بعضها يرجع إلى بداية القرن الثاني الهجري ، وهذا يعنى أن المشكلة قد ظهرت في وقت مبكر غيرها من المشكلات اللغوية التي سنعالجها فيما يلي ، وبعضها يرجع إلى بداية القرن الثالث الهجري . ومنها رسالة الهمز لأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري ( ت ٢١٤ هـ ) التي جمع فيها عدداً من الألفاظ ( حوالى ٣٠٠ لفظ ) ، تحتوي على الهمزة في جميع تصاريقها ، وعلى الرغم من غياب فكرة التنظيم المطرد في أبواب الكتاب الذي قسم إلى ثلاثين باباً إلا أنه يمثل خطوة جيدة في مسار حركة الجمع اللغوي ، إذ يستند إلى معيار الحرف الواحد ، أى جمع الألفاظ المشتركة في صوت واحد وهو الهمزة . أما التقسيم الداخلى فلم يقم على أساس واحد ، بل على أسس مختلفة تلخص في موضع الهمزة من الكلمة مع مراعاة حرف آخر يتألف معها ، وإن لم ينظم بعد ذلك مكان توالى الصوتين في البداية أو في الوسط أو في النهاية . أما الأبواب الأخرى ففتقر إلى تنظيم واضح ، وإن وجدت أبواب تستند إلى معيار الصيغة ، إذ تضم بناء أو أبنية معينة مثل : ( أفعل ) في الباب الرابع والعشرين ، و ( فَعَلَ ) في وسط همزة في الباب التاسع عشر ، و ( فَعَلَ ) آخره همزة في الباب العشرين و ( تَفَعَّلَ ) آخره همزة

فى الباب السادس والعشرين . . الخ . وهكذا يتبين لنا أن ترتيب الكتاب الذى يضم ما يقرب من ثلاثين باباً صغيراً ( من ص ٤ : ٣٣ ) مضطرب وليس ذلك قدحاً فيه ، فهو من الكتب الأولى فى باب ، ومن المقبول أن يركز المؤلف على المادة فيجمع أكبر قدر من الألفاظ الداخلة فى الموضوع التى يتيسر له الحصول عليها ويضمها متجاوزة ، فتكرر فى أبواب وتزداد فى أبواب وتقل فى أبواب أخرى إلى آخر ما يمكن أن ينشأ عن غياب التنظيم . ولم يحل هذا دون محاولة إيجاد شكل من أشكال التنظيم ، فكان موضوع الهمزة أحياناً ، والصيغ أحياناً ، والترتيب الهجائى مؤتلفاً مع الهمزة فى بعض الأحيان وغير ذلك مما يعين على ترتيب المادة وسهولة الإفادة منها وعثور الباحث على ضالته .

وقد سار فى معالجة المفردات التى أوردها على نهج واحد ، ويهمنى هنا شكل المادة وطريقة شرحها والاستشهاد عليها . ونجده يورد الألفاظ فى معنى واحد على الأغلب ، فإن كانت لها معانٍ مختلفة أحياناً يذكرها ، وغلب على تفسيره الإيجاز . وهذه سمة أبى زيد فى تصانيفه ، وخالفه فى ذلك الذين ألفوا فى الهمز بعده ، وإن كان ذلك يتمثل فى أبواب أو أجزاء داخل كتبهم وليس بصورة مفردة كما فعل أبو عبيد فى غريبه وابن السكيت فى كتاب الألفاظ وابن قتيبة فى أدب الكاتب وابن سيده فى مخصصه ، أما من حيث الاستشهاد فقد كان أبو زيد الأنصارى مقلاً ، وكانت شواهده أكثرها من اشعر وأقلها من القرآن ، ولم يعن فى شواهده الشعرية بنسبتها إلى أصحابها - خلافاً لمن جاء بعده أيضاً - بل إنه كثيراً ما يلجأ إلى الاستشهاد بشطر واحد .

وعنى بمسائل أخرى ذات قيمة علمية كبيرة ، أعنى اهتمامه بالترادفات وبيان الفروق بينها وإن كان ذلك فى بعض المواضع ، وباللغات أيضاً ( اللهجات العربية ) ، ونسبة المادة إلى القبيلة أحياناً . ويبدو أنه انتهى إلى مبدأ معين من حيث الصيغة ، إذ إنه أورد معظم الألفاظ فى صيغة الأفعال ، يبدأ فيها بالماضى فالمضارع فالمصدر أو الماضى فالمصدر أو المصادر ، ولم يهتم بالمشتقات ( الوصف ) إلا فى بعض المواضع .

### وفيما يلي نموذج من كتاب الهمز

من رسالة «الهمز» لأبي زيد الأنصاري

ليوث عينا لم ترم بأبس

(يقول : يَمْرُ) ، وتقول : أبنتُ الرجلَ تَأْبِينًا إذا بكَّته بعد الموت .  
قال رُوْبَةُ :

كأنَّ دَحْ بلا لآ فَيَر ما مُؤْتِن

(يقول : غير مالك) ، وتقول : بوسَ الرجلُ يَبُوسُ بَأْسًا إذا كان شديد  
البأس ، وفي ( ٩٠ ) البُوسُ : قد بَسَّ يَبُوسُ بُوسًا وَيَبُوسًا  
﴿ وتقول في باب آخر من الهمز ﴾ قد رَدَّتْ الرجلُ أرزَاهُ رُزْءًا  
ومَرْزُوتُهُ إذا أصبت منه خيرًا ما كان ، وتقول : ربأتُ القومَ أربأهم إذا  
كنت لهم طليعةً فوق شرفِ قاسمِ الرجلِ الرِّيْسةُ ، وتقول : أربأتُ  
الامرأَةَ إذا أخرجتُها ، وتقول : أربأتُ السفينةَ إرباءً إذا قربتها من  
الأرض . وتقول : ربأتُ القربَ أربأه رربًا . وربأتُ الملكَ رربَةً إذا  
صعدت له . وتقول : ربأتني الرجلُ في البيعِ مراباةً إذا حاباك فيه ، وتقول :  
ربأتُ الإبلَ في المكانِ ربأً ربأً وربأً وربأً ، وتقول : ربأتُ  
اللبنَ أربأه ربأً إذا حلبت على حامض . والاسمُ الرربُةُ ، وتقول :  
ربأتُ عيني رربًا رربًا إذا جفت دتمها ، وتقول : رددو الرجلُ رددو رداءةً  
إذا كان قاسدًا ، وتقول : ربأتُ في الأمرِ رربوتَهُ ورربوتها إذا نظرت فيه  
ولم تنجلبِ بجواب ، وتقول : ربأتُ أمدحَ رابًا إذا شعبته ( ٩١ ) . والرؤبةُ ما  
أدخلت فيه من غيره ، ودرستُ الثاقفةَ ولدها رربًا رربًا إذا أحبته .  
وتقول : أربأتُ الجرحَ إربأه إذا دارت به حتى يبرأ فيلتئم . وقد رربَ الجرحُ  
رربًا رربًا حسنًا إذا ألتئم ، وتقول : رربتُ بالرجلِ أربوفَ رابةً ورابته . ورأفتُ  
به رأفُ كلُّ من كَلِمَةِ الرَّبِّ ، وتقول : رربأتُ رأبي رهبأةً إذا لم

تُعَكِّه ، وتقول : رَأَيْتُ الشَّيْءَ مُرَابَّاً إِذَا اتَّقَيْتَهُ فَكُنْتَ لَهُ مُتَّقِيّاً ،  
وتقول : رَأَيْتُ الرَّجُلَ مُرَاءِئاً وَالْأَسْمُ الرِّئَاءُ ، وَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ تَرِيئَةً  
إِذَا أَمْسَكَتَ لَهُ أَلِمَّةً لِيَنْظُرَ فِيهَا ، وتقول : رَأَدَتْ عَيْنَا الرَّجُلِ رَأْرَاءً إِذَا  
كَانَ يُبَدِّرُهُمَا وَهُوَ رَجُلٌ زَارِءٌ الْمَيْتِينَ ، وتقول : أَرَدَاتُ الرَّجُلَ بِنَفْسِي  
إِذَا كُنْتُ لَهُ رِدْءاً وَهُوَ التَّوَنُ ، وتقول : أَرِنِ السَّيْرُ أَرِيّاً إِذَا مَرِحَ  
مَرِحاً ، وتقول : قَدْ رَأَسَ زَيْدٌ الْقَوْمَ بِرَأْسِهِمْ رِئَاسَةً وَهُوَ رَيْسُ الْقَوْمِ ،  
وتقول : أَرَدْتُ الرِّئَاءَ أَوْ رَأَيْتُهَا أَرِيّاً وَرِئَاءُهَا أَرِيَّاطُهَا (107) رَطَّاءٌ وَمِمَّا وَاحِدٌ  
وَهُوَ مُجَامَلَتُكَ أَيَّاهَا ، وتقول : أَرَبَ الرَّجُلُ أَرَباً فِي الْحَاجَةِ وَأَرَبَ يَأْرُبُ  
إِرْباً وَإِرْبَةٌ فِي الشَّيْءِ ، وَيُقَالُ فِي الْحَاجَةِ : لِي قَبْلَكُمْ إِرْبَةٌ  
وَيُقَالُ فِي بَابِ آخَرَ : زَرَّتْ فِي الْجَبَلِ أَرْنَا زُرْتُوهَا وَزَرْنَا  
إِذَا صَدَدْتَهُ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

وَلَزِقَ إِلَى الْخَيْرِ رَنَا [ زَنَا ] فِي الْجَبَلِ

وتقول : تَرَزَّتْ مِنَ الرَّجُلِ تَرَزُّوا شَدِيداً إِذَا تَصَاعَرَتْ لَهُ  
وَفَرَّقَتْ مِنْهُ ، وتقول : زَكَاتُ النَّاقَةِ يَوْلِدُهَا تَرَكَاً زَكَاً إِذَا دَمَتْ بِهِ  
عِنْدَ رِجْلَيْهَا ، وتقول : إِنَّا فُلَانًا لَزُكَاً النَّعْدِ إِذَا كَانَ حَاضِرَ النَّعْدِ ، وتقول :  
رَأَدَتْ الرَّجُلَ أَرْدَهُ [ أَرَادَهُ ] إِذَا رَعَبَتْهُ ، وتقول : قَدْ إِزْدَامَ الرَّجُلُ فُؤُ  
مُرَزِيمٌ إِذَا غَضِبَ ، وتقول : قَدْ زَايَرَ التُّوبُ يَزَايِرُ فُؤُ مُرَابِرٌ إِذَا خَرَجَ  
زَيْبُهُ ، وتقول : أَرَمْتُ يَدَ الرَّجُلِ أَرِيئاً أَرِيئاً : أَرَمٌ وَهُوَ أَشَدُّ الْعَصْرِ ،  
وَأَرَمَ عَلَيْنَا الدُّعْرُ بِأَرَمٍ أَرَمًا إِذَا أَشْتَدَّ وَقَلَّ خَيْرُهُ ، وَأَرَمْتُ (108) الْحَيْطُ  
أَرَمَهُ أَرَمًا إِذَا فَكَلْتَهُ ، وَالْأَرَمُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَتْلِ ، وتقول : أَرَلْتُهُ [ أَرَلْتُهُ ]  
أَرَلُهُ أَرَلًا إِذَا حَبَسْتَهُ ، وتقول : زَايَبَتِ الْقُرْبَةُ أَرَايِبًا إِذَا حَلَّتْهَا نَمٌّ أَوَّلَاتِ

بها مسرعاً والحمل وما حملت من ثقل ، وتقول : وذات الوعاء قوزيتا إذا  
 شدت كثرة ، وتقول : إزبار التبت والوز أزبوارا إذا نبت ، وتقول :  
 هزنت بالرجل أهزا به هز ، ومهزاة ، وتقول : قد أزلأم القوم أزلما  
 إذا أرتحلوا ، وتقول : أزيت الخوض وأزيتة وأزيتة [ وأزيتة ] إزاه إذا  
 جعلت له إزاه وهي صغيرة أو ما جعلته وقاية لمصب الماء حين يفرغ  
 الأدلو

﴿ وتقول في باب من الممز آخر ﴾ قد ذريت أذرا إذا شبت  
 والأنيم الأذراة ، وتقول : قد ذوب الرجل فهو يذوب / يذوب / ذابة  
 [ ذابة ] إذا كان ذنبا خبيا وذهاه ، وتقول : أذمرت [ أذرت ] صاحبه  
 إذا أرا [ إذا أرا ] إذا حششته عليه وأولته به . وقد ذبر الرجل حين أذمرته  
 ( 11 ) ، [ أشر ] الرجل أشرا وأرن أركا وهما واحد وهو النشاط ،  
 وتقول : أدير الرجل يأدر أذرا إذا امتلاصن خصيه وهو جلدتهمسا ،  
 وتقول : أفر الرجل يأفر أفرا إذا وثب وعدا ، وتقول : قد أكر الرجل  
 بأكر أكر إذا احتقر أكرة في التديير فيجمع الماء له فيها فيعترقه  
 صافيا

﴿ وتقول في باب من الممز ﴾ أشطأت الشجرة بضونها إذا  
 أخربت غصونها ، وأجأت أيدد يذبها إذا أقتة ، وتقول : أب  
 الرجل ياب أبا إذا جمع عليك أقوم وعرشهم . وأب تأبيا مثلها .  
 وتقول : ألبني أي هواه وتلمه . وهو أب علينا أي ضلع علينا ،  
 وتقول : نأومت نأوها وهو من قول الرجل : أوه ، وتقول : نأاة  
 الرجل نألما إذا نسك . قل روبة :

## كتاب المذكر والمؤنث للفراء ( ت ٢٠٧ هـ )

يعد كتاب الفراء ( أبى زكريا يحيى بن زياد ) من أقدم الكتب التى ألفت فى هذه القضية ، التى أشرنا - فيما سلف - إلى أنها أثبتت فى فترة مبكرة من تاريخ الفتوح الإسلامية ، إذ إنه من الجلى أن ثمة صعوبة ما قد واجهت متعلمى العربية من أبناء البلدان المفتوحة فى التمييز بين الكلمات المؤنثة ، وبخاصة تلك الكلمات التى تفتقر إلى علامة من علامات التأنيث المعروفة فى العربية ، وهى الهاء والألف الممدودة والألف المقصورة ، بل إن الأمر قد تعدى ذلك إلى تصور أن العلامة الأولى هى الوحيدة الفاصلة بين المذكر والمؤنث فى بعض الأحيان . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، إذ تسرب الخلط بين صيغ المذكر والمؤنث بين أبناء العربية أنفسهم ، فلم يعد أمام علماء العربية إلا التصدى لهذه المشكلة ؛ وذلك بتأليف رسالة أو رسائل صغيرة تعنى فى المقام الأول بشرح ما يسمى بالمؤنث السماعى وحصر المفردات الواردة فى العربية منها ، وتقديم الشواهد المختلفة الدالة على استعمالها استعمالاً مؤنثاً .

ويبدو أن معيار الفصل بين التذكير والتأنيث يمثل إشكالاً فى اللغات الإنسانية ، إذ نجد لغات لا تفصل بينهما ، ومن ثم لا توجد علامات خاصة بأى منهما ، وفى لغات أخرى يتجاوز فيها العنصران إلى عنصر ثالث يُطلق عليه المحايد . وفى بعض اللغات اندثر هذا العنصر ، وفى بعضها الآخر زال الفصل بين المؤنث والمذكر بزوال العلامات الفاصلة بينهما . وهكذا فليس من السهل استيعاب تفرجات هذه المسألة فى اللغات الإنسانية والمشكلات التى نشأت عنها . وإذا نظرنا إلى كلمة بعينها نجد أنها مذكورة فى لغة ومؤنثة فى أخرى ومحايدة فى ثالثة . وقد تتفق لغات فى تذكير كلمة ما وتختلفان فى تأنيث كلمة أخرى . . . . إلى آخر تلك الفروق بين اللغات التى تتكشف من خلال المقابلات أو المقارنات أو التعليم .

يبد أن نوعاً معيناً من التأنيث فى العربية وهو ما عرف بالمؤنث السماعى قد زاد من ارتباك أبناء الأمم التى اهتمت إلى الإسلام - بل شاركهم فى ذلك أبناء العرب الخالص إلا

القليل منهم - وخلطهم بينه وبين المذكر . والحق أنه في بعض الاستعمالات كانت لهجة ما تستخدم المذكر وأخرى تستخدم المؤنث ، ومن أمثلة ذلك قول الفراء ( ص ٨٧ ) : « الطريق » يؤنثه أهل الحجاز ، ويذكره أهل نجد ، ويقول ( ٧٧ ) : و « الذراع » أنثى وقد ذكره بعض بنى عكل ، والغريب أنه بعد أن قرر أن « الساق » أنثى ، يقول ( ٧٦ ) : ومن أنث الساق جمعها : ثلاث أسواق ، فإذا كثرت فهي : السوق . ومن ذكر « الساق » جمعها أسواق .

فالخلط يرجع في جزء منه إلى عدم اتفاق العرب أنفسهم على الفصل ، وكيف نصل إلى معيار من قوله ( ٧٥ ) : والمعنى أكثر الكلام تذكيره . . . وربما ذهبوا به إلى التأنيث ، أو ( ٧٣ ) : والعنق المؤنثة في قول أهل الحجاز . . . ، وغيرهم يقول : هذا عنق طويل ، أو ( اللسان ) يذكر ، وربما أنث إذا قصدوا باللسان قصد الرسالة أو القصيدة ، أو ( السلطان ) أنثى وذكر ، والتأنيث عند الفصحاء أكثر ، أو « السوق » أنثى ، وربما ذكرت ، والتأنيث أغلب عند الفصحاء ، لأنهم يصغرونها : « سويقة » . فالمعيار إذاً ظهور الهاء عند التصغير ، فهل هذا يكفي ؟!

والفصاحة تفوق معيار الكثرة كما يظهر في مثال ( ٩٥ ) : « الزوج » يقع على المرأة والرجل . هذا قول أهل الحجاز ، قال الله عز وجل : أمسك عليك زوجك / الأحزاب ٣٣/٣٧ . وأهل نجد يقولون : « زوجة » ، وهو أكثر من « زوج » والأول أفصح عند العلماء . وهل يمكن أن تستخلص من العبارة التالية معياراً دقيقاً محكماً حين يقول ( ١٠١ ) : أهل الحجاز يقولون : هي « النخل » وهي « البُسْر » ، و « التمر » ، و « الشعير » ، قال الفراء في كتاب ( أوكتابي ) : « الجمع واللغات » : وكل جمع كان واحده بالهاء ، وجمعه بطرح الهاء ، فإن أهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث . وأهل نجد يذكرون ذلك وربما أنثوا ، والأغلب عليهم التذكير .

لم يلتزم العرب إذن نهجاً واحداً ؛ فاللغات فيه مختلفة ، والشعراء يخرجون على التعيين للمذكر أو المؤنث لضرورة أو لغير ضرورة ، فإذا كان الشاعر قد ذكر « الكف » وهي أنثى لضرورة في قوله : كفأ مخضباً ، ولأنه وجده ليست فيه الهاء ، فلم فعل ذلك في غير ضرورة ( حيث ذكر الأرض وهي أنثى ) حين قال :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

وفى لمحة ذكية وفق الفراء إلى لب القضية ، حين قال : والعرب تجترى على تذكير المؤنث ، إذ لم تكن فيه الهاء ( ٨١ ) . فهل لا يعذر أبناء الأجيال التي أعقبت حين يقعون فى معاملة بعض هذه المؤنثات السماعية معاملة المذكر ؟ وقد أدى خلوتك المؤنثات من علامة التأنيث إلى انحصار استخدامها على الأصل فى نفر قليل من المدققين .

وربما تختفى معايير التصغير والفصاحة والكثرة والغلبة والمخالفة لعله أو لغيره لعله لتظهر المساواة فى الحالين ، مثال ذلك قوله ( ٨٧ ) : « السبيل » يؤنث ويذكر ، قد جاء بذلك التنزيل ، قال الله عز وجل : ﴿ وإن يروا سبيلا الغنى يتخذوه سبيلاً ﴾ الأعراف ١٤٦/٧ وفى قراءة أبيّ : ( يتخذونها ) .

وقد سمع عن العرب صيغ ماثلة لما يستخدم فى أيماننا ويلقى رفضاً صارماً ، مثل قوله بعد إمكان استخدام ( الفرس ) للمذكر والأنثى ، قال يونس : سمعت العرب تقول : فرسة ، وعجوزة . ويهيننا هنا التعليل الذى قدمه لهذه الظاهرة ، وهو قوله : وذلك منهم إرادة تأكيد المؤنث ، وإذهاب الشك عن سامعه . ( ٨٨ ) وقوله ( ٩٣ ) : والحال : أنثى ، وأهل الحجاز يذكرونها ، وربما أدخلوا فيها الهاء .

فإذا كانت هذه هى الحال مع الأسماء ، فكيف تكون مع النعوت . لا ريب أن المشكلة قد ازداد تعقيداً ، وهو ما يصفه علماء العربية أنفسهم حين يريدون أن يقعدوا للفصل بينهما من خلال تحديد العلاقة بين الاسم والنعوت ، يقول الفراء :

وإذا رأيت الاسم له نعت لا يقع إلا عليه ، فإذا كان اسمه مذكراً فهو ( النعت ) مذكر ، وإذا كان اسمه مؤنثاً فهو مؤنث ، بعد أن يعرف كل واحد منهما بذلك النعت ؛ من ذلك ( جاريةٌ خَوْدٌ ، وامرأةٌ ضَنَّاكٌ ) . هذه مذكورة فى اللفظ ، وهى من نعت الإناث خاصة ، فإذا أفردتها فهى إناث ، تقول : هذه خَوْدٌ ( ١٠٧ ) .

أى أن هذه النعوت لا تستخدم إلا لوصف المؤنث ، ولا يجوز إضافة علامة التأنيث إليها ، إذ لا حاجة بها إليها ، فالاعتبار فيها للمعنى لا للفظ ؛ فهى مؤنثة فى المعنى ، مذكورة فى اللفظ . وإذا نعت بشيء وقد يُنعت به المذكر ، فهو مؤنث إذا نعت به مؤنثاً ، ومذكر إذا نعت به مذكراً ، من ذلك : « أذن حَشْرٌ » ، « وسهم حَشْرٌ » ، « وجارية عربية محضٌ » ، و « مَضْرَى قَلْبٍ وَمَحْضٌ » . ونعت هذا مؤنث مع المؤنث ومذكر مع

المذكر . وربما أدخلت الهاء فى نعت الأثنى ، فيقولون : محض ومحضة . ( ١٠٧ أيضاً ) .

أى أن هناك بعض النعوت التى تصلح للمذكر والمؤنث ، ولكنها فى كلتا الحالتين لا تضاف إليها علامة للتمييز بينهما ، إذ الأساس هنا الاسم ؛ فإذا وصف اسماً مذكراً فهو مذكر ، وإذا وصف اسماً مؤنثاً ، فهو مؤنث . وربما شكل الكلام السابق قاعدة تذكير النعت أو تأنيثه ، غير أنه عدل عن القاعدة بإمكان إدخال الهاء علامة للتأنيث .

وربما نعت الرجال والمرأة بنعت مختوم بهاء ، مثل قولهم : رجل ربعة ، وامرأة ربعة ، ورجل ملة ، وامرأة ملة للملول ، ورجل هذرة وامرأة هذرة ، ورجل همزة لمرزة ، والمرأة كذلك . . . ( ص ١١٨ ) .

هذا خلاف تعليله لوجود الهاء فى وصف المذكر فى موضع آخر ، وهو على غير قياس ، إذ يقول ( ٦٧ ) لأن العرب قد تدخل الهاء فى المذكر على وجهين ، أما أحدهما فعلى المدح ، والآخر ذم ، فيوجهون المدح إلى الداهية . . . « إنه لرواية وعلامة . . . يراد بها المدح والمبالغة فى نوعه الذى وصف به ، وأما الذم فقولهم : إنه لخبابة هلباجة فقاقة » . . . وكأنه يذهب به إلى البهيمة .

فالموضوع إذن جدير بذلك الاهتمام الذى أولاه علماء العربية إياه لصعوبة تفرعاته ووعورة مسالكه ، وشدة حاجة الناس إلى حصر هذا النوع من المفردات ومعرفة طرق الاستعمال تجنباً للوقوع فى الخطأ . وتتابع جهودهم فيه على اختلاف بينهم فى كم المادة المعالجة وكيف الشرح والاستشهاد . وقد كان الفراء أقدم من طرق هذا الفن بكتابه الذى - سوف نعرضه فى شىء من التفصيل ، فيما يلى ، فيما وصل إلينا من كتب هذا الفن ، وأعقبه عدد كبير مثل السجستاني ( ت ٢٥٥ هـ ) فى كتابه « التذكير والتأنيث » ، والمبرد ( ت ٢٨٥ هـ ) فى « المذكر والمؤنث » وابن جنى ( ت ٣٩٢ هـ ) وابن فارس ( ٣٩٥ هـ ) وغيرهم .

ويلاحظ أن الفراء لا يعنى بحصر المفردات المتعلقة بهذه الظاهرة فحسب ، على الرغم من أنه قام بذلك فعلاً ، ونقل عنه المتأخرون أغلب ما أورده ، بل وصل الحد ببعضهم إلى نقل عباراته كاملة ، أقول لقد تجاوز الحصر إلى المعالجة الدقيقة من خلال التعليقات والتفسيرات والشروح وتقديم الشواهد المؤكدة على صحة وجهة نظره ؛ فهو إلى جانب ذكره للروايات المختلفة فى أبيات الاستشهاد يختار منها ما يرى أنها

لأصوب ، ناصاً على ذلك في صراحة تامة ، ويتصل بذلك أمانته في الإسناد ، إذ إنه يميز بين ما سمعه عن العرب بنفسه ، وما يرويه عن شيوخه ومن حكى له عن العرب . وشواهد متنوعة أغلبها شواهد شعرية ، وبعض القرآن الكريم ، وعنى أيضاً ببعض نقراءات ، والأحاديث والأمثال . وكان يشرح أحياناً ما يرد في شواهد من ألفاظ غريبة . وكان يحدد أسماء القبائل عند الخلاف وبخاصة أهل الحجاز وأهل نجد ، وبعض قيس وبنو عكل ، ولكنه كان يترك الأمر بلا تحديد في قوله : ومن العرب ، وبعض العرب ، وعند الفصحاء . . . الخ .

أما المادة اللغوية فتتوزع في الكتاب في صورة موضوعات لا يحكمها تسلسل معين ، على نهج التأليف في تلك الفترة ، إذ يبدأ بمقدمة يحدد فيها علامات التأنيث في تعريبية ، وهى الهاء والألف المدودة والألف المقصورة ، ثم أشار إلى خروج العرب عن القياس المستمر في التفريق بين المذكر والمؤنث بالهاء في الوصف الخاص بالمؤنث ، مثل : حائض وطاهر وطاقق وغيرها ، وورود الهاء في الشعر ضرورة . ثم تلاها بأربعة بحث ؛ أساسها نوع الصيغة ، كما هى الحال في كتب التثقيف أو التصويب اللغوى ، جعل عنوان كل واحد منها « نوع آخر » . وقد عالج في المبحث الأول : صيغة « فاعل » بعدولة عن مفعول ، والتي يستوى في الوصف بها المذكر والمؤنث ، على شرط ذكر ناسم الموصوف ، مثل : امرأة قتيل ، وكف خضيب ، كما عالج تغليب المذكر على مؤنث في هذه الصيغة وغيرها ، إذ كان الوصف أكثر في الرجال ، مثل : أميرنا امرأة . وفي المبحث الثانى صيغة « فعول » المعدولة عن « فاعل » ، ويستوى في الوصف بها تذكر والمؤنث أيضاً مثل : صبور وشكور . أما « فعول » المعدولة عن « مفعولة » ، فيجب دخول الهاء فيها ، مثل حلوب وركوبة وأكولة .

وفي الثالث صيغة « مفعال » فى مثل : « مذكر ومثناث » ، وذكر أنها لا تدخلها نساء ، لأنها معدولة عن الصفة انعدالاً أشد من صيغة « فعول » ، وما شذ على ذلك ، مثل : رجل مجذامة ومطراية ومعزاية ، وإنما الهاء فيها ( وهو على غير قياس ) للمدح على معنى « الداهية » ، أو الذم على معنى « البهيمة » .

وفي الرابع عالج من الجمع ( اسم الجنس أو اسم موضوع ) الذى يفرق بينه وبين واحدة بالهاء ، مثل : جراد وجرادة ، وحمام وحمامة ، فذكر أن الأول جمع والثانى مفرد للمذكر والأنثى ، وقد يدلون بالأول على المذكر ، وبالثانى على المؤنث ،

فيقولون؛ « رأيت جراداً على جرادة » أى ذكر أعلى أنثى . وأشار إلى استعمال الأسماء المبهمة مثل : أحد ، ديار ، مثل ، غير ، وغيرها ، فكلها يجرى مؤنثه على التذكير ، كقولك : « غيرها قام » و « مثلها قام » .

ثم ينتقل إلى المؤنثات السماعية ، فيفصلها فى قسم يمثل أغلب الكتاب ، تحت عنوان « ومن المؤنث الذى يُروى رواية » . وهو هنا لا يسير أيضاً على نظام معين ، أو ترتيب خاص . فقد بدأ بأسماء أعضاء الجسم ، مثل : العين والأذن والعنق واللسان والكبد . . . الخ . وتناول بعد ذلك كلمات مختلفة تنتمى إلى مجالات متباينة . ويلاحظ أنه قد أكثر من الشواهد والخلاف بين القبائل وآراء العلماء والروايات المختلفة وتتناثر آراؤه فى مواضع متفرقة على نحو ما أوردنا فى بداية هذه المعالجة ، وهى تمثل مجموع المعايير ( أو القواعد ) التى تحكم هذه الظاهرة من وجهة نظره . وبعد أن ينتهى من الأسماء ينتقل إلى نعوتها فيفرق بين النعوت الخاصة بالمؤنث والنعوت التى تكون للمذكر والمؤنث كما أشرت من قبل .

وعالج أيضاً المواضيع « الظروف والصفات والمحال » والأدوات وحروف المعجم من جهة التذكير والتأنيث ، واكتساب المضاف صفة المضاف إليه من تأنيث وغيره ، بشرط أن لا يكون المضاف إليه ضميراً ، ثم قدم طائفة كبيرة من الصفات الخاصة بالمؤنث وبين كيف يستغنى فيها عن الهاء ، ثم عرج على الصفات المختومة بالهاء ويوصف بها المذكر والمؤنث معاً ، ثم انتقل إلى المعانى الثلاثة للشئ الذى قطع عن شئ آخر وغير ذلك . وجدير بالذكر هنا العبارة التى ختم بها تلك المعالجة حيث قال ( ١٢١ ) : « فلا تنكران أن يبنى مؤنث على مذكر ، قد كان له اسم سواه ، مثل ما وصفت لك . واختتم الكتاب بمسألة : ثلاثة أقاويل وثلاث أقاويل .

**وفيما يلي نموذج من كتاب ( المذكر والمؤنث ) للضراء .**

## من المذكر والمؤنث للفراء ومن المؤنث الذي يروى رواية

« العين » أنثى ، تحقيرها : « عَيْنة » ، وتجمعها : ثلاث أعين .

و « الأذن » أنثى ، تُصغرها : « أُذينة » ، وتجمعها فتقول : ثلاث آذان . قال أبو ثروان (١) في أحجية له (٢) : ما ذو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالردديان ؟ (٣) . قال يريد السهم . . آذانه : قُدَّه .

و « العنق » مؤنثة في قول أهل الحجاز ؛ يقولون : « ثلاث أعناق » ، ويصغرونها [على (٤)] « عُنَيْقة » . وغيرهم يقول : « هذا عُنُقٌ طويل » ، ويصغره [فيقول (٥)] : « هذا عُنَيْقٌ (٦) » . قال أبو النجم :

في كاهل هادٍ وعُنُقٍ عَرَطَلٍ (٧)

و « اللسان » يذكّر ، وربما أنث إذا قصدوا باللسان قصد الرسالة أو القصيدة (٨) .  
قال الشاعر :

لسانُ المرءِ تُهدِيها إلينا  
وحنّتَ وما حسبتُك أن تَحِينا (٩)

(١) هو أبو ثروان العكلى ، أعرابي فصيح ، روى عنه الفراء كثيراً في كتبه . انظر ترجمته في  
الفهرست ٧٥ ومراتب النحويين ٨٦ والمزهر ٤١٠/٢ .

(٢) انظر في هذه الأحجية : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٠٨-٢٠٩ واللسان (أذن) ١٦ :  
١٣/١٤٩ .

(٣) في ت : « تسبق . . . بالرنان » تحريف .

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من ت . (٥) ما بين المعقوفين زيادة من ت .

(٦) الفقرة كلها في المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٩٢ عن الفراء . وفي البلغة لابن الأنباري ٧٢ :  
« وكذلك العنق يذكر ويؤنث . وقيل : إن ضمت النون كان مؤنثاً ، وإن سكنت كان مذكراً .  
وقال الأصمعي : لا أعرف فيه التأنيث » .

(٩) البيت بلا نسبة في الدرر اللوامع ٥١/١ ؛ ١٣٨/١ وفيه في الموضعين : « وجئت . . . تجنيا » .  
وهو تصحيف . وهو في شرح شواهد المغنى ١٧٢ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢٩٤  
وتلخص البيان للشريف الرضي ١٩٦ وفي الجميع : « لسان السوء » وهي رواية نص عليها  
الفراء فيما يلي البيت .

ويروى : لسان السوء .

وقال الآخر :

أنتنى لسانُ بنى عامرٍ أحاديثها بعد قول نُكْرٍ (١)

وذكرها الخطيئة (٢) ، فقال :

ندمتُ على لسانٍ كان منى فليت بأنه فى جَوْفِ عِكْمٍ (٣)

فأما اللسان بعينه ، فلم أسمعه من العرب إلا مذكراً .

و « الكبد » أنثى . وتصغيرها : « كَيْدَةٌ » . وتجمعها : ثلاث أكباد ، والكثيرة (٤) :  
الكبُود .

---

(١) البيت للمرقش الأكبر ومن قصيدته المفضلية فى شرح المفضليات ق ١/١٥٢ ص ٤٨٢ ورواية عجزه فيه : « فجلت أحاديثها عن بصر » وهو بهذه الرواية فى الأمثال لمؤرخ السدوسى ص ٥٤ وخزانة الأدب ١٣٩/٢ ونقائض جرير والأخطل ٤١ وجمهرة الأمثال للعسكزى ١/١٣٦ وأمثال المفضل الضبى ٥٩ وهو برواية الفراء وبلا نسبة فى المخصص ١٧/١٢ وما يذكر ويؤنث للحامض ٢٦ والمذكر والمؤنث لابن الأنبارى ٢٩٥ ومادة (لسن) من اللسان ١٧/٢٧٠ والتاج ٩/٣٣٣ .

(٢) كلمة : « الخطيئة » ساقطة من ت .

(٣) البيت فى ديوانه ق ٣/٩١ ص ٣٤٧ وفيه : « فات منى فليت بيانه » وخزانة الأدب ١٣٧/٢ وهو فى مادة (عكم) من اللسان ١٥/٣١٠ والتاج ٨/٤٠٤ وفيهما : « وددت بأنه » ونوادى أبى زيد ٣٣ فى أربعة أبيات وفيه : « فات منى » والمحكم لابن سيده ١/١٧٢ وفيه : « فات منى وددت » والمذكر والمؤنث لابن الأنبارى ٢٩٥ ومادة (لسن) من اللسان ١٧/٢٧٠ والتاج ٩/٣٣٤ وفى الثلاثة : « فات منى » . وهو غير منسوب فى البلغة لابن الأنبارى ٨١ وشرح المفضليات ٤٨٢ والمخصص ١٧/١٢ وفى الأخيرين : « فات منى » وهى رواية ت كذلك .

(٤) فى ت : « والكثرة » .

المقصود والممدود  
لابن ولاد ( ت ٣٣٣ هـ )

بدأ التأليف في موضوع « المقصود والممدود » في فترة مبكرة من تاريخ التأليف اللغوي أيضاً . ويرجع ذلك فيما يرجع إلى أن الفصل بين الكلمات المقصورة والممدودة قد شكل صعوبة أكثر في رأي من الصعوبة التي واجهت الناس في الظواهر الأخرى ، إذ إن الأمر لا يتعلق بميل الناس في لغة التخاطب إلى الاستغناء عن الهمزة الأخيرة ، إشاراً للسهولة أو متابعة لهجة أهل الحجاز قبل الإسلام أو لعدم إدراك الفرق بين ما ينتهي بهمزة أو بمد أو غير ذلك مما أدى إلى وقوع في الخلط والاشتباه بين الكلمات الممدودة والكلمات المقصورة ، كما هي الحال في أيامنا هذه حين لا يفرق مثلاً على مستوى النطق بين « الحيا » بمعنى الخيث ، إذ إنها غير مستعملة ، بل وغير معروفة عند عامة الناس و « الحيا » بمعنى الخجل أو الاستحياء في قولهم « قليل الحيا » . وعند الانتقال إلى مستوى الكتابة تظهر الصعوبة في إثبات الهمزة أو عدم إثباتها ويقع الاضطراب أو الخطأ أو العزوف عن استعمال هذه الطائفة من المفردات . فأساس المسألة إذن ذلك التصارع بين مستويي النطق والكتابة وما ينتج عن شيوع المسموع من زلل واضطراب عند الانتقال إلى المكتوب .

ولم يتوقف علماء اللغة عن حد التمييز بين المفردات أو بين الممدود والمقصود ، بل كانوا يشيرون إلى المنقوص أو المهموز إذا كان الخلط يقع بين أي منهما وبين الممدود أو المقصور ، وأضاف المتأخرون إضافات لازمة تكشف عن حقيقة الصعوبة المتمثلة في هذه الظاهرة ، إذ إنهم عالجوا أيضاً القواعد الصرفية والنحوية التي تحكم المقصور والممدود . ويلاحظ أنه لم يتجهوا نهجاً معيناً في تناولهم ، إذ خلت الكتب الأولى من تقديم للقضية وأسباب درسها ، بخلاف كتاب ابن ولاد الذي سنتناوله فيما بعد ، واختلفوا في ترتيب المادة أيضاً ، فلم يعن الفراء بالترتيب قدر اعتناؤه بالمادة والاستشهاد عليها بالشعر والقرآن الكريم وتفسير المفردات وبيان دلالاتها ، وكان كتابه معيناً لكل من ألف بعده في هذه اللون ، فنقل عنه المفردات وتفسيراتها والشواهد عليها ، وإن

اختصر أحياناً وأضيف إليه في أحيان أخرى ، ولكن يبدو أن ثمة معايير ثلاثة استخدمها وتابعه فيها المتأخرون ، وهى تقديم الاتفاق بين المقصور والمدود ، والنظر إلى حركة الحرف الأول ، ( وإن اختلف في ترتيب الحركات ( المكسور / المفتوح / المضموم ) ، وتأخر الصورة المنفردة . وهكذا كان حصر المادة والاستشهاد على صحة التفريق همهم الأكبر ، فلم ترتب المادة داخل الأبواب أو الفصول ، ولم يقاربه في كم المادة والاستشهاد أو يجاوزه فيما وصل إلينا إلا كتاب أبى على القالى ( ت ٣٥٦ هـ ) ، حيث وصف بأنه أضخم كتب المقصور والمدود التى وصلت إلينا وأوسعها شرحاً وأكثرها استيعاباً للمادة اللغوية وأوفاهها استشهاداً بالشعر والقرآن والأمثال ، وكتاب أبى البركات الأنبارى ( ت ٥٧٧ هـ ) الذى عنى فيه بالترتيب العام على أساس نوع الحركة كما قلت ، فكان ترتيبه للمادة فى ستة أبواب على النحو التالى :

- |                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| ١ - المقصور المفتوح الأول | ٢ - المقصور المكسور الأول |
| ٣ - المقصور المضموم الأول | ٤ - المدود المفتوح الأول  |
| ٤ - المدود المكسور الأول  | ٦ - المدود المضموم الأول  |

فالأبواب الثلاثة الأولى للمقصور ، والأبواب الثلاثة الأخرى للممدود ، أما نوع الحركة فقد اختار ( المفتوح ثم المكسور ثم المضموم ) ، ولم يخالف المتقدمين فى ترتيب المواد داخل هذه الأبواب ؛ فلم يلتزم أى نوع من الترتيب . وعنى بالاستشهاد والشروح أيضاً .

وقد دفع الهدف التعليمى من تقديم المادة الوشاء ( ت ٣٢٥ هـ ) إلى حصر المادة وسردها بصورة متتابعة مختصراً الشروح والاستشهادات والروايات والنقول بادئاً بالقواعد والأحكام فى صورة مقتضية أيضاً ، ويبدو أنه تابع الفراء مادةً ومذهباً ، وقد عنى بنوع ما من الترتيب بفصله بين الضيغ القياسية والضيغ السماعية ، فنجده يقدم أنواع « الممدود » القياسى ، ثم أنواع « المقصور » القياسى ، ثم يفيض فى المدود والمقصور السماعيين ، وهى الضيغ التى تمثل صعوبة كبيرة أمام الناس ، وهو وإن راعى فى الترتيب التشابه فى اللفظ والاختلاف فى المعنى أو الاختلاف فى اللفظ والمعنى معاً ، فإنه لم يلتزم أى ترتيب فى سرد المفردات .

أما كتاب « المقصور والمدود » لأبى العباس أحمد بن محمد بن الوليد بن ولاد

(ت ٣٣٢ هـ) \* فقد حصر فيه أيضاً صيغ المقصور والمدود القياسى أولاً ثم السماعية ، غير أنه أضاف إلى معايير الفراء السابقة معياراً جديداً واحداً هو الترتيب الأبجدي للمادة وفق الحرف الأول من الكلمة ، وإن لم يتجاوز الحرف الأول ، إذ نجد عدم انتظام فى عرض المادة إذا غض النظر عن ذلك الحرف ، وعلى الرغم من ذلك فهو يتقدم خطوة فى طرق التنسيق أو الترتيب الداخلى للمواد ، الذى لم يراع لدى علماء آخرين ، ويضاف إلى ذلك أن قلة المواد تعين على تجاوز الاقتصار على حرف واحد فى الترتيب ، ويرجع علة ذلك النهج - كما يقول فى المقدمة - إلى غاية محددة وهى : هذا كتاب نذكر فيه المقصور والمدود ما كان مقيساً وغير مقيس مؤلفاً على حروف المعجم ليقرّب وجود الحرف على طالبه ويسهل استخراجه من موضعه ( ص ١ ) .

ويمتاز كتاب ابن ولاد بمقدمة ، عرض فيها سبب تأليفه للكتاب ومنهجه الذى اتبعه وترتيبه للمادة وعلة التقديم أو التأخير فى موضع ما وتعريف المقصور والمدود عند النحاة والقواعد التى تحكمهما - وتلك إضافة له وعدول عن تناول السابقين له - وتناول أموراً أخرى تتعلق بالاشتقاق والتثنية والجمع والهاء وتغير حركة الإعراب وغير ذلك . وقد أفاد بوضعه هذه المقدمة ، مخالفاً فيها المتقدمين فى الاكتفاء بالمادة ومعالجتها .

ويقدم هنا الصيغ السماعية على القياسية ، وأسباب ذلك عدم إمكان وضع حد لها أو قياس ، ولا تعرف إلا رواية ؛ أى عن طريق السماع ، كما أن شدة الحاجة إليها والسؤال عنها أكثر ، والعناية بها أولى ، يقول ( ص ١ ) : « وابتدأنا فى هذا الكتاب بما كان متفرقاً منشوراً ، مما لا حد له يحصره ، ولا قياس يجمعه ، لأن طريقه التى يعلم منها السماع فقط ، والمسألة عنه أكثر والعناية به من السائل أشد » .

وقد بدأ بالألف ثم الباء ثم التاء . . . إلى آخر الحروف الهجائية ، وأشار إلى إمكان القراء أن ينكروا الابتداء به لاعتلاله وعزوف الخليل عن الابتداء به فى كتابه العين مخالف لما هو عليه ، لأن غرضه منه مخالف لغرض الخليل من كتابه ، يقول : « لأننا نقصد إلى أن نُقرّب على طالب الحرف فيه ما يطلبه ، وأن يستوى فى العلم بموضعه منه العالم والمتعلم ، فلم نراع أن يكون فى أول الكلمة حرف أصلى دون أن يكون زائداً

( \* ) نشره بولس برونله ( B . Broennle ) فى ليدن ١٩٠٠ م أى منذ قرن تقريباً . أما الطبعة الحديثة المتداولة الآن الموصوفة بعبارة « عنى بتصحيحه السيد محمد بلر الدين النعسانى الحلبي » فلا تفتقر عن نسخة برونله فى شيء سوى الفهرست ، فهى دون ريب نقل صريح عنها .

أوزائد دون أن يكون أصلياً وصحيحٌ دون أن يكون معتلاً أو معتلٌ دون أن يكون صحيحاً ، فنكلف الطالب للحرف أن يعرف أولاً جميع ما ذكرناه ( ص ٢ ، ٣ ) .

وهى فى الحقيقة همزة ، فالألف لا تكون فى أول الكلمة يقول : وإنما سمينها ألفاً وهى فى أول الكلمة لأنها تكتب على صورة الألف إذا كانت أول الكلمة مضمومة كانت أو مفتوحة أو مكسورة ( ص ٣ ) ، وهو بهذا النهج يجنب القارئ للوصول إلى كلمة ما أن يكون عارفاً بوجه التصريف وتمييز الأصول من الزوائد ومعرفة نوع الصيغة وغير ذلك من وجوه المشقة فى علم التصريف . ويحدد بعد ذلك تعريف المقصور والممدود عند أهل النحو ، وما معنى تسميتهم بعض المقصور منقوصاً ، ووضع حركات الإعراب والتونين على لفظ المقصور أو الممدود . وأخيراً هجاء الممدود ، فجميعه يكتب بالألف ليس غير ، أما المقصور فله قواعد مختلفة ، تحدد الحرف المختار ( الياء / الألف ) ، وضرورة معرفة تصريف الكلمة إلى الفعل أو التثنية أو الجمع أو التأنيث أو الاشتقاق للوصول إلى الأصل حين تكون الحاجة إلى ذلك حتمية ، وما كان مما لا يعرف أصله فيكتب على اللفظ .

وهو يبدأ الباب بما يمد ويقصر باختلاف المعنى وما يمد ويقصر ومعناه واحد إذا كان ذلك ممكناً ، مثال ذلك : الدواء على وجهين ، فالدواء الذى يتداوى به ممدود ، والدوى الرجل الأحمق مقصور يكتب بالياء لكان الواو التى فى وسطه . . . والدوى أيضاً مقصور الرجل الطويل المرض ( ص ٤٥ ) .

ويقول أيضاً ( ص ٥٨ ) : « الزنا » يمد ويقصر ، فمن مده ، فلأنه جعله فعلاً من اثنين كقولك : راميته رماءً وزانته زناءً ، ومن قصره ذهب إلى أن الفعل من أحدهما ، ومن قصره كتبه بالياء ، لأنه من زنى يزنى فأصله الياء . وهو هنا كما يتضح لنا - يعنى بالتصريف وبيان الفروق بين الأوزان بنية ومعنى .

كما أنه يقدم المقصور الذى له نظير من الممدود أو حرف يقصر ويمد ، إن وجدت أمثلة له فى الباب ثم يتبعه المقصور الذى لا نظير له من الممدود ثم الممدود الذى هذه سبيله ( أى لا نظير له من المقصور ) . وإذا تمت الحروف ذكر ما كان مقيساً من المقصور والممدود ، ثم يأتى بتثنيته وجمعه وهجائه .

ويلاحظ أيضاً أنه يرتب المادة ترتيباً داخلياً ، إذ إنه يبدأ بالمقصور ثم الممدود بشكل عام ، ويبدأ بالثلاثى فى كل منهما ثم الزائد عن الثلاثى ، ويبدأ بالمفتوح أوله ثم

المكسور أوله ثم المضموم أوله . وبعد أن انتهى من جرف أو باب الياء أى من ذكر المادة التى أخذت رواية وسماعاً ، يعرض للقواعد النحوية والصرفية التى تحكم المقصور والمنقوص والمددود ، ويقدم باب التحديد والعلامات فيما يعلم أنه مقصور ثم المنقوص ثم المددود ، ثم أبواب تثنية المقصور وجمعه ، ثم أبواب تثنية المددود وجمعه ، ويختمه بباب فى هجاء ( وهو ما أطلق عليه باب فى الخط ) المقصور ، وباب فى هجاء المددود .

ولا يسير على نهج واحد فى الشرح والاستشهاد ، ففى مواضع نجده يطيل فى الشرح والتفسير وبيان الفروق ، وفى مواضع أخرى يختصر غاية الاختصار فلا يذكر سوى الصيغة ، ويصرح فى أمانة واحترام حين ينقل ، يقول مثلاً ( ٤٢ ، ٤٢ ) : ومن المقصور « الحنا » الكلام القبيح مقصور ، واختار الفراء فيه أن يكتب بالياء ، ولم يذكر الحجة لذلك فى كتاب المقصور والمددود ، ولعله له فيه حجة لا نعلمها وسماعاً دله على أن هذه الكلمة من الياء أصلها ، وحكى غير الفراء خنا يخنو خناً ، فلا يكتب على هذه المذهب إلا بالألف ، والأكثر : أخنى فلان فى كلامه ، وأخنى عليه الدهر أيضاً أهلكه وأفسده .

ويكثر الاستشهاد بالشعر فى مواضع كثيرة ، ويقل استشهاده بالقرآن الكريم وغيره . أما شواهده فبعضها ورد فى كتب المتقدمين وبخاصة الفراء والأصمعى وابن الأعرابى وابن السكيت وغيرهم ، وبعضها الآخر استخرجه واستقل به ، ويذكر الشعر منسوباً وغير منسوب ، كما هى الحال فى عرضه وتحليله لكلمة ما . وندرت إشارته إلى اللغات والقراءات والخلافات مثل ( ١١٣ ، ١١٤ ) ( المينى ) مكسور الأول على وجهين ، فالمينى جوهر الزجاج مقصور ، يكتب بالياء . و ( الميناء ) بالمد الموضع الذى ترفأ إليه السفن ، وقدم شاهدين من شعر نصيب وكثير . . . . وقال نقلاً عن أبى العباس : هذا قول ابن السكيت فى ( المينا ) وحكى الفراء : الميناء الزجاج مددود . و ( المينى ) الموضع الذى ترفأ إليه السفن مقصور ، يكتب بالياء ، والجمع ( الموانى ) .

**وفيما يلي نموذج من كتاب ( المقصور والمددود ) لابن ولاد**

## من المقصور والمدود لابن ولاد

### باب الصاد

وَأَسْرُ أَحْمَلَةَ الشُّوكَاهُ خَذَنِي [إِلَّا صَنَّتْ يَدُ الْأَحْمَرِ الْأَطْلَاطِ]  
الشَّصَامَةُ شِدَّةُ السِّنِّينَ يُقَالُ لَنُكْشِفَتْ عَنِ النَّاسِ شَصَامَهُ مُنْكَرًا،  
وكذلك الشَّهْبَاءُ السِّنَاءُ الشَّدِيدَةُ وَشَهْبَاءُ أَيْضًا الْكُتَيْبَةُ وَالصَّافِيَةُ  
الْحَدِيدُ، وَالشَّلَاةُ الْبَيْضُ،  
ومن المدود المكسر أوله الشَتَاءُ، وَالشِّفَاءُ هَذَا الدَّاءُ، وَالشَّيْشَاءُ  
الشَّيْصُ وَهُوَ رِيحُ الْعَمْرِ وَأُنشِدَ الْفَرَّاهُ  
يَا لَيْلَ مِنْ قَتْرِ بَيْنِ شَيْشَاءَ يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ  
مَدَّ اللَّيْلَى وَهُوَ مَقْصُورٌ لِلضَّرْفَةِ، وَالشَّوَاءُ اللَّاحِمُ لِلْمَشْرِيقِ،  
المقصوم أوله المدود الشَّعْبِيَّةُ نَهَبٌ مِنْ نَهَبِ الدُّوَابِّ،

10

### باب الصاد

الصَّفَا عَلَى وَجْهَيْنِ قَاتِفًا مِنَ الْحَجَارَةِ وَهُوَ مِنْهَا الْفَرِيصُ الْأَمْسُ  
وَهُوَ جَمْعُ صَفَاةٍ مَقْصُورٌ يَكْتُبُ بِالْأَنْفِ لِأَنَّ تَثْنِيَّتَهُ مَقْلُوبٌ وَقَالَ  
اللَّهْدِيُّ تَعْلَاهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ ثَرَابٌ وَبِئْسَ عَذَا الَّذِي فِي  
الْآيَةِ يَمْتَنُّ وَكَذَلِكَ عَلَى فَعْلَانٍ بِتَسْكِينِ الْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ يُبَيِّنُ  
لَهُ أَنَّ أَصْلَهُ الرَّوْءُ وَالصَّفَاةُ فِي الْمَوْزَةِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ خَلَصَ وَصَفًا 18  
مَعْدُودٌ، وَالصَّبَا عَلَى وَجْهَيْنِ فَالصَّبَا مِنَ الرِّيحِ مَقْصُورٌ يَنْتَبِ بِالْأَنْفِ  
لَأَنَّ تَعْمُرَ مَبْتَدَأُ تَرِيحٍ تَصْبِيرٌ وَالصَّبَا مِنْ قَوْلِكَ هُوَ يَصْبِرُ إِلَى

قال أبو الحسن الخليل الشوكاه الجديد: a) L has the interlinear note: [probably] المَسَّ... الخشنة... b) L adds تبرك (road). c) Kor. 2, 266. d) L الأيه. e) L erroneously vocalizes فَعْلَانٍ. f) P الرياح. g) L and P يصبرا.

انتهو صباه شديداً ممدوداً، فلما الصبى بكسر أوله فقصرو<sup>9</sup> يقال  
صَبِي يَصْبِي صَبِيً يُكْتَبُ بِأَيِّهِ مَقْصُورٌ، وَالصَّرَافُ مَمْدُودٌ مَا أَصْفَرُ  
مِنَ الْخَنْظَلِ وَاحِدَاتُهُ صَرَاءٌ وَقَدْ تَجَمَّعَ صَرَايَا، وَالصَّرِي جَمْعُ صَرَاءٍ  
مَقْصُورٌ يُكْتَبُ بِأَيِّهِ وَهُوَ مِنَ الْمَاءِ مَا يَضُرُّ انْتِقَاصَهُ حَتَّى يَصْفُرَ  
5 فَاصْلُهُ الْيَاءُ لِأَنَّهُ مِنْ صَرَى يَصْرِي وَيُقَالُ قَدْ صَرَى الْمَاءُ فِي ظَهْرِهِ

إِذَا حَبَسَ الْمَاءُ سَنِينَ لَا يَتَزَوَّجُ كُلُّ الرَّاجِزِ  
رَبُّ غُلَامٍ قَدْ صَرَى فِي قِعْرَتِهِ مَاءَ الشَّيْبِ عُنْفُونٌ سَنِينَةٌ  
أَرَادَ عُنْفُونٌ ذَفِيرٌ، وَيُقَالُ هَذَا مَاءُ صَرَى وَصَرِيهِ لُغَتَانِ بَفِعْ  
أُولَاهُ وَكُسْرِهِ وَكُتِبَ بِأَيِّهِ فِي الرَّجَمَيْنِ، وَالصَّرَى مِنَ اللَّبَنِ أَيْضًا مَا  
10 طَالَ مَكْنُتُهُ فِي التَّصْرَعِ لَا يُحْلَبُ يُقَالُ شَاءَ مَصْرَاءً إِذَا حَلَبْتَ فِي

ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ حَلْبَةً وَحَى الْفَرَاءُ يُقَالُ صَرَتِ النَّاقَةُ وَصَرِيَتْ وَأَنْشَدَ  
مَنْ لِلْجَعْفَرِيِّ يَأْتِي فَقَدْ صَرِيَتْ وَقَدْ يُسَالُ نَدَاتُ الصَّرِيَةِ الْتَحْلَبُ  
وَمِنَ الْمَهْمُوزِ الَّذِي لَهُ فُظَيْرٌ مِنَ الْمَقْصُورِ الصَّدَا صَدًا لِلْحَدِيدِ  
مَهْمُوزٌ غَيْرُ مَمْدُودٍ يُكْتَبُ بِالْأَلْفِ وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْمَهْمُوزَةِ، وَالصَّدَا  
15 مِنَ الْتَعْطِشِ مَقْصُورٌ غَيْرٌ مَهْمُوزٌ يُكْتَبُ بِأَيِّهِ وَكَذَلِكَ الصَّدَى  
الطَّائِرُ، وَالصَّدَا انْصَوْتُ الَّذِي يُجِيبُكَ عِنْدَ شَطِّ نَهْرٍ أَوْ جَبَلٍ وَهُوَ  
بَيْتٌ خَلَاءٌ، وَالصَّدَا أَيْضًا مَصْدَرٌ قَرِيبٌ أَمْدًا، وَالصَّدَى أَيْضًا  
الْبَيْتَانُ وَالْجَمْعُ أَمْدَاءُ كُلُّ حَلْمٍ  
أَمَادِي أَنْ يُصْبِحَ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لَدَى وَالْأَخْمَرُ

a) P وأصله. b) I. صَرَى. c) L here صَرَى. d) L quotes here  
on margin a verse by Abu 'l-Husain, which is however now  
illegible, being quite obliterated. e) P حال. f) P الحان.

ويقال هو ضعى بل إذا كان حسن انقيام عليه فهذا مقصورات  
يُكْتَبَنَ بِأَيِّهٖ ؄

ومن المهموز الذي لا نظير له الصامساة الصوت يقال صامساً  
يُصَامِسُ صَامِسَاتٍ ؄

ومما يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ صَلَّى النَّارِ مَفْتُوحٌ [الأولي] مقصورٌ يُكْتَبُ بِأَيِّهٖ ؄  
لأنك تقل صليته النار إذا أدخلته فيها [قال الفرزدق]  
وَقَاتَلَ تَلْبُ الْآخِي عَنْ نَارِ أَهْلِهِ لِيَرِيَنَّ فِيهَا وَالصَّلَى مُتَكَنَّفٌ  
فَإِذَا كَسِرَ أَوَّلَهُ مَدَّ فَقَلَبُوا صِلَاءَ النَّارِ مَمْدُودٌ كَمَا أَيْدِ النَّجْمِ  
وَقَدِ إِذَا تَبَاسَ ذَكَرَ صِلَاؤُهُ وَبَرَزَتْ مُدْبِئَةٌ شَيْبَاؤُهُ  
وَالصَّلَاةُ إِرْمَادٌ يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ وَأَوَّلُهُ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ وَالْمَدُّ فِيهِ أَكْثَرُ 10  
ويُكْتَبُ إِذَا قَصَرَتْه بِأَيِّهٖ ؄

المقصور من هذا الباب الصلا مقصور يُكْتَبُ بِالْأَلْفِ لِأَنَّ تَتْنِيَّتَهُ  
صَلَوَانٌ وَمَا مُكْتَنَّفَا ذَنْبِ النَّاقِذِ وَالصَّفَا مَيْلَكَ إِلَى الشَّيْءِ مَنْقُوضٌ  
يُكْتَبُ بِأَيِّهٖ أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَقُولُ صَغْرُكَ مَعَ فُلَانٍ وَصَغْرُكَ أَيْ مَيْلَكَ  
فَتُظَاهِرُ أَنْوَاءَ وَتَقُولُ صَغْرُوتُ الْيَدِ أَصْغَرُهُ صَغْرًا وَصَغِيْتُ أَصْغَى أَيْضًا 11  
إِنَّمَا مَلَّتْ إِلَى مَنْ تَحْتَكِدُ وَقَدْ أَصْغَى إِلَيْهِ رَأْسُهُ ؄ وَالصَّرِي فِي  
الْمَخْلَةِ مَقْصُورٌ يُكْتَبُ بِأَيِّهٖ إِذَا عَطَشْتَ وَصَمَرْتُ يُقَالُ قَدْ صَمِرْتِ  
الْمَخْلَةَ وَصَرِي الْمَخْلُ وَصَرِي أَيْضًا بِالتَّشْدِيدِ ؄

ومن المقصور الزائد على الثلاثة بغير صلخلخي وسلهبي إذا

مهموز غير مدود *a)* L has on marg. written by another hand

ورأيت الشمس *c)* L has on margin: اصغرا *b)* P and L write

صغواء يريد حين ملت خلال التاجر

صغواء قد ملت ولما تفعل

## فعلت وأفعلت للزجاج ( ت ٣١٠ هـ )

يعد كتاب ( فعلت وأفعلت ) للزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهل ( ت ٣١٠ هـ ) ، من أفضل الكتب التي ألفت في هذه المشكلة اللغوية التي تعكس خلط العامة بين الصيغتين . فقد انبرى عدد من اللغويين - كما أشرت - في إيضاح الفروق الدلالية بينهما وتفسير استعمال الصحيح والتنبيه إلى الاستعمال غير الصحيح ، وإزالة اللبس عن الصيغ التي تتفق أو تختلف في الاستعمال ، ويعد كتاب ابن الزجاج من الكتب المتأخرة في هذا الموضوع إلا أننا أثرنا تناوله لأمر ، أهمها تصنيفه ، إذ يعد غاية في التنظيم والتبويب ، فقد رتبته وفق حروف المعجم بادئا بالباء ومنتها بالهمزة ( الألف ) والياء فسهل بذلك استعماله والإفادة منه ، كما أنه حسن التقسيم ، إذ قسمه أربعة أبواب ، الأول باب ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى واحد ، والثاني باب ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأفعلت والمعنى مختلف ، وقد جمع بينهما إلا أنه كان يبدأ بالاتفاق في المعنى ويليه الاختلاف فيه . والثالث باب ما تكلم فيه بأفعلت ، وما اختير من أفعلت دون فعلت ، والرابع باب ما تكلم فيه بفعلت ، وما اختير فيه فعلت دون أفعلت ، أما من حيث معالجته للمادة فنجده يدخل كل فعل ( إذا ورد في صيغتين أو صيغة واحدة ) في مثال ويوضح معناه ، وإن كانت الأفعال التي ذكرها في كل باب محدودة وتذبذب في درجة الاستشهاد فنراه يكتفي بتوضيح المعنى ، ويقدم شواهد من الشعر والرجز أحيانا ، ويلجأ إلى الشواهد القرآنية بدرجة أقل من الشعر ، ويلاحظ أنه لا يعنى بنسبة الأقوال إلى أصحابها إلا نادراً ( ذكر أبا عبيدة وأبا زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهم ) . ويبدأ عبارته بقوله : ( يقال ، وتقول ) ويحرص على نسبة الشعر إلى أصحابه في أغلب الأحيان ، ونجد لديه عبارات عامة أيضاً كقوله : وقال النحويون ، ويقول أهل اللغة .

وفيما يلي نماذج من البابين الأول والثاني

## من كتاب « فعلت وأفعلت » للزجاج

## باب الميم من فعلت وأفعلت والمعنى واحد (٢)

يقال متع الله بك ، وأمتع الله بك (٤) . ومَطَرَت السماءُ وأمطرت (٥) ومع الشوبُ [١٨٤ أ] وأمح إذا أخلق ، ومع الكتابُ وأمح إذا أمحى ودرس (٦) . وماط الرجلُ عنى الأذى وأماطه إذا نحاه عنك . وملا الرجلُ في القوسِ وأملا فيها مهموزاً إذا أغرق في

وفي الصحاح : لبثته : سقيته اللبن . اللبن القوم : كثر لبثتهم . لبث البين : عمله . وفي اللسان (لبن) : لبنت القوم : سقيتهم اللبن [ ولم يرد فعل البين متعدياً ] .

(١) في ب : « إذا بلغوا اللوى » .

(٢) وردت في الهامش الأيمن عبارة : « بلغت المقابلة بالأصل » .

(٣) يبدو أن هذا الباب قد سقط سهواً من « ب » .

(٤) لم يورد ابن السكيت في ٣١٠ فعل متع بمعنى أمتع . وقال الجواليقي في ٦٨ ما قال الزجاج . وفي اللسان (متع) : متعه الله وأمتعته بكذا ، أبقاء ليستمتع به . يقال أمتع الله فلاناً بفلان إمتاعاً ، أى أبقاء ليستمتع به .

(٥) قال السجستاني في ١١٣ : مطرت السماء وأرض ممتورة ، ليس غير هذا ، وأمطرها الله . قال : ولم أسمع إلا : « أمطرت مطر السوء » ويقال : أمطرتنا أى أصابنا المطر أو دخلنا في المطر ، ويقال : أمطرها يارب . قال الله جل ثناؤه : ﴿ فأمطر علينا حجارة من السماء ﴾ . وكل شيء من العذاب في القرآن فهي من أمطر .

قال الجواليقي في ٦٨ ما قال الزجاج . وفي اللسان (مطر) : مطرتهم السماء وأمطرتهم : أصابتهم بالمطر ، وهو أقبحهما . ومطرت السماء وأمطرها الله ، وقد مطرنا . وناس يقولون : مطرت السماء وأمطرت بمعنى . وأمطرتهم الله مطراً أو عذاباً . ابن سيده : أمطرتهم الله في العذاب خاصة كقوله تعالى : ﴿ وأمطرتنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ وأمطرتنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ جعل الحجارة كالمطر لتزولها من السماء .

(٦) قال السجستاني في ٨٨ أن الأصمعي يأبى « أمح الشوب » وقال ابن سيده ، في ٢٤٩/١٤ : وقيل مع الشوب ، إذا أخلق ، ولا يقال أمح ، ولكن يقال : المسألة تمح ماء وجه الزجل ، أى تخلفه . وقال الجواليقي في ٦٨ ما قال الزجاج . وقال اللسان (مصح) : مع رامح إذا أخلق وكذلك الدار إذا عفت ، وأنشد .

وحبك ما يُعح وما يبيد

ألا يا قتل قد خلق الجديد

التَزْعُ (١). وملكْتُ العَجِينَ وأملكْتُهُ إذا أكثرْتَ ذلكهُ حتى يشتدَّ (٢). ومرَّ الشَّيءُ مرارَةً ،  
 وأمرَّ إمراراً إذا صارَ مرراً (٣). ومرأى الطعامُ وأمرأى . ومَهَرَتُ المرأةُ  
 وأمهرتُها (٤). وملحَ الماءِ وأملحَ ، صارَ ملحاً (٥). ملَّ عليه السفرُ وأملَّ إذا طال (٦) .

(١) ذكر ابن السكيت في ٣١٠ عن الفراء قوله : أملاً التَزْعُ في قوسه ، إذا شدُّ : التَزْعُ ، وقد ملأتُ  
 الإناءَ أملاً مملأً . والجواليقي في ٦٨ لم يفرق بين اللغتين ، وفي اللسان (ملا) : أملاتُ التَزْعُ  
 في القوس : إذا شدتِ التَزْعُ فيها . التهذيب : يقال أملاً فلانٌ في قوسه إذا أغرقَ في التَزْعُ ،  
 وملاً فلانٌ فروجَ فرسه إذا حمه على أشدِّ الحُضْر .

(٢) قال ابن السكيت في ٢٨٢ : قد أملكْتُ فلاناً فلانةً ، إذا زوجتَها منه . وقد ملكتُ المرأةُ إذا  
 تزوجتُها ، وملكْتُ العَجِينَ إذا شدتِ عَجَنَهُ .

(٣) قال السجستاني في ١٥٧ : أمرُ الطعامِ إذا صارَ مرراً ، وحلا واحلولى إذا صار حلواً ، ولا يقال  
 مرَّ الطعامُ ، فقلت : فقول الطرماتج : مرَّ نومي ..

فقال : الطرماتج ليس بثبت ، كانه لم يجعل لغته حجة . وقال أبو زيد : مر وأمر لغتان . وأورد  
 ثعلب في فصيحه ٢٥ في « باب أفعل » : أمرُ الشَّيءِ إذا صارَ مرراً . والجواليقي في ٦٨ واللسان  
 (مرر) قالوا باللغتين قال الشاعر :

تُمرُّ علينا الأرضُ من أن نرى بها  
 أنيساً ، ويحلونى لنا البدلُ الفقراً

(٤) قال ثعلب في ١١ من فصيحه في « باب فعلتُ بغير ألف » مهَرَتُ المرأةُ ، من المهر وهو  
 الصَّدَاق .

(٥) ابن السكيت ٢٥٥ : أملحتُ القدرَ ، إذا أكثرتِ ملحها ، وقد ملحتُها ، إذا ألقىتَ فيها ملحاً

بقدر . وقال السجستاني في ١١٥ : ملحُ الماءِ بضم اللام فهو ملحٌ ، وفي القرآن قوله جل وَعَزَّ :  
 ﴿ هَذَا عَذْبٌ فَوَاتٌ وَهَذَا مَلْحٌ أَجَاجٌ ﴾ قال الأصمعي : يقال ماءٌ مالِحٌ ، ولم يعرف أملحُ الماءِ .

قال أبو زيد وغيره لا يقال مالِحٌ إنما هو ملحٌ . وكان أبو العذار الكندي قال :

بصريَّةٌ تُزَوِّجَتُ بَصْرِيًّا  
 يُطعمُها المالحُ والطَّريًّا

ولم يعده العلماء فصيحاً . وذكر ثعلب في فصيحه ٢٣ في « باب فعلتُ وأفعلتُ باختلاف

المعنى » ملكتُ القدرَ ، إذا ألقىتَ فيها من الملح بقدر ، وأملحتُها ، بالألف ، إذا أقسدتَها

بالملح . واللسان (ملح) : الملح والمليح خلاف العذب من الماء وقد ملحَ مَلُوحَةٌ وملاحَةٌ وملحٌ

يملحُ مَلُوحاً ، بفتح اللام فيهما . عن ابن الأعرابي : فإن كان الماءُ عذباً ثم ملحَ قال : أملحُ .

وقال الجواليقي في ٦٨ ما قال الزجاج .

(٦) اللسان (ملل) : مللْتُ الشَّيءَ : برمتُ به . الجوهرى : ملكتُ الشَّيءَ وملكْتُ منه إذا ستمتته ،

وأملنتُ وأمل على : أبرمتنى .

## باب من الواو في فعلت وأفعلت والمعنى مختلف (١)

يقال وَعَيْتُ الْعِلْمَ إِذَا حَفِظْتُهُ ، وَأَوْعَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا جَعَلْتَهُ فِي الْوَعَاءِ وَوَعَدْتُ الرَّجُلَ وَعْدًا فِي الْخَيْرِ ، وَأَوْعَدْتُهُ أَبْعَادًا وَوَعِيدًا فِي الشَّرِّ ، فَإِذَا ذَكَرْتَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ قُلْتَ فِيهِمَا جَمِيعًا وَعَدْتُهُ<sup>(٥)</sup> بغير ألف . ويقال وَجِبَّتِ الشَّمْسُ إِذَا غَابَتْ وَوَجِبَ [ ٨٧ ب ] الْقَلْبُ إِذَا خَفِقَ ، وَأَوْجِبْتُ الْأَمْرَ أَنْفَذْتُهُ . ويقال وَدَيْتُ الرَّجُلَ أَعْطَيْتُ دَيْتَهُ<sup>(٦)</sup> ، وَأَوْدَى الشَّيْءُ إِذَا وَلِيَ وَهَلَكَ<sup>(٧)</sup> . ويقال<sup>(٨)</sup> وَزَعَ الرَّجُلُ الْقَوْمَ إِذَا كَفَّهْمَ ، وَأَوْزَعَهُ اللَّهُ الشُّكْرَ إِذَا أَلْهَمَهُ<sup>(٩)</sup> .

(١) في الأصل وردت كلمة «صح» تحت هذا الفعل .

(٢) في الأصل وردت كلمة «نقصته» فوق هذا الفعل .

(٣) في ب : لم ترد العبارة من «ودنت» . وأيفع .

ابن السكيت ٢٠٥ : ويقال قد أيفع الغلام فهو يافع . واللسان (يفع) قيل : كل مرتفع يافع وقال أبو زيد : سمعت يَفَعَةً وَرَفَعَةً ، بالياء والواو ، وقد أيفع أي ارتفع ، وهو يافع على غير قياس ، ولا يقال موفع .

(٤) في ب : «باب الواو من فعلت وأفعلت والمعنى مختلف» .

(٥) في ب : لم ترد كلمة «وعدته» .

اللسان ( وعد ) الوعد والوعيد : التهدد . قال الجوهري : الوعد يستعمل في الخير والشر . وقال ابن سيده : وفي الخير الوعد والعدة وفي الشر الإبعاد والوعيد . وقال الأزهرى : كلام العرب وعدت الرجل خيراً ، ووعدته شراً ، وأوعدته خيراً وأوعدته شراً ، فإذا لم يذكروا الخير قالوا : وعدته ، ولم يدخلوا ألفاً ، وإذا لم يذكروا الشر قالوا : أوعدته ، ولم يسقطوا الألف ، وأنشد لعامر بن الطفيل :

لأخلف إيعادى ، وأنجز موعدى

وأتى ، وإن أوعدته أو وعدته

وإن أدخلوا الباء لم يكن إلا في الشر .

(٦) في ب : «أعطيه دية» :

(٧) قال أبو ذؤيب الهذلي :

بعند الرقاد وعبرة لا تُلْقَع

أودى بنسى وأعقبرنى حسة

(٩) في ب : «أي ألهمه» .

(٨) في ب : لم ترد «ويقال» .

## بابُ الخاءِ

يقال (٣) أخرف القوم دخلوا في الخريف وأخيفوا إذا (٤) نزلوا خيف الجبل ، وهو ما ارتفع عن أسفله (٥) . وأحل القوم فهم (٦) مُخلون إذا رعت إبلهم الخلة ، وهي (٧) ما فيه حلاوة من المرعى . وأخسف الرجل إذا حفر فانكسر جبل (٨) البئر ، والبئر الخسيف التي (٩) لا يكاد ينقطع ماؤها وهي يسميها (١٠) الناس المنقوبة .

وفي اللسان (حذا) حذاني نعلأ وأحذاني : أعطانيها ، وكره بعضهم أحذاني . وقال

الأصمعي : حذاني فلان نعلأ ، ولا يقال أحذاني ، وأنشد للهدلي [أبي خراش] :

حذاني بعدما خذمت نعالى ديبه ، إنه نعم الخليل

ولكن الجوهرى قال : استحذيته فأحذاني .

(١) كلمة «أعته» لم ترد في الأصل ، وإنما في ب ، وهي أجود .

(٢) كلمة «إذا» لم ترد في ب .

اللسان (حوب) الحوب ، والحوب ، والحاب : الإثم ، وقد حاب حوباً وحية . قال الزجاج :

الحوب : الإثم ، والحوب : فعل الرجل ، تقول : حاب حوباً ، كقولك قد خان حوناً .

قال المخبل :

فلا يدخلن الدهر فبرك حوية يقوم بها يوماً عليك حسيب

[ولم يرد أحوب]

(٣) في ب : لم ترد «يقال» .

(٤) في ب : لم ترد «إذا» .

(٥) قال قيس بن ذريح :

عفا سرف من أهله من أهله قرأوع

قوادى قديد فالتلاع الدوافع

فنفقة فالأخفاف أخفاف ظلية

بها من لبيتي مخرف ومرابع

(٦) في ب : «وهم» .

(٧) في ب : «وهو» .

(٨) في ب : «حبل» وهو تصحيف .

(٩) في ب : «الذى» .

(١٠) في ب : «تسميها» .

## بابُ الرَّاءِ

يقال رَعَفَ الرجلُ من الرَّعافِ . ورَعِبَتُ الرَّجُلُ أرْعَبُهُ إذا مَلَأَتْهُ فَرْقًا (٢) . ورَزَأَتْهُ [١٩٦] أرْزَأَهُ رَزَأٌ إذا (٣) أصبَتْ مِنْهُ خَيْرًا . ورَبَاتُ أربَاهِمُ إذا كُنْتَ لَهُمْ طليعةً . ورفَاتُ السفينةِ رَفَاً إذا (٤) قَرَّبَتْهَا مِنَ الشَّطِّ . ورَمَاتُ الأَبْلِ إذا أقَامَتْ فِي المَكَانِ (٥) ورفَاتُ العَيْنِ إذا ذهبَ (٦) دمعُهَا . ورأبَتُ الشَّيْءَ إذا أصْلَحَتْهُ (٧) . ورأفَتُ بِالرَّجْلِ (٨) أرأفُ بِهِ إذا رَحِمْتَهُ . ورأسُ الرَّجُلِ القَوْمِ صَارَ رَئِيسَهُمْ .

(١) في ب : « الدوى » ، « يذبرها » .

البيت لأبي نؤيب في ديوان الهذليين ٦٤ / ١ : « يزبرها » ، وفي رواية « كخط الدواة » .

(٢) في ب : لم ترد « إذا ملأته فرقاً » .

اللسان (رعب) : رَعِبُهُ يَرْعِبُهُ رُعْبًا ورَزْعُبًا ، فهو مرعوب ورعيب : افزعُهُ ، ولا تقل أرْعَبُهُ ورَعِبُهُ ترعيباً وترعاباً .

(٣) في ب : « أى » بدلاً من « إذا » .

(٤) في ب : لم ترد « إذا » وفي اللسان (رفأ) : رَفَأَ السفينةَ يَرْفُؤُهَا رَفَاً : أدناها من الشَّطِّ . وأرفأتها

إذا قَرَّبَتْهَا إلى الجِدِّ مِنَ الأَرْضِ . وفي الصحاح : أرفأتها إرفاءً : قَرَّبَتْهَا مِنَ الشَّطِّ وَهُوَ المَرْفَأُ .

(٥) في ب : « بالمكان » .

اللسان (رماً) رَمَاتُ الإِبْلِ بِالْمَكَانِ قَرَمًا رَمًا ورموءاً : أقامت فيه . وخص بعضهم به إقامتها في العشب .

(٦) في ب : « جف » .

(٧) قال الفرزدق :

ورأبُ النَّسْأَى ، والجانبُ المُتَخَوِّفُ

وإني من قوم بهم يتقى العدا

(٨) في ب : « الرجل » .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٣)

## كتب الموضوعات

- مقدمة

- كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد

- الألفاظ الكتابية للمهزاني

- كتاب المخصص لابن سيده

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٣)

## كتب الموضوعات

### مقدمة

وضع أصحاب الرسائل اللغوية الصغيرة أسس تأليف كتب الموضوعات، التي اعتمد عليهم من جاءوا بعدهم وألقوا في الموضوعات السابقة، فاستوعبت كتبهم مادة الأوائل، ولكنهم أضافوا إليها، وتوسعوا في الشرح والتفسير واستطردوا في ذكر الشواهد، وأهم من ذلك كله أعادوا ترتيب المواد وتنظيمها وتنسيقها، ووصلوا بذلك كله إلى قمة التأليف في هذا اللون من ألوان التأليف. ويطلق بعض الباحثين عليها مصطلحات أخرى على اعتبار أنها لا تعنى بجمع الألفاظ التي تدور حول موضوع واحد فحسب، بل إنها صنفت على أساس دوران مجموعة الألفاظ حول معنى بعينه في بعض الأبواب، ومن ثم يطلقون عليها «معاجم المعاني»، كما أن عناية بعض اللغويين بتقديم أكثر من معنى للفظ المفرد أحياناً سوغ لهم أن يطلقوا عليها «معاجم المترادفات». ويمكن رد تلك التسمية بسهولة، إذ إنها تسمية جزئية، فإذا كان مؤلفوها يجمعون في أبواب معينة ألفاظاً متحدة المعنى، ففي أبواب أخرى ترد ألفاظ بينها اختلاف في المعنى، كما أن مفهوم الموضوع هو محور التقسيم فلم يكن هدفهم جمع المفردات المتفقة المعنى والمختلفة اللفظ فحسب، وإن قام بعضهم بذلك في كتب مستقلة، وإنما ضموا الألفاظ التي تتصل بموضوع بعينه تحت باب بعينه، ثم جمعوا هذه الأبواب وهذه الموضوعات تحت عنوان محدد، ولذلك نجد أبواب الرسائل الصغيرة متكررة هنا، فباب لخلق الإنسان وباب للخيل وباب للإبل وباب للنبات وباب للصفات... الخ.

ولذلك يمكن أن تعد المرحلة التالية للرسائل، فهي امتداد لها من جهات عدة؛ منها

أنها ضمت أكثر من موضوع جزئى تحت باب واحد ، وقد سوغ هذا الاتساع الكمى للمادة اللغوية لبعض الباحثين أن يطلق عليها مصطلح « المعاجم الموضوعية » ؛ فقد ارتقى أصحابها بمسألة تنظيم ألفاظ اللغة الموزعة وفق الموضوعات . وأرى فى ذلك تجاوزا ، إذ إنها لم تصل - على الرغم مما قلنا - فى مسألة التنظيم إلى معيار دقيق ، فلم تتجاوز عملية الجمع الكمى إلى مراعاة الترتيب وفق الحروف أو وفق الأصول أو وفق صورة الكلمة أو غير ذلك من معايير البناء المعجمى ، غير أنها تمثل بلا شك إرهاصات لظهور المعجم العربى بصفة عامة ، فالعين الذى ألف فى تلك الفترة التى ألفت فيها الرسائل وكتب الموضوعات - وإن كان متفردا فى بابها لأسباب عدة - قد اعتمد فى ثنايا معجمه على مرويات تلامذته من أصحاب الرسائل .

ولا خلاف فى أن منهج معالجة الظواهر اللغوية فيها قد أثر فى المعاجم بشكل عام . وهذا أمر يختلف عن إثارة طريقة التصنيف الموضوعى ؛ وهى طريقة اختلف الباحثون فى تحليلها ، فمنهم من رأى أن هدفها تقريب الألفاظ لمن أراد حصيلة لغوية تعينه على الكتابة العربية الفصيحة ، ومنهم رجح أن تكون علة اختيارها أنها النهج أو الوسيلة المناسبة التى تساعدهم على حفظ ما يتلقونه عن الأعراب الفصحاء حتى لا يضيع ، ثم تصنيفه وتقسيمه بما يؤدى إلى الإفادة منه . ومن ثم يلجأ إليها الباحث حين يستعصى عليه لفظ ما لمعنى ما موجود فى ذهنه .

أما من جهة الشرح والتفسير فقد حرصوا على التوسع فى إيراد الدلالات المختلفة للكلمات وبيان الفروق الدقيقة بين مفردات تنتمى إلى حقل دلالى واحد ، واستعانوا على ذلك بالشواهد والتمثيل والعبارات الافتراضية لإدراكهم قيمة السياقات فى إيضاح المعانى ، وكانت الشواهد - فى الأغلب - من الشعر القديم والقرآن الكريم والأمثال والأقوال والحكم ، كما أنهم حرصوا وبخاصة لدى المتأخرين على إيراد الآراء المختلفة ، وتعليل بعض الظواهر مستندين إلى الشواهد واللهجات القديمة الفصيحة والاستعمالات العربية السليمة ، وتفاوتت أبواب الموضوعات كما وكيفا ، إذ إن فريقا قد حرص على الإحاطة بكل ما ورد فى الموضوع ، ومال فريق آخر إلى الإيجاز والاختصار . ومن المنطقي أن يبالغ الفريق الأول فى التفسير والاستشهاد والتعليل ، ويعزف الثانى عن كل ما سبق ، فلا يورد إلا ما يستوجب ذكره . وكان الأخير نهج أصحاب كتب التثقيف اللغوى الصغيرة التى استهدف تقديم المادة اللغوية التى يحتاج إليها الكتاب والمشتغلين بصناعة الكتابة .

مسألة أخيرة وهي بروز اهتمام أصحاب كتب الموضوعات بظواهر لفظية انفراد فريقد آخر بالتوسع فيها ومعالجتها فى كتب منفصلة ، وأهم هذه الظواهر الأضداد - التى نخصها بحديث مستقل فيما يلى - والترادف والمشارك اللفظى والمعرب والدخيل والمولد وغير ذلك . ورددوا ما طرأ على دلالات المفردات من تغير سواء بتضيق المعنى أو توسيعه أو انتقاله ، كما أنهم قد عنوا ببيان قياس العرب ، وكيف يشتق بعض الكلام من بعض وكيف يمزج بين الأصوات أو الكلمات وكيف تمتاز الاستعمالات بعضها عن بعض وفق السياقات والمقامات ، على نحو أثرى التراث اللغوى فصار للباحثين معيناً لا ينضب .

## الغريب المصنف

## لأبي عبيد القاسم بن سلام ( ت ٢٢٤ هـ )

تشير كتب الطبقات والتراجم إلى عدة كتب في الموضوعات تحمل العنوان ذاته ،  
الذي اختاره أبو عبيد لمؤلفه ، كالغريب المصنف للقاسم بن معن الكوفي ( ت ١٧٥ هـ )  
والغريب المصنف لأبي عمرو الشيباني ( ت ٢٠٦ هـ ) والغريب المصنف لقطرب ( ت  
٢٠٦ هـ ) ، كما تشير إلى مؤلفات أخرى اتخذت عنواناً آخر ، وإن سارت على النهج  
ذاته ، الذي اتبعه أبو عبيد ، ويرجع عدد من الباحثين تأثره به ، مثل كتاب الصفات  
للنضر بن شميل ( ٢٠٣ هـ ) ، والصفات للأصمعي ( ٢١٦ هـ ) والصفات لأبي زيد  
الأنصاري ( ٢١٤ هـ ) .

أما أن يكون قد أخذه من كتاب الصفات للنضر بن شميل فيرجع هذا الرأي إلى  
أصحاب كتب الطبقات والتراجم نقلاً عن عبارة ابن النديم في الفهرست ( ص ٨٣ ) ،  
إذ يقول : كتاب الصفات وهو كتاب كبير ويحتوي على عدة كتب ، ومنه أخذ أبو عبيد  
القاسم بن سلام كتابه « غريب المصنف » . ولا أدري لماذا فسرت عبارة ( ومنه أخذ )  
على أنه نقل كتاب النضر بالكامل . كما أن ضياع كتاب النضر لا يمكن من الوصول إلى  
نتيجة حاسمة في هذه المسألة . وعلى الرغم من ذلك فقد رد د . حسين نصار هذا  
الرأي فقال ( ص ١٦٦ ) : وليس من العدل أن نقول مع ابن النديم إنه أخذ كتابه من  
النضر بن شميل أو مع أبي الطيب اللغوي ، إنه اعتمد فيه على رجل من بني هاشم ،  
فالرجال الذين اعتمد عليهم قد صرح بأسمائهم ولم يحاول أن يخفى ذلك ، وكان  
يعتبر ذلك شكراً للعلم . ولا مانع عندنا أن يكون نظام الغريب مشابهاً لنظام كتاب  
النضر » . وبالرغم من ذلك فإن فهرس ما يضمه من كتب ( سأقدم فيما بعد بياناً للكتب  
التي ينقسم إليها الغريب المصنف ) يبين بوضوح مدى الإضافات والموضوعات الجديدة  
التي ضمها الغريب المصنف ولم تكن في صفات النضر ( كتاب النضر يضم خمسة  
أجزاء أوردها ابن النديم ص ٨٣ ) .

وعلى الرغم من وجهة الرد وإصابة التفنيد فإن عبارة الأخذ ما تزال مبهمة ، وأرى

أنها تبعد عن أن تنصب على المادة ؛ فلم يقصد بها أنه قد نقل عنه مادة الكتاب ، إذ إنه لو كان ذلك مقصده فلا قيمة لها لأن أبا عبيد كغيره كان يأخذ مما سبقه أو عاصره ، ولم يكن يتحرج من ذكر أسمائهم فتجد الأصمعي وأبا زيد الأنصاري وأبا عبيدة وأبا عمرو الشيباني وغيرهم ، وإن كان هذا النهج ذاته قد قوبل بنقد عنيف ، وحصر جهده في الجمع والتصنيف والتبويب إذ اعتمد تأليفه على أسلوب الرواية ، فجمع مرويات هؤلاء السابقين كما أخذ رسائلهم اللغوية ، وأعاد تنظيم وتبويب ما أخذه في أبواب تدور حول الموضوعات . وعبارة د . حسين نصار واضحة أيضاً في اعتماده هذا الأسلوب حين قال ( ص ١٦٦ ) : اعتمد المؤلف غالباً على الكتب المؤلفة قبله في الموضوعات المفردة ، وخاصة كتب الأصمعي وأبي زيد وأبي عبيدة والكسائي وغيرهم ، وأدخلها برمتها في كتبه وأبوابه ، وأتبع ترتيبه في بعض الأحيان ، والتزم أن ينسب كل قول إلى صاحبه ، وأن ينسب على المواضع التي اتفق فيها اللغويون التزام التنبيه على مواضع الخلاف .

وأظن أن عبارة : « وأدخلها برمتها » توضح « كم المنقول » وضوحاً تاماً ، بيد أنها تكشف أيضاً عن النهج الذي اتبعه أبو عبيد ، إذ لم يعرف عنه أنه كان ينقل من الكتب ، بل كان يعتمد على الرواية الشفوية ، ويؤكد د . رمضان عبد التواب في مقدمة تحقيقه للغريب المصنف أمانة أبي عبيد العلمية ، فهو ينسب كل قول أخذه إلى صاحبه ( وهو لم يذكر النضر بن شميل مرة واحدة في كتابه ، ولو كان قد أخذ منه شيئاً لصرح بذلك اسمه بلا شك ) ( ص ١٢٦ ) ، ويتتهى من مقارنة للنصوص التي نقلها الأزهرى في تهذيب اللغة عن كتاب النضر بما في الغريب إلى اختلافها اختلافاً كبيراً . ولكن هذا كله يرجع إلى فهم الأخذ من جهة المادة . أما إذا فهم على أنه يتعلق بالمنهج فالأمر مختلف ، إذ يظل فرض أنه احتذى كتاب النضر فرضاً قائماً حتى يكون للعثور على هذا الكتاب المفقود الكلمة الأخيرة ، ويتأكد ذلك من قول د . رمضان ( ص ١٢٧ ) : حقاً يمكن أن يقال إن أبا عبيدة قد قلد النضر في تأليف كتاب مثل كتابه ، قد روى عن ابن درستويه أنه قال : وقد سبق أبو عبيد إلى جميع مصنفاته ، فمن ذلك - الغريب المصنف - وهو من أجل كتبه في اللغة - فإنه احتذى فيه كتاب النضر بن شميل المازني ، الذي يسميه كتاب الصفات . ويعلق د . رمضان على ذلك بأنه لا مانع عندنا من ذلك ، إذ إن النضر قد سبق أبا عبيد في التأليف في مثل موضوع كتابه .

أما منهجه في الكتاب فيلاحظ ابتداء أنه قد جرى على نهج واحد مطرد لم يخرج عنه ، إذ يذكر الكلمة مسبوقة في الغالب الأعم باسم أحد الرواة ، ثم يورد تفسيرها وأحياناً يكتبها بذكرها دون أن يفسرها . ويقل أن يبين ضبط نطقها . ويذكر أحياناً جمعها أو مفردا أو بعض مشتقاتها ، كما يستشهد عليها أحياناً بالشعر وهو الأغلب ، أو القرآن أو الحديث أو الأمثال ، كما يبين أحياناً إذا ما كانت تلك الكلمة لهجة من لهجات العرب أو كلمة معربة أو عامية مثلاً ( وإن كان ذلك في مواضع قليلة ) . ثم إذا اتفق مع الراوي السابق غيره ، ذكر اسم الراوي الثاني بعد ذلك في عبارة كالآتية : « وقال فلان مثله » . هذا هو الغالب ، ويقل جداً أن يجمع بين راويين أو ثلاثة في عبارة مثل : « قال فلان وفلان وفلان » . .

كما أنه لم يقدم أبو عبيد لكتابه بمقدمة تبين منهجه ، والمصادر التي استخدمها في كتابه ( أوردها د . رمضان في مقدمة التحقيق ص ٦٧ - ١٢١ ) ، شأنه في ذلك شأن الكتب المؤلفة في هذه العصور القديمة .

أما الطريقة المؤلف في عرض مادة الكتاب فإنه يقسم « الغريب المصنف » على خمسة وعشرين كتاباً يحتوي كل كتاب منها على عدة أبواب . ويحتوي الكتاب كله على حوالي ٩٠٠ باب ، تختلف طولاً وقصراً وقد استغرق أطولها سبع صفحات وأقصرها نصف سطر . وفيما يلي بيان التي ينقسم عليها :

- |                      |                      |
|----------------------|----------------------|
| ١ - خلق الإنسان      | ٢ - النساء           |
| ٣ - اللباس           | ٤ - الأطعمة          |
| ٥ - الأمراض          | ٦ - الدور والأرضين   |
| ٧ - الخيل            | ٨ - السلاح           |
| ٩ - الطيور والهوام   | ١٠ - الأواني والقدور |
| ١١ - الجبال          | ١٢ - الشجر والنبات   |
| ١٣ - المياه والقنى   | ١٤ - النخل           |
| ١٥ - السحاب والأمطار | ١٦ - الأزمنة والرياح |
| ١٧ - أمثلة الأسماء   | ١٨ - أمثلة الأفعال   |

١٩- الأضداد ٢٠- الأسماء المختلفة للشئ الواحد

٢١- الإبل ٢٢- الغنم

٢٣- الوحوش ٢٤- السباع

٢٥- الأجناس

وقد تأثرت بعض المعاجم التي آلفت بعده بمادته وطريقة ترتيبه معاً ، كما تأثر بعضها الآخر بمادته فقط دون طريقة الترتيب ، فقد أثر في كتب الموضوعات ( سيتضح ذلك في عرضنا للمخصص لابن سيده ) ، وكتب اللغة والمعاجم الضخمة كجمهرة اللغة وتهذيب اللغة ومقاييس اللغة والصحاح وأساس البلاغة وغيرها .

ومن فضل القول أن نشير أيضاً إلى أن لكتاب ( الغريب المصنف ) شروحاً وزيادات ، ومختصرات وتعليقات أوردتها محقق الكتاب ص ٥٠ و ٥١ . وبعد أن قدمنا لمادة الكتاب ومنهجه نتوقف قليلاً عند النقد العنيف الذي وجه إلى الكتب ورد المؤلف ؛ نبدأ أولاً بتقويم العلماء لمادة الكتاب فقد ذهب بعضهم إلى أن في الكتاب ألفاظاً كثيرة دون شرح أو تفسير أو استشهاد عليها أو تعليل للظواهر الخاصة بالألفاظ ، كما أنه قد نبه على بن حمزة البصرى على بعض الأخطاء الخاصة بالرواية والتصحيح وشرح الألفاظ ، ووضع ذلك في كتابه : التنبيهات على أغاليط الرواة تحت عنوان : التنبيه على ما في الغريب المصنف من الأغلاط . والحق أن الرجل لم ينكر ذلك ، وهو الذي ظل أربعين سنة في تصنيف هذا الكتاب يتلقف ما فيه من أفواه الرجال ، إذ يروى عنه أنه قال حين قيل له : إنك صحفت في المصنف نيفا وعشرين حرفاً ، فقال : ما هذا بكثير ! في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة ، يغلط فيها بهذا ليسير ، ولعلى لو ناظرت فيها لا حتججت عنها .

فالرجل صادق إذن لا يتكبر ولا يتعالى على أن يوصم عمله بأية شائبة ، كما أن تلك الأمثلة التي قدمها على بن حمزة على عدم ضبطه ما سمع ، وليس الكذب ، والتصحيح ، وبضع أخطاء نحوية وصرفية وتفسيرات لمعاني بعض المفردات ، قد أصاب في بعضها ، لم تقلل من قدر العمل ولا الرجل ذاته . ومن ثم لا يمكن أن نوافق من تشكك في قدرة أبي عبيد وأساتذته ، وذهب هنا مذهبا مغاليا .

فما قيمة تلك العبارات غير الموضوعية التي تنم عن حقد أو كراهية أو بغض

شخصى أو حسدا لما وصل إليه الرجل من مكانة ولما حصلت كتبه من شهرة واسعة؟! ماذا يحدث مثلاً لو صدقنا ما قيل عن الأصمعى ، ما حيك عنه من حكايات فيها عبارات لا يدركون أثرها ، كأن يقال عنه : هو جالس يكذب على العرب ؟ كيف يكون ذلك وهو من أهم رواة اللغة ، الذين اعتمد عليهم التأليف اللغوى بكافة صورة ، نقلًا للمواد وشرحاً للمفردات ، وماذا يكون الأمر مع هذه المواد وتلك الشروح التى نقلت عنه ، وهى تمثل جزءاً يصعب حصره فى التراث اللغوى ؟!! لذا تخرج المادة اللغوية عن تلك الدائرة ، فلا يرقى إليها شك فى صحتها وقيمتها .

أما المنهج فيشير تساؤلات كثيرة ، وبخاصة أن أبا عبيد لم يقدم لكتابه ، كما هى عادة أغلب المؤلفين فى ذلك الزمان ، بمقدمة يكشف فيها عن الدافع الذى يكمن وراء اتباعه المنهج الموضوعى فى جمع الألفاظ . ربما لم يجد جامعو اللغة الأوائل منهجاً يناسب طبيعة ما جمعوه من ألفاظ سوى هذا المنهج . والحق أنه قد استوفى الغرض من الجمع الموضوعى لألفاظ اللغة ، واعتمدت عليه أغلب معاجم اللغة فى تحصيل ألفاظها وموضوعاتها .

ولا يخفى أن الرجل قد اعتمد أسلوب الرواية ، نهجاً فى كل كتابة ، وهو أسلوب يميز المؤلفات اللغوية العربية الأولى . فلا ثقة فى المادة المنقولة بلا رواية ، يروى اللاحق عن السابق ، ويصرح بالأخذ عنه ( وهو ما عرف فيما بعد بالإجازة ) ، غير أنه لم يحسن - كما يرى الباحثون - مثله مثل مؤلفى تلك الفترة ، استغلال مادة الرسائل اللغوية التى نقل عنها ؛ فقد اعتمد على مرويات أساتذته ، وحشدها فى كتابه دون إضافة فى الشرح والتفصيل والتعليل إلا قليلاً . ولا أرى قدحاً فيه حين وصف عمله بأنه « تصنيف للمجموع اللغوى على أساس وصفى تقريرى لا يهتم بالجدل أو التعليل قدر اهتمامه بالوصف والتقرير » ، كما أنى لا أرى عيباً فى إيراد حكايات وأخبار تنسب إلى بعض الأشخاص من أجل شرح معنى كلمة ، إذ إنه بغض النظر عن حرصهم الشديد على تقديم المادة اللغوية على نحو ما سمعوها وأخذوها عن المصدر الذى حدد بدقة زمانا ومكانا دون تغيير أو حذف أو تهذيب إلا فى أحول القليلة ، فإن اهتمامه الزائد بكثرة الشواهد والعبارات التى وردت على السنة الأعراب الفصحاء قد وفر لنا مادة كافية لمعرفة السياقات التى استخدمت فيها المفردات ؛ فهى إذن ذات أهمية بالغة للوصول إلى الدلالات المختلفة للمفردات والفروق بينها بدقة ووضوح ، إذ إن

تلك السياقات لم تكن من اختراع أو وضع المؤلفين أنفسهم ، بل ترجع إلى هؤلاء الأعراب الفصحاء ، أصحاب اللغة السليمة .

وقد طمح بعض الباحثين ، وهم على حق في ذلك ، إلى تدخل أبي عبيد في مادة بعض الظواهر الخاصة بالألفاظ مثل الأضداد والمشارك والترادف ؛ فهو لم يشغل نفسه ، كغيره من علماء اللغة ممن كتبوا فيها أيضاً ، بتعليلها أو البحث عن أسبابها أو الدخول في جدل حولها ، ولم يزد عمله عن تقرير ما ورد فيها ، وردها إلى الاستعمال العربى للكلمات فى النصوص ، ويقصد بالاستعمال هنا سنن العرب فى كلامها واختلاف لهجات القبائل الفصيحة . ولا شك أنه لو عنى أبو عبيد وغيره من اللغويين بإيجاد تفسيرات لهذه الظاهرة ، وقد كانوا الأقرب إلى اللغة النقية والاستعمالات الفصيحة ، وكان حسهم اللغوى أعمق بكثير من حس من جاء بعدهم لأزالوا كثيراً من الغموض الذى يلف هذه الظاهرة ، بله وغيرها ، على الرغم من محاولات الباحثين وجهودهم التى لا تتوقف لإيجاد أو للوصول إلى علل أو تفسيرات مقبولة لها .

كلمة أخيرة حول تنمية أبى عبيد كتابه « الغريب المصنف » ، فقد أثار مفهوم الغريب جدلاً كثيراً ، لا يتسع المقام له ، إذ إنه سيفرد له حديث نقدى مسهب فيما بعد . لكن ما يعيننا هنا هو المفهوم الذى قصده أبو عبيد . فربما عنى بذلك اللفظ ذلك المعنى الصعب ، لأنه غريب عن الأفهام ، إذ لا يستعمل فى اللغة العادية . ولما كان همه ، كغيره من جامعى اللغة المتقدمين ، جمع الألفاظ الفصيحة ، وتدوينها نقلاً عن أهل الفصاحة ، تنقية للغة وطلباً للفصاحة فى الاستعمال اللغوى ، فتلمس تلك الألفاظ التى تحتاج ، فى نظرهم ، إلى توضيح وتفسير ، إذ لا يستطيع الرجل العادى معرفة معناها أو استنتاجه من سياق الكلام بمفرده . ومع ذلك فالناظر فى غريبه يرى أنه لم يقتصر على ذلك ، بل ضم إليها كثيراً من الألفاظ الواضحة السهلة .

**وفيما يلى نموذج من كتاب « الغريب المصنف »**

## من كتاب « الغريب المصنف » لأبي عبيد

### باب الألسنة والكلام (١)

قال أبو زيد : الحَذَاقِيُّ : الفصيح اللسان ، اليِّنُّ اللهجة . والفَتِيحُ اللسان مثله (٢) .  
والمسَلَّاقُ : البليغ . والذَّلِيقُ مثله (٣) .

غيره (٤) : المسَلَّاقُ (٥) : الخطيب البليغ (٦) . والمصتَقُ مثله . والمِدْرَةُ : لسان القوم ،  
والتكلم (٧) عنهم .

وقال الأصمعي : الحليف اللسان : الحديد (٨) اللسان ، والهذَرُ ، والمُسَهَّبُ ،  
والمسَهكُ ، والمِهتُ (٩) جميعاً (١٠) : الكثير الكلام . فإذا كثر كلامه من خَرَفَ ، فهو :  
المُقنَدُ .

وقال أبو زيد : والإذراعُ : كثرة الكلام والإفراط فيه . وقد أذرعَ الرجلُ : إذا أفرط  
في الكلام (١١) . واللَّخِيُّ : بكثرة الكلام في الباطل ؛ يقال منه رجل اللخى ، وامرأة  
لخواءُ ، وقد لَخِيَ لَخِيٌّ - مقصور .

(١) سقطت كلمة : « باب » من ض .

(٢) م : « مثل الحذاقي » .

(٣) عبارة : « والمسلاق : البليغ . والذليق مثله » سقطت من ت . وفي م : « والذليق » .

(٤) كلمة : « غيره » زيادة من ف ض .

(٥) ت م : « والمسلاق » بالواو .

(٦) كلمة : « البليغ » ليست في م .

(٧) ت : « المتكلم » بدون الواو .

(٨) عبارة : « اللسان الحديد » ليست في ت . وفي ك : « والحديد » .

(٩) عبارة : « والمسهب » ، والمهت « من ت .

(١٠) كلمة : « جميعاً » ليست في م .

(١١) عبارة : « إذا أفرط في الكلام » زيادة من م .

وقال أبو عمرو : الهَوْبُ : الرجل الكثير الكلام ، وجمعه : أهواب ، والتَّبْكُلُ : المختلط في كلامه<sup>(١)</sup> ، وهو التَّبْكُلُ .

وقال الأصمعي : الهِترُ : السَّقَطُ من الكلام ، والخطأ فيه ؛ يقال منه<sup>(٢)</sup> : رجل مُهْتَرٌ .

وقال الفراء : الفُقْفَاق مثله . واللُّقَاعَة ، والتَّلْقَاعَة : الكثير الكلام . والمُقَامِقُ : الذي يتكلم بأقصى حلقه ؛ يقال : فيه مَقْمَقَةٌ ولُقَاعَاتٌ<sup>(٣)</sup> .

وقال الأصمعي : يقال<sup>(٤)</sup> : في لسانه حُكَلَةٌ : أي عُجْمَةٌ .

غيره<sup>(٥)</sup> رتج في منطقهِ يَرْتَجُ<sup>(٦)</sup> رَتَجًا ، وأرتج عليه : إذا استغلق عليه الكلام . وأصله<sup>(٧)</sup> مَأخوذ<sup>(٨)</sup> من الرتاج ، وهو الباب [٢٤] ؛ تقول أرتجت الباب : إذا<sup>(٩)</sup> أغلقتَه .

وقال أبو زيد : الألفُ : العَيْءُ ، وقد لَفِفْتُ لَفْفًا .

وقال الأصمعي : هو الثقيل اللسان .

وقال أبو زيد : الفهُّ العَيْءُ الكليل اللسان ؛ يقال : جئت لحاجة ، فأقهنني عنها فلان ، حتى قهننتُ ، أي تشاكها .

(١) م : « والتبكل في كلامه ، وقالوا : المختلط » ا

(٢) م : « وهو » بدلًا من : « يقال منه » .

(٣) بعده في م : « غيره : اللخلخاني الذي فيه عجمه . يقال : فيه الخلخانية » . وهو موجود في باقي النسخ في آخر الباب .

(٤) كلمة : « يقال » ليست في ت م .

(٥) م : « ويقال » بدلًا من : « غيره » .

(٦) كلمة : « يرتج » زيادة من ض .

(٧) م : « وهو » .

(٨) كلمة : « مأخوذ » سقطت من ك .

(٩) كلمة : « إذا » سقطت من ف ك . ومكانها في ض : « أي » . وفي م : « وهو الباب وارتمتته : أغلقتَه » .

وقال الفراء : المَنْقَحُ (١) للكلام ، الذي يُفْتَشُه ، ويُحْسِنُ النظر فيه . وقد نَقَّحَتْ الكلام .

وقال أبو زيد : يقال (٢) : أهْدِرْ في منطقه إهْذَاراً : إذا أكثر .

غيره : النَّقْلُ : المُنَاقَلَةُ في المنطق (٣) . قال لييد :

ولقد يَعْلَمُ صَحْبِي كُلُّهُمْ بَعْدَ أَنْ السَّيْفِ صَبَّرِي وَنَقَّلَ (٤) .

ويقال منه (٥) : رجل نَقَلَ ؛ وهو : الحاضر المنطق (٦) والجواب . والهراء : المنطق الفاسد . ويقال : الكثير . وقال ذو الرمة :

لَهَا بَشْرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَحِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هُرَاءُ وَلَا نَزْرٌ (٧)

وَالْحَطَّلُ مِثْلَهُ . وَالْمُفْحَمُ : الذي لا ينطق . والتغمغم : الكلام (٨) الذي

(١) ك : « المنقح » تصحيف .

(٢) كلمة : « يقال » من ت .

(٣) بعده في م : « يقال : رجل نقل وهو الحاضر الجواب » . وذلك موجود في سائر النسخ بعد بيت لييد .

(٤) البيت في ديوانه في ٤٢/٢٦ ص ١٨٦ ومادة ( سيف ) من اللسان ١٦٧/٨ والتاج ١٤٩/٦ ومادة ( نقل ) من الصحاح ١٨٣٤/٥ واللسان ٦٧٦/١١ والتاج ١٤٤/٨ ومادة ( عدن ) من الصحاح ٢١٦٢/٦ واللسان ٢٨٠/١٣ والتاج ٢٧٥/٩ وهو في الأساس ٤٧٤/٢ وجمهرة ابن دريد ١٦٣/٣ ومعجم البلدان ( عدن ) ١٢٦/٦ وتهذيب اللغة ١٥٣/٩ والمجمل ٤٥٤/٣ والمخصص ١٢٩/٢ وإصلاح المنطق ٥١ بلا نسبة في الآخرين .

(٥) كلمة : « منه » زيادة من ف ك .

(٦) كلمة : « المنطق » ليست في م .

(٧) البيت في ديوانه ق ٢٢/٢٩ ص ٢١٢ وفيه : « دقيق الحواشي » . ومادة ( هراء ) من الصحاح ٨٣/١ واللسان ١٨١/١ والتاج ١٣٨/١ وتهذيب اللغة ٤٠٢/٦ والأساس ٥٤١/٢ ويروي بلا نسبة في المقاييس ٤٩/٦ وجمهرة ابن دريد ٢٩١/٣ والمخصص ١٢٦/٢ والبيان للجاحظ ٢٧٦/١ وفي الأخير : « رقيق الحواشي » . ويوجد البيت كذلك في مادة ( نزر ) من اللسان ٢٠٣/٥ والتاج ٥٦٣/٣ وهو في أمالي القالي ١٥٦/١ وسمط اللاكلى ١٠٢٥٥/١٤٠٨/١ .

والهمز لأبي زيد ٩٠٨ .

(٨) ك : « من الكلام » .

لايين (١) :

وقال أبو عمرو : الموارعة : المناطق . ومنه قول حسان :

نشدتُ بني النجار أفعالَ والدي إذا العانِ لم يوجد له من يوارعه (٢)

يريد : يناطقه (٣) .

غيره : اللخلخاتي (٤) : الذي فيه عجمه ؛ يقال : فيه لخلخانية (٥) :

---

(١) عبارة : « والتغمغم : الكلام : الذي لا يبين » ليس في م .

(٢) البيت في ديوان حسان ( البرفوقي ) ٢٦٣ والمخصص ١٢٩/٢ والمحكم ٢٥٢/٢ وديوان الأدب

٢٧٨/٣ وتهذيب اللغة ١٧٦/٣ ومادة (ورع) من الصحاح ١٢٩٧/٣ واللسان ٣٨٩/٨

والتاج ٥٣٩/٥ ويروى عجزه في الديوان : « إذا لم يجدعان له من يوارعه » .

(٣) الفقرة الخاصة بأبي عمرو كلها ، ليست في ف ك هنا ، بل تقدمت في أوائل الباب السابق . وقد

سقطت عبارة : « قال أبو عمرو » من م . كما سقطت من ت عبارة : « يريد يناطقه » .

(٤) ف : « اللخلخاتي » تحريف .

(٥) العبارة بعد : « غيره » ليست في ( م ) هنا ، بل تقدمت في وسط هذا الباب . وقد بقيت كلمة :

« غيره » في ( م ) زائدة في آخر الباب .

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي  
أسكن الله الفردوس  
الألفاظ الكتابية  
للهمذاني (ت ٣٢٧ هـ)

اتفق العلماء على أن كتاب الهمذاني يعد من أفضل الكتب التي عنيت باختيار الألفاظ التي تحويها واصطفاء العبارات التي يمكن أن يستخدمها الكتاب أو تقدم للناشئة لتعليمهم وتدريبهم وإعدادهم إعداداً لغوياً سليماً من خلال النماذج أو الأمثلة التي وفرها لهم ليقتفوا أثرها في يسر ، وينهجون نهجاً في كتاباتهم ، وتتجلى قيمة الكتاب في عبارة الأديب الوزير صاحب بن عباد ، حيث قال بعد اطلاعه على الكتاب « لو أدركت عبد الرحمن بن عيسى ، مصنف كتاب الألفاظ لأمرت بقطع يده » . ولما سئل عن السبب أجاب : جمع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة ، فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ، ورفع عن المتأدبين تعب الدرس والحفظ (الكثير) والمطالعة (الكثيرة الدائمة) . إنباه الرواه ١٦٦/٢ .

وقد وضح في مقدمته الطريق التي ينبغي أن تسلك ، حين قال : « ولا غنى بالكاتب البليغ والشاعر المفلق والخطيب المصقع عن الاقتداء بالأولين والاقْتباس من المتقدمين واحتذاء مثال السابقين فيما اخترعوه من معانيهم وسلوكه من طرقهم (ص ١٦٣) . ولكن ما الذي دفعه إلى اختيار هذه الطريقة (الاقتداء والاقْتباس والاحتذاء) من خلال جمع الألفاظ الصحيحة المأنوسة والابتعاد عن الألفاظ المفردة المهجورة الغربية ، وتتبع الاستعمالات السليمة والعبارات الجميلة التي تشيع على السنة مشاهير الأدباء وكتاباتهم؟ يلاحظ أنه بعد أن قدم بحديث عن صناعه الكتابة وقيمتها ودورها وفصل أصناف المشتغلين بها وأقدارهم وأوجه التمايز بينهم ، وهو حديث يكشف صراحة عن الهدف من تأليفه هذا الكتاب ، حيث يقول : ووجدت من المتأخرين في الآلة قوماً أخطأهم الاتساع في الكلام ، فهم متعلقون في مخاطبتهم وكتبهم باللفظة الغربية والحرف الشاذ... وأقيت آخرين... يمزجون ألفاظاً يسيرة حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل بألفاظ من ألفاظ العامة استعانة بها وضرورة إليها تخفة بضاعتهم ولا يستطيعون تغيير معنى لفظه لضيق وسعهم ، والتكلف والاختلال باديان ظاهران في كتبهم ومحاوراتهم... (ص ٣٦١ ، ١٦٢) .

فقد ساءه إذن الوضع اللغوى الذى وصل إليه المتأخرون فى هذه الصناعة القيمة ، فلم يرض عن الطائفة التى استخفت وراء ستار الحذقة ، والتفاح ، والتعير ، ولم يقبل من الطائفة الأخرى اللجوء إلى خلط الفصحى بالعامية لإخفاء عجزهم وضيق محصولهم اللغوى ، ورأى أن هذه الحالة تحتم عليه أن يؤلف عملاً يستدرك فيه الأمر ، فهى الباعث الحقيقى لتأليفه كتابه ، ويتبين نهجه الذى ارتضاه من قوله : فجمعت فى كتابى هذا لجميع الطبقات أجناساً من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس ، السليمة من التقصير المحمولة على الاستعارة والتلويح على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة ، دون مذاهب المتشدقين المتفاحصين من المتأدبين والمؤدبين المتكلفين ، البعيدة المرام على قربها من الأفهام والأذهان والخواطر فى كل فن من فنون المخاطبات (١٦٢) .

فقد بذل الهمداني إذن جهداً شاقاً من أجل انتقاء تلك الألفاظ التى تنم عن ذوق رفيع وحس لغوى سليم ودربة فائقة ، ووفق إلى تخير ألفاظ وتراكيب ذات مستويات مختلفة ، بمعنى أنه جمع مجموعة الكلمات التى تترادف معانيها فى إطار موضوع معين ، دون استقصاء وإطالة ومجموعة الاستعمالات التى يمكن أن تترادف أيضاً ، فيمكن إحلال تركيب ما محل تركيب آخر يختلف فى الفاظه ويتفق فى معناه . يقول فى إيضاح هذا العمل : فليست لفظه منها إلا وهى تنوب عن أختها فى موضعها من المكاتب أو تقوم مقامها فى المحاوراة إما بمجانسة أو بمجاورة ، فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التى توضع فيها كانت له مادة قوية وعوناً وظهيراً ، فإن كتب عدة كتب فى معنى تهنتة أو تعزية أو فتح أو وعد أو وعيد . . . أمكنه تغير ألفاظها مع اتقان . ومن الجدير بالملاحظة أنه قد سمي بأسماء عدة ، منها كتاب الألفاظ فقط ، وكتاب الألفاظ الكتابية ، وهو الاسم الأكثر شيوعاً نسبة إلى الكتاب جمع كاتب ، أو بكسر الكاف نسبة إلى الكتاب (أى الكتابة) ، أو كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر . ويوصف كذلك بالأشباه والنظائر اللفظية والمترادفات اللغوية ، أو كتاب الأشباه والنظائر من ألفاظ اللغة .

فلا خلاف إذن أنه يضم ثروة لغوية قيمة من المفردات ( المترادفة والمتواردة والمتابعة والمتضادة ) واستعمالات صحيحة وجمل فصيحة يقدمها للكتاب لتقلهم من دائرة ضيقة تمصرهم فى ألفاظ غريبة غير مألوفة أو خائيط بين الافة الفصحى واللهجات

العامية إلى دائرة واسعة ، يتيح لهم الانتقال بين استعمالات صحيحة عدة من نصوص أدبية راقية ، ألفاظها تجمع بين السلامة والوضوح . وقد وصفه فك في كتاب العربية ( ١٥٠ ، ١٥١ ) بعد أن نبه إلى أن لم يبق على صورته الأصلية ، بل تبدو فيها زيادات ترجع إلى النحوى ابن خالويه ( ت ٣٧٠ هـ ) ، ولكن لا على أنها تجديد أو تكميم للكتاب ، بل مجرد تعقيبات وتصحيحات ( ص ١٤٩ ) . وأضيف إلى ذلك أن شهرة الكتاب وكثرة تداوله قد أغرت علماء آخرين بل ونساخ أيضاً بالإضافة إليه شرحاً وتفسيراً وتعقيباً . يقول : يحتوى أيضاً كتاب الهمداني ، فى أبوابه الستة والستين والثلاثمائة على عبارات الأدب الجزل ، بصورة تجمع فى كل باب ما يتصل بناحية معينة من المترادفات ، وصيغ الاستعارة ، والأمثال . ونثرت الشواهد فى الكتاب باقتصاد . وأحياناً تساق حكمة مثالية لعظيم أو آية من القرآن ، أو حديث للرسول ( ﷺ ) . والنصوص النحوية جَد نادرة . وقد يحذر من عبارة مستكرة بقوله : لا يقال ، أو قوله مثلاً : كاد يفعل ذلك ، وكاد أن يفعل لغة ضعيفة ، أو قوله : «أغلفة السيف» غير مستعمل ، وينبغى أن يميز المرء بين الإفراط والتفريط ( ١٥٠ ، ١٥١ ) .

ويوضح المؤلف البدائل المختلفة للمعنى الواحد الذى يعبر عنه بألفاظ مختلفة ففى الباب الأول من كتابه مثلاً العبارات أو التراكيب المختلفة التى تدور حول معنى إصلاح الفاسد ، ثم يقدم بشكل متوال مجموع التراكيب التى تتيح للكاتب أن يتتقى منها ما يوافق المقام ويناسب السياق ، إذ يمكنه أن يجعل مكان : أصلح الفاسد ، لم الشعث ، ومكان : لم الشعث ، رتق الفتق ، ومكان رتق الفتق ، شعب الصدع . . . ( ١٦٢ ) ، ( ١٦٣ ) .

وهكذا يبين الإمكانيات غير المحدودة التى يقدمها للكتاب للتعبير عن معنى ما من خلال عدة تراكيب تدور كلها فى فلكه ، دون تكرير وتقييد ، فيتاح له من خلال هذا الكم من الاستعمالات السليمة الصحيحة أن يبدل ألفاظه وفق المقامات والأغراض والمناسبات الملائمة لاستعمال كل معنى من المعانى . ولذا عدة بعض الباحثين من كتب الموضوعات أو المعانى والصفات يسير وفق نهج ابن السكيت أو أبى عبيد فى ترتيبه للمادة اللغوية وتوزيع موضوعاته على أبوابه الستة والستين والثلاثمائة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطبعة الأولى له وهى طبعة آلوسى زاده فى القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ كانت تحت عنوان « كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر » ونسبه إلى أبى

البركات عبد الرحمن بن محمد سعيد الأنباري ( ٥٧٧ هـ ) ووصف بأنه كتاب لم ينسج على منواله ناسج ولم يسلك طريقه منهاجه ناهج ، مشهور عند أرباب اللغة والأدب ، متترع من أوعية السنة العرب ، قديم التصنيف ، عجيب الترتيب والتأليف ، سليم من الغلط ، حسن الأسلوب والنمط .

وهو وهم من فعل النساخ لم يدركه المحقق ووقع فيه آخرون . أما الطبعة الثانية فهي طبعة بيروت سنة ١٨٨٥ م بمطبعة الآباء اليسوعيين وتحمل اسم ( الألفاظ الكتابية ) وهي النسخة التي صححها ابن خالويه ، وحققها الأب لويس شيخو ، وهي الطبعة التي شاعت وانتشرت ، فطبعت بمطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٣ هـ وبمطبعة الرحمانية سنة ١٢٤٠ هـ وأخيراً الطبعة التي قدمها د . البدرأوى زهران بتحقيقه ١٩٨٩ م .

وقد رفض د . البدرأوى أن يكون كتاب الهمداني سبباً في انحطاط النشر الفني وتحويله إلى بريق لفظي أجوف في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي . يقول (ص ١٥١) : وليكن كتاب الهمداني قد قدم للكتاب السطحيين الساذجي التفكير ، المادة اللازمة لتعبيرهم ، فإن سبب الانحطاط لم يكن راجعاً إليه ، بل إلى اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر ، ذلك الاتجاه الذي أعلى مرتبة القالب على المادة ، لمجرد الإعجاب برونق اللفظ ولعانه . على أن هذا التلذذ الذوقي باللغة ، من حيث جرس الألفاظ ورنيتها ووزن لحنها الموسيقي ، كان دأباً وديناً للعرب منذ عهد سحيق .

والأبواب متبانية في كم المادة ، يندر فيها ذكر أسماء العلماء والروايات والخلافات والنقول ، والشواهد قليلة أيضاً يوردها لتفسير لفظ يرى أنه ربما أشكل معناه على المتعلم ، ويفتقر الكتاب أساساً إلى ترتيب عام للمعاني ، ويخلو كذلك من أي شكل من أشكال الترتيب الداخلي للمفردات والتراكيب .

**وفيما يلي نموذج من كتاب ( الألفاظ الكتابية ) للهمداني**

## من كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني

وتقول أضغنت عليك فلانا ، وأوغرت صدره عليك وأضبرمت غيظه عليك ، وأذكيت حقه عليك وأحتقته ووجدته حنقا مغيظاً محنقاً ذاتراً محفظاً والحفيظة الغضب تقول أحفظته عليك أى أغضبته وأوغرت صدره عليك ووغرته توغيراً - وجمع الحنق حناق .

ويقال ضمّد فلان على فلان ، وأضم ، وحرد . وعبد وأغد واسمعد وتلهب وأسف : اضطرم وتضرمّ وحرّق عليه الأرم (٢) من الغيظ وهى الأضراس وذلك إذا صرف (٣) عليه أنيابه من الغيظ - وتقول عتب على صديقي عتبا - ووجد على أبي موجودة ، وسخط على السلطان سُخْطاً ولا يكون السخط إلا من هو فوقك :

### باب

يقال أمتّ ضغنه وسللت سخيمته وأطفأت نار غضبه وحقده وضغنه وأسكنت غضبه .

### باب

يقال بين الرجلين طائلة وترة والجمع طوايل وتترات ، ودخل والجمع دُحول ووتر والجمع أوتار ، وتقول وترت الرجل ترة ووترا وأوترت فى الصلاة إيتاراً ووترأ .

(١) قال الليث : التغذمر : سوء اللفظ وقيل المخلط فى كلامه وقد يقال لذو غدامير إذا كان ذا صياح وجلبة والتغشم العنف والجفاء (غريب) .

(٢) الأزم أيضاً . والأرم كرمع الأضراس الأصابع والحجارة والحصى . (القاموس : ج ٤ ، ص ٧٤) .

(٣) يعنى صوت الأسنان .

وتَبَّلَ والجمع تُبُولٌ (١) وثأرا والجمع أثار ويقال ثارت بالقتيل إذا قتلت

## باب المعاقبة (٢)

يقال اقتصصت من فلان اقتصاصا ، وانتصرت منه انتصاراً ، وانتقمت منه انتقاماً وعاقبته ألم العقوبة وأنكأها وأوعظ العقوبة وأزجر العقوبة ، وأنهكها وأنكلها ، وأردعها ، وعاقبته عقوبة رادعة زاجرة وواعظة وناهكة ونكلتُ به ومثلتُ به وتركته عبرة ظاهرة وعظة بالغة وأحدوثة سائرة ومثلاً مضروباً وتقول جعلته حديثاً للغابر ، ومثلاً للسامع وعبرة للمتوسم ، وعظة للمتفكر والتدبر ، والتأمل والترقب .

والمقتص ، والمتصر والثائر والمتقم واحد .

## باب دفع المضرات

يقال دفعتُ عنك شرَّ فلان . . وأمطت أذاه وشذاه ومعرَّته وكلبه وعاديته وبأثقتَه وعائلته وشوكته وكسرتُ عنك شوكته وفللت عنك حده وقلمتُ عنك ظفره وحسَّمت عنك بآثقتَه ، ونكبت درأه وكففت غربه (٣) وزممت لسانه .  
ولا تزُمه وتهمله ولا تضمه وترسله ولا تكفه .

## باب الغضب

يقال غضب الرجل غضباً ، وتلظى تلظياً واغتاظ اغتياظاً ، وتزغم تزغماً وتخمط تخمطاً ، واستشاط استشاطاً ، واحتدم احتداماً وتلهب تلهباً ، وامتعص امتعاصاً ، وهاج هابجه ، وفار فاييره وثار ثايره ، وزأيت متذمرأً وذيرأً ومُتنمراً وارعوى ارعواءً (٤) : وأعتب إعتاباً والاسم العتبي وهي المراجعة يقال أعتب الرجل إذا تاب ،

(١) التبل العداوة . الجمع تبول وتبايل . والذحل الإسقام كالإنبال (قاموس : ج ٢ ، ص ٣٣٩) .

(٢) جاء هذا في (ك) تحت عنوان « باب الجزاء » وبين البابين خلاف كبير .

(٣) يقال في الرجل (غريب) .

(٤) قال أبو عبيد الارعواء التدم على الشيء والانصراف منه والزل له حكاة البروى في غريبة أ . هـ يقصد أبا عبيد صاحب الغريب المصنف .

وعتب إذا غضب ، وتعتب إذا تجنى (١) وأعتب فلان فلاناً بمعنى أراضاه قال هريز (٢)  
لا تسموا الإعتاب استكانة (٣) ولا المعاتبه مفسدة (٤) ولا التعتب استعلاء (٥) .

وأقلع إقلاعاً ، وأقصر إقصاراً يقال أقصرت عن الشيء إذا نزعته عنه وأنت تقدر  
عليه ، وقصرت عنه إذا عجزت عنه ، وقصرت فيه إذا فرطت فيه ، ونزع نزوعاً  
انزجرانزجاراً وارتدع ارتداعاً واستفاق استفاقة وتقول إذا رجع عن توبته ارتد وانتكث  
وارتكس ونكص على عقبيه .

### باب في ضده (٦)

يقال تمادى الرجل في غيِّه وانهمك في غيه ، وأوضع في غيه ، وأوجف فيه ،  
وتتابع في غيِّه وتاه في ضلالته ، وأصر على باطله ، ولج في غلوائه وسدر في غيه  
ومضى في عمايته وتردى في جهالته وجمع في غوايته وتسكع في باطله وضرب في  
غمرة وتهافت في ضلالته ، وتمادى في غيِّه ولج في غمرته ، وأمعن في إساءته وتعمه  
في سكرته ، والمتماذى والمصر والجامح والتهمك والمتتابع والسادر والتردى والمتهافت  
في النى وغيره واحد .

### باب العفو (٧)

يقال عفوت عن فلان وصفحته عنه وتعمدت ذنبه وتجاوزت زلته وتجايفت عن ذنبه  
وأغضيت عنه وأقلت عثرته (٨) ونعشته من سقطته وأنهضته من ورطته يقال شال الرجل  
إذا ارتفع وأشلته إذا رفعته .

(١) يعني إذا ذكر ذنبه وخطيئته وليس فيه شيء من ذلك . (٢) لا ينصرف للتعريف والعجمة .

(٣) يعني إذا تاب بنصح العاتب عليه لا تسموه استكانة للعاتب أى خضوعاً واستهانة له .

(٤) يعني إذا عاتب بنصح أحد لا تسموه مفسدة .

(٥) أى إذا نصحه بالعنى لا تسموه استعلاء منه عليه .

(٦) جاء هذا الباب فى نسخة (ك) تحت عنوان «باب التماذى فى الضلال» وهو رقم ٩ وبينهما

خلاف كبير .

(٧) جاء فى هذا الباب فى (ك) تحت عنوان (باب العفو) أيضاً رقم ١٠ ، وبينهما خلاف كبير .

(٨) فى (ك) أقلته من عثرته وأقلته من صرعته .

قال جرير :

وإذا وضعت أباك في ميزانهم رجحوا عليك وشلت في الميزان

ويقال سحبت علي ما كان منه ذيلى ، ولبست عليه سمعى ، وعركته بجنبى ،  
وكظمت (١) غيظى وأغضبت عليه جفنى وأبقيت عليه ، وأرعيت عليه وأطرقت (٢)  
منه على شجى (٣) وأغضيت منه على قدى .

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه (٤) .

فكم أغضى الجفون على القذى وأسحب ذيلى على الأذى وأقول لعل وعسى (٥) .  
وجعلت ذلك تحت قدمى ودبر أذنى .

والعفو والصفح والإقالة والتغاضى والغفران والتغابى (٦) والبقيا والرعى والتجاوز  
والتجافى والعتبى والتنمذ والإغضاء واحدا .

---

( ١ ) يقال كظم فلان غيظه إذا تجرعه وهو قادر على الإيقاع بعدوه فأسكه ولم يمضه ( غريب ) .

( ٢ ) يعنى رأسى .

( ٣ ) أى على حزن .

( ٤ ) فى الأصل عليه السلام . والرجل شيعى على نحو ما هو واضح .

( ٥ ) قول على إلى هناها .

( ٦ ) يعنى فتر فى الأخبار بما صنع .

## المخصص

## لعلى بن إسماعيل المعروف بابن سيده ( ت ٤٥٨ هـ )

يعد المخصص أكبر وأهم كتاب ألف على نهج الترتيب الموضوعي ، إذ إنه يقع في ( ١٧ ) سफراً كبيراً ، جنع فيه ابن سيده كل الرسائل اللغوية وكتب الموضوعات السابقة عليه ، فنجده من جهة مادة الكتاب قد اعتمد على ما ألفه الأصمعي وأبو زيد الأنصاري ، وأبو حاتم السجستاني ، والنضر بن شميل والفراء ، وثعلب وابن السكيت وأبو حنيفة الدينوري وغيرهم ، بل زاد على ما كانت الكتب أو الرسائل تفعله من نقل عن الأعراب الذين كان اللغويون الأوائل يطيلون الاستماع إليهم ويحاورونهم ويدونون عنهم ما يسمعون ، بل تذكر المصادر أن بعضهم قد أقام في البداية بينهم زمناً طويلاً ، كما يروى عن النضر بن شميل أنه أقام فيها أربعين سنة . لقد عاش ابن سيده بعد أن انتهى عصر الرواية في القرن الثاني الهجري كما حدده اللغويون الثقة بقرنين ، ولذا نجدته ينقل عن جمهرة اللغة لابن دريد وكتاب العين للخليل بن أحمد والبارع للقالى .

أما كتاب أبى عبيد « الغريب المصنف » بوجه خاص فقد أكثر الاعتماد عليه ، إذ إنه كما قيل عنه كان يحفظه عن ظهر قلب ، إلى حد ذهب معه بعض الباحثين إلى أنه نقله بأكمله في مخصصه ، وكما قيل إننا لو ضاهينا ما ذكر فيه من الكتب ( أى موضوعات ) بكتب الغريب المصنف لرأيناها كلها داخلة فيه مع المحافظة على ترتيب بعضها ، وإهمال ذلك في بعضها الآخر ، وإضافة موضوعات كثيرة لم يتعرض لها أبو عبيد ، ولو ضاهينا الفصول نفسها لظهر هذا الاشتراك جلياً ، لأن ابن سيده احتفظ بأغلب عناوين الكتب التى استقى منها ، والغريب المصنف لأبى عبيدة على رأسها .

وقد قوبلت هذه الطريقة في جمع المادة وتصنيفها بنقد عنيف ، إذ وصف عمله هذا بأنه خلط بين الألفاظ وحشد لها بطريقة غير منظمة ، فقد جمع كل ما وقع تحت يده من ألفاظ اللغة ، ثم صنفاها موضوعياً مقتفياً أثر السابقين - وبخاصة أبو عبيد - ولم يحد عنها إلا قليلاً ، ولعل مما ساعده على ذلك أنه قد وضع معجماً لغوياً للألفاظ ، أطلق

عليه المحكم والمحيط الأعظم . كما أنه لم يسلم - لهذا النهج أيضاً - مما وقع فيه السابقون عليه في هذا اللون من التأليف ، فقد أدى نهجه في عرض المادة معتمداً على الرواة والرواد الأوائل اعتماداً كاملاً دون أدنى تغيير في الأغلب إلى الخلط والاضطراب وصعوبة العثور على اللفظ المراد . فقد كان في وسعه بعد أن توافرت له مادة لغوية كافية ، بذل الأوائل في جمعها عناء ومشقة وجهداً عظيماً ، ومضى زمن طويل على عناية عدد غير قليل من اللغويين بهذا اللون من ألوان التأليف ، أن يعيد تنظيم تلك الرويات وأن يرتب تلك المفردات ترتيباً دقيقاً حتى يسهل الفائدة منه ويسر طريقة استعماله . ودون خوض في ظروف عدة ربما شكلت عائقاً جوهرياً دون تحقيق ذلك .

على كل حال انفرد ابن سيده - خلافاً لمن ألف في كتب الموضوعات - بالكشف عن فائدة الترتيب الموضوعي ، أي تقسيم الألفاظ إلى مجموعات تحت عناوين معينة ، وحصر ألفاظ اللغة خلال موضوعات مختلفة ، تليها عناوين فرعية إلى أن تضيق الدائرة . وهكذا يدل كل عنوان على المفردات والدلالات والتراكيب والسياقات التي تندرج تحته . فثمة معنى عام (موضوع مفرد) تدخل تحته المعاني الجزئية (أجزاء هذا الموضوع) فتتسع الدائرة في البداية وتستمر في الضيق حتى النهاية .

هذا الترتيب قد وجه - أساساً - إلى فئة محددة من الناس كي يفيدوا منه ، فإنه كما يقول (المخصص ١٠/١) : أجدى على الفصيح المدره والبليغ المفوه والخطيب المصقع ، والشاعر المجيد المدقع ، فإنه إذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف أوصاف عديدة ، تبقى الخطيب والشاعر منها ما شاء ، واتسعأ فيما يحتاجان إليه من سجع وقافية .

وقد بدأ كتابه بمقدمة عامة تناول فيها قضايا اللغة . أما ترتيب أبوابه فقد سار فيها على ترتيب الغريب المصنف ، غير أنه قد زاد عليه إضافات لغوية مختلفة نقلها عن عاصر أبا عبيد أو جاء بعده ، ولكنه لم يلتزم الترتيب في كثير من الأبواب ، وهو في ذلك يحاكي أبا عبيد الذي سار على نهج كتب الأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو والكسائي ، والفراء وغيرهم ، ولكنه كان يخالفهم في بعض الأبواب . ويرى د . حسين نصار في المعجم العربي (ص ١٦٩) : أنه كان يحاول أن يرجع إلى أحسن كتاب في موضوعه والاعتماد عليه ، حتى أننا نرى ابن سيده في النبات يترك أبا عبيد والأصمعي وغيرهما ويتخذ منهم الحشو . أما الكتاب الأصيل الذي اتخذ عماده فهو كتاب أبي حنيفة الدينوري .

وعلى الرغم من التشابه الكبير بين أبي عبيد وابن سيده إلا أنهما قد اختلفا في أمور عدة : أهمها طبيعة العلماء الذين رجع إليهم كل منهما وطريقة الأخذ عنهم ، فقد ذكرنا فيما سبق أن الرواية الشفوية كان النهج الوحيد الذى اتبعه أبو عبيد فى أخذ المواد اللغوية وتدوينها ، فلم يثبت فى كتابه إلا ما سمع ، وكذلك حرص كل الحرص على أن ينبه إلى أسماء الرواة واللغويين صراحة . أما ابن سيده فقد اكتفى بالتنبيه على اسم المؤلف الذى ينقل عنه ، ولم يحفل بذكر أسماء الرواة واللغويين . فقد تراجع الاهتمام بنسبة المادة اللغوية بشكل واضح ، ويتجلى ذلك أيضاً فى حذفه كثيراً من أسماء الشعراء الذين يستشهد بأبياتهم وغير ذلك من أوجه الحذف .

وتكشف أبواب المخصص كذلك عن عناية كبيرة بالقضايا النحوية والصرفية ، وأولى التعليقات النجوية والصرفية اهتماماً خاصاً أيضاً ، ولذا نجد أسماء النحاة مثل سيويه وأبى على الفارسي والسيرافى وابن جنى ، وكلها أمور لا نجد لها فى كتب غيره من ألف فى اللون من التأليف ، ولذلك عد المخصص أشمل كتب الموضوعات وأجمعها إلى جانب ما يحمله من المعارف النحوية والصرفية .

وقد لخص ابن سيده فى مقدمته أيضاً النهج الذى اتبعه فى عرض موضوعاته ، فقد كان يبدأ بالأعم فالأخص - أى أنه جعل لكل موضوع باب ، ثم قسم أبوابه بعد ذلك إلى فصول - وأن يقدم الكليات قبل الجزئيات ، والجواهر قبل الأعراس . أى أنه كان ينظر إلى كل موضوع فى مخصصه نظرة مستقلة ، فيبدأ بتعريف الألفاظ العامة الشائعة والتى يتوقف عليها الموضوع كله ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى جزئيات الموضوع ، ويعنى بالتسميات المختلفة والمعانى المتنوعة لكل جزء . ومن ثم يصدق عليه إلى حد كبير الوصف الذى أطلق عليه ، وهو أنه ( أكبر معجم فى المعانى ) .

وعلى الرغم من ذلك الجهد الشاق الذى بذله ابن سيده فى مخصصة فإنه لم يخرج عما فعله فى كتبه الأخرى من الجمع والترتيب والتبويب . وخلت المواد التى عالجها من رأيه إلا فى قليل من المواضع التى كان يعلق فيها على نقول أو آراء ، كما أنه تحرر كلية من الالتزام فيما ينقل ؛ فنجده يقدم ويؤخر ويلخص ويغير ويزيد إلى غيره ذلك مما فعله مع كل مصدوره .

**وفيما يلي نماذج من كتاب « المخصص »**

من كتاب « المخصص » لابن سيده

٩٨/١

ما يستحسن في العين من الصفات

• أبو حاتم • عين ظلمة - ريشة البقن • نبت • في العين الجبل  
 - وهو سعة العين وحسنها رجل الجبل وامرأة تجلأ • ابن جنى •  
 الجمع تجل وجمال نادر • نبت • نبتت العين تجلأ ومنه لفتنة تجلأ •  
 - أي واسعة وفيه البصير - وهو سعة رجل أجمع العين وامرأة تجلأ وقد يج  
 يسبح بجيما وأند

والطرف منها ستمار بجيمة • وسيدته خدبة

• أبو حاتم • رجل يجمع العين وأند

تأوت جمل القز فوق مقسم • اعترى جميع المقتين قبيح

• نبت • وفيه السرج - وهو سعة وأكثر بيانها وأند

تجلأ في برج مقرا في دميم • كأنها فنة قدمها ذهب

وفين مو - تنافيا بينها وصفه سوادها وقد يبرج برجا فهو برج وعين برجا

• أبو عبيد • السرج - أن يكون بياض العين محمدا بالسواد كانه لا ينيب من

سوادها حتى والحدور - أن تكون العين كلها مثل الظباء والقر وليس في آدم

حدور • قال • وإنما قيل لها حدور والبسور لأنها من شيبان الظباء والبسر

• قال الأسي • ما أدى بالحدور في العين • أبو حاتم • العين المسورة -

التي اشتد بياضها وسوادها واستدارت حمة عنها ورثت اجفانها وايض

ما حوالها ولدهور حدورا واحسور وأند

• واحسورون البسور القماير •

• نواب • ويجمع الحدور أحولها وأند

فه در منازل ومنازل • أي يجمعها ولا أحسور

وبل الأحولها جمع الحدور وهي البسر • ابن الأثير • الحدور - شدة

سوادها في شدة بياضها في شدة بياض جلدها البسد ولا تكون إلا الحدور

ويشق

وبالعين حوراء لا يسمونها حوراً عينا . ابن الكلب . احوال

• عينة حوراء من العين الحيرة .

الاجماع كما لا يزال لا يسمونها بالعين والنداء لا يجمع على عدايا ولكنه

لكن العين . قال ابو علي . الدليل على ذلك انه لا يسمونها بالعين ولا يسمونها

لان الراء في العين لا يرفع . ثابت . وفي العين الرفع - وهو شد السواد

وسمى رجل الرفع وامر ان يحمه ويلد الرفع - سواد بين البنية

والسواد كله يسمونها بالعين وانما

سوى ترى احوال من العين . ثور في احوال احوال

ويقال الرفع - سواد العين وسماها والدليل على ذلك قول كثير

سوى الرفع والرفع الذي . به تثنى حين انكها تلي

وفي العين العين - وهو ضم القلة منها رجل عين وامر ان يحمه بين العين

والعين . قال ابو علي . ولا يسمونها . ابوتهم . العين - يظم سواد

العين في سوادها وضم العين عينا فاجتاز الفعل . ابو عبيد . عين حنزة

- ككيرة وتبع فيقال عين حنزة . اوزيد . وهي - الحانة الترس

• غيره . رجل احنزة وامر ان يحمه وعين حنزة - حنة وقد

حذرت

### صفات ألوان الحمدقة

• ثابت . في العين الثميل والشهة - وهو ان تثرب الحمدقة حمره

ليست حطوطا كالكفة ولكنها سواد الحمدقة حتى كأن سوادها

يقرب من الحمره وتسمى الرجل ثميلا وأثميل فهو أثميل والاثمي ثميلا

وانشد

كانت ائهل العين باز . على عيلة تبه فاشلا

• ابن زيد . هو - اقل من الازرق . ثابت . وفيها الشكل والشكفة - وهي

(قوله ولشاكلات)  
 كذا في الأصل  
 وعبارة القوس  
 والسند وقد  
 اشكت تأمل له  
 كنه معناه

حجرة فخطب الياس وقد شاكلت ورجل اشكل وامرأة اشكله ومن ثم قيل  
 اشكل عليه أمره - أي اختلط وكل خططين من يياس وحجرة أو حجرة وسواد  
 فهو اشكل واندد

فما زالت الفتى تورد ماؤها • بيحة حتى ماء بيحة اشكل

أي يختلط بالدم ونحو النجس والشجرة - وهو أن يكون سواد العين مشرباً بحجرة  
 ورجل اشجر وامرأة اشجرت وكذلك غدير اشجر - لذا كان يقرب إلى الحجرة  
 ماء والكفرة وسياذ كراة اشجر في باب الزان الماء مستقصى بأشد من هذان  
 شاه الله وقيل الأشكل دون الأشجر • صاحب العين • الأجم • السبد  
 حجرة العين مع سعتها والأشقي بجمها من نسوتهم ويحيى • ثبت • وفي  
 العين الزرق والزرقه - وهو حشرة المدقة وجل الزرق وامرأة زرقه وقد  
 زرق زرقاً وازرق واندد

لقد زرق عتابة ابن مكعب • كذا في شي من اللوم أزرق

وفي العين السح والمثمة - وهو أشد الزرق الذي يقرب إلى الياس ورجل أسح  
 العين وامرأة أسحتة وقد سح سحاً وأسح وكثير أسح - لذا كان أسوداً وسواد  
 سرقه يأس وشه قال الاخطل يصف خيلاً قد سحها علاها العرق فيس  
 وبيض

سح الثور كما البسما • بالله اذ يسر السحج جلالاً

• أبو عام • عين مقرية - زرقاء قد ابيضت أسفلها فإذا ابيضت المدقة  
 فهو أشد الأعراب والزرقه - يأس جميل العين قره قرها فهو أمره  
 والأشقي قره • صاحب العين • الزرقه - خلاف الكمله وامرأة قره  
 - لا تكمل والهي - كالمز • أبو عام • الأثمة - الأثمر أشقر  
 العين وقد يثمة مقها • غير واحد • في العين الكمل والكمل  
 ورجل الكمل وقد كمل وكمل • صاحب العين • الكمل - سواد يملأ  
 نابت أسفارا العين خفة من غير كمل وقيل هو أن يورق موضع الكمل  
 وقيل هو شق سواد الناظر • ابن السكيت • السيف - أن تكون إحدى

العين

العينين كغلاة والأخرى ذرّة وقد يكون في الليل منه ذيل السراخبيات  
 - أي تحقّقون لا يتتّرون • فالأوبى • منه تخفيف الابل - وهو اختلاط  
 وجوهها في المرعى

### عيوب العين من قبل نظرها وخلقها

• ثبت • في العين القبل والمورّد - فالقبيل أن تكون كأنها تنظر إلى عرض  
 الأنف والمورّد - كأنها تنظر إلى الجحاح وذيل القبيل - أن قبيل إلى المورّد  
 والمورّد - أن قبيل إلى العياط • أبو عبيد • القبيل - إقبالها على الخبير  
 وقد قيلت قبلاً وأقبلت وسوت حولا • صاحب العين • ماتت تحال • قال  
 ابن جنى • عليه وجهه ابن حبيب قوله

أنا ما كان كسر القوم رؤيا • وماتت مقلنا الرجيل اليمير

قال وكان يجب أن يقول على هذا حركت لأنه بمعنى حركت ولكنه شذّ فاعمل كما  
 عمل بعضهم اجترأوا وهي بمعنى مجاوروا والقياس الصحيح وقد قيل ماتت -  
 انقلبت من قولهم ماتت القوس - أي انقلبت • ثبت • وأحورت وهو أقبيل  
 وأحور والاشقي قبلا وسولا • أبو عبيد • أقبلت عينه وأحورتها • قال  
 أبو علي • وسكول أظن عينه واستمعنا على نفة • صاحب العين •  
 الحزنة - انقلاب المذقة نحو العياط وهو أقبيل الحورل وقد تخرّنه خزا • أبو  
 حاتم • الأخرز - الأحرول إحدى العينين • ثبت • وفي العين الطلح  
 - وهو ترّوح القلّة زلزها رجل باخط العين ويخالف مثل يخط إليه  
 عملة - يريد أنه إذا نظرت في عملة رأى سوما منع • صاحب العين • يخط  
 يخط يخطون • ابن دريد • الخطم - العظيم العينين • أبو حاتم •  
 عين جهرة - باخط • أبو عبيد • رجل أجهروا وأمه جهراء  
 • صاحب العين • الظلمرة - العين الملتصقة • ثبت • وفيها الثوم  
 - وهو شدة باخط حتى لا يتلاقى عليه الجفنان وهو أسوأ العيوب وأقبحها

وقد تروستشوما وإن فلانا لأخوص • صاحب العين • دمت عينه  
 تندم دوما - بختت • نابت • وفي العين الغص - وهو كثرة الغصم  
 وغلظ الأجفان رجل أنقص وامرأة تلمأ • وقد غلص غلصا والغص خلقفة  
 في العين ليس بحادث من داء وقد دمت أن الغصنة تجمعه في العين وفي الخوص  
 - وهو ضيق بالزؤخر وانضمام الجفنين كأنهم حاطحيطان ورجل أخوص وامرأة  
 حوصاء وأند

والشديدات يانطن التمر • حوص العين مجهات ما استنزل  
 استنزلت من الطرور وأصل الخوص من الخوص وهو الخياطة • قال أبو علي •  
 وبذلك سمى الأخوصان من بني جعفر بن كلاب غلبت الصفة على ما وقيل بل هو اسم  
 موضوع له ما تقول من الوصف وأما قول الأسي

أناي وعبد الخوص من آل جعفر • فباعدت روليت الأوصا  
 فعلى أنه جعل كل واحد من هذين أخوص فأما وجه الأخوص مرة على نعل ومرة  
 على أفاعيل فأنقول فيه عندئذ جعل الأول على قول من قال العباس والحارث (1) وعلى  
 هذا ما أتت به الأسي

• أخرى من العوج وقاح الخافير •  
 قال وهذا ما يدان في مذاهبهم على صحة قول الخليل في العباس والحارث أنهم إنما  
 قالوا بجراف الذعر فلاتهم جعلوه الذي بينه ألتري أنهم لم يكن كذلك لم  
 يكبروه بمعنى أذل وأمالا خرفاه يحتمل عندى ضربين يكون على قول من قال  
 عباس وحارث ويكون على التسمية للأحمره والمهالبة كأنه جعل كل واحد  
 أخوصيا • أبحام • الخوص - أن نصين إحدى العينين دون الأخرى  
 • نابت • الخوص - أن تكون إحدى العينين أعظم من الأخرى رجل  
 أنقص وامرأة تقيص • أبو زيد • الخوص - ضيق العين وصغر خلقفة أو داء  
 وقد حوص حوصانها وأخوص والأسي حوصاء وقيل الخوص أن تكرن إحدى  
 العين أصغر من الأخرى

(قوله جعل كل واحد من هذين) أي من قبيلة هذين فنبه كنه معناه (1) من قال العباس والحارث أي من رأى الوصفية في هذين العامين فيكون عند رأى الوصفية في الأخوص فصح جمعه على نعل له

ذكر

## ذكر ما يلحق العين مما هو في طريق

### العور ونحوه

التي - ذهب البصر عن العينين معا ولا يكون في الواحدة وقد عني هي فهو  
أعني وأعمالها ورجل عم وامرأة عمية حكاها لبيد على حد ثقتي في نقد  
وهو في عمية أحسن لفعل الباء مع الكسرة • وقال • تملعت - أي أظهرت  
نكت ولست به • غيره • وقالوا اعماى في هذا العنى وعني قلبه عن العلم  
فهو عم ويقال ما عمه في هذا ولا يقال في الأول لأن الفعل في الأفعال وسووعها  
انقل والثلاثين الزيد اعماى بهب منه بنو ط فعل ثلاث غير مزيد كأنه وبين  
على حد ما حكاه العورون من مناهة هذا الباب • صاحب العين • الأكمة  
- الذي يؤذعني وقد كتهما وفي التنزيل ويبرئ الأكمة وربما بالكمة في  
التعريف به التي العارض وأند

كتهت عينه لما أبيضنا • فهو يلقى نفسه لما تزغ

• ابن زيد • كته بصره كتهاه - وأكته - إذا عترت به نلثة تلهم عليه  
• صاحب العين • رجل شرير - ذاهب البصر • أبو زيد • في عينه  
يامس ويامة وكوكب وكوكبة • ثابت • في العين العور - عورث  
عورا وعورث وعارت تعارورا - يعني ذهب بصرها وأند

وسائله بظهر القبي عني • عارت عيناها

• غير واحد • عورث عينه وأعورثها وأعورثها • ميوه • إذا قال عورته  
لم يضره لعور • غيره • وقالوا في القراب أعور - لعمية بصره على التفسير  
كقولهم الأعمى بصير وعوران العرب - مشاهير عورهم كالكناج بن زرار  
وغيره • ثابت • ومثل من الأمثال - كالكلب عارذ فلقره ومثله كالمبرع  
وتد نصره مثلا لانسان يتجنى على نفسه بلا عورثا • فالبيد • ومثل عورث

لم يضره لعور أي  
لا يمكن من قبله بل  
هو يتأذى على حدته  
اد

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٤)

## كتب الظواهر الخاصة بالألفاظ

- مقدمة

- كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري

- كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي

- كتاب الأضداد لأبي بكر الأنباري

رَفَعُ

عبد الرحمن التَّجْمِيدِي  
أَسْلَمَةُ النَّبِيَّ (الْفَرُوسِ)

(٤)

## كتب الظواهر الخاصة بالألفاظ

### مقدمة

يوجد في العربية بعض الظواهر الخاصة بالألفاظ ، التي عدها اللغويون القدماء من سنن العرب في كلامهم ، ولذلك أولوها عناية كبيرة ، فرصدوا المفردات الداخلة تحت كل ظاهرة ، وفسروها ، وقدموا الشواهد الدالة عليها في اللغات أو اللهجات العربية الفصيحة . ومن أقدم هذه الظواهر التي حظيت بكثرة التأليف فيها « الغريب » الذي وجه إليه اللغويون الأوائل جل اهتمامهم وبخاصة في سياق تفسير القرآن والحديث ، إذ إن العربية تحفل بكثير من المفردات الغريبة - بغض النظر عن الخلاف الكبير الذي نشأ حول تفسير مفهوم الغريب - التي أوقف تفسيرها على الصحابة ، بل أصحاب الفصاحة أنفسهم ، وترددوا في الإجابة حين سئلوا عن معناها ، مما دفع عدد من اللغويين إلى رصدها والبحث عن معانيها بين الأعراب الفصحاء ، وإزالة غموضها .

وتذكر كتب التراجم والطبقات أن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ( ترجمان القرآن « ت ٦٨ هـ » ) كان أول من تقدم لتفسير غريب القرآن الكريم بكلام العرب ، وإليه ينسب أيضاً أول كتاب في غريب القرآن ، ثم ألف فيه بعده عدد من جامعي اللغة الذين سبق ذكرهم ، مثل الأصمعي وأبي عبيدة وابن قتيبة ، وثعلب والمفضل بن سلمة وابن دريد وأبي حاتم السجستاني والراغب الأصفهاني وغيرهم . وقد انحصر التأليف فيها في غريب القرآن أو في غريب الحديث أو في الغريب في اللغة .

أما الظاهرة الثانية فهي النواذر . فقد شغل اللغويون الأوائل برصد الألفاظ العربية التي يندر استخدامها ، وجمعها وتدوينها وتفسيرها خشية ضياعها . ويبدو أن مفهوم

التوارد لم يكن واضحاً ليديهم بشكل كاف ، لأننا نلاحظ في مؤلفاتهم أشتاتاً من المقدرات ، بعضها متوغل في الغرابة ، عجيب في بنيته ودلالته ، وعلى الرغم من ذلك فقد دون بغير تفسير ، فحكم عليه بأن يظل مستغلقاً على الفهم ، نادر الاستعمال ، قليل الفائدة ، وبعضها الآخر ، وليس بقليل ، ألفاظ فصيحة مستخدمة غير غامضة الدلالة ، بل إن كتبهم قد ضمت أيضاً أبواباً أخرى لا تختلف عما ألف في الرسائل وكتب الموضوعات والفصاحة والتثقيف اللغوي وغير ذلك . ومن أهم من ألف فيها أبو عمرو بن العلاء (ت ١٤٥ هـ) وأبو زيد الأنصاري وأبو مسحل الأعرابي وقطرب والأصمعي وابن الأعرابي وأبو عبيدة وغيرهم .

أما الظاهرة الثالثة فهي الأضداد . وقد اهتم علماء اللغة بجمع ذلك النوع من الألفاظ الذي أثار جدلاً كبيراً بينهم ، إذ لم يكونوا على اتفاق في موقفهم من هذه الظاهرة ، فنجد بعضهم يثبتها ويدافع عنها ، ويعدها خصيصة مهمة من خصائص اللغة العربية ، بل حمل لواء الرد بعنف على محاولات الشعوبيين الطعن في العربية لاحتوائها على تلك الظاهرة . ونجد أيضاً من تردد فيها ، بل أنكرها وقد ادعاه من رأى أنه يمكن أن يكون للكلمة معنيان متافران أو متضادان ، فذلك أمر يستحيل على الفهم وفي الاستخدام . ومن أهم من ألف رسائل خاصة في الأضداد الأصمعي والسجستاني وابن السكيت وقطرب . أما ابن الأنباري وأبو الطيب اللغوي والصغاني فقد تجاوزوا مرحلة الرصد والجمع إلى مرحلة أخرى يتضح فيها التفسير والتعليل وإبداء الرأي .

أما الظاهرة الرابعة فهي الترادف . فقد عنى اللغويون بالتأليف فيها ، وقد عدت بعض الرسائل وكتب الموضوعات من معاجم المترادفات ، لأنها تجمع أيضاً الألفاظ التي تدور حول موضوع واحد أو معنى واحد . وقد اختلفوا كذلك في موقفهم من هذه الظاهرة ، فنجد بعضهم يدافع عن وجود الترادف ، بل ويعده خاصية مميزة للعربية دالة على ثرائها ، ويدفع فريق آخر ببطلان ذلك ، ولا يرون للنشء إلا اسماً واحداً ، ويصيون أحياناً في تعليلاتهم بإرجاع الترادف إلى وجود شكلين مختلفين للفظ واحد ، يصيران مع الاستعمال مترادفين أو إلى تعدد اللهجات أو شيوع صفة أو صفات لمسمى بعينه ، فتجول إلى اسم له أو وجود لفظين لمعنيين متجاورين ، يختفى الفرق بينهما مع طول الاستعمال أو دخول كلمات معربة ترادف ما يناظرها في العربية إلى غير ذلك .

وقد يخفقون في بعض الأحيان ، ويعجزون عن إيجاد فروق دقيقة بين المفردات ، فيتحاملون ويسرفون في تبريراتهم ، وما ألف في هذا الموضوع ( ما اختلف ألفاظه واتفقت معانيه للأصمعي ، و (الألفاظ المترادفة) لعلي بن عيسى الرماني ( ت ٥٨٤هـ ) ، و (الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف) للفيروز أبادي ( ٨١٧ هـ ) .

أما الظاهرة الخامسة فهي (المشترك اللفظي) . وحده أن يكون اللفظ الواحد دالاً على معنيين مختلفين فأكثر . ولم تسلم هذه الظاهرة أيضاً من الخلاف بين العلماء ؛ فعلى الرغم من اعتراف كثير منهم بإمكان اتفاق اللفظ وتعدد معانيه وهو ما يوافق منطق التغير اللغوي ، إذ يمكن أن تحمل الكلمة الواحدة دلالات مختلفة في استعمالات متغايرة تشكلت على مراحل زمنية متتابعة . وتلك علة غالبية ظاهرة فطن إليها بعض علماء اللغة القدامى ، ومع ذلك فإن بعضهم الآخر قد اعترض على ذلك ، ولم يرَ لفظ إلا معنى واحداً وهو الأصل ، فإن كانت له عدة معانٍ أخرى فلذلك أسباب ؛ منها الاستعمال المجازي أو اختلاف اللهجات أو انتقال الدلالة أو التطور أو الاقتراض من اللغات الأخرى . . إلى آخر تلك الأسباب المعلة للظاهرة تعليلاً دقيقاً .

وهذا في الحقيقة ليس رفضاً لوجود الظاهرة ، ولا خلاف بين الرايين إلا من زاوية النظر ، أمن النتيجة - أم من المقدمة . ومن أشهر من حمل لواء المعارضة لهذه الظواهر الثلاث الأخيرة ثعلب ( ٢٩١ هـ ) وابن درستويه ( ت ٣٤٧ هـ ) وأبو علي الفارسي ( ت ٣٧٧ هـ ) . وقد بدأ التأليف فيها في صورة رسائل صغيرة تفتقر إلى الترتيب والتنظيم ، مثل : (الأشباه والنظائر في القرآن) لمقاتل بن سليمان ( ت ١٥٠ هـ ) ، و ( ما اتفق لفظه واختلف معناه ) لأبي العمثيل الأعرابي ( ت ٢٤٠ هـ ) و ( ما اتفق لفظه واختلف معناه ) للمبرد ( ت ٢٨٥ هـ ) . أما كتاب ( المنجد في اللغة ) لأبي الحسن علي بن الحسن الهنائي المعروف بكرام ( ت ٣١٠ هـ ) فيعد من أشمل ما وصل إلينا حول المشترك .

ولا شك أن ثمة ظواهر لغوية أخرى بدأ علماء اللغة التأليف فيها منذ وقت مبكر ، مثل المعرب والدخيل . فقد اختلف العرب حول اللفظ الأعجمي ، وذهبوا في هذه القضية أو الظاهرة مذاهب شتى لارتباطها بالقرآن الكريم ، فمنهم من رفضها كلية ، إذ لا يحتوي القرآن الكريم إلا على العربي الخالص ، ومنهم من توسط ، فرأى أن تلك الألفاظ الواردة في القرآن الكريم أعجمية الأصل ، ولكن العرب عربتها ، فصارت

عربية فاستعملها القرآن بهذه الصفة . وقد اجتهد العلماء في وضع القواعد التي تمكن من معرفة الألفاظ المعربة ، وقد أقاموها على جرس الألفاظ واتلاف حروفها . وقد بدأ التأليف فيها متواضعاً على نحو ما ورد لدى أبي عبيد في غريبه ، وابن قتيبة في أدب الكاتب وابن دريد في جمهرته ، وتضخمت المادة في مخصص ابن سيده ، غير أن أبا منصور الجواليقي ( ت ٥٤٠ هـ ) قد أفرد للمعرب كتاباً مستقلاً ضخماً أسماه « المعرب من الكلام الأعجمي » . ولم يتوقف التأليف في هذا الباب حتى العصر الحديث .

وننبه أيضاً في خاتمة هذه المقدمة الموجزة إلى أنه قد أولى علماء العربية للاشتقاق والنحت أهمية كبيرة ، فقد عد الأول أساس اللغة العربية ، إذ إن العربية لغة اشتقاقية . وقد ضمت مؤلفاتهم الكلام عن نوعي الاشتقاق : الاشتقاق الأصغر ، والاشتقاق الأكبر ، والنحت بوصفه ضرباً من ضروبه . ومن أوائل من ألف فيه الأصمعي في كتابه ( اشتقاق الأسماء ) . وقد تراوح العلماء في معالجتهم لهذه الظاهرة بين الاعتدال والغلو والإسراف ، وقد أفرد ابن السراج ( ت ٣١٦ ) في ( كتاب الاشتقاق ) مادة موسعة قيمة . أما أكبر الكتب التي ألفت في هذا الباب دفاعاً عنه وكشفاً عن قيمته وردا لادعاءات الشعوبية فهو كتاب ابن دريد ( ت ٣٢١ ) المسمى ( كتاب الاشتقاق ) . أما العالم اللغوي الكبير ابن جنى ( ت ٣١٩ هـ ) فقد أولع به ، مقتفياً في ذلك آثار أستاذه أبي علي الفارسي ، وخصص للاشتقاق الأكبر باباً طويلاً في كتابه ( الخصائص ) .

وفي الواقع لا يتسع المقام للحديث المفصل عن كل المؤلفات التي تناولت هذه الظواهر اللغوية التي قدمنا لها ، ولذا ستكتفي هنا ببعض هذه الظواهر البارزة .

## النوادر في اللغة

لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ)

أشرنا فيما سبق إلى أن الرواية الشفوية هي أساس تلقى العلم في زمن اللغويين الأوائل ، فقد كان الاعتماد فيه على السماع ؛ ولم يكن يقرون إلا ما سمعوا ، وكانوا يشككون في علم من ينقل عن الكتب ، ويردون أقواله ، ويؤخرون رتبته ، فما كان من سبيل إلى معرفة اللغة في أنقى صورها إلا بالرحلة إلى البوادي التي تعيش فيها القبائل العربية الفصيحة ، ومشاهدة الأعراب ، طلباً للفصاحة في الاستعمال اللغوي وتلمسا للغريب والنادر . وقد أدى أسلوب الإملاء اعتماداً على الذاكرة إلى اختلاف عبارة الروايات التي وصلت إلينا عن اللغويين الأوائل كالأصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وغيرهم ، فقد كانت مجالسهم تختلف وأماليهم تتعدد ، فتختلف عبارة العالم في كل مرة عن الأخرى .

وبدئنا أن هؤلاء الأوائل قد شغفوا بجمع وتدوين كل ما هو فصيح ونقى في لغة هؤلاء الأعراب الفصحاء ، وكان من بين هذه المادة اللغوية ما هو مغرق في الإغراب والندرة لا يتوصل إلى فهمه وتفسيره دون الاعتماد عليهم ، ولا تخفى هنا تلك الصلة الخفية بين مفهومى الغرابة والندرة ؛ تلك التي تؤكد لها طبيعة المادة التي وردت في مؤلفات الأوائل . وعلى الرغم من أن بعضهم قد أسرف في تتبع هذا النوع من الألفاظ والسعى وراء الأقوال والأشعار والأرجاز التي تمتلىء بها فإن كتبهم قد حفظت لنا ثروة لغوية لا يستهان بها ، لأنهم جمعوا أيضاً ألفاظاً فصيحة مستعملة ، وفسروا كثيراً من الغرائب والنوادر والأشعار والأرجاز كان يمكن أن تضيع ، وإن قيل إنه قد بقي منها إلا القليل ، أو تظل مستعصية على الفهم ، متأية على الإدراك .

وكان أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري واحداً من هؤلاء الرواد الأوائل الذين أخذوا اللغة مباشرة عن العرب الفصحاء فقد قيل عنه : « أحفظ الناس للغة . . . وأوسعهم رواية ، وأكثرهم أخذاً عن البادية » (المزهر ٢/٤٠٢) .

وقد سبق أن أشرنا إلى دوره في جمع اللغة في رسائل صغيرة ذات موضوع واحد ،

وتعرض هنا لمؤلفه في هذا اللون من ألوان التأليف الذي سبقه إلى التأليف فيه ، كما تذكر كتب التراجم والطبقات ، عدد كبير من اللغويين غير أن كتابه في النوادر يعد أقدم كتاب وصل إلينا من هذا النوع ، كما أن مادته وطريقته في معالجتها ونهجه الذي سار عليه تختلف عن غيره . ويشير ما جاء في بداية الكتاب إلى أن المادة التي يضمها وصلت إلينا من طريقين ، الأولى رواية التوزي وأبي حاتم عن أبي زيد والثانية رواية الرياشي وأبي حاتم عن أبي زيد .

جمع أبو زيد في كتابه مجموعة من ألفاظ اللغة الغريبة النادرة داخل نصوص من الشعر والرجز والنوادر ، أقلها من الشعر (ثلاثة أبواب) ، تليه النوادر في كلام العرب الفصحاء (خمسة أبواب) ، ثم الرجز (سبعة أبواب) ، وهي تمثل أبواب الكتاب كله (١٥ باباً) . ولكنه لم يبدأ بالشعر ثم النادر ثم الرجز ، بل جاءت الأبواب متفرقة ؛ فنجده يبدأ بالشعر ثم الرجز ثم الشعر ثم يضع باين للرجز أحدهما وراء الآخر دون تعليل لهذا التقسيم . فما علة تجزئة مادة الكتاب من شعر ورجز ونوادر في أبواب متفرقة ؟ !

يذهب د . عز الدين إسماعيل (ص ٣٢١) في تفسير ذلك إلى : « أن أبا زيد كان يملئ كتابه على حلقات ، فحلقة في تفسير غريب الشعر ، وحلقة في تفسير غريب الرجز ، وحلقة فيما روى عن العرب من نوادر لغوية ، دون مراعاة لترتيب معين . وكان أولى بزواة الكتاب عنه أن يجمعوا كل ما يتصل بالشعر في باب ، وما يتصل بالرجز في باب ثان ، والنوادر في باب ثالث ، فيصبح الكتاب بذلك ثلاثة أبواب ، في كل باب موضوع مستقل بذاته » . وربما يتسق هذا التغير مع ما أشرنا من قبل حول أسلوب التدريس آنذاك واختلاف المجالس وتعدد الأمالي .

ويصعب أن نوافق د . عز فيما ذهب إليه من دعوة رواة الكتاب إلى التدخل فيه بإعادة ترتيبه ، لأن تدخلهم يعني في نظر مبادئ ذلك العهد أنهم ليسوا ثقة فيما نقلوا عن شيخهم ، إذ كانت الرواية الشفهية تلزم الراوي أن يروي عن أستاذه رواية حرفية صادقة أمينة دون تحريف أو تبديل أو تغيير ، بغض النظر عن اختلاف الروايات غير المقصود العائد إلى أمر الذاكرة ، ناهيك عن أنه من غير المعقول وفقاً لسنن تلك الفترة أن نطالب أبا زيد أن يقدم كتابه مرتباً ، فهو يسلك نهج الأمالي الذي سيظل زمناً طويلاً

بعده أيضاً نهج أغلب اللغويين ، وهو يوائم - كما أشرنا فيما سبق - أسلوب التدريس آنذاك .

أما منهجه في عرض المادة فقد خالف من كان يقدم اللفظ ويفسره ثم يأتي بالشعر شاهداً عليه ، ويروى عن أعراب القبائل ، فكان يقدم الشعر أو الرجز ثم يفسره . وقد التزم في الشعر بنسبة الأبيات إلى قائلها ، وتحديد زمانه ( العصر الذي عاش فيه ) ومكانه ( القبيلة التي ينتسب إليها ) . ثم يأتي بالشرح الذي لم يتنظم فيه أيضاً ؛ فقد أطل في البابين الأولين ، وأوجز غاية الإيجاز في الباب الأخير ، ويلاحظ في شروحه عنايته بتقديم معاني المفردات ثم المعنى الإجمالى ، كما أنه كان يلتفت إلى مسائل نحوية و صرفية وعروضية وفروق دلالية دقيقة ، ويستشهد على شروحه بشواهد أخرى من القرآن والشعر . أما في أبواب الرجز فلم يعن بنسبة الأرجاز إلى قائلها ، وأوجز في شرح المفردات والمعنى الإجمالى ، وقل اهتمامه بالمسائل النحوية والصرفية فيها .

أما في أبواب النوادر فتجاوز فيها تفسير المفردات ، وإن عنى بمشتقات اللفظ أساساً ، إلى التعبيرات والاستعمالات الغريبة التي لا تجرى على القواعد المعروفة ولا على اللغة الواضحة الشائعة الاستعمال . وفي بعض الأحيان يستشهد بالشعر ، ويلتفت إلى المترادفات .

وهكذا نراه لم يلتزم نهجاً معيناً في اختيار نصوصه أو شرحها أو الاستشهاد عليها . ويلاحظ أن أغلب مادة الكتاب رويت عن أبى زيد غير أن الرواة قد أضافوا إليها روايات للأصمعي وأبى عبيدة وابن الأعرابي ، كما اختلفت رواية التوزى مع رواية أبى حاتم من جهة تلقى أبى زيد للشعر والرجز والنوادر . على كل حال عدت مادة نوادر أبى زيد وشروحه ثروة لغوية قيمة ، نهل منها فيما بعد كثير من اللغويين ، بل ارتكز عليها مؤلفو المعاجم في صناعة معاجمهم الضخمة .

**فيما يلي نماذج من كتاب ( النوادر في اللغة )**

من كتاب « النوادر في اللغة » لأبي زيد الأنصاري

باب شعر

أبو زيد وقال الثانية الجدي  
فسلام الإله يندو عليهم وقبو الفردوس ذات الظلال  
فوق جمع في قال أبو حاتم أنت الفردوس على أنه الجنة  
وإن كان المعروف التذكير كما قال الفردوس الأعلى وفي  
القرآن يرون الفردوس هم فيها على معنى الجنة والقبو جمع التي  
وليس في الجنة في إنما التي ما كان شئاً فسحقه الظل فذلك  
التي وأما الظل فتتم قال أكلها دائم وظلها وقال إن  
المتين في ظلال ويجوز أن يكون الظلال جمع الظلة وفي القرآن  
وظلهم تمدود قال أبو الحسن التثنية في الفردوس أجود وقد  
بين ذلك القرآن قال والتذكير يذهب به إلى معنى البسكو  
وجمع التي آفاه القليل وقبو للكثير شعورك أجداع وجدوع  
وما أشبه ذلك وأما قوله عز وجل إن المتين في ظلال ويعون  
فألب أن يكون الظلال جمع ظل ولو كان جمع ظل لكان الجمع  
ظلالاً كقولك عرقة وعرف وحجرة وحجر  
أبو زيد وقال زهير بن مسعود  
ألا آذنتي بالفرق جاري وأصعب أهلي منجدين وغارت

وَمَا خِفْتُ بَيْنَهَا أَلَيْنَ حَتَّى رَأَيْتَهَا قَوْلَتْ بِهَا بَزْلُ الْجَمَالِ فَسَارَتْ  
 عُدَاوِيَّةٌ هَيْهَاتَ بَيْنَكَ مَحَلُّهَا إِذَا مَا هِيَ أَخَلَّتْ بِمُدْسٍ وَأَرَتْ  
 وَلَا هِيَ إِلَّا أَنْ تُقَرَّبَ وَصَلَهَا عِلَاةٌ كَنَازُ اللَّحْمِ ذَاتُ مَشَارَتِ  
 نَسُودٍ مَطَالِكَا الْقَوْمِ لَيْلَةً جُمُعِيهَا إِذَا مَا أَلْطَاكَ بِالنَّجَاءِ تَبَارَتْ  
 عُدَاوِيَّةٌ نَسَبًا إِلَى بَنِي عُدَاوَةَ حَتَّى مِنْ أَلَيْنَ . وَقُدْسٌ وَأَرَاتُ  
 مَوْضِعَانِ . وَأَلْشَارَتِ يُرِيدُ الْمَيْتَةَ وَالزَّيْبَةَ وَالسِّنَّ أَبُو حَاتِمٍ رَوَى  
 عِدَاوِيَّةٌ بِالْكَسْرِ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ قُدْسٌ وَآرَةٌ جَبَلَانٌ وَجِحْطِي عَنْ أَبِي  
 الْعَبَّاسِ أَنَّهُ رَوَى بَيْنَ قُدْسٍ وَآرَةٍ فَلَمْ يَصْرِفْهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ  
 هَضْبَةٌ وَأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ قَصَارَ فِي بَابِهِ بِمَنْزِلَةِ هِنْدٍ وَتَدَعَى فِي لَتَمَةٍ مَنْ لَمْ  
 يَصْرِفْ وَفِي كِتَابِي بِالنَّجَاءِ يَكْسِرُ التَّوْنُ فَهِيَ تَجَمُّعُ نَاجٍ وَتَطْيِيرُهُ نَاجِرٌ  
 وَجِمَارٌ رِقَامٌ وَقِيَامٌ وَجِحْطِي بِالنَّجَاءِ وَالنَّجَاءُ السَّرْعَةُ . وَقَوْلُهُ هَيْهَاتَ  
 بَيْنَكَ مَحَلُّهَا فَحَلُّهَا رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ وَهَيْهَاتَ الْخَبَرُ وَإِنْ شِئْتَ كَانَ  
 رَفْعًا بِهَيْهَاتَ كَمَا تَفْعَلُ فِي قَوْلِكَ خَلَقَكَ زَيْدٌ وَهَيْهَاتَ ظَرْفٌ كَأَنَّهُ  
 قَالَ فِي الْبَيْدِ بَيْنَكَ مَحَلُّهَا وَيُقَالُ هَيْتَ بِهِ تَهَيَّبًا إِذَا نَادَاهُ مِنْ مَكَانٍ  
 يَبِيدُ وَهَيْهَاتَ تَكُونُ وَاحِدَةً وَجَمًّا وَهِيَ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ وَاحِدَةٌ  
 وَتُعَدُّ بِهَا هَيْهَاتَ كَقَوْلِكَ سِعْلَاهُ وَإِنَّمَا لَمْ يُنَوَّنْ لِأَنَّهَا مَوْثِقَةٌ مَعْرِفَةٌ  
 أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ الْمَيْهَاهُ كَمَا تَقُولُ السِّعْلَاهُ فَكَأَنَّهُ قَالَ  
 فِي الْبَيْدِ الَّذِي تَعْلَمُ

## باب نوادر

أبو زيد قال الكلابيون المروس والجشوش واحد وهي هريسة  
وجشيشة . وقال أبو المعاذ الكلابي المريس والجيش الحب حين  
يدق بالهراس قبل أن يطبخ فإذا طبخ فهو هريسة وجشيشة إذا جشوه .  
وقال استقبلت الماشية الوادي فأنا استقبلها إياه . وأقبلتها الوادي إقبالا  
إذا أقبلت بها نحو . وقبت الماشية الوادي تبلة قولاً إذا استقبلت  
هي قال الرازي

إذا سمن زاره تليدا في زفرة فيها<sup>(١)</sup> الكوودا  
رقن أمثال الحوافي سودا

(١) ويروى : يقبلها .

أَبُو حَاتِمٍ إِذَا سَمِعَ زَارَةً ، وَالْكَوْودُ الْمَقْبَةُ الثَّانِيَةُ  
وَيَقَالُ نَأَقَتْ هَسِي إِلَى ذَلِكَ تَوَقَّأَ وَتَوَقَّأْنَا وَتَوَرَّقَا  
وَيَقَالُ آبَتْ فُلَانٌ فُلَانًا شُعُورَهُ وَصُورَهُ إِذَا شَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَّةُ  
قَالَ الْبَحَّاجُ

وَكَثْرَةُ التَّحْدِيثِ عَنْ شُعُورِي (مَعَ الْجَلَا وَلَا مِحْرَ الْقَتِيرِ)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ وَحَدَّثَهُ شُعُورِي فَفَتَحَ الشَّيْنُ

أَبُو زَيْدٍ وَيَقَالُ جِئْتُ مِنَ الْقَوْمِ أَيٍّ مِنْ عِنْدِهِمْ

وَتَقُولُ شَعَبْتُ الْقَوْمَ أَشْعَبُهُمْ شَعْبًا وَشَعَبْتُ عَلَيْهِمْ (١)

وَتَقُولُ شَعَبْتُ خُبْرًا وَحَلْمًا وَرَوَيْتُ مَاءً وَبَنَّا

وَيَقَالُ لَيْتَ الرَّجُلُ يَلَيْتُ بَنًا وَبَنَاتًا وَبَنَةً . قَالَ أَبُو حَاتِمٍ بَنَانَةٌ

وَبِنَةٌ وَلَمْ يَحِكْ بَنَاتًا وَلَا بِنَةً . قَالَ أَبُو الْحَسَنِ وَحِكِي لَنَا فِي غَيْرِ هَذَا

الْمَوْضِعِ لَيْتُ بَنًا فَأَنَا لَيْتُ كَقَوْلِكَ فَرِقْتُ قَرَفًا فَأَنَا فَرِقٌ وَبَطَرْتُ

بَطْرًا فَأَنَا بَطْرٌ . وَالْمُسْتَعْمَلُ الْجَارِي فِي كَلَامِهِمْ لَابْتُ كَقَوْلِكَ

الضَّارِبُ وَالْمُسَدَّرُ اللَّبْتُ كَقَوْلِكَ الضَّرْبُ وَالِدَّلِيلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُمْ

لَبْتُهُ كَضْرِبِي

أَبُو زَيْدٍ وَيَقَالُ فِي الرَّجُلِ بُلَلَةٌ وَفِي الْقَوْمِ بُلَلَاتٌ وَهِيَ الْبَيْعَةُ

مِنَ الْوَدِّ وَيَقَالُ طَوَيْتُ الرَّجُلَ عَلَى بُلَلَتِهِ أَيَّ بَيْعَتِهِ مَا بَقِيَ مِنْ وُدِّهِ

وَيَقَالُ رَحِمْتُ بَنِي فُلَانٍ أَرُوْحَهُمْ وَوَلَعًا إِذَا رَحِمْتَ إِلَيْهِمْ أَوْ

(١) ومثله أيضاً شَعَبْتُ وفيهم (المصحح) .

رَحْتُ مِنْ عِنْدِهِمْ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَالْمَازِنِيُّ أَوْ رَحْتُ عَنْدَهُمْ  
 وَيُقَالُ جَمَلَ الْقَوْمِ حَبْلُهُمْ عَلَى غَوَائِبِهِمْ . الْحَبْلُ وَاحِدُهَا حَبْلٌ  
 وَهِيَ الْأَرْسَانُ . وَالنَّوَارِبُ وَاحِدُهَا غَارِبٌ وَهِيَ أَعَالِي كُلِّ شَيْءٍ  
 وَيُقَالُ مَا سَقَانِي فَلَانٌ مِنْ سُودِ قَطْرَةٍ وَهِيَ الْمَاءُ يُدْعَى الْأَسْوَدَ  
 قَالَ الشَّاعِرُ

أَلَا إِنِّي سُمِّيتُ أَسْوَدًا لِكَأَنَّ الْأَجْمَلِيَّ مِنَ الشَّرَابِ الْأَجْمَلِ  
 قَالَ أَبُو الْحَسَنِ وَدُرَيْ مِنْ الْحَيَاةِ . يَعْنِي بِالْأَسْوَدِ الْمَاءَ . وَبِجَلِي  
 حَسْبِي . وَيُقَالُ مَا عِنْدَهُ طَمَامٌ وَلَا شَرَابٌ إِلَّا الْأَسْوَدَانِ وَهُمَا الْمَاءُ  
 وَالنَّعْرُ التَّيْقُ . وَيُقَالُ ذَهَبَ مِنْهُ الْأَبْيَضَانِ أَي شَابَهُ وَتَحَمَّهُ . وَيُقَالُ  
 أَعْطَيْتُهُ ذَلِكَ عَيْنَ عَيْنَةٍ يَا فَتَى أَي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ (١)  
 وَإِذَا قَالَ لِأَخْرَبِنَ فُلَانًا أَوْ لِأَقْتُلْتَهُ قُلْتَ أَنْتَ أَوْ مَرِنَ مَا أُخْرَى (٢)  
 أَي عَمَى أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مَا تَقُولُ أَوْ يَكُونَ أَجْرًا لَهُ عَلَيْكَ . وَيُقَالُ  
 عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي فُحْوَى قَوْلِهِ أَي فِي مِعْرَاضِ قَوْلِهِ وَهُمَا سَوَاءٌ . أَبُو زَيْدٍ  
 قَالَ الشَّاعِرُ أَنْشَدَهُ الرِّيَاشِيَّ عَنْهُ

جَاءَتْ تَدَاعَى لِيَا أَصْوَانَهَا الْمَاءُ فُحْوَاهَا وَأَنْجِيَانَهَا  
 وَحَكِّي أَبُو حَاتِمٍ عَنْهُ فِي فُحْوَى قَوْلِهِ وَفِي فُحْوَاهُ قَوْلِهِ يَمْدُ وَيَمْرُ  
 وَفِي مِعْرَاضِ قَوْلِهِ

(١) يقال عين عنة وعين عنة بالصرف وعدمه كما في القاموس (معص).

(٢) وفي اللسان أو مرنا ما أخرى .

## باب رجز

وَقَالَ دَجُلٌ مِنْ بَنِي كِلَابٍ يُقَالُ لَهُ النَّيْرُ  
وَأَيُّ لَأَطْوِي الْبَطْنَ مِنْ دُونِ يَدَيْهِ لِمُسْتَجِجٍ مِنْ سُذْقَةِ اللَّيْلِ صَاحِجٍ<sup>(١)</sup>  
وَإِنْ أَمْتَلَأَ الْبَطْنَ فِي حَسَبِ النَّتَى قَلِيلُ الْفَنَاءِ<sup>(٢)</sup> وَهُوَ فِي الْجَنِّمْ صَاحِجُ  
الْمُسْتَجِجِ الَّذِي يَصِيحُ يَا كِلَابِ لَيْلًا فَتَلَجُّ قَيْسَعٌ فَبَاحًا يُعْرِفُ  
أَنْ لَمَّا أَهْلًا قِيَانِهِمْ يَطْلُبُ عِنْدَهُمُ التَّرَى  
قَالَ وَأَنْشَدْنَا الْأَصْمِجِي

وَأَلَيْتُ الزِّمَامَ لَمَّا قَامَتْ لِمَادَتِهَا مِنَ السِّدْفِ الْمِينِ  
يُرِيدُ الضُّوْءَ . قَالَ أَسِيفُ لَمَّا أَضَى لَنَا . وَالسِّدْفُ الضُّوْءُ .  
وَالسِّدْفُ الظُّلْمَةُ هُنَا عَنِ الْأَصْمِجِي . وَأَنْشَدَ  
وَأَطْمَنُ اللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَقَا

أَيُّ أَظْلَمَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ أَنْشَدَنَا أَبُو الْبَاسِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ  
لِمُسْتَجِجٍ فِي سُذْقَةِ اللَّيْلِ صَاحِجٍ . وَقَالَ الْأَصْمِجِيُّ الْمُسْتَجِجُ الَّذِي يَتَلَجُّ  
لِنَجْبَةِ الْكِلَابِ فَيَلْمُ لَهَا مَعَ قَوْمٍ قِيَانِهِمْ فَإِنَّمَا يَسْتَدْعِي بِبَاحِهِ بَاحَهَا .  
وَهُوَ كَقَوْلِكَ رَجُلٌ مُسْتَمِطٌ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَأَلَيْتُ الَّذِي أَنْشَدَهُ الْأَصْمِجِيُّ  
لِلنَّعْبِ الْمَيْدِيِّ . وَاللَّيْلُ أَكْثَرُ مِنَ الْمَلَّةِ وَهُوَ يَكْتَرُ الْمِيمَ . وَرَفَّتِهَا الصِّدْرُ  
أَبُو زَيْدٍ وَقَالَ آخَرُ

حَتَمَ يُبِيدُنَا قَوْمٌ وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهِمْ أَبَاعِرُ مَا شَاوُوا وَعَبْدَانُ<sup>(٣)</sup>

(١) أبو حاتم ملكه .

(٢) وفي رواية الفناء .

(٣) وفي اللسان يُبِيدُنِي قَوْمِي .

عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس  
كتاب النوادر  
لأبي مسحل الأعرابي

كان جمع اللغة من الأعراب الفصحاء سواء بانتقال اللغويين إليهم في البادية ومشافتهم وتدوين ما سمعوه ثم عودتهم بعد ذلك إلى الأمصار للدرس والتأديب ، أو بانتقال بعض هؤلاء الأعراب إليهم في الأمصار ، والإجابة عن أسئلة جامعي اللغة وغيرهم لقاء مقابل مادي في الأغلب ، إذ إنهم أغنواهم عن السفر ومشاقه وتكاليفه ، وقدموا لهم المادة اللغوية الفصيحة الموثقة من طريق مباشر ، كان هذا النهج - كما قلت فيما سبق - هو أكثر ثقة وأمانة في المحافظة على اللغة من الضياع وجمع ثروة لغوية ضخمة من النوادر والغرائب والألفاظ المترادفات التي كان من الممكن أن يستعصى على الأجيال التالية لهؤلاء الفصحاء تفسيرها والانتفاع بها دون ذلك الجهد الذي بذله هؤلاء الأعراب .

وقد كان أبو محمد عبد الوهاب بن حريش الملقب بأبي مسحل الأعرابي من أهم هؤلاء الأعراب الفصحاء الذين وردوا الأمصار من البادية ، وشاركوا في الحركة الخصبة التي نشطت في تلك الفترة المبكرة من تاريخ جمع اللغة وتدوينها وهو أعرابي من بني ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر ( الفهرست ٧٥ ) ، وهم من أحياء بني عامر بن صعصعة ، ومنازلهم في نجد ، وقد حضر من البادية مع أبيه إلى بغداد . ولا تقدم كتب التراجم والطبقات شيئاً عن تاريخ ميلاده ، ولا عن تاريخ وفاته . ويقدر حسن محقق كتابه « النوادر » من خلال مقارنة تواريخ وفاة من صحبهم ومن تتلمذوا عليه ونقلوا عنه أنه عاش في الفترة بين أواخر القرن الثاني وأوائل الثالث من الهجرة (ص ٩) .

صحب الكسائي وأخذ عنه اللغة والنحو والقرآن رواية عنه ، فقد كانت صلته به وثيقة وروى عن علي بن المبارك الأحمر أيضاً . فهو إذن كوفي المذهب ، كان أكثر اشتغاله في اللغة والنحو واهتم بالقرآن وقراءاته . يرد ذكره في بعض مسائل كتب اللغة ، ولم يعرف عنه أن له سوى كتابين هما « النوادر » الذي نعرضه ونحلله فيما يلي ،

وكتاب آخر مفقود اسمه « الغريب » . وقد وصل كتاب النوادر من ثلاث طرق في الرواية ، فقد رواه ثلاثة من تلاميذه الذين أخذوا عنه وهم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وأبو العباس اسحق بن زياد الأعرابي ، وأبو عبد الرحمن أحمد بن سهل .

أشرنا فيما سبق إلى خلاف اللغويين حول مفهوم النادر ، ولكن تجدر الإشارة هنا إلى مفهوم محقق الكتاب ، إذ يرى أن النادر - كما تعرفه كتب اللغة - قريب في المعنى من الحوشى والغرائب والشواذ في اللغة ، إلا أن النادر بمعناه العام يشمل هذه الألفاظ جميعاً ، على الرغم من أنه بمعناه الخاص أقرب هذه الألفاظ من الفصيح . ولكنه يركن إلى رأى السيوطى فى حد النادر ( المزهرة ١٨٧ / ١ ) وهو ما قل استعماله على السنة العرب . وعلى هذا - النتيجة التى توصل إليها د . عزة حسن - فكثرة الاستعمال أو قلته هو المعيار الصحيح الثابت الذى به يمكن لنا أن نحكم أن هذا اللفظ فصيح معروف وأن ذلك اللفظ نادر مجهول ( ص ٢١ ) .

مثال ذلك ما جاء فى كتاب النوادر لأبى مسحل ( ص ٢٢٥ ) .

ويقال إن فلاناً لذو شرفة ، وما أعظم شرفته ! يعنى شرفة » . إن لفظة « شرفه » بمعنى الشرف قليلة الاستعمال ، ولم تشتهر اشتهاً لفظية « الشرف » إذ لم تكثر على السنة الجمهور ، فأهملت لذلك وكانت من النوادر .

إذا كان هذا هو معنى مصطلح « النادر » ، فلماذا أوردت الكتب التى تحمل هذا الاسم كثيراً من الألفاظ التى لا يمكن أن تعد من نوادر اللغة أو غريبها ، بل هى فصيحة شائعة متداولة على الألسنة ؟ السبب فى رأيه - وهو معروف - تباين وجهات النظر عند علماء اللغة أنفسهم واختلاف معاييرهم فى تقدير فصاحة الألفاظ أو غرابتها ، غير أنه يضيف قائلاً : « ويخيل إلى أن كتب النوادر صارت ، على مر الزمن ، كتب لغة ، يبنى أساسها على إيراد النوادر فى اللغة . ولكن هذه القاعدة ماكانت لتمنع أصحابها من إيراد الفصيح من اللغة أيضاً إلى جانب نوادرها . وكأنى بهم كانوا يوردون النادر الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها ، لدلالته على النادر ومعرفة معناه وموضع استعماله . وقد ألفت كتب فى الفصيح والجيد من اللغة ، فى الوقت نفسه الذى ألفت فيه كتب النوادر والغريب ، مثل كتاب « الفصيح » لثعلب ، وكتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت . ولكننا عند الموازنة بين هذه الكتب ، وقياس بعضها ببعض لا نجد فرقاً كبيراً بين هذين النوعين من كتب اللغة ، على الرغم من اختلاف الغاية التى رعى إليها

الرواة والعلماء فى تدوينهم مثل هذه الكتب . ومن الغريب العجيب أن نجد عند التحرى والتدقيق أن كتب النوادر تفيض بالفصح من ألفاظ اللغة ، وأن كتب الفصح والجيد مطوية على كثير من نواذر اللغة وغرائبها أيضاً . ( ص ٢٣ ) .

لا شك أن رأيه فى أن كتب النوادر صارت كتب لغة رأى صحيح عندى ، وأنها كانت تضم الفصح المشهور إلى جانب النادر المجهول ، ولكن لا يعنى ذلك عدم التفريق بين الكتب التى أوردها ، من جهة كم المادة وكيفها . فالمقارنة بين كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت ونواذر أبى مسحل مثلاً يكشف عن اختلاف كبير ، ليس فى كيف المادة فحسب ، بل فى كم المادة أيضاً ، إذ إن نسبة الألفاظ الفصيحة المستعملة فى الكتاب الأول عالية . أما النوادر فنسبتها محدودة ، ذلك بخلاف الحال فى الكتاب الثانى ، فالألفاظ النادرة أو الغريبة قليلة الاستعمال المهجورة أكثر إلى حد بعيد من الألفاظ المستعملة .

على أية حال فهو أعزرت كتب اللغة المتقدمة مادة ، إذ إن المادة اللغوية الواردة فيه ، كما يقول محقق الكتاب ، تمثل لغة البادية فى الجاهلية و صدر الإسلام فى ألفاظها وعباراتها وأمثالها وأساليبها تمثيلاً جيداً . والكتاب فى مجموعته أثبت وأوسع نص لغوى وصل إلينا عن المرحلة الأولى لجمع اللغة وتدوينها ، فى بدء ازدهار الحضارة العربية ، فى أواخر القرن الثانى وأوائل الثالث من الهجرة . وهو يعد بذلك مثلاً جيداً للخطة البدائية التى اتبعها الرواة والعلماء فى بادئ الأمر لجمع اللغة وتدوينها . وهو كتاب « أبى زيد الأنصارى » فى هذه الأمور جميعاً ، إلا أنه أوسع منه حجماً ، وأغنى مادة . وهو بعد مروى عن مؤلفه الأعرابى الصميم مباشرة بطريق علماء أفاضل كبار مثل أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب وغيره . وقد تداوله علماء كبار أيضاً ، كابى عمر الزاهد غلام ثعلب ، وأبى عبد الله بن خالويه ، وقرؤوه وصححوه ( ص ١٢ ) .

إذا كان هذا الوصف صالحاً بشكل عام ، فيلزم أن نوضحه فى شىء من التفصيل ، إذ كان أبو مسحل مغرمًا بالمترادفات ، فيورد مجموعة « الألفاظ التى تتفق فى معنى واحد » يضعه فى الخاتمة ، وأحياناً ينطلق من صيغة ما ، فيذكر كل ما عرفه أو سمعه عنها ، ويعنى أحياناً بالضبط ، كما أنه يضع الألفاظ فى ترايب ليتضح مدلولها فى بعض المواضع ، وعنى بذكر الصفات الخاصة بالإنسان ، الرجل والمرأة ، والحيوان بكل أنواعه والنبات والجماد وغير ذلك ووصف الأحوال والهيئات ، كما أنه يفرق بين معنيين متجاورين تفريقاً دقيقاً كالتفريق بين القضم والخضم .

ومثال الترادف اللفظي قوله : يقال : شط النهر ، وشاطئه ، وعبره ، وبينه ، وجيزه وجيزته ، وضفه ، ووضفته ، وضيغه ، وحافته ، وجديه ، وجده ، وجدته . وذلك في معنى ناحيته .

يقول فيما جاء على مثال ( فعيل ) التانيث فيه بغير الهاء : كف خضيب ، ولحية دهن ، وعين كحيل ، وامرأة صبور ، وعجوز ، وعجول ، وشكور . ( ٨٨ ، ٨٩ ) .

ومثال الترادف التركيبي قوله : انتزعت حلقة فلان ، وانتقتها ، وانتزعت خطته ، وشققت عبارته ، ومعناه لحقته في حاله وعمله وجرائته .

ومثال الترادف الوصفي ، قوله : ويقال : رجل مهروع العقل ، ومسلوس العقل ، ومألوس ، ومهلوس ، ومسبوه ، ومسموه ، ومسبه ، ومسمه ، وممتوه ، ومهب ، ومسهب . كل هذا بمعنى مسلوب العقل .

ويلاحظ أنه قليل الاستشهاد لإيضاح دلالات مفرداته ، فهي شديدة الصعوبة والوعورة دون تفسيرها ببيان مواضع استعمالها ، وأكثر شواهد من الشعر والرجز ، ويقل استشهادها بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ويكثر عن الكسائي ، أنتاذه ، والأصمعي وأبي عبيدة وغيرهم . وندرت الإشارة إلى اللهجات المختلفة سوى لغة الحجاز ولغة تميم .

أما من جهة الترتيب والتبويب ، فلم يراع الكتاب ذلك مطلقاً ، ويبدو أنه كان محكوماً بدلالة اللفظ الذي يبدأ به ، فيورد كل الألفاظ التي ترد بخاطره في لحظة السؤال أو التدوين أو ما يحفظه عن الأعراب أو اللغويين . وهكذا يصعب العثور المرء على بغيته دون أن يقرأ الكتاب من أوله إلى الموضع الذي يجد فيه الكلمة التي يبحث فيه عنها . وكان المحقق بلا شك على إدراك تام بتلك الصعوبة ، فصنع له فهارس قيمة وافية لتسهيل استخراج الألفاظ أو الشواهد أو الأعلام وغيرها . .

والحق أننا لا يمكن أن نطالب أبا مسحل بأكثر مما فعل ، فقد حفظ لنا ثروة لغوية ، مؤلفة على نهج كتب اللغة الأخرى التي ألفت في تلك المرحلة المبكرة ، وقدم للأجيال التالية مادة لغوية ثرية أسهمت في صنع المعاجم الضخمة فيما بعد ، ويكفي أن ننظر في معجم مثل أجمهرة لابن دريد لنندرك قيمتها . وكان على العلماء المتأخرين أن يطوروا نهج تأليفها ويوبون ويرتبون ويفسرون ، ولكن للأسف لم يحدث ذلك ، فقد تأثروا

فى الأءلب بهءا النهء ، وءانء إءافاءهم فى ءهة زباءة كم الماءة وءفسرها والإءءار من الشواءء وءءءءم مؤلفاءهم بإءءال مسائل صرفة ونءوءة وءر ذلك فءرءء بذلك عن المفهوم الءاص بالنواءر الءى ءمع هؤلاء الأواءل الألفاء فى إءاره ، فلم يعد ءمءزم بئنها وئبن ءب اللغة الأءرى ممءناً أو واضءاً على الأقل .

**وفئما ىلى نموءء من ءاب (النواءر) لأبى مسءل الأءرابى**

## من كتاب نوار أبي مسهل الأعرابي

ويقال : قد أَجْمَعْتُ عَلَى الأمرِ ، وبالأمرِ ، وأزْمَعْتُ ، وأكْمَيْتُ ، بمعنى واحد .  
ويقال : أَخَذْتَهُ الحُمَى بِزَفْرَقَةٍ ، وَفَفَقَعَهُ ، وَفَعَقَعَهُ ، يَعْنِي بِرَعْدَةٍ .  
ويقال : مَا بِفُلَانٍ خَدَشَةٌ ، وَلَا خَرَشَةٌ ، وَلَا كَدَشَةٌ ، وَلَا تَنْشَةٌ ، وَلَا وَذْمَةٌ\* ،  
وَلَا ظَبْطَابٌ .

ويقال : قَدْ كَانَ ذَلِكَ وَلَا كُنْتِي لَكَ ، وَلَا تَكْذِيبَ ، وَلَا كُذْبَانَ ، وَلَا مَكْذِبَةَ ، وَلَا  
كَذِبَ . وَمَعْنَاهُ وَلَا أَرُدُّ عَلَيْكَ ، وَلَا أَكْذِبُكَ .

ويقال : تَكَلَّمْتُ حَتَّى أَمْرَعُ ، وَالْعَبَّ ، وَأَرَأَلَ ، يَعْنِي سَأَلَ لُعَابُهُ وَمَرَعُهُ وَرُوَأَلُهُ ، وَهُوَ  
اللُّعَابُ . وَبِكِي الصَّبِيِّ حَتَّى أَرَعَمَ ، وَهُوَ الرُّعَامُ ، أَيْ سَأَلَ مُخَاطَبُهُ .

وقال : يُقَالُ : قَرَعْنَاكَ لِهَذَا الأمرِ ، وَاقْتَرَعْنَاكَ ، وَقَرَحْنَاكَ ، وَاقْتَرَحْنَاكَ ،  
وَنَجَبْنَاكَ ، وَانْتَجَبْنَاكَ ، وَنَخَبْنَاكَ ، وَانْتَخَبْنَاكَ ، وَاجْتَبَيْنَاكَ ، يَعْنِي اخْتَرْنَاكَ .  
وَكَاسَتْ لُغَةً . وَادْكَرَتْ ، وَادْكُرَتْ ، وَأَنْثَتْ ، وَأَنْثَتْ :

ويقال : رَجُلٌ مُخْمَقٌ وَأَمْرَأَةٌ مُحْمَقَةٌ وَمُخْمَقٌ ؛ [١٨١ب] / وَمُكَيْسَةٌ ، وَمُكَيْسٌ ؛  
وَمُذْكَرَةٌ ، وَمُذْكَرٌ ؛ وَيُقَالُ : امْرَأَةٌ مُذْكَرٌ أَيْضاً . وَرَجُلٌ مُؤْنْتُ ، وَامْرَأَةٌ مُؤْنْتُ وَمُؤْنْتَةٌ .  
وَذَلِكَ إِذَا وَكِدَ الْأَكْيَاسُ مِنَ الْبَيْنِ وَالْحَمْقَى . فِإِذَا قَالُوا : رَجُلٌ مُذْكَارٌ وَمُثْنَاتٌ لَمْ  
يُدْخِلُوا الْهَاءَ فِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى ، إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ ، حَكَاهَا الْكِسَائِيُّ عَنْهُمْ ، قَالَ ،  
يُقَالُ : رَجُلٌ مَطْرَابٌ وَمَطْرَابَةٌ ، وَمَجْدَامٌ وَمَجْدَامَةٌ ، وَمَعَطَارٌ وَمَعَطَارَةٌ .

١٠ ويقال : قَدْ أَحْرَضَ الرَّجُلُ ، وَأَخْلَفَ ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَرْأَةِ . وَذَلِكَ إِذَا وَكِدَا وَكِدَا  
سَوْءَ . وَأَحْرَضَتِ الْمَرْأَةُ ، وَأَخْلَفَتْ . وَيُقَالُ هَذَا حَارِضَةً ، وَخَالِفَةً ، لِحَلْفِ السَّوِّءِ .  
وَمَا جَاءَ عَلَى (فَاعِلَةٌ) ، يُقَالُ فِيمَا جَاءَ عَلَى (فَاعِلَةٌ) : رَجُلٌ دَاعِيَةٌ ، وَدَاهِيَةٌ ،  
وَبَاقِعَةٌ . وَرَأَوِيَةٌ ، وَوَاعِيَةٌ .

\* غيره : وَلَا وَذِيَةٌ .

ويقال: خُذ من فلان ما أشرف لك، وما دنتي لك، وما أطف واستطف،  
وأزهف، وأوهف لك، يعنى ما ارتفع لك منه.

ويقال: رجل فيه مسكة ومسكة ومسيكة ومسكة ومسك ومسك، وإمساك.  
ورجل مسيك، ومسك كذلك وممسك. وقد مسك وأمسك، كما تقول: سرع  
وأسرع، وبطؤ وأبطأ. وذلك في البخل.

ويقال: أجل فلاناً إلى أجل، وأقد، ونصب، وأمد، وحفر، بمعنى.

ويقال: أملت الرجل، وأخفق، وأنفق، وأورق، وأفتر، وأصفر، وأفقر،  
وأنقض، وأرمل، وأقوى، وأكدى، وأجحد، وجحد، وأحقد، وحقد، والفج،  
وأفلس، وأصرم، وأعدم، وأجرذ، وأفقع، وأدقع، وأبقع، بمعنى فأس.

ويقال: باتت الإبل على طرقة، وعرقه، وخف، ووظيف واحد. وذلك إذا تلا  
بعضها بعضاً في السير.

ويقال: امرأة حمقاء، وخرقاء، وورهاء وخرمل، ودفنس، وعثة، ورعلاء،  
وطعشنة، وقرتع. وذكروا في القرع أنها تكحل إحدى عينيها، وتلبس قميصها  
مقلوباً. والعثة دودة أيضاً.

ويقال: في الناقة حران، وقطاف، ووكال، وخلاء، ١٠ ولبان<sup>(١)</sup>.

ويقال: انجبرت يده على عثم، وعثل، وأجر، وهو العيب. ويقال: قد وعت  
تعى وعياً، إذا انجبرت على غير عيب، ووقع العظم في موضعه. وكذلك وعى الإناء  
إذا أمسك الماء فلم يقطر منه شيئاً.

\* خ ورجرجة.

(١) كل هذا بمعنى الإبطاء وسوء السير وضيقة وعدم اندر في الجرى في الدواب.

## الأضداد

## لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)

أشرنا فيما سبق إلى أن الخلاف حول هذه الظاهرة لم يحل دون إسهام عدد كبير من علماء اللغة الأوائل في التأليف فيها ، مثل قطرب والأصمعي وابن السكيت وأبي حاتم السجستاني وأبي بكر الأنباري وأبي الطيب اللغوي وابن الدهان وغيرهم . وأشرنا أيضاً إلى أنهم اختلفوا في كم المادة الواردة في كتبهم وطريقة تناولها ، ففي أضداد قطرب (٢١٨ كلمة) ، والسجستاني (١٧٠ كلمة) وابن الأنباري (٣٥٧ كلمة) وأبي الطيب اللغوي (٣٠٠ كلمة) تقريباً . وقد عد الفريق المثبت لها المنافع عنها أنها من سنن العرب في الكلام ، بل إنها تدل على عبقرية اللغة في إعطاء الألفاظ الواحدة وجوهاً مختلفة من المعاني تفهم بسياق العبارة ومناسبة الكلام .

وقد حاول بعض العلماء وضع قواعد لضبط إدراج المفردات تحت الأضداد؟ منها شرط ابن دريد الذي يازم أن يكون استعمال اللفظ في المعين في لغة واحدة (أى في لهجة واحدة) ، وشرط أبي علي القالي الذي يوجب النظر إلى المعنى الأصلي للجذر المعجمي للكلمة ، وشرط المتأخرين الذي يحتم مراعاة السياق الذي تقع فيها الكلمة الضد ، لأن العلاقات بين الكلمات داخله أساس في تحديد دلالة الكلمة ، ولكن برغم وجاهة شروطهم فإنها قد قصرت عن أن تضبط كل الكلمات الأضداد ، لأن وضعها - كما قيل - في مألوف القوانين اللغوية والمواضع الاصطلاحية إكراه لطبيعتها وتقييد للقدرة وطلب المحال . وعلة ذلك - كما أشار العلماء مراراً - منطقية إذ إن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية .

وقد غالى ابن درستويه في إنكاره لهذه الأضداد إنكاراً شديداً برغم توفيقه في محاولاته لتأويل ما ورد منها في اللغة ونصوص العربية الشعرية منها والثرية فإنه يجب أن نضع في الاعتبار أن جهده لم يتجاوز تفسير طائفة منها . بيد أن المسألة قد أخذت بعداً آخر دفعت إلى ظهور كتاب الأضداد لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري مخالفاً من سبقه إلى هذا النوع من التأليف ، من جهة الكم ، إذ بلغ عدد المفردات التي تناولها (٣٥٧) ، ومن جهة الكيف أيضاً ، إذ تجاوز الأنباري مرحلة مجرد حصر هذه

الأضداد وجمعها من كلام العرب ، شعره ونثره ، وما ورد في القرآن والحديث ، إلى مرحلة أخرى عنيت بالتعليل والإكثار من الاستشهاد والمقارنة بين الآراء المختلفة وإعمال العقل في ذلك كله للوصول إلى تفسير مقبول أو إيجاد علة لهذا الاستعمال أو ذلك ، فإذا لم يتيسر له ذلك « لشدة غموض العلة وصعوبة الاستخراج - كما يقول الأنباري - فيرد الأمر فيها إلى علل عرفها العرب وجهلناها » .

ومن اللافت للنظر حقاً أن مؤلف الكتاب يكشف في مقدمته عن علة تأليفه له ، يقول ( ص ١ ) : « هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ والإزاء بالعرب ، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم وعند اتصال مخاطباتهم ، فيسألون عن ذلك ، ويتحججون بأن الاسم منبىء عن المعنى الذي تحته ودال عليه ، وموضح تأويله ، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب ، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى » .

وهكذا فقد أحاطت بالمؤلف آنذاك ظروف وملابسات دفعت إلى التأليف في هذا اللون من ألوان التأليف على نهج مغاير لمن سبقه إلى ذلك ، وبخاصة ذلك الطعن في العربية الذي وجهه الشعوبيون إلى اللغة العربية لاحتوائها على هذا الصنف من الألفاظ ، ومن ثم تحتم عليه أن يعدل عن النهج المتبع من قبل بالاكْتفاء بجمعها والتغنى بأنها ميزة للعربية تنفرد بها على اللغات الأخرى . فالوقوف أحوج ما يكون آنذاك إلى التفسير والكشف عن علل لجوء العرب إلى هذه الألفاظ . ولا شك أن المؤلف كما تؤكد صفحات الكتاب كان مستوعباً لدوره ، وتكشف طريقته في معالجة الألفاظ عن نهج مطرد لم يخرج عن الإطار المرسوم له . ومن هنا استحق الكتاب ومؤلفه عبارات الشناء التي لهجت بها بعض ألسنة الباحثين ، مثل : « لعل كتاب الأنباري هذا من أحسن ما ألف في هذا الموضوع لغزارة مادته وكثرة شواهد وسعة علم مؤلفه » .

وقد حدد محقق الكتاب ، « المحقق الثبت الجليل ، محمد أبو الفضل إبراهيم » في مقدمته للتحقيق أموراً عدة تضم مادة الكتاب ومنهجه وطريقته في المعالجة في عبارة موجزة ، يقول ( ص : ج ) : « ولكن أعظم هذه الكتب خطراً وأوسعها كلما وأحفلها بالشواهد وأشملها للعلل هو كتاب أبي بكر الأنباري ، فإنه أتى على جميع ما ألف قبله

وأرى عليه ، وجاء بالعجيب من أراجيز العرب وشواهد الشعر والحديث والقرآن في كثرة بالغة ، وإسهاب كثير مع عذوبة المورد ووضوح التعبير وإشراق الدلالة وإطراد التنسيق وسهولة الأسلوب . وأعانه على كل ذلك كثرة محفوظه ووفرة روايته ووضوح الفكرة في عقله ، مع دقة التعليل وقوة الحجاج ، ثم استطرد لشرح الشواهد شرحاً أبان فيه المعنى الدقيق ، وكشف النقاب عن اللفظ الغريب ، وقدم لبحثه ببحث ضاف شامل ، انتصر فيه للعرب فيما ورد على ألسنتهم من ألفاظ الأضداد ، وأبان عن حكمتهم فيما أرادوا ، وعلل كل ذلك تعليلاً دقيقاً أميناً ، وبكل هذا عُد كتاب الأنباري أشمل كتاب وأوفاه في هذا الموضوع .

والحق أن العبارة ، على الرغم من إيجازها ، لم تترك شيئاً يتصل بمادة الكتاب ومنهجه وأسلوب المؤلف على جهة الإجمال ؛ فمادته غزيرة كما قلنا ، ولا يحاكيه في ذلك سوى كتاب أبي الطيب اللغوي ولا خلاف فيما ذكره عن لغة الكتاب وعلم المؤلف . أما كيفية المعالجة فتحتاج إلى تفصيل ، ونقدم لذلك ببعض علله لوجود هذه الظاهرة في العربية ، يقول ص ٢ : « أحدهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ، ويرتبط أوله بآخره ، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين ، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد . »

لسياق الكلام المقامى إذن دوره المهم في تعليل هذه الظاهرة ، وهو معيار جوهري يجب الاعتماد عليه في رأى الأنباري حين نشرع في تفسير بعض هذه الألفاظ ، كما يتضح من الأمثلة والشواهد التي ذكرها بعد ذلك . وكما لا يخفى هنا أيضاً لا تختلف ألفاظ الأضداد عن ألفاظ المشترك ( اللفظي ) في أن الاستعمال هو الذي يوضح معناها أو معانيها المختلفة ، كما قال ( ص ٤٣ ) : « ومجرى حروف الأضداد مجرى الحروف التي تقع على المعاني المختلفة ، وإن لم تكن متضادة ، فلا يعرف المعنى المقصود منها إلا بما يتقدم الحرف ويتأخر بعده مما يوضح تأويله . »

كما أنه يرد الظاهرة إلى الاتساع في الكلام ، مستندا في ذلك التعليل إلى كلام علماء اللغة الأوائل يقول ( ص ٨ ) : « وقال قطرب : إنما أوقعت العرب اللفظين على المعنى الواحد ، ليدلوا على اتساعهم في كلامهم ، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ،

ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم ، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب . وقول ابن الأعرابي هو الذى نذهب إليه ، للحجة التى دللنا عليها ، والبرهان الذى أقمناه فيه . وقال آخرون : ( لعله يقصد أبا على ومن ذهب مذهبه ) : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فالأصل لمعنى واحد ، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع .

ورد بعض ألفاظ هذه الظاهرة أيضاً - استناداً إلى رأى لابن دريد فيما أظن وتوسع فيه أبو على الفارسي - إلى الاستعمال اللهجي أيضاً ، يقول ( ص ١١ ) : إذا وقع الحرف على معنيين متضادين ، فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحي من العرب ، والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، ويعنى هذا أنه لا يجيز أن يقع الحرف الواحد على معنيين متضادين فى لغة واحدة .

وترجع الظاهرة إلى أسباب أخرى لم يعرض لها المؤلف فى مقدمته ، ولكنها تظهر فى ثانياً معالجته للألفاظ ، ويهنا هنا ما ختم به مقدمة عمله ، يقول ( ص ١٣ ) : « وقد جمع قوم من أهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا فى إحصائها كتباً ، نظرت فيها فوجدت كل واحد منهم أتى من الحروف بجزء ، وأسقط منها جزءاً ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها ، فرأيت أن أجمعها فى كتابنا هذا على حسب معرفتى ومبلغ علمى ؛ ليستغنى كاتبه والناظر فيه عن الكتب القديمة المؤلفة فى مثل معناه ؛ إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الحجج ، واستقصاء الشواهد » .

وهو هنا يقرر بأنه مسبوق فى هذا اللون من ألوان التأليف غير أن مقاصده مغايرة لمقاصد أصحاب الريادة ؛ فكل عالم من هؤلاء المتقدمين قد عنى ببعض الألفاظ الأضداد دون بعض ، بل وجد لدى أغلبهم نهج الجمع والتفسير دون ذكر العلل ، فدفعه هذان الأمران أساساً إلى جمع كل هذه المتفرقات التى وقف عليها أو صارت إليه وعرفها فى عمل واحد يشتمل على كل ما سبق ، ولكنه لم يكتف بذلك بل جاوزه إلى إضافة أكثر مشقة وخطورة ، إذ إنه قد حدد أوجه الإضافة التى صنعها تجاه الجمع ، وتشتمل فى شروح وتفسيرات واستطرادات لم ترد لديهم سبقت فى لغة فصيحة بليغة ، وأهم من ذلك كله - فى أرى - ما أضافه من حجج وتعليقات لهذه الظاهرة تكشف عن

أسرار غامضة ، ما كان من الممكن الوصول إليها دون جهده القيم ، وكذلك كثرة الشواهد التي قدمت السياقات والمقامات التي استخدمت فيها هذه الألفاظ .

أما الترتيب والتنظيم في الكتاب فقد خرج من دائرة اهتمام المؤلف ، فلم يجر على نظام معين أو نهج محدد في تتابع مفردات كتاب ، ويبدو أن ذلك كان ديدن التأليف في أغلب هذه الظواهر . فنجده يقدم المادة على النحو التالي : ( ظن - رجا - حسب - خال - عسى - ند - ضد - قرء - عسعس - أمين . . . الخ ) . وقد أطال في بعض الألفاظ كما في ( لحن ) ، وأوجز غاية الإيجاز في بعض الألفاظ كما في ( خل ) . أما أغلب شواهدة فهي من الشعر ثم القرآن والحديث ثم الرجز والأقوال . ويلاحظ هنا أنه لم يعن بنسبة الأشعار إلى أصحابها ، وأغلب استشهاده بيت كامل أو بيتين أو أكثر ، وقل أن يستشهد بشطر من بيت ، وكان يستشهد على تفسيره أحياناً ، كما أنه قد اهتم أحياناً بذكر مسائل صرفية ونحوية . كان حرصه على نسبة الآراء والأقوال إلى أصحابها ظاهراً ، ولذا تكرر ذكر أسماء مثل الكسائي والفراء والأصمعي وقطرب وثعلب وأبي عبيدة وابن السكيت كثيراً . وكان كثير المعارضة لآراء ابن قتيبة كما يتضح على سبيل المثال في ( بعل ، فيل ) . وذكرت بعض اللهجات التي تضادت في استعمال ألفاظ معينة . وقد أخرج معالجه للأضداد في بيت كامل أو آية أو حرف . وأخيراً يتجلى بوضوح أنه قد أولى الأضداد التي وردت في القرآن الكريم اهتماماً كبيراً ، كما يتجلى في ( مثل ناء ، صفراء ، أضفى . . . الخ ) .

**وفيما يلي نموذج من كتاب ( الأضداد )**

## من كتاب « الأضداد » لأبي بكر الأنباري

٥٥ - وأخفيت حرف من الأضداد ؛ يقال : أخفيت الشيء ، إذا سترته ، وأخفيتُه إذا أظهرته ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ (٢) ، فمعناه أكاد أسترها ، وفي قراءة أبي : ﴿ أكادُ أَخْفِيها من نفسي ، فكيف أطلعكم عليها ، فتأويل « من نفسي » من قبلي و « من غيبي » ، كما قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ (٣) ، ويقال : معنى الآية : إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَظْهَرَهَا . ويقال : خَفَيْتُ الشَّيْءَ ، إذا أظهرته .

ولا يقع هذا - أعني الذي لا ألف فيه - على السُّرِّ والتغطية .

قال الفراء : حدثنا الكسائي ، عن محمد بن سهل ، عن وقاء ، عن سعيد بن جبير انه قرأ : « أكاد أخفيها » فمعنى « أخفيها » أظهرها . وقال عبدة بن الطيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ، ويستخرج ترابه فيظهره :

يَخْفِي التُّرَابَ بِأَطْلَافِ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْهُنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلٌ (٤)

أراد يظهر التراب . وقال الكندي : (٥)

فإن تَدَفُّنُوا الدَّاءَ لَا تَخْفِهِ وَإِنْ تَبَعُّثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدِ

أراد لا نظهره ، وقال النابغة :

يَخْفِي بِأَطْلَافِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسَ الْكَثِيبِ تَدَانِي التُّرْبِ انْهَدَمَا (٦)

أراد يظهر .

قال أبو بكر : يجوز أن يكون معنى الآية : إنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ آتَى بِهَا ؛ فحذف

(١) ديوانه ٢ : ١٥ ، و صدره .

\* كُلُّ يَوْمٍ صَنَعُوا جَامِلَهُمْ \*

(٢) سورة طه : ١٥ .

(٣) سورة المائدة ١١٦ .

(٤) المفضليات ١٤٠ . تحليل : تحلة قسم .

(٥) هو امرؤ القيس ، ديوانه ١٨٦ .

(٦) لم أجده في قصيدته اليمية ص ٢٥ - ٢٦ (من مجموعة العقد الثمين) .

« أتى » لبيان معناه ، ثم ابتداء فقال : « أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ » ، قال ضابغ البرجمي :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ (١)

أراد : وكدت أقتله ، فحذف ما حذف ، إذ كان غير مُلبس . ويجوز أن يكون المعنى : إن الساعة آتية أريد أخفيها ، قال الله عز وجل : « كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ » (٢) ، فيقال : معناه أردنا . وأنشدنا أبو علي العنزي للأفوه :

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَرْتَادُ وَأَعْمَدَةٌ وَسَاكِنُ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا (٣)  
معناه الذي أرادوا . وقال الآخر :

كَادَتْ وَكَدْتُ وَتَلَّكَ خَيْرَ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَامَضَى (٤)

معناه أرادت وأردت . ويجوز أن يكون معنى الآية : إن الساعة آتية أخفيها لتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ؛ فيكون « أكاد » مزيداً للتوكيد ، قال الشاعر :

سَرِيعاً إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحُهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قَرْنَهُ يُتَنَفَّسُ (٥)  
أراد : فما كاد قرنه . وقال أبو النجم :

وَإِنْ أَتَاكَ نَعَى فَاثْبُتْ بِنَّ أَبَا قَدْ كَادَ يَضْطَلِعُ الْأَعْدَاءَ وَالْحُطْبَا  
معناه قد يضطلع . وقال الآخر :

وَالْأَلْوَمَ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي وَالْأَأَكَادَ بِالَّذِي نَلْتُ أَبْجَحُ  
معناه : وَالْأَأَبْجَحَ بِالَّذِي نَلْتُ . وقال حسان :

وَتَكَادُ تَكُلُّ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وَحَسَنِ قَوَامٍ (٦)  
معناه : وتكسل أن تجي فراشها .

وقال أبو بكر : والمشهور في « كدت » مقاربة الفعل ، وكدت أفعل كذا وكذا : قاربت الفعل ولما أفعله . وما كدت أفعله ، معناه فعلته بعد إبطاء ، قال الله عز وجل :

(١) طبقات الشعراء لابن سلام ١٤٥ .

(٢) سورة يوسف ٧٦ .

(٣) ديوانه ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) .

(٤) اللسان ٤ : ٣٨٩ .

(٥) اللسان ٤ : ٣٨٨ ، وروايته : « سريع » .

(٦) ديوانه ٣٦٢ .

﴿ قَدَّبَحُومًا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (١) ، معناه فعلوا بعد إبطاء لغلائها ، قال قيس بن الخطيم :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ      لَعَمْرَةَ وَحَشًا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ (٢)  
 دِيَارِ التِّي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنِيٍّ      تُحَلُّ بِنَالِوَلَا نَجَاءِ الرَّكَائِبِ  
 مَعْنَاهُ قَارِبَتِ الْحُلُولِ وَلَمْ تُحَلِّ . وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

وَقَفْتُ عَلَى رِبْعِ لِيَّةٍ نَاقَتِي      فَمَا زِلْتُ أُبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ (٣)  
 وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا ابْنُهُ      تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

معناه : قارب الكلام ولم يكن كلام . وقال الآخر :

وَقَدْ كَدْتُ يَوْمَ الْحِزْنِ لَمَّا تَرَمْتِ      هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةٌ بِالتَّرْنَمِ  
 أُمُوتُ لِبِكَاهَا أَسَى إِنَّ عَوْلَتِي      وَوَجْدِي بِسُعْدَى شَجْوَةٌ غَيْرُ مُنْجَمِ

معناه مقلع . وأراد بقوله : « كدت » قاربت الموتى ولم أمت ، ويقال : خفا البرق يخفو ، إذا ظهر ، وهو من قولهم : خفيت الشيء ، إذا أظهرته ، قال حميد بن ثور :

أرقتُ لبرق في نَشَاصٍ خَفَّتْ بِهِ      سَوَاجِمُ فِي أَعْنَاقِهِنَّ بُسُوقٌ (٤)  
 بُسُوقٌ : طَوَّلَ ، بَسَقَ الرَّجُلُ إِذَا طَالَ .

(١) سورة البقرة ٧١ .

(٢) جمهرة الأشعار ١٢٣ .

(٣) ديوانه ٣٨ .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٥)

كتب التثقيف أو التصويب اللغوي

- مقدمة

- كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت

- كتاب لحن العامة للزبيدي

- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري

- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٥)

## كتب التثقيف أو التصويب اللغوي

### مقدمة

ليس من السهل الوقوف على صورة دقيقة للوضع اللغوي في عصور الاحتجاج ، إذ لم يسجل اللغويون الأوائل إلا اللغة الفصيحة التي سمعوها من أبناء القبائل العربية الذين شهدوا بسلامة لغتهم ، على الرغم من أن أصحاب مذهب تنقية اللغة - كما يبرز من تفاوت مواقفهم - لم يتفقوا على مقياس محدد يتخذ أساساً للحكم بالضحة أو الخطأ ، إذ إن بعضهم سلك مسلكاً يطبعه التشدد ، والوقوف عند ما سمع ، وعدم الاعتراف إلا بالأفصح ، وما عداه فهو خطأ ، فقد روى عن الأصمعي أنه قد أنكر أشياء كثيرة في اللغة ، ولم يقر إلا ما سمعه عن العرب في البادية ، واستعمله الشعراء في شعرهم ، وذلك في الألفاظ وفي الصيغ . معنى ذلك أنه قد كانت في اللهجات صور عدة من الاستخدام اللغوي رفضها علماء اللغة لأنها فاسدة غير فصيحة ، لا تتفق ومقاييسهم ، وأبوا أن يسجلوها ، فلم يكن لهم من قصد سوى الفصاحة في الأداء اللغوي . أما المستقبح والمستشنع والملحون وأضرابه فكانوا ينفرون منه ، ويكرهون سماعه .

بيد أن انتشار اللحن بصورة كبيرة في مرحلة متأخرة - كما يظهر من بعض المؤلفات التي رصدت هذه الظاهرة أو مست الوضع اللغوي آنذاك بوجه عام - ليس على السنة المتكلمين بالعربية من أبناء الأمم التي دخلت الإسلام فحسب كما كانت الحال في بدايته ، بل نفذ إلى السنة العرب أنفسهم الذين اختلطوا بغيرهم من الشعوب ، وبخاصة سكان الحضر ، وابتعدوا عن البيئة الأولى التي صانت ألسنتهم من الفساد ، فتغيرت ألسنتهم ، وخالفت الفصحى في نطق الأصوات أو في الصيغ أو في حركات الإعراب ( وتمثل أغلب المخالفات ) ، وفي تأليف الجمل أو في دلالة المفردات ( وتمثل أقل المخالفات ) .

وجد أهل اللغة ، وهم أحرص الناس على اللغة العربية الفصحى وعلى بقائها سليمة نقية بوجه عام ، وهو حرص - كما قلنا - أساسه الحفاظ على لغة القرآن الكريم ، قراءته وفهمه ، وجدوا في ذلك الشبوع المخيف للحن وضعاً ينبئ بخطر محقق على العربية والقرآن ، فتصدوا له بوضع كتب هدفها الأساسى التنبيه على اللغة الفصيحة والأداء اللغوى السليم ، وإن اختلفت فيما بينها بعد ذلك فى طبيعة المادة والأهداف باختلاف بيئة التأليف وزمنه ومن وجه إليهم ، فعنى بعضها فى المرحلة المبكرة بتقديم ثقافة لغوية إلى جانب التصويب اللغوى ، ونبه بعضها الآخر فى مرحلة تالية إلى أخطاء الخواص بعد أن استشرت الظاهرة وتجاوزت العوام إلى الخواص . وفى مرحلة متأخرة جمعت أخطاء الفئتين معاً ، بل وسعت دائرة الاهتمام بمعالجة العرب والدخيل أيضاً .

وتذكر كتب التراجم والطبقات أن أقدم الكتب التى ألفت فى اللحن كتاب « ما تلحن فيه العامة : للكسائى ( ت ١٨٩ هـ ) الذى تتضح فيه كل سمات بداية التأليف فى هذا الموضوع ، فهو يضم مادة محدودة ، تسرد بلا أى ترتيب أو نظام ، يبدأ فيها بعبارة ( وتقول أو يقال ) ، يقتصر على ذكر اللحن وإبانة موضع الخطأ فيه وصوابه ، وإن اكتفى فى بعض الأحيان بذكر الصواب فحسب ، فلا ندرى على أى نحو كان الخطأ ، وكيف نطق الناس الكلمة فى زمنه ، أى زمن المؤلف أو التأليف . وتمثل الأخطاء التى رصدت فى النطق أو الصيغ المادة الكلية للكتاب . ويلاحظ أيضاً عدم الاستطراد وقلة الشواهد ، وإن كان أغلبها من القرآن والشعر . وربما تجدر الإشارة هنا فى اللمحة الموجزة إلى أنه قد شكك د . حسين نصار ( ص ٨٠ ) فى نسبة الكتاب إلى الكسائى ، موافقاً للميمنى محقق الكتاب ، غير أن د . رمضان عبد التواب ( ص ٦٣ : ٧٠ ) قد قدم الأدلة على صحة النسبة .

أما ابن السكيت ( ت ٢٤٤ هـ ) فى كتابه ( إصلاح المنطق ) فقد أولى جل اهتمامه .. كما سنرى فيما بعد - بالصيغ الفصيحة ، أما أخطاء العامة فلم تشغل إلا عشرة أبواب من كتابه . وهو ينطلق من الصيغة الفصيحة ثم ينتقل الصورة التى صارت عليها عند العامة ، فينبه إلى هذا التحريف الذى طرأ سواء أكان فى ضبطها أم فى حروفها أم معانيها أم طريقة تقديمها ولزومها ثم الخلط بين أبيتها المختلفة ، ولكنه أكثر من الاستطراد وتوسع فى الاستشهاد .

يبد أننا نرى أن نهج المعالجة قد تبدل ، وطرق تناول قد تعالمت ، إذ تجاوز العلماء

مجرد سرد المادة والعناية بتقديم الشواهد الدالة على الصواب ، إلى العناية بترتيب المادة وتنظيمها وتجنب التداخل فيها والتوازن في المعالجة ، وتجنب الاستطراد والمبالغة في الاستشهاد إلى غير ذلك من الأمور المعينة على الإفادة منها ، كما هي الحال في أدب الكاتب لابن قتيبة ( ت ٢٧٦ هـ ) وفصيح ثعلب . ولكن يبدو أن دوام الحال من الحال ، إذ نجد مؤلفي كتب اللحن ينكفون ثانية إلى الحال الأولى ، فيغيب الترتيب ، ويكثر الاستطراد ويزيد الاستشهاد ، كما هي الحال في لحن العامة للزبيدي ( ت ٣٧٩ هـ ) ودرة الغواص للحريري ( ت ٥١٦ هـ ) ، والتكملة للجواليقي ( ت ٥٣٩ هـ ) وغيرها ، ويلاحظ هنا أن بعض هذه الكتب قد أضاف بعداً جديداً في معالجة هذه الظاهرة حين تتبع أوهام الخواص أيضاً .

يرزد . حسين نصار ( ص ٩٣ ، ٩٤ ) قيمة كتب لحن العامة والخاصة معاً في عدة أمور ، منها :

- أن أهميتها تقوم على تصويرها الشعب العربي وحياته في جميع الأقاليم تصويراً دقيقاً محكماً لا تعطيناه معاجم اللغة الفصيحة .

- عنيت هذه الرسائل باللغات الحية في الأقاليم ودلالاتها فكانت أصدق تصويراً ، بل صورت مع العامية لغة خاصة بعد أن تسربت إليها الأخطاء .

يلاحظ ذلك الذي أبرزه في الأمر الثاني في الكتب القديمة الممثلة لعامية العراقيين وأهل بغداد خاصة ، ونقصد بذلك كتب الكسائي وابن السكيت وابن قتيبة والحريري والجواليقي وابن الجوزي ، فمنها يمكن التعرف على جوانب الاستخدام اللغوي في هذه المنطقة من القرن الثاني حتى القرن السادس الهجري . وعلى عامية الأندلس من كتاب الزبيدي ، وعلى عامية صقلية من كتاب ابن مكي الصقلي ( ت ٥١٥ هـ ) : تثقيف اللسان وتنقيح الجنان ، وعلى عامية تونس من الكتاب المنسوب لابن الإمام ( ت بعد ٨٢٧ هـ ) : الجمانة في إزالة الرطانة ، وعلى عامية الشام ومصر في مرحلة متأخرة ( في القرنين التاسع والعاشر للهجرة ) ، من كتب ابن الحنبلي ( ت ٩٧١ هـ ) وكتاب ( دفع الأصر عن كلام أهل مصر ) ليوسف المغربي ( ت ١٠١٩ هـ ) .

اختلفت المؤلفات في اللحن إذن في كم المادة وطريقة معالجتها ونهج تنظيمها ، وقد أشرنا فيما سبق إلى أنها بدأت مختصرة ، تكتفي بذكر اللحن وتصويبه استناداً إلى القرآن والشعر أو البدء بالصيغة السليمة ثم انتقلت إلى التنبيه إلى الصيغة الخاطئة على

ألسنة العوام أو الخواص مئج الأستشهاد أيضا ، إلا أن النهج الأول كان الغالب ، وهو الذى كتب له الاستمرار إلى اليوم ، فما يزال علماء اللغة يتبعون الأغلاط ويرصدونها وينبهون إلى الصواب . وقلنا إنهم اختلفوا فى مسألتى الاستطراد والشواهد ؛ فالأمر فىهما يرجع إلى المؤلف ذاته فى أى عصر كان ، وإن لوحظ احتفاء بعضهم بالمسائل الأدبية والنحوية والصرفية والبلاغية وما إليها ، مثل الحريرى فى درة الغواص ، وتعرض المتأخرين للألفاظ الدخيلة والمعربة ، كما برز اتجاه عام لديهم لدرس الكلمة العامية ، وإبانة الأصل الذى أتت منه ، للفصل بين المفردات التى لها أصول فى الفصحى ، والمفردات التى دخلت من لغات أخرى مختلفة .

## إصلاح المنطق

لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت ٢٤٤ هـ)

تروى كتب التراجم والطبقات أن ابن السكيت كان عالماً بالقرآن ونحو الكوفيين ، ومن أعلم الناس باللغة والشعر . حقاً إنه كان راوية ثقة كما تشهد بذلك المؤلفات التي تركها ، واعتمد عليها كثير من كتب اللغة والمعاجم ، فقد كانت مؤلفاته تضم ثروة لغوية غزيرة ، أمدت تصانيفهم بمادة شكلت عمدها ، أخذها عن خير الرواد كأبي عمرو الشيباني والفراء وابن الأعرابي والأثرم . وقد روى عن الأصمعي وأبي عبيدة ، كما أنه روى عن كثير من الأعراب الفصحاء ، كأبني تمام الأعرابي ، والتميمي العدوي ، وأبي ثروان العكلى ، وأبي الجراح العقيلي وأبي شميل ، وغيرهم مما ذكروا صراحة في كتاب (إصلاح المنطق) .

وعلى الرغم من أن ابن السكيت لم يُصدّر كتابه بمقدمة تحدد هدفه وتشرح منهجه وأسلوبه في معالجة المادة ، فإن الاسم الذي اختاره ينبئ عن عناية أساسية بإثبات الصيغ الصحيحة الفصيحة ، إلى جانب التنبيه على الألفاظ التي حورتها العامة فيما عرف بلحن العامة . ولذلك يعد الكتاب ثمرة من ثمار النشاط اللغوي الذي بذله علماء اللغة في تلك الفترة للمحافظة على سلامة العربية حتى لا يعترها لحن ولا يرقى إليها تحريف . والحق أنه جمع فيه بين التثقيف اللغوي بتقديم مادة لغوية غنية لمن أراد أن يلم بمحصول لغوي من أبنية الأسماء والأفعال الفصيحة وأشكال الاستخدام اللغوي التي سلمت من تأثيرات العامية ، وتقويم اللسان ، وهو الأمر الثاني الذي طمح إليه المؤلف من خلال صنيعه المتقدم ، وإصلاح أخطاء النطق الشائعة في عصره وبيئته ؛ وهو هدفه الأول الذي لم يعبر عنه صراحة كعادة مؤلفي تلك الفترة .

يبد أنه كانت تشغله اللغة الفصيحة دون غيرها ، فلم يعن بالمادة المتعلقة بأشكال اللحن عناية كافية . ولذا نجده يخالف من سبقه من اللغويين الذي كتبوا في لحن العوام أو الأخطاء التي تجرى على السنة العامة ، كما أن بعض ما ذكره لم يقبله من جاء بعده ، وألف في ذلك الموضوع ؛ فكان ينكر رأيه ويرده ويستشهد على ذلك بأمثلة تعكس ظواهر كانت معروفة لدى القبائل العربية الفصيحة ، كما حدث بالنسبة لرأيه في الهمز

مثلاً ؛ وهو ما يؤكد عدم وجود مقاييس واضحة تضبط أحكام اللحن وتحقق لها العمومية من جهة ، والافتقار إلى استقرار كامل لكل صيغ اللهجات وصور الخلاف بينها من جهة أخرى . على كل حال كان ابن السكيت لا يجيز إلا السماع متشديداً فيه ، موافقاً في ذلك اللغويين القدماء ، أما القياس فلم يجزه .

قسم ابن السكيت كتابه قسمين أو جزءين كبيرين ، وهو تقسيم لم يظن كثيرون إلى علته ؛ لأن كلا القسمين يحتوي على قدر من الصيغ الفصيحة ، وقدر من تلك الصيغ الملحونة . باختصار تداخلت موضوعات الجزء الأول مع موضوعات الجزء الثاني ، يقول أحد محققى الكتاب ، وهو المحقق الثبت العلامة ، عبد السلام هارون فى مقدمته ( ص ١٢ ) : « وهذا الكتاب قد أراد ابن السكيت به أن يعالج داء كان قد استشرى فى لغة العرب المستعربة ، وهو داء اللحن والخطأ فى الكلام . فعمد إلى أن يؤلف كتابه ويضمه أبواباً يمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب ، وذلك بذكر الألفاظ المتفقة فى الوزن الواحد مع اختلاف المعنى ، أو المختلفة فيه مع اتفاق المعنى ، وما فيه لغتان أو أكثر ، وما يعل ويصحح وما يهزم وما يشدد ، وما تغلط فيه العامة . . . ثم ذكر بعد ذلك عناية الأدباء به ، وقد تمثلت هذه العناية فى أشكال عدة ، كالشرح والزيادة ، وشرح أبياته ، وترتيبه على الحروف ، وتهذيبه ، وتلخيصه . . . الخ .

قلنا إن الأساس فى تقسيم الكتاب الصيغ أو بعبارة أدق أبنية الأسماء والأفعال ، ولذا فهى تشغل أغلب الجزء الأول ، وبعض أبواب الجزء الثانى ، مع العلم بأن عدد الأبواب يزيد على مائة باب ، تختلف فيما بينها بين الطول والقصر ؛ فهى ليست على وتيرة واحدة ، وتتحكم فيها طبيعة المادة ، ويتحدد عنوان كل باب بالصيغة الصرفية التى يدرسها فى الأغلب أو تبعاً للموضوع الذى يتناوله . وقد راعى تقديم الأمثلة المجردة على المزيده والثلاثى على الرباعى ، والصحيح على المعتل . وكان يطيل أحياناً فى شرح الألفاظ وبيان مشتقاتها ، كما أنه أولى بعض القواعد والظواهر واختلاف اللهجات العربية أهمية خاصة .

وقد سار على نهج واحد فى معالجة الصيغ ، إذ يبدأ بذكر الألفاظ التى ترد على وزن الصيغة التى يدرسها ، ثم يذكر معناها ، ويستشهد على ذلك بالقرآن والحديث والشعر . وربما يكثر من الاستطراد ، ويفرط فى ذكر الشواهد والتعليق عليها إلى حد رأى . مع أنه أحسن أن ذلك قد أسهم فى إضاعة الأساس الذى أقام عليه ابن السكيت تقسيمه فى بعض الأبواب . وأرى - خلاف لذلك برغم تسليمى بصحة هذه

الملاحظة وأثرها في متابعة أسس الدراسة - أنه قد قدم من خلال منهجه هذا شروحاتاً للألفاظ ، ليس من السهل دون جهده السابق ، التوصل إلى دلالاتها ، كما أن الشواهد التي قدمها تمثل كما كبيراً من السياقات بالغة الأهمية التي تمكنتنا من الكشف عن الفروق الدقيقة بين معاني المفردات وأهم أشكال الاستخدام الأسلوبى لها .

أما الأبواب التي تعالج اللحن وهي لا تقل أهمية - في رأيي - عن الأبواب الأخرى ، فيبلغ عددها عشرة أبواب ، توجد متفرقة في داخل الجزء الأول الذي يضم ستة أبواب منها ، وفي الجزء الثاني الذي يضم أربعة أبواب . وتتوزع الأبواب على النحو التالي :

- بابان فيما اعتري الألفاظ في لغة العامة من تحريف في الضبط (تغير في الحركة) :

كسرة (في الصيغة الفصيحة) ← فتحة/ ضمة (في الصيغة العامية) .

فتحة (في الصيغة الفصيحة) ← كسرة / ضمة (في الصيغة العامية) .

- وأربعة أبواب في اللحن الذي وقع في الحروف (تغير في صامت أولين

صاد (في الصيغة الفصيحة) ← سين (في الصيغة العامية) .

سين (في الصيغة الفصيحة) ← صاد (في الصيغة العامية) .

واو (في الصيغة الفصيحة) ← ياء (في الصيغة العامية) .

تحقيق الهمزة (في الصيغة الفصيحة) ← تسهيل الهمزة (في صيغة العامية) .

- وبابان في اللحن الذي وقع في الصيغة (تغير في بنية صرفية) :

فعلت (في الفصحى) ← أفعلت (لدى العامة) .

أفعلت (في الفصحى) ← فعلت (لدى العامة)

- وبابان فيما اعتري بعض الألفاظ الفصيحة من تغير في المعنى في استعمال العامة

ويرغم رصده لعدة أشكال أو صور من اللحن فإنه يلاحظ - بـ عدم عنايته بالصيغ الملحونة ، قدر عنايته بالصيغ الفصيحة ، مقتفياً في ذلك أيضاً آثار من تقدم عليه في هذا الموضوع ، فنجده أحياناً يذكر : [ وتقول كذا ، ولا تقل كذا ] . وكثيراً ما يختلط حديثه عنهما معاً ، فلا ندرى كيف استعملت العامة الصيغة التي يتحدث عنها ، هل استعملتها على نحو ما هو أم غيرتها ، فإذا كانت قد تغيرت فعلى أى نحو كان الانحراف ؟

أما الكلمة الأخيرة هُنا فتتعلق بترتيب الكتاب ، وقد انتقده في ذلك معظم الباحثين ، إذ رأوا أنه لم يحاول ترتيب المواد في أبوابه ترتيباً أبجدياً ، وفق حروفها الأولى أو الأخيرة ، مثله في ذلك مثل الكتب الأولى التي صنف في هذا الموضوع ، وترتب على ذلك بحق صعوبة كبيرة في البحث عن كلمة ما ، يحتاج إلى معرفة صحتها أو بنيتها أو معناها أو شواهدا إلى غير ذلك . بيد أنهم قد رأوا أنه باتخاذها من الأبتية الصرفية وأوزان الأفعال والأسماء أساساً أقام عليه الكتاب ، ووزع فيه الألفاظ التي رصدها وجمعها ، على هيئة أبواب وفصول ، حتى يميز الناس بين الصحيح الفصيح فيستعمل ، والخطأ الملهون فيتجنب - قد خطأ بهذا الأساس خطوة تنظيمية كبيرة ، وإن كنا نرى أنه قد شغل عن التنظيم والتبويب والتنسيق بهدفه الجوهري الذي استولى عليه ، كما استولى على كثير من أقرانه .

**وفيما يلي نماذج من كتاب (إصلاح المنطق)**

## من كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت

\* ويقال : قد بَخَصْتُ عَيْنَهُ ، ولا تَقْلُ بَخَسْتَهَا ، إنما البَخْسُ التَّقْصَانُ مِنَ الْحَقِّ ،  
٢٨٤ تقول : قد بَخَسْتُهُ حَقَّهُ . ويقال لِلْبَيْعِ إِذَا كَانَ قَصْدًا : لَا بَخْسٌ وَلَا شَطَطٌ  
\* وتقول : قد بَصَقَ الرَّجُلُ ، وهو البُصَاقُ ؛ وقد بَزَقَ وهو البُزَاقُ ؛ ولا تَقْلُ بَسَقَ ،  
إِنَّمَا البُسُوقُ فِي الطُّولِ ، ويقال تَخَلَّتْ بِاسِقَةٍ . قال الله جلَّ وعزَّ (وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ)  
وقد بَسَقَ الرَّجُلُ ، إِذَا طَالَ ؛ وقد بَسَقَ فِي عِلْمِهِ ، إِذَا عَلَا . ويقال لِحَجَرٍ أَيْضٌ يَتَلَاوَأُ :  
بُصَاقَةُ القَمَرِ \* ويقال هو قَصُّ الشَّاةِ وَقَصَصَهَا ، ولا تَقْلُ قَسُّ وَلَا قَسَسُ . والقَسُّ :  
تَتَّبِعُ النَّمَائِمِ . قال الراجز (١) :

\* يُصْبِحُنَ عَنِ قَسِّ الْأَدَى غَوَافِلًا \*

\* وتقول : قد أَصَابَ فُرْصَتَهُ بِالصَّادِ ، وقد أَفْرَصَكَ الْأَمْرُ . والعامة تقول : قد  
أَصَابَ فُرْسَتَهُ . وأصل الفُرْصَةُ : أَنْ يَتَفَارَصَ الْقَوْمُ الْمَاءَ الْقَلِيلَ ، فيكون لهذا نَوْبَةٌ ثم  
لهذا نَوْبَةٌ ، فيقال يا فلان : قد جَاءَتِ فُرْصَتُكَ ، أى وَقْتُكَ الَّذِي تَسْتَقِي فِيهِ \* وتقول :  
٢٨٥ قد أَخَذَهُ قَسْرًا ، أى قَهْرًا ، ولا تَقْلُ قَصْرًا ، وقد قَصَرَ إِذَا حَبَسَهُ ، ويقال امرأة  
قَصِيرَةٌ وَقَصُورَةٌ ، إِذَا كَانَتْ مَحْبُوسَةً مَحْجُورَةً . قال كثير :

وَأَنْتِ التِّي حَبَيْتِ كُلَّ قَصِيرَةٍ      إِلَى وَمَا تَدْرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرِ (٢)

عَنَيْتِ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرُدِّ      قَصَارَ الْخَطِيئِ شَرَّ النِّسَاءِ الْبِحَاتِرِ

والبحاطر : القصارُ . ويُرْوَى « قَصُورَاتِ » \* ويقال : هُمُ الْأَسْدُ أُسْدُ شَتْوَةٍ ، وهى  
أَفْصَحُ مِنَ الْأَزْدِ \* ويقال هذه : دَابَّةٌ شَمُوسٌ بَيْنَةَ الشَّمْسِ ، إِذَا كَانَ يَقْمُصُ عِنْدَ  
الْإِسْرَاجِ وَالْمَسَّ بِالْيَدِ ، وَلَا تَقْلُ شَمُوصٌ \* ويقال : هُوَ الصَّنْدُوقُ بِالصَّادِ . وهى  
صَنْجَةٌ الْمِيزَانِ . وَلَا تَقْلُ سَنْجَةٌ ، وهى أَعْجَمِيَّةٌ مُعَرَّبَةٌ \* والرُّسْعُ بِالسَّيْنِ . والرُّسَاعُ  
حَبْلٌ يُشَدُّ فِي الرُّسْعِ شَدًّا شَدِيدًا ، فَيَمْنَعُ الْبَعِيرَ مِنَ الْإِنْبِعَاطِ فِي الْمَشْيِ \* وتقول : هو

(١) هورؤية بن العجاج ، كما فى اللسان ( قس ) .

(٢) ب : « ولم تعلم » وكتب فوقها « وما تدرى خ » .

الصَّمَاخُ بِالصَّادِ . وَلَا تَقِلُّ السَّمَاخُ \* وَقَوْلُ : قَدْ ۲۸۶ أَصَاخَ الرَّجُلُ لِلشَّيْءِ (۱) ، إِذَا اسْتَمَعَ لَهُ \* وَقَالَ الْفَرَاءُ : يُقَالُ تَقَصَّصْتُ أَثْرَهُ ، وَيُقَالُ : تَقَسَّسْتُ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّيْلِ ، إِذَا سَمِعْتَهَا .

## بَاب

مَا يَغْلَطُ فِيهِ يُنْكَلِمُ فِيهِ بِالْيَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْوَاوِ

\* جَفَوْتُ الرَّجُلَ فَهُوَ مَجْفُوٌّ : وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَجْفِيٌّ . وَلَا تَقِلُّ جَفِيَّتُهُ .

قَالَ : وَأَنْشَدَنِي الْفَرَاءُ :

\* مَا أَنَا بِالْجَافِيِّ وَلَا الْمَجْفِيِّ \*

قَالَ : وَإِنَّمَا قَالَ الْمَجْفِيُّ لِأَنَّهُ بَنَاهُ عَلَى جَفَى ، وَهُوَ مِنْ جَفَوْتُ ، فَلَمَّا انْقَلَبَ الْوَاوِ يَاءً فِي جَفَى بَنَاهُ مَفْعُولًا عَلَيْهِ \* وَتَقُولُ حَنَوْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا أَحْنُو ، إِذَا عَطَفْتَ عَلَيْهِمْ وَحَدَبْتَ عَلَيْهِ . وَيُقَالُ : امْرَأَةٌ حَانِيَّةٌ ، إِذَا قَامَتْ عَلَى وَلَدِهَا وَلَمْ تَزَوَّجْ ، وَقَدْ حَنَتْ عَلَيْهِمْ تَحْنُو . وَتَقُولُ : حَنَيْتُ الْعُودَ وَحَنَيْتُ ظَهْرِي . وَحَنَوْتُ لُغَةً \* وَتَقُولُ : هَجَوْتُهُ هَجَاءً قَبِيحًا فَهُوَ مَهْجُوٌّ ، وَلَا تَقِلُّ هَجِيَّتُهُ \* وَتَقُولُ : قَدْ قَلَوْتُ الْمُهْرَ عَنْ أُمَّهَ وَأَفْتَلَيْتُهُ ، إِذَا فَصَلْتَهُ عَنْهَا وَقَدْ قَطَعْتَ رِضَاعَهُ . وَقَدْ قَلَيْتُ رَأْسَهُ \* وَتَقُولُ : قَدْ عَدَوْتُهُ غَدَاءً حَسَنًا ، وَلَا تَقِلُّ غَدِيَّتُهُ . وَقَدْ عَرَوْتُ الرَّجُلَ ، إِذَا أَتَيْتُهُ ، فَهُوَ مَعْرُوٌّ . وَقَدْ عَزَوْتُهُ إِلَى أَبِيهِ ، إِذَا نَسَبْتَهُ إِلَيْهِ ، وَعَزَيْتُهُ لُغَةً ، وَقَدْ اعْتَزَيْتُ أَنَا إِلَى أَبِي \* وَتَقُولُ : قَدْ قَرَوْتُ الْأَرْضَ ، إِذَا تَبِعْتَهَا تَمًّا ، تَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ إِلَى أَرْضٍ . أَقْرُوها قَرَوًّا ، بِالْوَاوِ لَا غَيْرَ . وَقَدْ قَرَيْتُ الضَّيْفَ قَرَى وَقَرَى \* وَقَدْ قَلَوْتُ بِالْقُلَّةِ . إِذَا ضَرَبْتَهَا بِالْمِقْلَةِ ، وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ الْقُلَّةُ ، بِالْوَاوِ لَا غَيْرَ . وَقَدْ قَلَوْتُ الْبُسْرَ وَاللَّحْمَ وَقَلَيْتُهُ فَهُوَ مَقْلَى وَمَقْلُوٌّ . وَقَدْ قَلَيْتُ الرَّجُلَ ، إِذَا بَغَضْتَهُ ، قَلَى وَقَلَاءً ، بِالْيَاءِ لَا غَيْرَ \* وَقَدْ غَلَوْتُ فِي الْقَوْلِ فَأَنَا أَغْلُو غَلَوًّا ، وَقَدْ غَلَوْتُ بِالسَّهْمِ أَغْلُو بِهِ غَلَوًّا ، بِالْوَاوِ لَا غَيْرَ . وَقَدْ غَلَيْتُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْغَيْظِ فَأَنَا أَغْلَى غَلِيًّا وَغَلِيَانًا \* وَتَقُولُ : قَدْ خَلَوْتُ بِهِ فَأَنَا أَخْلُو بِهِ خَلْوَةً ، بِالْوَاوِ لَا غَيْرَ ، وَقَدْ خَلَيْتُ دَابَّتِي أَخْلِيهَا خَلِيًّا ، إِذَا جَزَّزْتَ لَهَا الْخَلِيَّ ، وَهُوَ الرُّطْبُ . وَسُمِّيَتْ الْخَلَاةُ

(۱) كَذَا ، عَلَى الصَّوَابِ فِي ح ، ل . وَفِي الْأَصْلِ : «بِالشَّيْءِ» وَفِي ب : «بِالشَّيْءِ» .

مخلاة لأنه يُجعلُ فيها الحلقى . والمخلى ، بالقصر : ما يُختلى به . الحلقى ، أى يُجزُّ \*  
وتقول : قد عتوت له ، إذا خضعت له ، وقد عتوتُ فى بنى فلان إذا كنتَ فيهم عانياً  
أى أسيراً . وقد عنت الأرض بالنبات تَعْتُو عُنُوًّا ، إذا ظَهَرَ نَبْتُهَا ، قال عدىُّ

فياكلن ما أعنى الوكى فلم يلكن كأن بحافات النهاء المزارعاً

قوله أعنى الوكى ، أى أنبتته الولى ، وهو المطرُ بعد الوسمى ، فهذه بالواو لا غير .  
وقد عتيتُ فلاناً بكلامى بالياء لا غير \* وتقول : قد حزا السرابُ الشخصَ يحزوه  
حزواً ، إذا رقعهُ . وحزاهُ يحزوه ، بالهمز لغة . ويقال : قد حزا فلانُ الشىءَ بحزبه  
حزياً ، إذا خرصهُ ، يقال : كم تحزى هذا النخل ، أى كم تحرصهُ \* ويقال : قد  
حكوتُ الرجلُ حلواناً إذا وهبت له . قال الشاعر :

الارجلُ أحلوه رَحلى وناقى يبلِّغ عنى الشعرُ إذ مات قائلاً

وقد حكيتُ المرأةَ أحليها ، إذا حكيتُها \* ويقال : قد دنوتُ من فلان أدنو منه دنواً ،  
وما كنت يا فلانُ دنياً ، ولقد دنوت ، غير مهموز ، تدنو دناوةً ، ويقال : ما تزدادُ مناً  
إلا قُرباً ودناوةً ، ويقال : ما كُنتُ دانئاً ولقد دنأتُ دنأاً ، أى مجنتُ \* ويقال : قد  
عتوتُ يا فلان فانت تَعْتُو عُنُوًّا ، ولا يقال عتيتُ \* ويقال : قد جَلوتُ الصفرَ وغيره  
أجلوه جلاءً ، ولا تقل جليتُه . وقد جَلوتُ عن البلد فانا أجلو جلاءً \* وقد عفوتُ عن  
الرجلُ فانا أعفو عفواً . وقد عفوته أعفوه ، إذا أتيتَه ، بالواو لا غير \* وتقول بين  
الرجلين بونٌ بعيدٌ ، أى تفاوتٌ . وقد بان صاحبه يبونه بوناً ، فهذه اللغة العالِيَّةُ ،  
ومنهم من يقول : بينهما بينٌ بعيدٌ ، وقد بان صاحبه يبيته بيناً \* وتقول : ما كان  
أحوكهُ ، إذا كان محتالاً . وقد تحوَّل ، إذا احتال ، وهو رجلٌ حوَّلٌ ، إذا كان كثير  
الاحتيال . وما أحيكهُ لغةٌ . وهى الحوكُ والحيلُ \* وتقول : قد أبوتُ الرجلُ أبوه إذا  
كُنتَ له أباً . ويقال ما له أبٌ يابوه ، وقد أبنتُ الشىءَ أباهُ إباءً \* وتقول : قد سروتُ  
ثوبى عنى أسروه سرواً ، إذا ألقيتَه ، وقد سروتُ عنى درعى ، بالواو لا غير . وقد  
سريتُ بالليلِ وأسريتُ ، إذا سرت ليلاً .

## باب

\* ومما تضعه العامة فى غير موضعه قولهم : خرجنا ننتزه ، إذا خرجوا إلى

البساتين ، وإثما التنزه التباعد عن المياه والأرياف . ومنه قليل فلان يتنزه عن الأقدار ،  
أى يتباعد منها . ومنه قول الهذلي (١) :

أقب طريد بنزه الفلاة      ة لا يرد الماء إلا اثيابا (٢) :

بنزه الفلاة ، يعنى ما تباعد من الفلاة عن المياه والأرياف . وظللنا متنزهين إذا  
تباعدوا عنه . وإن فلانا لتنزيه كريم ، إذا كان بعيداً من اللوم . وهو نزيه الخلق . ويقال :  
تنزهوا [ بحر مكم عن القوم . وهذا مكان نزيه ، أى خلاء ليس فيه أحد فانزلوا فيه  
بحر مكم (٣) \* وتقول : وعزت إليك فى كذا وكذا ، وأوعزت ، لغتان \* وتقول - هى  
صدقة المرأة ، مفتوحة الصاد مضمومة الدال ، وصدأقها . قال الله جل وعز : ( وآتوا  
النساء صدقاتهن نحلة ، قال الأصمعي : سمعت ابن جريج يقول : قضى ابن عباس  
لها بالصدقة \* وتقول : هذا ماء ملح . وقال الله عز وجل : ( وهذا ملح أجاج ) .  
وهذا سمك مليح ومملوح ، ولا تقل مالح . ولم يجرى شيء فى الشعر (٤) إلا فى بيت  
لعدافر :

بصرية تزوجت بصرياً      يطعمها المالح والطرياً

ولا يقال ماء مالح . وملحت القدر ، إذا ألقيت فيها الملح \* وتقول « الصيف  
ضيعت اللين » مكسورة التاء ، إذا خوطب بها المذكر أو المؤنث أو الاثنان والجميع وهى  
مكسورة التاء ؛ لأن أصل المثل خوطبت به امرأة [ كانت تحت رجل موسر ، فكرهته  
لكبر سنه ، فطلقها ، فتزوجها رجل مملق ، فبعثت إلى زوجها الأول تستميحه ، فقال  
لها هذا (٥) ] ، فجرى المثل على الأصل \* [ وكذلك قولهم ] : « أطرى إنك ناعلة ،  
أى خذى فى أطرار الوادى ، فإن عليك نعلين ، وقال غيرهما : أى أدلى . وقال  
الشاعر (٦) :

غضبتن علينا أن قتلنا بمالك      بنى عامر ها إن ذا غضب مطر

(١) أسامة بن حبيب الهذلي ، كما فى اللسان (نزه) .

(٢) استشهد فى ج ، ل بلفظ « بنزه الفلاة » فقط . وورد فى ب : « نيبا » .

(٣) للتكملة من ب ، ج ، ل .

(٤) ب ، ل : « فى شيء من الشعر » .

(٥) الخطيئة ، كما فى اللسان (طرز) .

٤٤٥ \* وتقول : « عند جفينة الخير اليقين » وهو اسم خمّار ، ولا تقل جُهينة .  
وتقول : « افعل كذا وكذا وخلاك ذم » ولا تقل ذنب . والمعنى خلا منك ذم ، أى لا تدم  
\* وتقول : « صار كذا وكذا ضربة لازب » فهذه اللغة الفصيحة ، والألازب والألتب :  
الثابت ، ولازم لغة . وقال النابغة :

ولا يحسنون الخيرَ لا شرَّ بعده      ولا يحسبون الشرَّ ضربةً لازبِ  
وقال كثير :

فما ورق الدنيا يباق لأهله      ولا شدة البلوى بضربة لازبِ  
وتقول : جاء فلان بإضبارة من كُتِب ، وبإضمامة من كُتِب ، وهى الأضابير  
والأضاميم ، ويقال : فلان ذو ضبارة ، إذا كان مُشدّد الخلق مجتمعه . ومنه سُمى ابن  
ضبارة . ومنه قيل : ضبّر الفرس ، إذا جمّع قوائمه ووثب ، ومنه قيل للجماعة  
يفغزون : ضبّر ، قال الهذلي (١) :

\* ضبّر لباسهم القثير مؤلّب (٢) \*

\* وتقول : هذا شئ ثقيل ، وهذه امرأة ثقّال ؛ وهذا شئ رزين ؛ وهذه امرأة  
رزان ، إذا كانت رزينة فى مجلسها ، قال الشاعر (٣) :

حصان رزان لا تزن بريبة      وتصبح غرقي من لحوم الغوافل (٤٤٦)

\* وتقول : هو فُحّال النخل ، وهو فحل الإبل ، ولا يقال فُحّال إلا فى النخل ،  
وهى الفحاحيل ، قال الشاعر :

يُظفن بفُحّال كأن ضبابه      بطون الموالى يوم عيد تغدّت

\* وقد عنوتت الكتاب أعنوته عنوته ، وعنوته أعنوه ، وقد عنيت . . .

(١) هو ساعدة بن جؤية ، كما فى اللسان (ضبر) .

(٢) صلبه . . \* بيناهم يوماً كذلك راعهم \*

(٣) هو حسان بن ثابت يمدح عائشة . اللسان (حصن ، وزن) .

## لحن العامة

لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ( ت ٣٧٩ هـ )

لقد رأينا في المقدمة السالفة أن ثمة عوامل عدة قد دفعت إلى ظهور لغة للعوام تتصارع مع الفصحى التي استمات علماء العربية في الحفاظ عليها سليمة نقية ، في صورتها الفصيحة ، نقلا عن الأعراب غير المنتمين إلى قبائل عرفت بفصاحة لسانها فحسب ، بل الذين عرفوا بالصدق والأمانة والعلم وكثرة الرواية ، وفي بيئتها الطبيعية ، أى في البوادي التي لم تكن تعرف العناصر الأجنبية ، فسلمت ألسنتهم من الخطأ ، وصينت ألفاظهم من التغيير . وقلنا إنه لم يكن هناك اتفاق حول مقياس محدد للفصاحة ، فكانت هناك مستويات في الفصاحة ، فقد عرف الفصيح والأفصح في لغات القبائل ، كما أنه قد أنكرت ألفاظ من بعض القبائل التي شهدوا لها بالفصاحة ، لأنها شذت في الاستعمال عن مسلك قبائل أخرى حظيت بالسبق والتقدم على غيرها .

وعلى الرغم من تسرب اللحن من لغة العوام إلى لغة الخواص ، وهو الأمر الذي تصوره تلك الكتب التي ألفت في هذا الموضوع أصدق تصوير ، فهي اللغة الحية المستعملة على ألسنة السواد الأعظم في بيئات عربية مختلفة ، فقد تصدى هؤلاء العلماء بكل قوة لهذا التيار ، حرصا على سلامة لغة الإسلام من أن تعصف بها رياح التغيير ، فتتحول وتبدل وتذهب ، فيذهب معها الدين ، حاشا لله ، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر / ٩ . فهو يسخر من عباده عبر القرون والزمان من يعمل على صونها من اللحن ، فيصوب ما يعترى ألسنة الناس من خطأ في أية صورة من صوره ، ويرد الانحراف ، وينبه إلى الصحيح ، حتى يدرك أبناء اللغة الذين صارت اللغة إليهم اكتساباً ما وقع فيها من اعوجاج ، فيعودوا إلى الصحة والسلامة .

والحق أنه قد نشب خلاف كبير حول مفهوم « اللحن » ، إذ إن النظر في الروايات والأخبار والشواهد التي نقلها الرواة يعكس بوضوح مدى الخلاف بين علماء العربية ، فقد وصلت الكلمة إليهم ، في سياقات مختلفة ، تثير دلالات متباينة ، وتجزئ أشكالا من التفسير والتأويل والفهم ، وقد انتهت هذه النصوص وتفسيراتها آخر الأمر إلى

المعاجم المتأخرة ، التي انفردت بثناء المادة التي نقلتها بفضل جهود أجيال متعاقبة ، كما هي الحال في لسان العرب لابن منظور الذي أورد في مادة ( لحن ) قول ابن برى في حاشيته : « للحن ستة معان : الخطأ في الأعراب ، واللغة ، والغناء ، والفطنة ، والتعريض ، والمعنى » . وما يهمنا من هذه المعاني هو المعنى الأول الذي قصد بها الخطأ في الإعراب ، أي مخالفة الفصحى بوجه من الوجوه . ويقدم من ذهب إلى هذا التفسير روايات وشواهد كثيرة تؤكد صوابه ، لا يتسع المقام لتفصيلها ، واكتفى هنا بما نقل عن عبد الملك بن مروان من قوله : اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب والجدري في الوجه « العقد الفريد ٢ / ٤٧٨ ، بمعنى أنه له أثر غاية في السوء في الكلام وإذهاب حسنه وإزالة طلاوته وإضاعة فصاحته .

وقد أحدث بيت مالك بن أسماء الفزاري خلافاً كبيراً بين علماء العربية . ولقى التفسير الذي ذهب إليه الجاحظ في « البيان والتبيين » ١ / ١٤٧ من أن معنى ( تلحن / لحناً ) في قول مالك :

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً

الخطأ في الكلام ، معارضة شديدة . وعد ذلك التفسير من أخطائه وأوهامه ، إذ فهم المعنى ، كما تورده كتب التصحيف - اعتماداً على فهم الحجاج له - على أنه من « التعريض والتورية » . فقد نقل عن علي بن يحيى المنجم من حكاية الحجاج مع زوجة ، أخت الشاعر ، حين لحت في كلامها ، فعاب عليها ، فاحتجت ببيت أخيها ، فقال لها : إنما أراد أخوك أن المرأة فطنة ، فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى في الظاهر لتورى عنه ، ويفهمه من أرادت بالتعريض ، كما قال الله سبحانه : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ محمد / ٣٠ ، ولم يرد أخوك الخطأ في الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد .

ويروى أيضاً أن الجاحظ قد ووجه بهذا الوهم ، وعرف هذه القصة ، ووافق على المعنى الوارد هنا ، وأقر بخطئه ، إلا أنه لم يعد في استطاعه أن يغيره . بيد أن المراجع تقدم شواهد كثيرة على صحة ما ذهب إليه ، ومنها قول يحيى بن نوفل الحميري في هجاء خالد بن عبد الله القسري :

- وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشيق في الخطب

ويلاحظ أن الخلاف قد وقع أساساً في فهم المقابلة بين منطق صائب ومنطق ملحون ، فإذا فهم المنطق الصائب على أنه الكلام الصحيح فإن المنطق الملحون - نقيضه - هو

وأظن أن في هذه الإشارة كفاية ، فليس المقام مقام تفضيل وتتبع لأوجه الخلاف ، وإن كنا نرى ضرورة الإشارة إلى المعانى الأخرى للحن التى تقدمت على معنى الخطأ فى الكلام .

فقد قيل إن الحن بمعنى ( اللغة ) أيضاً ، وقد ورد فى هذا المعنى عدة نصوص ، منها ما روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : ( تعلموا الفرائض والسنن والحن ) .

ولم يسلم مفهوم هذه الكلمة من خلاف كبير بين اللغويين والمفسرين ، فقيل إن معناها : تعلموا كيف كانت لغة العرب فى الذين نزل القرآن بلغتهم . وقيل : أى الخطأ فى الكلام فتحرزوا منه ( بمعنى أنه إذا عرف القارئ الخطأ عرف الصواب ) ، وقيل : أى صواب الكلام . وخالف ، د . رمضان عبد التواب ( ص ٥٢ ) ذلك كله ، ورأى أن المقصود هو : أن يتعلم الناس طريقة العرب فى أداء القراءة وعدم اتباع طريقة الأعاجم فى تلاوة القرآن . وعلى الرغم من وجاهة التفسير ، فلنا أن نتساءل : أية طريقة قصد ؟ ألم يكن يقرأ القرآن على سبعة أحرف ؟ أو على عشرة أحرف ؟ أو على أكثر من ذلك ، وكلها عن العرب ، ومقبولة يُقرأ بها ، ولم ينكرها الرسول ( ﷺ ) . وربما قصد بالمفرد الجمع بدليل ما عطف اللفظ عليه ، فيكون المعنى طرق القراءة . وقد يكون فى حديث آخر روى عن عمر بن الخطاب أيضاً تأكيد لهذا المعنى ، وليس اللغة ، إذ قال : ( أبى أقرؤنا ، وإنا لنرغب عن كثير من لحنه ، وذلك لأنه كان يقرأ بحروف مختلفة ) . غير أن بعض روايات أخرى يرد فيها الحن بمعنى اللغة أو اللهجة ، ليس المقام مقام تفصيلها ، ولكن هذا المعنى - على كل حال - أقدم من معنى الخطأ فى الكلام .

وقد ورد بمعنى الغناء ، أى التطريب وترجيع الصوت وتحسين القراءة والشعر والغناء ، فى الحديث : « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل العشق ولحون أهل الكتابين » . واللحون والألحان جمع لحن . وتقدم الأمثال العربية التى قيلت فى القرن الأول الهجرى أدلة على الاستخدام بهذا المعنى ، منها قول العرب : ( لحن من قيتى يزيد ) ، ويستخدم للدلالة على تفضيل صوت غناء ( مغنية ) ما - إذا عنوا به لحن الغناء - على قيتيه ، حياية وسلامة القس . ويقدم الشعر العربى عدداً من الشواهد التى تؤكد هذا المعنى ، الذى هو أيضاً أقدم من معنى الخطأ فى الكلام .

وقد ورد أيضاً بمعنى الفطنة والفهم ، وهو أحد المعانى التى طرحت فى تفسير بيت مالك السابق ، ويستند فى ذلك إلى ما روى عن النبى أنه قال : « إنكم لتختصمون

إلى ، وعسى أن يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه ، فإنما أقطع له قطعة من النار ، فالحن بحجته هنا بمعنى أعرف بالحجة وأفطن لها ، وأغوص عليها من غيره . ويقدم الشعر العربي هنا أيضاً عدداً من الشواهد التي تدل على هذا المعنى ، الذي يتقدم على معنى الخطأ في الكلام .

وقد ورد أيضاً بمعنى التعريض والتورية ، وهو أحد المعاني التي رجحها كثيرون في تفسير بيت مالك السابق ، فقد قال ابن دريد : وليس معنى اللحن هاهنا ما ذكر ( أى ما ذكر الجاحظ ) ، وإنما أراد أنها تتكلم بالشيء ، وهى تريد غيره من فطنتها وذكاائها . فالمقصود منه هنا الرمز إلى السامع بغير ما يفهم من صريح الكلام أو إرادة المعنى غير الظاهر للفظ . ويؤكد ابن دريد هذا المعنى في كتابه ( الملاحن ٣ / ٤ ) ، إذ يقول : « وأصل اللحن أن تريد الشيء فتورى عنه بقول آخر » .

ويظهر أن هذا المعنى هو أصل للمعنى الأول وهو الخطأ في اللغة ، والجامع بينها هو العدول عن شيء إلى شيء آخر ، ففي التعريض عدول عن التصريح وفي الخطأ عدول عن الصواب . والحق أن الرجل قد أصاب بهذا التعليل ، إذ إنه قد تمكن من إزالة هذا الخلط الذي حدث حول دلالة هذه الكلمة . فقد عد المعنى الأصلي للحن العدول عن شيء إلى شيء آخر . وهو القاسم المشترك بين الدلالات المختلفة لها . ومن ثم لم يخطيء أبو بكر الأنباري في عد هذه الكلمة من الأضداد في كتابه ( الأضداد / ٢٣٨ ) ، حين قال : يقال للخطأ لحن وللصواب لحن . فقد قاس هذا على كلمات كثيرة فسرت ذلك التفسير ، فقد قال مثلاً ( / ٤٧ ) : والصريم من الأضداد ، يقال : لليل صريم وللتنهار صريم ، لأن كل واحد منهما ينصرم من صاحبه . وليس المقام للإسهاب في التذليل ، غير أنه انتهى إلى أن العرب تستخفه في جميع الأحوال .

وفي عبارته الأخيرة نظر ، كما أنه لم يوفق حين استشهد على معنى الصواب بقوله تعالى : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ محمد / ٣٠ ، إذ عد هذا المعنى هو المعنى السادس للحن ، إذ المقصود : في معنى القول ومذهبه وفجواه .

وربما يجوز لنا أن ننتهي من هذه المناقشة لما ورد من معاني اللحن ، إلى أن المعنى الجامع له هو العدول أو التحول أو التبديل أو التغيير أو الانحراف . . . إلى آخر هذه الدلالات المتقاربة . وقد مال أكثر اللغويين إلى الدلالة الإيجابية ، فهي الأقدم ، وأدلة ذلك تلك الروايات والشواهد القديمة . أما الدلالة السلبية للفظ فهي الأحدث ، لأن العرب كانوا ينطقون لغة سليمة ، بغض النظر عن الشواهد والروايات التي لا ترقى إلى

أن توصل إلى حكم مخالف لذلك . فلما تسرب الخطأ إلى ألسنة الناس كانت الدلالة السلبية الجديدة .

وليس من شك في أن النهج الذى اتبعه اللغويون الأوائل فى تصويب الأخطاء ينم عن ذكاء وفطنة ودراية بالجوانب المختلفة لهذه القضية ، فكانوا أعرف باللغة والظروف المحيطة بهم والأحوال التى يمر بها المجتمع العربى ، والمشكلات التى نشأت ، والطبيعة الإنسانية التى تتلهمل من الالتزام ، والأخطار التى يمكن أن يفرزها التصلب فى مواقف معينة . . . إلى غير ذلك مما أثر فى المادة التى قدمت والأسلوب الذى انتهج فى عرضها . فقد كان الاتجاه الغالب أن تقدم اللغة الفصيحة ، وقد ينبه إلى الخطأ ، غير أن معرفة الصواب - فى رأيهم - ألزم ، وبه يعرف غيره ، فيتجنب .

وصدر الزبيدى كتابه ( لحن العامة « العوام » ) بمقدمة طويلة نسبياً ، عرض فيها للظروف التى أدت إلى ظهور هذه الظاهرة ، فأشار إلى اختلاط العربى بالأم الأخرى فى صدر الإسلام ، وما أدى ذلك إلى ( وقوع الخلل فى الكلام وبدء اللحن على ألسنة العوام ) . فقد فشا اللحن وكثر بعد اختلاف الناس وكثرتهم ونشوء الذرية على مافسد من لفظهم هم ، ثم عرض لجهود أبى الأسود الدولى والخليل بن أحمد الفراهيدى فى اللغة والنحو . ورأى أن بدء التأليف فى اللحن كان على يد أبى حاتم السجستانى ( ت ٢٥٥ هـ ) فى كتابه ( لحن العامة ) ، وقد أراد منه تخصيص اللغة وإصلاحاً للمفسد من الكلام ، وتقويم ما غير أهل عصره من كلام العرب .

ولا أدرى لماذا تخطى الكتب الأخرى التى تقدمت على كتاب السجستانى ، ووجه نقده له دون غيره ، وربما يرجع ذلك فى رأى إلى أنه لم يقع بين يديه من المؤلفات التى ألفت تحت هذا العنوان وفى هذا اللون من ألوان التأليف إلا هذا الكتاب . وعلى أية حال فإنه لم يعجبه ، إذ وجدته يعنى بشرح الغريب ، وتصريف الأفعال ، وتوجيه اللغات ، فكان الكتاب مؤلفاً لغير ما نُسب إليه ، وعُرف به . ورأيت كثيراً من اللحن الذى نسبه إلى أهل المشرق قد سلمت عاميتنا من موافقته ، ونظقت بوجه الصواب فيه ، كقولهم : . . . ثم نظرت فى المستعمل من الكلام فى زماننا ، وبأفقتنا ، فالفيت جملاً لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا عليه ، وذكروا به ، مما أفسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه أو وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنه الشعراء أشعارهم ، واستعمله جلة الكتاب وعلما الخدمة نى

رسائلهم ، وتلاقوا به فى محافلهم ، فرأيت أن أنبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه ، وأن أفرد لما يحضرنى فيه كتاباً أحصره به ، وأجمعه فيه ، ويدع اجتلاب ما أفسده دهماؤهم وسقاطهم ، مما عسى ألا يعزبُ عنك تمسك بطرفٍ من الفهم ، إذ لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به . . . ( لحن العامة ٣٦ ، ٣٧ ) .

يتضمن هذا النص عدة أمور أولها رفضه للنهج القديم الذى كانت تتبعه الكتب القديمة التى ألفت فى اللحن وبخاصته كتاب السجستاني ، لأنها كانت غير خالصة للحن ، بل إن أغلب مادتها فى مسائل لغوية خاصة بالفصحى . والثانى الخلاف بين اللحن المذكور فى كتب المشرق ، وهو ليس بلحن فى لغة أهل المغرب والأندلس ، واللحن الذى وقع على السنة أهل الأندلس وليس له ذكر فى كتب أهل المشرق . فوضع كتابه فيما وقعت فيه العامة هناك ، بل تسرب اللحن إلى لغة الخاصة ( وإنما نذكر منه ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه ) . والثالث أنه لم يحصر كل ما وقع من لحن ، بل اقتصر على ما حضره فقط .

يبد أنه لم يسلم من الإحساس الذى كان يتأثر علماء العربية الأوائل فى حديثهم فى هذا الموضوع ، إذ إنهم يركزون على اللغة الفصحى ، ويتخرجون من ذكر لغة عامية فى كتبهم ، فكان ما ذكر منها عملاً غير مريح ، أكرهوا عليهم ، ففعلوه على مضض ، يقول الزبيدي ( ص ٣٨ ) : « ولعل طاعنا يطعن فى كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقى ، واللفظ المستعمل لدى العامة ، جهلاً منه أن الفساد إنما يقع فى المستعمل على الألسنة ، وأن الوحش مصون عن التغيير والإحالة لقلّة استعمال ، وجهل عوام الناس به ، وما ذكره أبو حاتم ، مما عسى أن يُعاب علينا ، ذكر مثله لنا عذر كاف إن شاء الله » .

وفى هذا الكلام تمييز جيد بين لغة يستعملها الناس . ومن ثم يقع فيها التغيير (الفساد) ، ولغة لا تستعمل ، فلا يقع فيها تغيير أو إحالة . هذه الآراء ليست بغريبة على عالم العربية ، الذى صنف الواضح فى علم العربية ، ومختصر كتاب العين وأبنية الأسماء والأفعال وطبقات النحويين واللغويين والكتاب الذى نتحدث عنه ، وغيرها من تصانيف تؤكد المكانة العلمية الرفيعة التى شهد له بها من ترجم له ، يقول الثعالبي ( فى بيتيمة الدهر ٦١ / ٢ ) : « كان أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعانى والنوادر » . وأورد ابن خلكان العبارة ذاتها ، وزاد عليها قليلاً : أخذ العربية عن أبى على القالى وأبى عبد الله محمد بن يحيى الرباحى ،

أما مادة كتاب لحن العامة فهى تتوزع بين مواد جمعها بنفسه ، كما ذكر فى مقدمته ،

ومواد أخرى نقلها عن اللغويين المتقدمين كأبي حاتم السجستاني في ( لحن العامة ) ،  
 وابن السكيت في ( إطلاح المنطق ) ، وابن قتيبة في ( أدب الكاتب ، والأنواء ) ،  
 وأحمد بن يحيى ثعلب في ( الفصيح ) ، وأبي جعفر النحاس في ( معاني القرآن )  
 وشيخه أبي علي القالي في ( الأمالي ، والمقصود والممدود ) وغيرهم .

وكانت المادة التي عالجها الزبيدي محل دراسة وتقييم دقيق شامل على يد كل من  
 صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ( ت ٧٦٤ هـ ) في كتابه ( تصحيح التصحيف  
 وتحرير التحريف ) . ولكن معالجته اتسمت بأمور خاصة بمنهجية ، فقد نقل التصويب  
 دون نقل الشواهد أو الاستطراد في شرح المادة اللغوية ، وكان يختار أسلوب أحد  
 الكتب التسعة التي اعتمد عليها كتابه حين تتفق في تصويب خطأ ما ، كما أنه وردت فيه  
 زيادات لم ترد في النسخة الأصلية أضافها المحقق في نهاية الكتاب .

أما محمد بن أحمد بن هشام اللخمي ( ت ٥٧٧ هـ ) فقد ألف كتابه ( المدخل إلى  
 تقويم اللسان ) ليرد فيه على بعض ما جاء في كتابي ( لحن العامة ) للزبيدي ، و ( تثقيف  
 اللسان ) لابن مكى الصقلي ، ثم أتبعهما أخطاء عامة زمانه ، مما لا يحتمل التأويل ،  
 ولا عليه من كلام العرب دليل .

استخدم الزبيدي ثلاث عبارات للتقسيم في كتابه ، بدأ بعبارته ( ذكر ما أفسدته  
 العامة وما وضعوه في غير موضعه ) ، ويمثل هذا القسم أغلب الكتاب ، إذ اشتمل على  
 أغلب المواد التي جمعها ، وقد خصصه لما غيرته العامة ، سواء أكان التغيير صوتياً أو  
 صرفياً - وتغطي التغيرات الصوتية معظم المعالجة ، فلم ترد التغيرات في الصيغة  
 الصرفية إلا في عدد قليل من المواضيع . وينقسم التغير الصوتي إلى تغير في الحركة :

#### الحركة لدى العامة      الحركة لدى الفصحى

ضممة ← كسرة

ضممة ← فتحة

فتحة ← كسرة

فتحة ← سكون

فتحة ← ضممة

سكون ← فتحة

سكون ← كسرة

وهكذا تتغير الكسرة إلى ضمة أو فتحة أو سكون ، والفتحة إلى ضمة أو سكون .  
أما الضمة فلا تتغير إلا إلى فتحة ، والسكون إلى فتحة فقط ، فالكسرة إذن أكثر الحركات تعرضاً للتغير ، تليها الفتحة .

ويلاحظ هنا أنى بدأت بالحركة لدى العامة وتلتها الحركة في الفصحى التزاماً بالنهج الذى سار عليه فى المعالجة ، غير أن اتجاه السهم يوضح الأصل والتطور .  
أما التغير فى الصوت الصامت ( الحرف ) فينقسم إلى تغير فى الحرف ذاته ، أو زيادة حرف ( الأغلب الألف فى أول الكلمة أو وسطها أو قبل الآخر ، والياء التى أولعت العامة بإقحامها ، وتاء مربوطة ) أو إنقاص حرف ( ألف / ياء / ال ) . أما التغير من صامت إلى صامت آخر فهو الأغلب ، وقد قمت بحصره ، فوجده ينسحب على أغلب الحروف على نحو يثير الدهشة ، وما سأذكره أمثلة ، إذ لا يتسع المقام لمعالجة لغوية مفصلة لهذا التغير ، وربما تقدم النماذج المختارة صورة جزئية لذلك ، منها :

عامى فصيح				
ء → و	ق → ج	ض → ذ	ذ → ن	راء →

الثانية

من الراء

المشددة	د → ج	ل → ر	ى → ن	المشددة
ب → م	ش → س	د → ت	ب → النون	

الثانية

من النون

المشددة	ا → ع	ت → ط	س → ص	المشددة
ق → ك	د → ذ	ر → ل	الياء	
ط → ر	ش → ص	ع → ء	الأولى من	
ط → ذ	ك → ن	ل → ن	الباء	
و → ي	د → ط	ن + ب → ف	المشددة	

... الخ

وثمة أمور أخرى تتعلق بإطالة الحركة ، ومد الهمزة ، وكسرها والصحيح فتحها ، وتخفيف الحرف المشدد وتشديد المخفف .

أما التغير الصرفي فيتمثل في التحولات أو التبدلات التي تحدث في الصيغ ، منها :

- استعمال الجمع على أنه مفرد ، واستحداث صيغة جمع في العامة ، مثل : آنية - أواني ( في العامة ) ، الأصل : إناء - آنية ( في الفصحى ) .

- تحويل الاسم المقصور أو الممدود إلى مؤنث مختوم بالتاء .

- استعمال اسم مفعول خاطيء محل اسم فاعل صحيح ، مثل : ( مذهول ) بدلاً من ( ذاهل ) .

- استعمال صيغة فاعل من غير الثلاثي ( خاطئة ) بدلاً من الثلاثي ( صحيحة ) ، مثل : معزم بدلاً من عازم أو العكس طائق بدلاً من مطيق .

- تحويل علامة الاسم الممدود إلى ياء مشددة .

- القلب المكاني : لطم - ظلم .

- زيادة همزة مضمومة قبل الأفعال المعتلة ( في حالة البناء للمجهول ) : أبيع / أحيف بدلاً من يبيع / يحيف .

- استخدام صيغة بدلاً من أخرى مشابهة لها لوهم في المعنى ، مثل : خطيء خطو .

وتغيرات أخرى لا يتسع المقام لحصرها .

أما التغير التركيبي فأمثلة معدودة ، منها :

- تعدية الفعل « وهب » : يقولون : وهبت فلاناً مالاً ، والصواب : وهبت لفلان مالاً .

ويلاحظ هنا أن كل ما سبق ورد تحت القسم الأول . أما العبارة الثانية التي استخدمها عنواناً فاصلاً ، فهي ( وما وضعته العامة في غير موضعه ) ، ويرد تحتها كل الألفاظ التي استخدمت في دلالة مخالفة لما ورد في الفصحى عند العرب ، وقد اختص أساساً بما حدث من توسيع للدلالة الكلمة أو نقلها أو تغييرها . أما العبارة الأخيرة فهي

(ومما يوقعونه على الشيء خاصة وقد شاركه فيه غيره) ويضم عدداً أقل من سابقه ، وهو يختص بما وقع لدلالة المفردات تضييق للمعنى خلافاً لما سلف .

ويلاحظ أنه بالنسبة لترتيب المواد في داخل هذه العناوين ، قد وافق الأولين ؛ فلم يعن باختيار شكل من الأشكال الترتيب المعجمي للمفردات ، إذ كان يبدأ المادة الخطأ بعد عبارة (ويقولون) ، ثم يعقبه بذكر الصواب بعد عبارة (وقال محمد) . وقد اختلف نهجه في شرح المواد اختلافاً بيناً ، فكان يستطرد في مواضع ، ويعنى بالمشتقات في مواضع أخرى ، وذكر الأخبار والنوادر والشواهد المختلفة في بعض المواضع ، ويوجز ويختصر في أحيان أخرى ، وهكذا لم يسر على نهج واحد أو وتيرة واحدة ، وإن كان الاستطراد السمة الغالبة بوجه عام . وكانت الشواهد من القرآن والحديث والشعر والرجز منتشرة . وقد اهتم أيضاً بمسائل مختلفة في الصرف كالأبنية والصيغ ، ومسائل في النحو وفقه اللغة ، وما هو ليس في كلام العرب ، ولهجات أسد وبهذيل وهوازن وأهل الشام واليمن والحبشة وغيرها .

وأخيراً إن قيمة هذه الكتب - في حقيقة الأمر - لا تقدر ، فإنها - وإن كانت قليلة لما ذكرنا سلفاً من أسباب - تقدم صورة ما عن الوضع اللغوي في البيئات العربية المختلفة ، وتعكس نوعاً ما من الصراع اللغوي ، أو ما اصطلاح عليه بالتطور اللغوي بكل صورته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ، ولا يخرج الأمر عن أنه صراع بين فصحي يراد لها الاستمرار سليمة نقية ، وعامية تحاول النيل منها بالتبديل والتغيير ، لتتحرف إلى صورة غير سليمة ، يقع فيها الخلل ، ويرقى إليها الخلط والاضطراب . وقد عنى كثير من الباحثين باستكمال جهد القدماء في هذا المجال ، بل درس أشكال اللحن دراسة علمية دقيقة ، ونختم هذا التعليق الأخير بما عبر عنه أحد الباحثين في هذا المجال عن قيمة كتب اللحن بوجه عام ، يقول د. عبد العزيز مطرف في مقدمة تحقيقه كتاب لحن العامة (ص 1) : « ولهذه الكتب من الأهمية ، فوق غايتها الأولى ، التي هي تنقية اللغة ، والتوجيه إلى فصيح الكلام ومقاومة العامية ، أنها سجل للألفاظ والمعاني المستعملة في لهجات الخطاب ، في البيئات العربية المختلفة ، وأنها مع ذلك ، لا تقتصر على ذكر الخطأ والصواب ، بل تورد شواهد من الشعر والنثر والأمثال والنوادر والأخبار ، مما يضيء عليها شيئاً من الحيوية ، ويبعد عنها كثيراً من الجفاف . . . » .

وفيما يلي نماذج من كتاب (لحن العامة)

## من كتاب « لحن العامة » للزبيدي

\* ويقولون لما يسقط من الخبز : فتاة ، والمتفصح منهم يقول : فتاة .

قال محمد : والصواب : فتاة ، وفتات للجميع (٢) . وهو اسم لما يتفتت من كل شيء ، وهذا البناء على فعالة يأتي أسما لما سقط من الشيء ولما بقي منه ، ولما أخذ منه . مثل النحاتة ، والبُرابة ، والسقطة ، وهو اسم لما يسقط مما تنحته أو تبريه ، والصبابة ، وهي بقية الماء وأنشد لزهير :

كأن فتات العهنِ في كل منزل

نزلن به حبُّ القتالم يحطِّم (٣)

\* ويقولون لواحد الذباب : ذبابة .

قال محمد : والصواب : ذبابة [ الجمع ذباب ] (٤) ، ثم يجمع الذباب : أذبة وذبان (٥) للكثير : وأنشد لمزاحم :

هجان كوقف العاج مصباح قفره

مصوغ لذبان القلاة يذودها

وغلطهم في هذا كغلطهم في الصبان ، على نحو ما تقدم ذكره (٦) .

(١) في أدب الكاتب : ١٥٥ وطرة الثوب ، وصفته وكفته واحد ، وهو الجانب الذي ليس فيه هدب . وذكر الطرة والكفة أيضاً في صفحة : ٣٥٠ من المصدر نفسه والكيئة : من كين الثوب أي ثناه إلى داخل ثم خاطه .

(٢) هذا التصويب نقله صاحب « الجمانة » : ١٣ .

(٣) البيت في شرح ديوان زهير بين أبي سلمى : ١٢ وهو من معلقته المشهورة .

(٤) من تنقيف اللسان : ١٩٤ .

(٥) في الأصل : وياب . وفي الجمانة : ١٣ نقلاً عن الزبيدي : والعامة تضمه ، والصواب :

الكسر .

(٦) ص : ٤٦ .

ويقولون : طيب مُقرَّفَل ، وحكى بعضهم (٢) : مُقرَّف (٣) .

\* ويقولون : فلان مذهُول العقل .

قال محمد : والصواب : ذاهل ، يقال : ذَهَلَ الرجل ، وذَهَلَ ، يذَهَلُ ذُهولا وأذهله الأمر حتى ذَهَلَ . والذُّهُولُ : النِّسيانُ (٤) . وأنشد أبو علي لكثير :

تَبَدَّتْ له ليلي لِتُبيلِ لُبِّه

وشاقتك أم الصَّلْبِ بعد ذُهولِ (٥) .

\* ويقولون لإناث الخيل : الرَّمَك ، فيسكنون

قال محمد : والصواب [رَمَك] واحده : رَمكة ، وهو من الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء ، مثل حَجَلَة وحجَل ، ورمكة ورمك (٦) .

\* ويقولون لواحد الكَلَى : كَلوة (٧) .

قال محمد : والصواب : كَلِيَة . تقول : كَلَيْتُهُ ، إذا أصبت كَلَيْتَهُ فهو مَكَلِيٌّ .

\* \* \*

\* ويقولون لما نتأ في بدن الإنسان وسائر جسمه ، من علة أو غيرها (٨) : دَرَن .

قال أبو بكر : الدَّرَنُ : الوَسَخُ يعلو الجسم وغيره . وقد دَرَنَ جسمه يَدْرِنُ دَرْنًا . وكذلك الطَّبَعُ ، والدَّنَسُ ، والوَضْرُ ، والكَلْعُ : كلُّهُ الوَسَخُ .

---

(١) في الأصل : فعالول .

(٢) هو أبو حنيفة الدينوري ، كما في المخصص : ١١-١٩٦ .

(٣) في الأصل هنا : «والا للسم» . ولعلها هكذا : واللام تشبيه (التون) . وهذا قريب من قول الزبيدي في مماثلة : والتون داخلة على اللام لتقارب مخرجيهما .

(٤) في الأصل : النسياني .

(٥) البيت في الأمالي : ٢-٦٢ وفيها : لتذهب عقله ، بدل : لتبيل له .

(٦) كذا في الأصل : وكان ينبغي أن يمثل بمثال آخر ، مثل سمكة وسمك .

(٧) الضبط من المدخل : ٩-١ (نسخة ٤٦) حيث قال : «فلم يبق للعامة ما تلحن فيه على هذه اللغة ، إلا فتح الكاف ، لأن هذه اللغة إنما أتت بضمها» .

(٨) في تصحيح التصحيف : أو مهنة .

\* ويقولون : امرأة أرملة ونسوة أرامل ، [ للنساء اللاتي هلك عنهن أزواجهن<sup>(١)</sup> ] .

قال أبو بكر : والأرملة : المحتاجة . قال أبو زيد : يقال امرأة أرملة ، ونسوة أرامل ، ونسوة أرملة . ورجال أرملة ، وأرامل . ورجل أرمل .

وقال يعقوب : الأرامل : المساكين من رجال ونساء ، قال : ويقال لهم وإن لم يكن فيهم نساء . قال جرير :

هَذِي الْأَرَامِلُ قَدْ قَضَيْتَ حَاجَتَهَا

فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الْأَرْمَلِ الذَّكْرُ (٢)

وأنشد بعضهم :

أَحِبُّ أَنْ أَصْطَادَ ضَبًّا سَجَبًا

رَعَى الرِّبْعَ وَالشِّتَاءَ أَرْمَلًا (٣)

\* \* \*

\* ويقولون للمتهم بالقبيح : مُخْنَث .

قال أبو بكر : والمخنث من الرجال : [ الذى ] فيه تكسرٌ ورخاوة .

ومنه قولهم : امرأة خنث (٤) . ويقال : خنثُ السقاء ، إذا أملتَه وكسرتَه : وفى

(١) الزيادة من المدخل : ٩ - أ .

(٢) البيت فى اللسان والتاج (رمل) ونسب لجرير . والصحيح (رمل) غير منسوب وفيها : كل الأرامل . والمنجد لكراع : ٦٩ ، والأساس (رمل) وتشقيف اللسان : ٢١٢ وفيها : هذى الأرامل . . .

والعجز فى المدخل ورقة ٩ - أ ، وحكى فى اللسان قول ابن جنى : قل ما يستعمل الأرمِل فى المذكر إلا على التشبيه والمغالطة . ولم أجد البيت فى ديوان جرير ، وفيه قصيدة من البحر والقافية ، فى مدح عمر بن عبد العزيز (ص ٢٧٤) .

(٣) فى اللسان (رمل - سجيل) أنشد ابن برى : أحب . . . . . ومثله فى تاج العروس (رمل) وهو أيضاً فى المدخل : ٩ - ب فى الأجل : محقلاً - أنبلاً - خطأ من الناسخ .

(٤) فى الأصل : خبث ( وكذلك كل المادة مخبث ، خبث ) .

الحديث : « نهى رسول الله - ﷺ - عن اختناث (١) الأسقية » (٢) . ومعناه : أن تمال فيشرب (٣) من أفواهاها . وأنشد أحمد بن سعيد : قال : أنشدنا أحمد بن خالد (٤) ، عن علي بن عبد العزيز ، لشاعر ذكر أنه شرب من سقاء فالغز ، وقال : أخذت مُخْتَثًا فَلْتَمْتُ فَاهُ

### فياطيبَ الْمُخْنَثِ من لثيم

وفى الحديث : « أن رسول الله - ﷺ - دخل على أم سلمة ومعها مُخْنَثٌ (٥) » . حدثنا قاسم ابن أصبغ ، عن محمد ابن إسماعيل الترمذى ، عن الجنيد ، عن سفيان عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أم سلمة ، عن أم سلمة . فذكر الحديث .

فلو كان على ما يذهب إليه العامة لما دخل على أم سلمة ، رحمها الله .

\* ويقولون : عَجَزْتُ عن الشيء ، وإن كان يستطيعه .

قال أبو بكر : والصواب فى هذا : كَسَلْتُ عنه . وَحَدَّثْتُ أن بعض الصُّنَاعِ بِمَكَّةَ وعد رجلاً من أهل العلم بصناعة شىء من عمله ، وَحَدَّ له وقتاً ، فأناه للوقت ، فلم يجد ذلك الشىء كاملاً ، فقال له : أعجَزْتُ عن عمل كذا ؟ فقال : لم أعجز [٣١-أ] ، ولكنى كَسَلْتُ . قال : فَتَصَاغَرْتُ إلى نفسى ، أن يكون الصانعُ أَعْلَمُ بمواقع الكلامِ مِنِّي (٦) .

ويقولون : يُجْزَى كذا وكذا ، إذا لم يُحْضِرْه .

قال أبو بكر : والصواب : أعجَزْنى الشىءُ يُعْجِرُنى ، إذا لم يستطع عمله . وقد

(١) فى الأصل : الخناتة .

(٢) الحديث فى ابن ماجة : ٢-١٧٥ ، وصحيح مسلم : ٢-١٦٠٠ .

(٣) فى الأصل : فيسترن .

(٤) أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم ، المعروف بابن الجباب من أهل قرطبة ، كنيته أبو عمر ، سمع محمد بن وضاح وقاسم بن محمد والحشى ، ورحل فسمع على بن عبد العزيز ومحمد بن على الصائغ ، وكان إماماً فى الحديث والفقه . توفى سنة ٢٣٢ هـ .

(٥) تاريخ ابن الفرضى : ١-٤٢ .

(٦) الحديث فى صحيح مسلم : ٤-١٧١٥ والموطأ : ٢-٧٦٧ .

(٦) الخبر فى تنقيف اللسان : ٢٠٥ .

عجزت عنه أعجز . فأما الناجز فهو الحاضر : ومنه قولهم : بعته ناجزاً (١) . بناجز ، أى حاضرأ بحاضر . وإنجاز الوعد منه إنما هو إحضاره ، وقد أنجزت الحاجة ونجزتها ، إذا قضيتها . وأنت [ على ] (٢) نجز حاجتك ونجزها أى على [ شرف من ] قضائها . ونجز الشيء إذا انقضى . قال النابغة :

فمَلِكَ أَبِي قابوسَ أضْحَى وقد نَجِيزٌ (٣)

\* ويقولون للزق الذى يتفخ به (٤) الحداد : كبير .

قال أبو بكر : والصحيح المعروف أن الكبير موقد النار (٥) الذى بينه الحداد ، ويقال له : الكور أيضاً .

\* \* \*

ومما يوقعونه على الشيء خاصة ، وقد شركه فيه غيره :

\* ويقولون : الوادى ، للزبر خاصة (٧) .

قال أبو بكر : والوادى : كل بطن مطمئن من الأرض ، وربما استقر فيه الماء والجمع :

(١) فى الأصل : ناجز . (٢) من الصحاح : (نجز) .

(٣) صدره :

وكنت ربيعاً لليتامى وعصمة

والبيت فى اللسان والصحاح : (نجز)

(٤) فى الأصل ، وتصحيح التصحيف : ٢٦٨ : به ، وفى إطلاح المنطق : ٣٢ ، والمدخل : ١٢-أ : فيه .

(٥) رد ابن هشام اللخمي ، فى المدخل : ورقة ٨-ب ، بأن أكثر أهل اللغة على أن الكبير هو الزق

(٦) فى الأصمعيات : ٩١ :

لا يغمز الساق من أين ومن وصب ولا يعض على شر سوفه الصفر

لا يتأوى لنا فى القدر يرقبه ولا يزال أمام القوم يقتفر

والبيت فى ديوان الأعرين : ٢٦٨ ، والأمالى : ٢-٢٠١ ، وغريب الحديث لأبى عبيد : ١٦

وأدب الكاتب : ٣٢ (غير منسوب) ، والكامل : ٢-٢٩١ ، والمنجد لكراع : ٤٠ ، ١٥٤ ،

وشرح المفضليات : ٥٢٠ ومقاييس اللغة : ١-٨٨ ، والأضداد لابن الأنبارى : ١٣٠ ، ٣٢٤

وأمالى المرتضى : ١-٢٣٠ (وفى البيت الأول كما فى الأصمعيات) واللسان والصحاح :

(صفر-أرى) وفى البخلاء : ١٠٧ يطلبه ولا تراه . . ومثله إصلاح المنطق : ٣١٣ .

(٧) علق د . عبد العزيز الأهوانى فى بحثه «ألفاظ مغربية» : ٦٦ على هذا المعنى بقر له : اقترن فى

الأسبانية لفظ «Guan» بأسماء الأنهار فى الأندلس من هذا .

أودية : على غير قياس (١) . قال ابن أبي دُواد (٢) :

أعاشني بَعْدَكَ واد مَبْقَلُ

أَكَل من حَوٍّ [ ذانه ] وَأَنْسَلُ (٣)

أنسل : أى أسمن حتى يسقط منى النَّسِيل ، وهو الشَّعر .

ويقال استراض الوادى ، إذا استنقع فيه الماء ، عن الكسائى .

قال أبو عبيدة : والسَّوْدَانِق : الأجدل . والقطامى عند العرب : الصقر . وأنشد

للبيد :

إذا مسَّ أسَارَ الصَّقُورِ صفتُ (٤) له

مُعْتَقَةٌ مِمَّا تُعْتَقُ بِأَبْلِ (٥)

ويقال : صقر للذكر ، وصقر للأُنثى ، وثلاثة أصقُر ، وهى :

الصَّقَار ، والصَّقُور . قال الراجز (٦) :

تَقْضَى البَازَى من الصَّقُورِ (٧)

\* ويقولون : خمار ، لما خمَّرت به المرأة رأسها ، من شقاق الحرير خاصة .

قال أبو بكر : والخِمار : كل ما خمَّرت به الرأس ، من ثوب أو ما أشبهه .

---

(١) قال اللخمي فى المدخل : ٧٥-ب : وليس فى الكلام فاعل يجمع على أفعله غيره ، ويقال

أيضاً فى جمعه : أوداه وأودية .

(٢) اسمه دواد ، وأبوه : أبو دواد الإيادى ، جارية أو جويرية بن الحجاج ، الشاعر الجاهل المشهور

(الأغانى : ١٦-٣٧٣) .

(٣) البيت فى : النبات : ١-١٠٩ وفىه : قالت امرأة ؛ وسمط اللاكى : ١-٥٧٣ منسوب ،

والخصائص : ١-٩٧ و ٢-٢٢٠ (منسوب لدواد) وفى اللسان والتاج (نسل) قال أبو ذؤيب

وفى اللسان (بقل) قال دواد بن أبى داود .

(٤) فى الأصل : صفت .

(٥) البيت فى الديوان : ٢٥٨ وفىه : الطيور بدل الصقور ، ومشعشة بدل : معتقة .

(٦) هو العجاج .

(٧) ديوانه : ورقة ٣٦ ، مجموع أشعار العرب : ٢-٢٨ ؛ وتثيف اللسان : ٢٠٨ .

وفى الحديث . « خَمَرُوا الْآيَةَ: وَأَوْكُسُوا السَّقَاءَ » (١) .

والخَمَرُ : كل ماواراك من شىء .

وحدثنا قاسم بن أصبغ ، عن الخُشْنِي (٢) عن محمد بن بشار ، عن [ ابن عبّيد ،  
عن شعبة (٣) ، عن الحكم (٤) ، عن ابن أبي ليلى (٥) ] عن كعب بن عُجرة [ عن بلال :  
« أن رسولَ الله - ﷺ - كان يَمْسَحُ على الخُفَيْنِ والخَمَارِ » (٦) .

---

(١) الحديث فى صحيح مسلم : ٣- ١٥٩٤ ، والموطأ : ٢- ٩٢٩ وفيه : أوكوا السقاء وخمروا  
الإناء ..

(٢) أبو الحسن محمد بن عبد السلام بن ثعلبة القرطبي ، اللغوى ، روى عن يحيى بن يحيى الليثى  
ومحمد بن بشار وروى عنه قاسم بن أصبغ ومحمد بن القاسم وآخرون ، توفى ٢٨٦ هـ .

## درة الغواص في أوهام الخواص

للحريري ( ٥١٦ هـ )

يعد كتاب الحريري نقلة كبيرة في مسار حركة المحافظة على سلامة اللغة ، وصيانتها من اللحن ، والإبقاء على الاستخدام الصحيح . فقد كان حرص العلماء - كما قلنا - حرصاً شديداً على تنقية اللغة التي شرفت بتزول القرآن بها ، فكان الوازع الديني من جهة والتشدد اللغوي من جهة أخرى الذي ربما وصل إلى حد المبالغة أحياناً ، ومن ثم إلى تخطيطة الصحيح المستعمل في لغة قديمة تغيب عن المؤلف ، مما جعله عرضة للنقد والهجوم من علماء آخرين ، راجعوا ما قاله ، وصححوا ما حاد به عن جادة الصواب ، فكانت الشروح والحواشي والتعليقات على كتابه كثيرة ، أقول لقد كانا إلى جانب عوامل أخرى فرعية وراء هذه المؤلفات القيمة التي رصدت في جانب منها - في حقيقة الأمر - أشكالاً من التغيرات الصوتية والصرفية في الأغلب ، والدلالية والنحوية بدرجة أقل كثيراً ، التي جرت على اللغة العربية في بيئات مختلفة .

ويعد كتاب الحريري «درة الغواص في أوهام الخواص» المعروف «بالدرة» من الكتب المهمة التي رصدت التغيرات التي حدثت في بيئة العراق اللغوية ، ولكنه انعطف عن رصد أخطاء العامة الذين تفشى اللحن فيهم ، وشاع الخطأ على ألسنتهم ، إلى رصد أوهام الخواص الذين كانوا قدوة ، يوثق بلغتهم ، ويرجع إليهم في تصويب صور اللحن ورد أشكال الانحراف عن اللغة الفصيحة السليمة . ولاشك أن ذلك التغير حتمي ، فاللغة مستعملة على الألسنة ، والاحتكاك مستمر بين كل الطبقات ، فليس من المستبعد إذن ، انتقال صور من التحول بين مستويات لغوية مختلفة في فترات زمنية متباعدة . بل إن التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية هيأت الظروف الملائمة لتخفيف حدة التشدد اللغوي السابقة ، وغلب التسامح ، بل التساهل أحياناً ، والجنوح إلى قبول سنة التغير ، والتسليم ببعض صور التبديل ، والوقوف في وجه بعضها الآخر .

وينبغي أن نشير هنا - ابتداءً - إلى اتخاذ الحريري نهج أسلافه ، علماء التنقية اللغوية

وغيرهم ، إذ إنه نقل كثيراً مما ورد في كتبهم ، ولم يكتف كما أشار في مقدمته ، وكما سئرى بأوهام الخواص ، فتشابكت أوهام العوام بأوهام الخواص إلا في القليل ، وتداخلت ملاحظاته الشخصية بملاحظات الآخرين إلا في النادر ، ولو أنه اكتفى بملاحظاته التي كونها من الأحاديث والمخاطبات والمكاتبات وقراءاته في النثر والشعر وغير ذلك ، وعزف عن النقل عن كتب السابقين لنقلت إلينا هذه الملاحظات صورة صادقة كافية عن التغيرات المختلفة التي وقعت أو الواقع اللغوي بشكل عام في زمنه . وعلى الرغم من ذلك فقد تفرد الحريري بالتنبيه على تغيرات ، شاعت على السنة الخاصة في زمنه ، ويستدل على ذلك بأدلة عدة ، منها ذكر أسماء أشخاص ، أو بعض المحدثين أو تعيين الحادثة أو المكاتبه ، وغير ذلك من الوسائل المحددة للزمن .

وبالإضافة إلى ذلك تميز كتاب الحريري بتجاوز السابقين في رصدهم للتغير الصوتي وانصرفي وتغير الحركات في الأغلب ، وقلة ملاحظة التغيرات التركيبية والدالية ، كما ستوضح الأمثلة التي سنقدمها فيما يلي . ولكنه تشدد في مواضع عدة إلى حد أوقعه في الخطأ ، فكانت أحكامه وانتقاداته متعسفة سوغت للخفاجي وابن برى أن يستدرکوا عليه أموراً ويردوا عليه بعض أحكامه غير الدقيقة المتعجلة بشواهد من استعمال القدماء الفصحاء وأقوال علماء اللغة الأوائل وشواهد مختلفة ، ربما لم يكن الحريري على علم بها ، أو كان على علم بها ولم يقبلها .

بيد أن ذلك لا يقلل من قيمة كتابه قط ، فقد فاق غيره في توسيع مفهوم اللحن ، مواكباً ازدهار الأدب شعراً ونثراً ، وكثرة المؤلفات والمكاتبات والمراسلات وكل أشكال الكتابة ، فكان على العلماء أن يجتهدوا في رصد « شيوخ الخطأ اللغوي في الاستعمال ، والالتواء في الأساليب ، والخروج عن سنن العرب في كلامها ، » وقد شاع ذلك على السنة الشعراء وأقلام الكتاب والمنشئين وفي بطون الكتب والأسفار « (التصدير ص ٣) . وقد حدد الحريري هدفه من تأليفه كتابه في المقدمة ، بل إنه قد كشف أيضاً عن الباعث إلى الاقتصار على أوهام الخواص ، يقول (ص ٣) : « فإني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرتب ، وتوسموا بسمه الأدب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يقرط من كلامهم وترعف به مزاعف أقلامهم ، مما إذا عثر عليه ، وأثر عن المعزوا إليه ، خفّض قدر العلية ، ووصم ذا الحلية ، فدعاني الأنف لنباهة أخطارهم ، والكلف بإطابة أخبارهم إلى أن أدرا عنهم الشبه ، وأبين ما التبس عليهم واشتبه ) .

فهو إذن يتعقب لغة الكتاب والشعراء وعليه المتأديين والمنشئين وأساليبهم ليوضح ما غاب عنهم وما التبس عليهم فوقعوا في الخطأ دون دراية لأنهم حادوا عن سنن العرب الفصحاء في كلامهم ، وينبههم إلى موضع أخطائهم ، ويقدم لهم الفصح من الألفاظ والسليم من الأساليب ، غير أنه لم يكتف بذلك ، فأودعه « من النخب كل لباب ، ومن النكت ما لا يوجد منتظماً في كتاب ، هذا إلى ما لمعته به من النوادر اللائقة بمواضعها ، والحكايات الواقعة في مواقعها . ( ٣ ، ٤ ) .

فكتابه ليس من كتب التصويب اللغوي أو اللحن المحض ، بل إنه أدرك أن القارئ ربما لم يجد متعة في معرفة الخطأ وصوابه على نحو جاف ، فحشى كتابه بالحكايات الأدبية والنوادر المستملحة والطرائف الجميلة والأشعار الرائقة ، ولكنه لم يكن يستطرد في كل المواضيع ، وإنما استطرد في المواضيع التي تميز له المادة ذلك كما فعل حين أشار إلى أن نطق كلمة ( شطرنج ) بفتح الشين خطأ ، وصوابه بكسرها ، ثم ذهب إلى أنه مثلاً يمكن أن تنطق الشين سيناً ، فكان ذلك توطئة لتناول الكلمات التي يمكن أن يُنطق فيها الشين سيناً ( ١٨٤ : ١٧٦ ) .

فجعله كل ذلك كتاباً ممتعاً في الأدب ، وكيف لا يفعل ذلك وهو صاحب المقامات الأدبية المشهورة ، كما أنه قد استرسل في بعض المواضيع في مسائل صرفية ونحوية ، وكيف لا يفعل ذلك أيضاً ، وهو صاحب ملحة الأعراب في صناعة الإعراب .

أما منهج المؤلف فإنما يتبع ترتيباً أو نظاماً معيناً في إيراد المادة ، فلم يخالف القدماء في تتبعهم لمجموعة التغيرات اللغوية ورصدها بلا رابط . وهذا أمر يحول دون وصول الباحث عن شيء فيه إلى بغيته في يسر ، ولكنه وجد من يرتبه من القدماء مثل ابن منظور في ( تهذيب الخواص من درة الخواص ) ، ورتبه من المحدثين محمد الحسيني ( آلوسى زاده ) ترتيباً هجائياً في ( كشف الطرة عن الغرة ) وأضاف إليه شروحاً . أما شهاب الدين الحفاجي فلم يعن بالترتيب قدر عنايته بوضع شروح وتعليقات وردود عليه ، وكذلك فعل كل من ابن برى وابن ظفر فلهما حواش مفيدة عليه .

وهو يبدأ دائماً بالاستعمال الخاطيء بعبارة ( ويقولون ) ثم يأتي بالاستعمال الصواب ، ويقدم الأدلة على صحة رأيه من الشعر في الأغلب والقرآن والأحاديث والأخبار والنوادر . وقد كان عنيفاً في عباراته ، وكلها تدور في الوهم والخطأ والغلط واللحن ، مثل : فمن أوامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة / فيموهمون في /

فيخطئون فيه / فيحرفونه في وضعه / وهو لحن فاحش وغلط شائن / وهو اقبح أو هامهم وأفحش لحن في كلامهم ، وهو معرفة لكاتبه والمتلفظ به . . . الخ . وقد أدى به تشدده وتزمته إلى عدم الأخذ ببعض القراءات ونسب بعضها إلى اللحن كما في مسألة : ويقولون : فلان أشرُّ من فلان ، والصواب أن يقال : هو شر من فلان بتغير أنف ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ ﴾ [الأنفال: ٢٢] . . . ثم قوله في نهايتها : وأما قراءة أبي قلابة ( سيعلمون غداً من الكذاب الأشر ) ، فقد لحن فيها ولم يطابقه أحد عليها ( ٥٠ ، ٥١ ) فلم تقبل القراءة المفردة . ولم يستشهد بأشعار المرلدين ، فلم يكونوا عنده حجة في الاستعمال اللغوي ، إذ خطأهم القدماء ، فقد تابع غيره في تخطئة أبي الطيب المتنبي حين قال :

فأجرك الإله على عليل      بعثت إلى المسيح به طيباً

لأن العرب تقول فيما يتصرف بنفسه : بعثته وأرسلته . كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا ﴾ [المؤمنون: ٤٤] ، ويقولون فيما يحمل : بعثت به وأرسلت به ، كما قال سبحانه إخباراً عن بلقيس : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل: ٣٥] ( ص ٢٧ ) .

وقد تشدد أيضاً في السماع والقياس ، إذ إنه كما يقول د . عبد الفتاح سليم في «اللحن في اللغة» ص ٩٠ : وليس غريباً - إذن - أن نرى الحريري يرجع باللغة إلى استعمالها في مواطنها الأولى . وكل ما خالف هذا الاستعمال البدوي في المعنى أو اللفظ أو في التركيب خطأ يجب أن يُقوّم . . .

ولكن كانت له تصويبات مقبولة وإشارات ذكية ، ويجب هنا أن نقسم ملاحظاته إلى رصد ما حدث في الحركات ( التغير في الحركات ) والتغير الصوتي ، وهو استخدام صوت صامت ( أو حرف ) بدلاً من صوت آخر ، والتغير الصرفي ، استخدام صيغة بدلاً من صيغة أخرى ، والتغير الدلالي ؛ وهو استخدام الكلمة في معنى غير المعنى الذي كان في استعمال العزب . ولا يتسع المقام للتفصيل ، ولذلك سنكتفي ببعض الأمثلة الواضحة :

ومن أمثلة التغير في الحركات قوله : ويقولون : فيه شَغَب بفتح الغين . . .

والصواب فيه شَغَب بإسكان الغين ، ونظير هذا الوهم قولهم للداء المعترض في البطن : المَغَص بفتح الغين ، فيغلطون فيه ، لأن المَغَص بفتح الغين هو خيار الإبل . . . أما اسم الداء فهو المَغَص بإسكان الغين ( ص ١٤٠ ، ١٤١ ) .

ومن أمثلة التغير الصوتى قوله : ويقولون : فلان شحات بالشاء المعجمة بثلاث من فوق ، والصواب فيه شحاذ بالذال المعجمة ، لاشتقاق هذا الاسم من قولك : شحذت السيف ، إذا بالغت فى إحداده ، فكان الشحاذ هو الملح فى المسألة والمبالغ فى طلب الصدقة (ص ٢٢٠) . وهذا يكشف لنا أن هذه الكلمة ربما مرت بمرحلتين من التغير حتى وصلت إلى النطق الذى نستعمله فى لهجتنا المصرية وهو شحاذ ← شحات ← شحات .

ولكن أمثلة التغير الحركى والصوتى قليلة نسبياً . ومن المنطقى أن رصد التغير الحركى كان بطريق السماع . أما التغير الصوتى فربما كان بطريق السماع فى الأقل وبطريقة الكتابة فى الأكثر ، وفيما يلى بعض أمثلة وردت متفرقة :

صواب	خطأ
تمعر (ع) (تغير وجهة من الغضب)	تمغر (غ)
داعر (د)	ذاعر (د)
تفل (ت)	ثفل (بصق) (ث)
احتلط (ح)	اختلط (غضب) (خ)
قريس (س) من (قرس)	قريص (ص)

ومن أمثلة التغير الصيغى أو التغير فى الصيغ الصرفية ، قوله : ويقولون رجل متعوس ووجه الكلام أن يقال : تا عس ، وقد تعس ، كما يقال : عاثر ، وقد عثر . (١٠٩ ، ١١٠) \*

وقوله : ويقولون لمن تعب : هو عيان ، والصواب هو أن يقال هو : معي ، لأن

\* وربما لجأت للاختصار إلى الاختصار على المثال ، أو التصرف فى العبارة بدقة بما يوضح القصد . وعلى من يرغب فى متابعة التفاصيل أن يرجع إلى الكتاب فى الصفحات المشار إليها فى نهاية كل مسألة .

الفعل منه أعياء ، فكان الفاعل منه على وزن مفعول ، كما يقال : أرخى الستر فهو مرَّخٌ ، وأغلى الماء فهو مُغْلٍ (١٤٤) .

وقوله : ويقولون : طرده السلطان . ووجه الكلام : أطرده ، لأن معنى طرده أبعده بيده أو بألة في كفه . . . (٢٣٩) . وهكذا تدور التغيرات في صيغ الأفعال والصفات والجموع والأسماء المقصورة وصيغ الجموع .

ومن أمثلة التغير التركيبي قوله : ويقولون : اجتمع فلان مع فلان ، فيوهمون فيه ، والصواب : اجتمع فلان وفلان ، لأن اجتمع على وزن افتعل ، وهذه الصيغة تقضى وقوع الفعل من اثنين فصاعداً ، فمتى أسند الفعل منه إلى أحد الفاعلين لزم أن يعطف عليه الآخر بالواو لا غير . . . (٣٤) .

وقوله : ويقولون : بينا زيد قام إذ جاء عمر ، فيتلقون بينا بإذ ، والمسموع عن العرب : بينا زيد قام جاء عمر ، بلا « إذ » ، لأن المعنى فيه : بين أثناء الزمان جاء عمر . . . (ص ٨٤) ويبدو أن هذه المسائل منقولة عن كتب القدماء وبخاصة الأمالي .

وقوله : ويقولون للمتوسط الصفة : هو بين البيتين ، والصواب أن يقال : هو بين بيتين . . . (٨٣) ، وقوله : ويقولون : كلا الرجلين خرجا ، وكلتا المرأتين حضرتتا ، والاختيار أن يوحد الخبر فيها ، فيقال : كلا الرجلين خرج ، وكلتا المرأتين حضرت ، لأن كلا وكلتا اسمان مفردان وضعا لتأكيد الاثنين والاثنتين ، وليس في ذاتها مثنين ، ولهذا وقع الإخبار عنهما كما يخبر عن المفرد .

وبهذا نطق القرآن في قوله تعالى : ﴿ كلتا الجنتين أتت أكلها ﴾ ولم يقل : أتتا . . . (ص ١٣٨) .

ونكتفي بأمثلة التغير التركيبي التي لها قيمة كبيرة لا تقدر ، ولم يكتف الحريري بإيراد الأمثلة ، بل كان يذكر علة التصويب ، ويقدم الشواهد على أحكامه . ومن أمثلة التغير الدالي ( أو ما يطلق عليه التحريف في اللفظ والمعنى ) قوله : ويقولون لمن يأتي الذنب متعمداً : قد أخطأ ، فيحرفون اللفظ والمعنى ، لأنه لا يقال : أخطأ إلا لمن لم يتعمد الفعل أو لمن اجتهد ، فلم يوفق الصواب . . . أما المتعمد الشيء فيقال فيه : خطيء فهو خاطيء ، والاسم منه الخطيئة . . . ؟ (ص ١٥٢) .

وقوله : ويقولون : هم عشرون نفراً وثلاثون نفراً ، فيوهمون فيه ، لأن النفر إنما

يقع على الثلاثة من الرجال إلى العشرة ، فيقال : هم ثلاثة نفر ، وهؤلاء عشرة نفر ، ولم يسمع عن العرب استعمال النفر فيما جاوز العشر بحال ( ص ٦٨ ، ٦٩ ) .

وقوله : . . . أنهم يقولون : قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج ، فيستعملون «سائراً» بمعنى الجميع ، وهو في كلام العرب ، بمعنى الباقي ، ومنه قيل لما يبقى في الإناء : سؤر . . . ( ص ٤ ) .

ويلاحظ التفاوت الظاهرة في كم المادة الخاص بكل مسألة ، ففي بعض المواد يوجز غاية الإيجاز وفي بعضها الآخر يستطرد فيذكر كل ما عن له أو عرفه عن المسألة .

وقد عنى بإظهار الفروق الدقيقة بين الاستعمالات والدلالات ، وكان يأخذ من اللغات المشهور المبنى على القياس المطرد ، ويرد الشاذ إلى الاكتفاء فيه بالسمع وينكر النادر فلا يعتد به ولا يقاس عليه ( مثال ذلك ، مسألة : قاما الرجلان وقاموا الرجال ( ص ١٤٥ ، ١٤٦ ) . كما أنه كان عنيفاً تجاه العلماء والمذهب النحوي ، فلم يتورع عن تخطئتهم كتخطئة الأصمعي وهو النحوي الثقة ( ص ١٣٤ ) وتخطئة الكوفيين ( ص ٣٨ ) ، بل مخالفة البصريين أحياناً ، على الرغم من أنه كان يتبع مذاهبهم في الأغلب . ويذهب د . عبد الفتاح سليم في إيضاح تلك الحملة القاسية على الخاصة وتلك اللغة العنيفة إلى أنه « يبدو أن الحريري كان يلقي في ذلك مقاومة وعتاً من بعض الخاصة الذين قد يجيزون بعض هذا الاستعمال على نحو ما ، فجعله ذلك يتبع سقطاتهم الخاصة أيضاً ، بل جعله يتشدد معهم في التخطئة ليثبت أسس لغة فصحي سليمة من الشوائب ، خالية من قيل وقال . ( ص ٥٩ ) .

وعلى الرغم من مبالغة الحريري في التشدد وتصويب ما لا يجوز استعماله وما يجوز استعماله ، وانتهائه إلى أحكام قاسية ومقاييس خاصة أحياناً تخرج على مقاييس جمهور العلماء ، فقد عد كتابه من أحسن الكتب التي ألقت في هذا اللون من ألوان التأليف اللغوي وأجملها تصنيفاً وأكثرها متعة .

**وفيما يلي نموذج من كتاب « ذرة القواص في أوهام الخواص » للحريري**

## من كتاب درة الغواص للحريرى

٩- ومن أوهامهم أيضاً فى هذا الفن قولهم : لا أكلّمه قَطُّ ؛ وهو من أفحش الخطأ لتعارض معانيه وتناقض . الكلام فيه ؛ وذلك أن العرب تستعمل لفظة « قَطُّ » فيما مضى من الزمان ، كما تستعمل لفظة « أبداً » فيما يُستقبل منه ، فيقولون : ما كلّمته قَطُّ ولا أكلّمه أبداً ، والمعنى فى قولهم : ما كلّمته قَطُّ ، أى فيما انقطع من عمرى ، لأنه من قَطَطْتُ الشىء ، إذا قطعته ، ومن قَطَّ القلم ، أى قَطع طرفه . وبما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه أنه كان إذا اعتلى قَدَّ ، وإذا اعترض قَطُّ ، فالقَدَّ قطع الشىء طويلاً ، والقَطُّ قطعُه عَرَضاً ، ولفظة قَطُّ هذه مشددة الطاء ، وهى اسم مبنى على الضمّ مثل حيثُ ومنذ ، وأما قَطُّ بتخفيف الطاء ، فهو اسم مبنى على السكون مثل قَدَّ ، وكلاهما بمعنى حَسَب .

وقرأت فى أخبار الوزير على بن عيسى <sup>(١)</sup> أنه رأى كاتباً يبرى بمجلسه قلماً فأنكر ذلك عليه وقال : مالك فى مجلسى إلا القَطُّ فقط ا  
وقد تدخل نون العماد على قَطُّ وقد ، مع ضمير المتكلم المجزور كما قال الراجزى  
قَطُّ :

\* امتلاً الحوض وقال قطنى <sup>(٢)</sup> \*

١٤٦ - ويقولون لمن يقتبس من الصُّحف : صُحْفَى ، مقايسة على قولهم فى النسب إلى الأنصار : أنصارى ، وإلى الأعراب أعرابى . والصواب عند النحويين البصريين أن يُوقَع النسب إلى واحدة الصُّحف وهى صَحيفة . فيقال صَحْفَى ، كما يقال فى النسب إلى حنيفة : حَنْفَى ، لأنهم لا يروُن النسب إلا إلى واحد الجموع ، كما يقال فى النسب إلى القرائض : قَرَضَى ، وإلى المقاريض : مقراضى ، اللهم إلا أن يُجعل الجمع اسماً علماً للمنسوب إليه ، فيوقَع النسب حينئذ إلى صيغته ، كقولهم فى النسب إلى قبيلة هوازن : هوازنى ، وإلى حى كلاب : كلابى ، وإلى مدينة الأنبار : أنبارى . وإلى بلدة . المدائن مدائنى . فأما قولهم فى النسب إلى الأنصار أنصارى فإنه شذ عن أصله والشاذ لا يقاس عليه ، ولا يعتد به . وأما قولهم فى النسب إلى الأعراب :

أعرابى فإنهم فعلوا ذلك لإزالة اللبس ونفى الشبهة ، إذ لو قالوا فيه : عربى لا شتبه بالمنسوب إلى العرب ، وبين المتسويين فرق ظاهر لأن العربى هو المنسوب إلى العرب ، وإن تكلم بلغه العجم . والأعرابى هو النازل بالبادية ، وإن كان عجمى النسب .

٢١٠ - ومن ذلك توهمهم أن معنى بات فلان ، أى نام . وليس كذلك بل معنى بات أظله المبيت ، وأجته الليل ، سواء نام أم لم ينم ، يدك على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجُودًا وَقِيَامًا ﴾ (١) ، ويشهد به أيضاً قول ابن رميض .

باتوا نياماً وابنُ هند لم ينم

بات يقاسيها علام كالزكم

ليس براعى إبل ولا غنم (٢)

فأخبر عنه أنه بات متصدّياً لحفظها بمن هم بخرابتها أى سرقتها لأن الخرابة اسم يختص بسرقة الإبل ، والخارب المتلصص عليها خاصة .

٢١٢ - ومن ذلك توهمهم أن الراحلة اسم يختص بالناقة النجيبة ، وليس كذلك ، بل الراحلة تقع على الجمل والناقة ، والهاء فيها هاء المبالغة ، كالتى فى داهية وراوية ، وإنما سميت راحلة لأنها تُرْحَل ، أى يُشدُّ عليها الرَّحْلُ .

فهى فاعلة بمعنى مفعولة ، كما جاء فى التنزيل : ﴿ فى عيشة راضية ﴾ (٣) بمعنى مرضية .

وقد ورد فاعل بمعنى مفعول فى عدة مواضع من القرآن كقوله تعالى : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَحِم ﴾ (٤) أى لا معصوم . وكقوله سبحانه : ﴿ من ماء دافق ﴾ (٥) أى مدفوق ، وكقوله عز اسمه : ﴿ أنا جعلنا حرماً آمناً ﴾ (٦) أى مأموناً فيه . وجاء أيضاً مفعول بمعنى فاعل ، كقوله تعالى : ﴿ حججاً مستوراً ﴾ (٧) . أى ساتراً . ﴿ وكان وعده مائياً ﴾ (٨) أى آتياً .

(١) سورة الفرقان ٦٤ .

(٢) هذا المشطور من ب . (٣) الحاقة ٢١ .

(٤) سورة هود ٤٣ . (٥) سورة الطارق ٦ .

(٦) العنكبوت ٦٧ . (٧) سورة الإسراء ٤٥ . (٨) سورة مريم ٦١ .

٢١٣- ومن هذا التَّمَيُّظُ أيضاً توهُمُهُمُ أَنَّ البَهِيمَ نَعَتٌ يَخْتَصُّ بِالأَسْوَدِ ،  
لِاسْتِمَاعِهِمْ : لَيْلٌ بِهِيمٍ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ البَهِيمُ اللَّوْنُ الخَالِصُ الَّذِي لَا يَخَالِطُهُ لَوْنٌ  
آخَرَ ، وَلَا يَمْتَزِجُ بِهِ شَيْءٌ غَيْرُ شَيْئِهِ ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُولُوا لِلَّيْلِ المَقْمَرُ : لَيْلٌ بِهِيمٍ ، لِاخْتِلَاطِ  
ضَوِّ القَمَرِ بِهِ ، فَعَلَى مَقْتَضَى هَذَا الكَلَامِ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ : أبيضُ بِهِيمٍ وَأَشقرُ بِهِيمٍ .  
وَجَاءَ فِي الأَثَارِ : يُحَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةَ عَرَاةٍ بَهُمَا ، أَيْ عَلَى صِفَةِ وَاحِدَةٍ مِنْ  
صِحَّةِ الأَجْسَادِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الأَفَاتِ ، لِيَتِمَّ لَهُمْ بِذَلِكَ خُلُودُ الأَبَدِ وَالبَقَاءُ السَّرْمَدِ .

٢١٤- وَمِنْهُ أَيْضاً تَوهُمُهُمْ أَنَّ السُّوقَةَ اسْمٌ لِأَهْلِ السُّوقِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، بَلِ السُّوقَةُ  
الْإِثْرَعِيَّةُ ، سُمُّوا بِذَلِكَ ، لِأَنَّ المَلِكَ يَسُوقُهُمْ إِلَى إِرَادَتِهِ ، وَيَسْتَوِي لَفْظُ الوَاحِدِ وَالجَمَاعَةِ  
فِيهِ ، فَيُقَالُ : رَجُلٌ سُوْقَةٌ وَقَوْمٌ سُوْقَةٌ ، كَمَا قَالَتِ الحُرَّقَةُ بِنْتُ النِّعْمَانِ :

فَبَيْنَا نَسُوقُ النَّاسَ وَالأَمْرُ أَمْرُنَا

إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوْقَةٌ نَتَنَصَّفُ (١)

فَأَمَّا أَهْلُ السُّوقِ فَهِيَ السُّوقِيُّونَ وَاحِدُهُمْ سُوْقِيٌّ ، وَالسُّوقُ فِي كَلَامِ العَرَبِ تَذَكَّرٌ  
وَتَوْنٌ .

## تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلي ( ٥١٥ هـ )

تمكنت الجيوش الإسلامية الفتية من فتح صقلية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وبعد أن استتب الأمر للفاتحين ، عونا بنشر الدين وتعليم اللغة ، وشجعوا أهل البلاد على ذلك تشجيعاً مستمراً ، تمثل في أشكال مختلفة من الجزاء المادي والمعنوي ، كما أن عدداً كبيراً من العلماء قد نهض إليها للتدريس والإفادة ، فقد عرفوا فيها الخير والهدوء والراحة ، ومن أهمهم صاعد اللغوي الأندلس وابن رشيق القيرواني . وهكذا فقد تهيأت الظروف لأن ينبغ من أبنائها جعفر بن محمد المعروف بابن القطاع وابنه علي ، وطاهر بن محمد الرقباني وعلي بن حبيب ، وعبد الرحمن بن عتيق المعروف بابن الفحام وابن مكى الذي نحلل مؤلفه فيما يلي .

وتحدد كتب التراجم والطبقات نسبة وحياته ونثره وشعره ووفاته وشيوخه وغير ذلك مما لا يتسع المقام لذكره ، ونكتفي هنا بما يتصل بالموضوع . فهو أبو حفص عمر بن خلف بن مكى الصقلي ، يوصف بالإمام اللغوي ، والقاضي الجليل والمحدث الثبت ، وغيرها من الصفات التي تؤكد رسوخ قدمه في العلم ، وقد تتلمذ على يد ثلاثة من كبار العلماء ، يتكشف ذلك بجلاء من تكرار أسمائهم في تثقيف اللسان ، فقد نقل عنهم كثيراً من آرائهم وروياتهم ، وبخاصة أبو بكر محمد بن علي الحسن بن البر ، الذي راجع كتاب الصقلي وعدل فيه وأضاف ، وقد وافقه ابن مكى الصقلي ، كما سنرى في المقدمة فيما بعد ، في كل ما طلب . والثاني هو أبو محمد عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي ، والثالث هو أبو حسن بن رشيق القيرواني ، صاحب كتاب « العمدة » المشهور ( ت ٤٥٠ / ٤٥٦ / ٤٦٢ هـ ) .

ويعد كتاب ابن مكى الصقلي من أهم الكتب التي ألقت في رصد اللحن الذي وقع على ألسنة العامة والخاصة ، إذ إنه يسجل حال اللغة العربية في مكان بعينه هو صقلية ، وفي زمان بعينه ، في زمن حياته . ويصور في مقدمته الوضع أو الواقع اللغوي ، بعد

أن كثر الاختلاط بين أبناء الجزيرة والفاحين الذى كان أكثرهم من البربر ، وفشى اللحن على السنة الناس جميعاً ، عامتهم وخاصتهم . ولم يعد من اليسير تحديد المصيب من المخطيء ، يقول ( ص ٤٣ ) : وصار كثير من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون ، وكثير من العامة يصيبون ، وهم لا يشعرون ، فربما سخر المخطيء من المصيب ، وعنده أنه قد ظفر بأوفر نصيب ، وتساوى الناس فى الخطأ واللحن إلا قليلاً .

ومما لا شك فيه أن له ملاحظات غاية فى القيمة تدل على حسن لغوى صائب ودراية علمية دقيقة بمسائل البحث والتحليل . ومن ذلك التمييز بين وضع هذه الفئة القليلة على مستوى الكتابة ووضعها على مستوى الخطاب والحديث اليومى ، يقول : وإنما يتميز أولئك القليل - على ما بهم من تقصير عند المباحثة والمكاتبة وقراءة الكتب ومواضع التحقيق . فأما عند المخاطبة والمحاورة ، فلا يستطيعون مخالفة ما تداوله الجمهور ، واستعمله الجم الغفير ، ( ص ٤٣ ، ٤٤ ) .

وهكذا فقد جمع فى أكثر مواد الكتاب ( أى فى ثلاثة وثلاثين باباً من أبوابه الخمسين ) بين لحن العامة ولحن الخاصة ، ولم يفرق بينهما إلا فى أبواب قليلة ، لأنهم فى خاتمة الأمر قد تساوا فى الخطأ . ومن أسباب تأليفه هذا الكتاب أيضاً التصحيف الذى شاع على السنة الخاصة فى الأسماء والأعلام والأشعار وغير ذلك مما اختص به الناس فى صقلية ، يقول ( ص ٤٤ ) : ثم لم يزل الغلط يتشر فى الناس ويستطير ، حتى وقع بهم فى تصحيف المشهور من حديث النبى ( ﷺ ) ، واللحن فى المواضع المتداولة منه ، وتعمد الوقف فى مواضع لا يجوز الوقف عليها ، من كتاب الله عز وجل ، وتغيير أشعار العرب وتصحيفها ، وتصنيف كتب الفقه وغيرها ملحونة ...

وقد سأله أحد العلماء الكبار - لم يصرح باسمه - من الذين ساءهم ما وصلت إليه اللغة على السنة الناس أن يجمع له مما يصحف الناس فى ألفاظهم وما يغلط فيه أهل الفقه ، غير أنه لم يقتصر على ذلك ، وبذل جهداً أكبر فى رصد الأخطاء اللغوية التى وقع فيها الناس فى زمانه ، لأنه يضيف إلى العلم ما لم يرد لدى غيره مما يصعب على علماء الأمصار الأخرى رصده ، يقول ( ص ٤٦ ) :

فأضفت إلى ذلك غيره من الأغاليط التى سمعتها من الناس ، على اختلاف طبقاتهم ، مما لا يوجد فى كتب المتقدمين التنبيه على أكثره ، لأن كل من ألف كتاباً فى

هذا المعنى ، فإنما نبه على أهل عصره وبلده ، وأهل البلدان مختلفون في أغاليطهم ،  
فربما يصيب هؤلاء فيما يغلط فيهم أولئك ، وربما يصيب أولئك فيما يغلط فيه هؤلاء ،  
وربما اتفقوا في الغلط .

وهو يشير هنا في وضوح إلى الفرق بين كتابه وكتب اللحن الأخرى التي رجع إليها  
سواء ما ألف منها في المشرق أو الأندلس ؛ فربما كان غلط أهل المشرق أو الأندلس  
موافقاً لغلط أهل صقلية أو مخالفاً له ، فنقل عن إصلاح المنطق ولحن العامة وأدب  
الكاتب والمقصود والمدود والمذكر والمؤنث للمقابلة بين موادهم والمواد التي جمعها  
من أفواه أهل بلده ، يقول ( ص ٤٧ ) : فجمعت من غلط أهل بلدنا ما سمعته من  
أفواههم ، مما لا يجوز في لسان العرب ، أو مما غيره أفصح منه وهم لا يعرفون سواه ،  
ونبهت على جواز ما أنكر قوم جوازه ، وإن كان غيره أفصح منه ، لأن إنكار الجائز  
غلط . فهو يفرق إذن بين غير الجائز والجائز أساساً ، ثم يفرق بين الجائز المقبول الذي  
لا يصح إنكاره ؛ وذلك يدل على وعى شديد وبعد نظر في استعمال اللغة ؛ وما هو  
أفصح ، وبه وحده يتمسك أولئك الخواص الذي لا يعون من اللغة إلا وجهاً واحداً .

وتبغى الإشارة هنا إلى أنه لا يتحدث عن الأخطاء التي تجرى على السنة الخواص  
جملة واحدة ، ولكنه يقسم الأغلاط مجموعات ، ويبدأ بغلط قراء القرآن ثم أهل  
الحديث ثم أهل الفقه ، ثم أهل الوثائق ثم أهل الطب ثم أهل السماع ، فهي أغلاط  
طبقات مختلفة ، اختصت كل الطبقة بأنواع معينة منها . وقد اعتمد في تصويبه على  
القرآن الكريم والحديث الشريف ، ودواوين الشعراء وكتب الأمثال ومعجمات اللغة  
وكتب النحو وموسوعات الأدب ، واستشهد بأراء وروايات لطائفة كبيرة من اللغويين  
والنحاة والرواة من القرن الثاني الهجري حتى الخامس ، ونقل نصوصاً وآراء من عدد  
من المؤلفات التي نص عليها في كتابه ( مقدمة المحقق من ١١ : ١٣ ) . ويكشف عن  
طريقتين في المعالجة والاستشهاد ، حين يقول ( ص ٤٨ ) : وعلقت بذلك ما تعلق به  
من الأوزان والأبنية والتصريف والاشتقاق وشواهد الشعر والأمثال والأخبار .

غير أنه يضيف إلى ما تقدم ذكره أبواباً أخرى تحت القارئ على قراءة كتابه  
والاستمتاع به ، يقول ( ص ٤٨ ) : ثم أضيف إليه أبواباً مستطرفة ، ونتاجاً مستملحة ،  
وأصولاً يقاس عليها ، ليكون الكتاب تثقيفاً للسان وتلقيحاً للجنان ، ولينشط إلى  
قراءته العالم والجاهل ويشترك في مطالعته الحالى والعاطل . وهذه الأبواب تضم باباً

لتفسير أمثال شائعة على السنة العامة والخاصة ولا يعرفون تأويلها ، وبأباً في أخطاء الناس في تأويل آيات وأحاديث واشتقاق كلمات ، وبأباً في قواعد الكتابة العربية (التهجاء) وأبواب في ضبط الكلمات التي تتقارب ألفاظها أو أبنتها وتختلف أو تضاد معانيها ، ومتفرقات أخرى في الثقافة العامة .

أما منهج المؤلف فقد وصل المؤلف فيه في بابي التصحيف والتبديل إلى درجة كبيرة من الترتيب والتنظيم ، إذ إنه في إطار كل موضوع منها رتب المواد التي أوردها وفق الترتيب الهجائي بالنسبة للحرف الذي يقع فيه التصحيف أو التبديل . أما الأبواب الأخرى فتفتقر إلى هذا التنظيم ، إذ اكتفى بجمعها تحت أبواب معينة . ويلاحظ أنه قد قصد بالتصحيف الخطأ في إعجام الحرف ، فيجمع بين الحرفين المتماثلين في الشكلين ، واختلفين في الإعجام ، ويبدأ بالخطأ دائماً بعبارة : ويقولون ، ثم يذكر الصواب ، ويقدم الشواهد على صحة ما ذهب إليه ، وإن كان متفاوتاً في عرض مادته بين الإيجاز والإطناب ، ومن أمثلة التغيرات التي أوردها (ث ← ت ، خ ← ح ، د ← د ز ← ر ، س ← ش ، ع ← غ ، ق ← ف) .

ويقولون : « فلان مطلوب بتار » ، و « ما أخذت بتارى منه » ، بالثاء وترك الهمزة ونصواب : « الثار ، بالثاء والهمز (ص ٣٥) .

ومن أمثلة التبديل ، ويقصد به ما يقع بين حرفين غير متماثلين في الشكل قوله (ص ٧٦) : يقولون : مليت الإناء ، فهو مُملئ ، وخييت الشيء فهو مُخبي . والصواب : ملأته فهو مملوء ، وخبأته فهو مخبوء .

ويشير إلى المشكلة اللغوية القديمة التي نشأت في فترة مبكرة حيث خلط الناس بين صوت الضاد والطاء ، وهرع اللغويون الأوائل للتصدي لها ، فوضعوا رسائل تضم اشتدادات التي يقع فيها الخلط بين الصوتين ، فيقول (ص ١٠٥) : هذا رسم قد طمس . وأثر قد درس ، من ألفاظ جميع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، حتى لا تكاد ترى أحداً ينطق بضاد ، ويميزها من طاء ، وإنما يوقع كل واحدة منها موقعها ، ويخرجها من مخرجها ، الحاذق الثابت إذا كتب أو قرأ القرآن لا غير . أما العامة ، وأكثر الخاصة فلا يفرقون بينها في كتاب ولا قرآن . ثم أورد ما في القرآن من مفردات فيها طاء وكذلك ما ليس في القرآن مما يكثر استعماله .

ويلاحظ أنه يبدأ بما يحدث للأسماء من تغير ثم ينتقل إلى الأفعال . ومن أمثلة

التغير فى الأسماء بالزيادة قوله (ص ١١٧) . ويقولون : امرأة سكرانة وكسلانة  
وغضبانه وشبعانة ، وريانة . والصواب : سكرى وكسلى وغضبى وشبعى وريا .

والتغير بالنقص قوله (ص ٢٧) : ويقولون للعتزة : معزة ولبعض العضافير :  
زُرُر . والصواب : ما عز وزُرُور .

ثم يتقل إلى تحريك الساكن ثم تسكن المتحرك ، ثم تغيير الحركة فى الأسماء ، مثل  
قوله (١٤٣) : ويقولون : مُفتاح ومُصباح ومُسمار ومُسواك . الصواب بكسر الميم فى  
جميع ذلك .

ثم يعالج تغيير الحركة فى الأفعال ثم تغير الأفعال بالزيادة ثم بالنقص . وتناول أيضاً  
التغير الذى يقع للهمزة والتشديد والتخفيف وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر والتصغير  
والنسب والجموع .

أما ما حدث لعانى الكلمات من تغيير ، فقد عالج أشكالاً مختلفة من التغير  
الدلالى ، منها استخدام اللفظ فى معنى مخالف لما وضع له ، من ذلك : تقريص  
العجين ، هو عندهم بسطه باليد . وليس كذلك . إنما تقريص العجين : ثقطيعه  
لُيسط . (ص ٢٣٩) .

ومن ذلك : المُقرَف ، هو عندهم البخيل ، وذلك غلط . إنما المقرَف : الذى أمه  
كريمة وأبو ليس كذلك ، والهجين : الذى أبوه كريم وأمّه ليست كذلك (ص ٢٤٣) .

ومن أمثلة تضيق المعنى قوله : وكذلك قولهم للأدهم من الخيل : بهيم ، خاصة  
دون سائر الأبوان ، والبهيم يقع على لون خالص لا يخالطه غيره (ص 254) .

ومن أمثلة توسع المعنى قوله : وكذلك الهوى ، يستعملونه فى الخير والشر ،  
فيقولون : أنا أهوى قراءة القرآن ، وأهوى مجالسة العلماء ونحو ذلك . والهوى لا  
يستعمل إلا فى الشر . هذا قول أكثر أهل العلم ، ويحتجون بقول الله عز وجل ﴿ وأما  
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ [النازعات : ٤٠] .

ومن أمثلة الغلط فى اللفظ والمعنى قوله : من ذلك قولهم للسرادب تحت الأرض :  
دهليز ، بفتح الدال ، وليس كذلك . إنما الدهليز . سقيفة الدار ، مكسورة الدال .

أما الأبواب الأربعة التى خصصها للعلاقة بين لغة العامة ولغة الخاصة ، فقد بدأ بما

تستعمله العامة وترفضه الخاصة وتنكره عليهم ، كقوله (ص ٢٧٦) . وكذلك يقولون : الفلفل بالكسر ، وليس بمنكر . يقال : فُلُّلٌ وفِلِّلٌ بالضم والكسر ، ذكرهما ابن دريد وابن السكيت إلا أن الضم أعلى وأصح .

ثم يتناول ما خالفت العامة فيه الخاصة ، وكلاهما على خطأ ، مثل قوله (ص ٢٩٠) : تقول العامة في العدد : حد عشر ، وتقول الخاصة : حد عشر ، والصواب أحد عشر . . .

ثم يشير إلى استعمال العامة لأفصح اللغتين للمتفصحين ، وأخيراً ما تكون العامة فيه على صواب والخاصة على الخطأ ، كقوله : ويقولون لجمع فقير : فقراء بالفتح ، والصواب : فقراء بالضم ، كما تقول العامة ، إلا أنه ممدود (ص ٢٩٧) .

ويهمنا هنا أيضاً ما نبه عليه من أغلاط الكتابة (الهجاء الخاطيء) تقع لما فيه همزة أو ألف اللينة ، وإثبات الألف أو حذفها ، وحذف الواو أو زيادتها ، وغير ذلك من مشكلات الخط التي كثر وقوع الخطأ فيها في مكاتبات الناس ولم يسلم من الخلط والارتباك أو إدراك الصواب وتعليله الخاصة منهم . وهو هنا لا يكتفى برصد الخطأ ، ولكنه يتناول القوانين التي تحكم هذه الحروف المشكل في تفصيل يضم كثيراً من الأمثلة والاستعمالات وبيان مواضع أخطاء الناس .

وقد سار ابن مكي على نهج المؤلفين المتقدمين في رفضهم الاستشهاد بالمحدثين في اللفظ والتركيب ، غير أنه قد أورد بعضهم كالمثنبي وأبي تمام وابن الرومي وغيرهم للإشارة إلى أغلاطهم أو لبيان ما قد يقع في أشعارهم من تصحيف أو لاستملاح ما فيها من معنى أو للترفة بين المعاني . فلم يحتج في الأغلب إلا بشعر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، ولم يخفف من تشدده فيوسع دائرة الاستشهاد لتضم شعراً ، لاختلاف حول سلامته من أي لحن . وقد أكثر أيضاً من الاستشهاد بالقرآن الكريم محتجاً بعدد من القراءات وبالحدِيث الشريف أيضاً .

أما موقفه من اللغات فلم يكن واضحاً ، إذ رفض تخفيف همزة « ثار » مع أنها لغة أهل الحجاز ، حيث قال : والصواب : الثار بالهمز . ورفض أيضاً رواية ابن الأعرابي في جواز قول : عجوزة يقول : وقد حكى فيها : عجوزة ، وفي الشيخ : عجوز ، إلا أنها لغة رديئة شاذة لا يلتفت إليها . ولم يختلف موقفه من السماع والقياس عن موقفه من اللغات ؛ فهو يغلب السماع ؛ وهو مقياس اللغويين القدامى المتشددين كالأصمعي

وأبى حاتم وأبى زيد ، ويضجى بالقياس إذا عارضه ، كموقفه من تسهيل الهمزة وتأنيث المذكر وتغيير حركة بعض الأسماء والأفعال وغير ذلك ، غير أن هذا الموقف المتشدد قد تغير إلى حد كبير في باب الانتصاف للعامة من الخاصة إذا وجد لاستعمالهم أى منفذ لتسويغه ؛ مثل قوله : وكذلك قولهم : غَمَّيتَ الإناء ، . بمعنى عطَّيته ، جائز . . . وكذلك قولهم : قصَّيتَ أظافرى ، جائز مسموع من العرب ( ص ٢٨٠ ) ، وكذلك قوله : وكذلك قولهم فى عائشة : عيشة ، ليس بمنكر ، إلا أنها ضعيفة ( ص ٢٨١ ) .

واضطرب موقفه أيضاً فى الأخذ بمذهب بعينه ؛ فنجده - تارة - بالمذهب البصرى ، ونجده - تارة أخرى - يجيز ما أجازوه الكوفيون كالفراء وثعلب . ولكن من الملاحظ أنه كان يحاول الإفلات من دائرة التشدد ليقف على علة تلك الاستعمالات التى كانت تشيع على ألسنة الناس دون غيرها . وقد وفق بوجه عام فى بعض تفسيراته ، ولم يوفق فى بعضها الآخر ، فلم يسلم من النقد ، على الرغم من حرصه الشديد ، إذ عرض جميع ما كتب على أستاذه ابن البر التميمى - كما يقول - فأثبت جميع ما عرّفه وارتنضاه ، ومحوت ما أنكره وأباه لأزول عن مواقف الاستهداف وأريح نفسى من عهدة التخليط . ولكن هل يسلم أحد من التقصير ويبلغ فى عمله الكمال !!

**وفيما يلى نماذج من كتاب « تثقيف اللسان الجنان ، لابن مكى الصقلى**

## من كتاب تنقيف اللسان لابن مكي الصقلي

## ٨- باب ما غيروا حركاته من الأفعال

يقولون : يحرث ، ويهرب .

والصواب : يحرث ، ويهرب ، بالضم .

ويقولون : كبر المولود يكبر .

والصواب : يكبر ، بفتح الباء ، يقال : كبر الأمر يكبر ، وكبر الإنسان وغيره يكبر . قال الشاعر (١) :

وعَلَّقْتُ لَيْلِي وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ

وَلَمْ يَبْدُ لِلْأَتْرَابِ مِنْ صَدْرِهَا حَجْمٌ

صَغِيرَيْنِ نَزَعِي السَّهْمِ بِأَلَيْتِ أَتْنَا

إِلَى الْآنَ لَمْ نَكْبِرْ وَلَمْ تَكْبِرِ الْبِهْمُ (٢) :

(١) هو مجنون ليلي : قيس بن الملوح ، كما في ديوانه .

(٢) البيتان في مجالس ثعلب : ٢- ٦٠٠ ، وفيها مؤصد (وهو صدار تلبسه الجارية) أما في ديوان

المجنون : ٢٣٨ فالرواية :

تعلقت ليلي وهي غر صغيرة ولم يبد للأتراب من تذيها حجمٌ

صغيرين نزعى البهم ياليت أننا إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر البهم

وفي ذم الهوى : ٣٨٣ مثل رواية الديوان ما عدا : وهي ذات قوابة ، بدل : غر صغيرة وكذلك

في الأمالي : ١- ٢١٦ ما عدا : وعلقت بدل تعلقت . والآن ، بدل اليوم . أما : ذات

مؤصد ، ففي بيت آخر للمجنون ، هو :

وعهدى ليلي وهي ذات مؤصد ترد علينا بالعشى المواثيا

(ديوان المجنون : ٢٩٣) وفي بيت لكثير أيضاً :

وقد درعوها وهي ذات مؤصد مجوب ولما يلبس الدرع ريدها

والمؤصد : قميص تلبسه صغار الجوارى (الصحاح : أصد) وفي اللسان والتاج (رصد)

والمؤصد : الخدر أنشد ثعلب :

وعَلَّقْتُ لَيْلِي وَهِيَ ذَاتُ مُؤَصَّدٍ ... ..

المؤصّد (١) : البَقيرة (٢) الصغيرة ، والبَهْم : الصغار من أولاد الضأن والمعز ،  
الواحدة : بَهْمَة ، الذكْر والأنثى سواء .

ويقولون : غَرَسَ يَغْرِسُ ، وَخَتَقَ يَخْتُقُ .

والصواب : يَغْرِسُ ، وَيَخْتُقُ (٣) .

ويقولون : قَرَشَ يَفْرِشُ ، وَحَلَبَ يَحْلُبُ ، وَمَزَجَ الشَّرَابَ يَمْزِجُ ، وَخَدَّمَ يَخْدُمُ ،  
وَخَلَبَ يَخْلُبُ ، وَ « إِذَا لَمْ تَغْلِبْ فَاخْلُبْ » .

والصواب : يَفْرِشُ ، وَيَحْلُبُ ، وَيَمْزِجُ ، وَيَخْدُمُ ، وَيَخْلُبُ ، وَ « إِذَا لَمْ [ ٤٤ ] -  
ب [ تَغْلِبْ فَاخْلُبْ (٤) ] بِالضَّم .

ومثل ذلك : حَجَزَ بَيْنَ الشَّيْثِينَ يَحْجِزُ ، وَقَرَنَ بَيْنَ الْحَبْلَيْنِ يَقْرِنُ وَالصَّوَابُ : يَحْجُزُ ، وَيَقْرُنُ .

ويقولون : عَنَيْتَ بَزِيدَ ، وَعَنَيْتَ فِي حَاجَتِهِ أَعْنَى .

والصواب : عُنَيْتَ بَضْمَ الْعَيْنِ . [ أَعْنَى ] (٥)

فَأَمَّا عَنَيْتَ أَعْنَى فَمَعْنَاهُ : تَعَبْتِ وَنَصَبْتِ . وَأَمَّا عَنَا يَعْنُو فَمَعْنَاهُ خَضَعُ ، وَهُوَ مِنَ  
الْعَنْوَةِ ، وَمَنْهَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( وَعَنْتَ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ ) (٦)

ويقولون : هُوَ يَنْهَشُ ، وَيَمْضَغُ ، وَيَسْلُخُ ، وَيَدْبِغُ ، وَيَضْغَطُ ، وَيَبْغُتُ ، وَيَسْعَلُ ،  
وَيَعْضُ عَلَى أَنْامِلِهِ .

والصواب : يَنْهَشُ ، وَيَمْضَغُ ، وَيَسْلُخُ ، وَيَدْبِغُ ، وَيَضْغَطُ ، وَيَبْغُتُ (٧) ، وَيَسْعَلُ ، وَيَعْضُ ، بِالْفَتْحِ .

(١) ع : الموصدة .

(٢) في النسختين ، البقرة والصواب : البقرة ، وهي المؤصّد ، أى قميص الجارية .

(٣) رد ابن هشام اللخمي على ابن مكي بقوله : قد أصاب في قوله : يَغْرِسُ ، وأخطأ في قوله يَخْتُقُ  
بالكسر ، إنما هو : يَخْتُقُ بِالضَّمِّ كَمَا تَقُولُ الْعَامَّةُ ( المَدْخَلُ : ١٩ - ب ) وَانظُرِ الرَّدَّ عَلَى ابْنِ مَكِيِّ  
بِتَحْقِيقِنَا : ٥٣ .

(٤) المثل في الصحاح ( خَلَبَ ) . وَرَوَى فِي اللِّسَانِ ( خَلَبَ ) بِكسْرِ اللّامِ وَضَمِّهَا .

(٥) لم يرد هذا الفعل في النسختين ، مع أن المؤلف ذكر المضارع في الفعلين الآخرين .

(٦) سورة طه : الآية ١١١ .

(٧) في النسختين : يَنْفَثُ ( في الموضوعين ) وَلَا وَجْهَ لِقَوْلِهِ بَعْدَ الْفَتْحِ فِي يَنْفَثُ ، فَإِنَّهَا لَمْ تَرُدْ إِلَّا مِنْ  
بِأَيْ ضَرْبٍ وَنَصْرٍ . وَلَعَلَّهَا كَمَا أَثْبَتْنَا . وَيَعْبُدُ أَنْ الْأَفْعَالُ الثَّمَانِيَّةُ الَّتِي أوردناها هنا عينيها أو لامها  
من حروف الحلق .

ويقولون : خَرَبَتِ الدَّارُ تُخْرَبُ .

والصواب : خَرَبَتْ تُخْرَبُ .

ويقولون : هَوَيْتُمْ ، وَنَحْتُ ، وَيَفْقُدُ ، وَيَبْطِشُ ، وَيَصْلُبُ السَّارِقُ .

والصواب : يَشْتَمُ ، وَنَحْتُ ، وَيَفْقُدُ ، وَيَبْطِشُ ، وَيَصْلُبُ ، بِالْكَسْرِ .

ومثل ذلك قولهم : بَصَّتْ عَيْنَهُ تَبْصُ . وَالصَّوَابُ : تَبِصُّ .

ويقولون : كَمَنَ يَكْمَنُ . وَالصَّوَابُ : يَكْمُنُ .

ويقولون : حَضَنَ الطَّائِرُ بَيْضَهُ يَحْضِنُهُ حَضْنَةً .

والصواب : [ ٤٥ - أ ] يَحْضِنُ حَضَانَةً ، وكذلك المرأة تُحْضِنُ ولدها حَضَانَةً أيضاً .

وأصل ذلك المنع ، يقال : حَضَنَهُ إِذَا مَنَعَهُ ، [ و ] <sup>(١)</sup> في الحديث : « وَأَرَادَ إِخْوَانَنَا مِنَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَحْضِنُونَا » <sup>(٢)</sup> أَي يَمْنَعُونَا . ومن كلام ابن مسعود : « لَا تُحْضِنِ زَيْنَبَ عَنِ الرَّصِيَّةِ » <sup>(٣)</sup> ، أَي لَا تَمْنَعِ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا ، يَعْنِي زَوْجَتَهُ .

ويقولون : جَمَدَ الْمَاءُ يَجْمَدُ ، وَشَرَدَتِ الدَّابَّةُ تَشْرُدُ .

والصواب : جَمَدَ يَجْمَدُ ، وَشَرَدَ يَشْرُدُ <sup>(٤)</sup> ، بفتح الماضي وضم المستقبل . ومثل

جَمَدَ يَجْمَدُ : جَمَسَ يَجْمَسُ <sup>(٥)</sup> ، فِي الْوِزْنِ وَالْمَعْنَى .

ويقولون : هَذَا الثَّوَابُ يَلْبِقُ بِكَ .

والصواب : يَلْبِقُ ، بفتح الباء . وكذلك اسم الرجل : « يَلْبِقُ » لا غير .

ويقولون : مَا قَرَبْتَ زَيْدًا .

والصواب : قَرَبْتَهُ أَقْرَبَهُ ، وَقَرَبْتَهُ مِنْهُ أَقْرَبُ .

ويقولون : عَطَسَ يَعْطَسُ ، وَالصَّوَابُ : يَعْطِسُ .

(١) من (ع) .

(٢) النهاية : ١ - ٢٣٦ وهذا الحديث لعمر بن الخطاب ، يوم أتى سقيفة بني ساعدة للبيعة .

(٣) اللسان (حضن) ونصه : ولا تحضن زينب من ذلك ، يعني امرأته ، أي لا تحجب عن النظر في وصيته وإنفاذها .

(٤) ع : وشردت الدابة تشرود .

(٥) في النسختين : جمش يجمش ، والصواب من المعجمات .

ويقولون : وجمت من كلامه ، ونقّهت من المرض ، وعمدت إلى الشيء ،  
وعجزت ، وشخصت ، وحرصت ، بالفتح .  
والصواب : وجمت ، ونقّهت ، وعمدت ، وعجزت ، وشخصت ، وحرصت ،  
بالفتح .

ويقولون : نجب الغلام . والصواب : [ ٤٥ - ب ] نجب ، بالضم ، نجابة .

ويقولون : فطم الصبي يقطمه . والصواب : يقطمه ، بالكسر لا غير .

ويقولون : هو يندم ، ويعدم . والصواب : يندم ، ويعدم .

ويقولون : طلع يطلع ، والصواب : طلع يطلع .

وكذلك : عثر يعثر ، بالضم . ولا يقال : يعثر ، بالفتح .

ويقولون : يكفيك ما أعطيتك . والصواب : يكفيك ، بفتح الياء .

ويقولون : غار على أهله [ يغير ]<sup>(١)</sup> ، وحر في أمره يحير .

والصواب : يغار ، ويحار ، مثل : خاف يخاف .

(١) من (ع) .

رَفْعُ

عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس

(٦)

## كتب فقه اللغة

- مقدمة

- صاحبى لابن فارس

- الخصائص لابن جنى

- فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبي

- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٦)

## كتب فقه اللغة

### مقدمة

لقد كانت مرحلة جمع المادة اللغوية ورصدها وتدوينها في صورة أولية محدودة في بادئ الأمر ، ثم في صورة منهجية موسعة بعد ذلك ، مرحلة حتمية في مسار البحث اللغوي ، إذ إنها هيات للانتقال إلى مرحلة لا تعنى بالنقل أو الرواية قدر العناية بالعقل أو الدراية ، وقد أطلق على هذه المرحلة مرحلة التعليل واستنتاج القواعد والقوانين ، وقد بدأت أيضاً محدودة معتمدة على أسس ذاتية ثم نقلت من علوم غير لغوية متأثرة بها ، ثم ما لبثت أن أستقلت وتوسعت في طرائقها . ولم يعد الاعتبار في معرفة اللغة إلى كم المادة المحفوظة ، فصيحة كانت أو غير فصيحة ، مستعملة كانت أو نادرة . . . الخ . بل صارت معرفة اللغة تعنى القدرة على تفهمها ودرسها وتحليلها وتذوقها ، ولا يكون ذلك بمعرفة جزئياتها فحسب ، وإنما يكون بالغوص وراء هذه الجزئيات للوصول إلى الكليات ، إلى الأعماق ، إلى معرفة القوانين أو الأحكام أو القواعد التي تحكمها ، وسبر سنن تطورها ، وتحديد الأدلة والشواهد التي تستند إليها ، ثم امتلاك القدرة على المقارنة والمقابلة وقياس الأشباه إلى النظائر أو استنباط ما يؤيده العقل ، ويقوم عليه البرهان كما هي الحال عند الأصوليين .

وسواء كانت العناية بالأصول أو الأحكام الكلية أو بالفروع أو الأحكام الجزئية ، وسواء تحققت بالربط بينها أو عدم الربط بينها ، فقد تأخر بحث اللغة استناداً إلى قواعد الفقه أو علم أصول الفقه . فقد كانت المحاولات الأولى محدودة وغير ناضجة ؛ وذلك أن علم أصول الفقه نفسه لم ينشأ إلا في القرن الثاني الهجري ، لأنه - كما يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف في «علم أصول الفقه» (ص ١٦ ، ١٧) : « في القرن

الهجرى الأول لم تدع حاجة إليه ، فالرسول كان يفتى ويقضى بما يوحى به إليه ربه من القرآن ، وبما يلهم به من السنن ، وبما يؤديه إليهم اجتهاده الفطرى من غير حاجة إلى أصول وقواعد يتوصل بها إلى الاستنباط والاجتهاد ، وأصحابه كانوا يفتون ويقضون بالنصوص التى يفهمونها بملكتهم العربية السليمة من غير حاجة إلى قواعد لغوية يهتدون بها على فهم النصوص ، ويستنبطون فيما لا نص فيه بملكتهم التشريعية التى ركزت فى نفوسهم من صحبتهم الرسول ، ووقفهم على أسباب نزول الآيات وورود الأحاديث ، وفهمهم مقاصد الشارع ومبادئ التشريع .

ولا تختلف الحال هنا عن حال معرفة العرب الفصحاء بمفردات لغتهم وتراكيبها ووعيمهم بمنطقها وسنتها فى الاستعمال وخفايا أسرارها على نحو يقصر عن فهم غيرهم لفقدانهم ملكة لا تكون إلا لمن عرف اللغة سليقة وتمكن منها رواية . فلا سبيل إلى التفقه فى الدين إذن دون التفقه فى اللغة . وليس من الممكن الفصل بينهما ، إذ التداخل بينهما شديد ، وقد يسر ذلك أن يؤثر علم أصول الفقه الذى تقدم فى الظهور ، بمناهجه وطرائقه وأحكامه فى تشكيل علم أصول اللغة وعلم أصول النحو ، يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف فى كتابه السابق ص ١٦ ، ١٧ : « ولكن اتسعت الفتوح الإسلامية واختلط العرب بغيرهم وتشافهوا ، وتكاتبوا ودخل فى العربية كثير من المفردات والأساليب غير العربية . ولم تبق الملكة اللسانية على سلامتها ولما كثرت الاشتباهات والاحتمالات فى فهم النصوص دعت الحاجة إلى وضع ضوابط وقواعد لغوية يقتدر بها على فهم النصوص كما يفهمها العربى الذى وردت النصوص بلغته ، كما دعت إلى وضع قواعد نحوية يقتدون بها على صحة النطق » .

وكذلك لما بعد العهد بفجر التشريع ، واحتدم الجدل بين أهل الحديث وأهل الرأى ، واجترأ بعض ذوى الأهواء على الاحتجاج بما لا يحتج به وإنكار بعض ما يحتج به ، دعا كل هذا إلى وضع ضوابط وبحوث فى الأدلة الشرعية وشروط الاستدلال بها وكيفية الاستدلال بها ، ومن مجموعة هذه البحوث الاستدلالية وتلك الضوابط اللغوية تكون علم أصول الفقه .

وكما دعت الحاجة إلى أن يكون للفقه أصول وأن توضع له قواعد تستخرج على أساس منها الأحكام من الأدلة وأن تقدم الحجج والبراهين لصحة حكم أو مخالفته ، فكانت دراسة اللغة دراسة عميقة فى أمس الحاجة إلى مناهج تعين على ذلك ، فكان أن نقل فقهاء اللغة كثيراً من أصول الفقه ، أحكامه وقواعده ، وطرائقه فى التلليل

والبرهنة إلى مجال درسه ونسجوا على منوال الفقهاء والأصوليين . وكان النحو أسبق إلى التأثير بالفقه ، فلقد سعى علماء النحو أن يضعوا أصولاً للنحو على حد أصول الفقه . ولكن ينبغي أن نشير إلى مفهوم «الأصول» قد يعنى قواعد النحو الأساسية ، وما يتصل بذلك من أصل الوضع وأصل القاعدة كما هي الحال في كتاب ابن السراج (ت ٣١٦) ، الأصول في النحو ، أو أن أصول النحو هي أدلته الكلية أو مصادره الأساسية على نحو ما هو معروف في أصول الفقه . كما يجدر أن نشير أيضاً إلى أن انتقال أصول الفقه لم يحدث دفعة واحدة ، بل كان الانتقال جزئياً على مراحل ، إلى أن صار النقل كلياً كما هي الحال في كتاب أبي البركات الأنباري (ت ٥٧٧ هـ) ، يقول في (الإعراب في جمل الإعراب) ص ٨٠ : «أصول النحو هي أدلة النحو التي تفرعت عنها فروع وفصوله ، كما أن معنى أصول الفقه أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملته وتفصيله» . فقد رأى بينهما من المناسبة ما لا يخفى ، لأن النحو معقول من منقول كما أن الفقه معقول (\*) من منقول .

ولا يتسع المقام لتفصيل أدلة النحو لدى فقهاء العربية ، فقد درست هذه القضية في مؤلفات كثيرة ، ونكتفي هنا بالإشارة إلى تدرج المؤلفات اللغوية في نقل أدلة النحو وكيفية معالجتها ، ففي (خصائص) ابن جنى مثلاً كانت العناية بثلاثة أدلة هي : السماع والقياس والاستصحاب ، أما في (لمع الأدلة) لأبي البركات الأنباري فهي : النقل والقياس واستصحاب الحال ، أما في (الاقتراح في علم أصول النحو) للسيوطي (ت ٩١١ هـ) فهي : السماع أو النقل ، والإجماع والقياس واستصحاب الحال ، ونظر في أدلة شتى أقل قوة في أنواع الاستدلال ، منها :

الاستدلال بالعكس ، الاستدلال ببيان العلة ، والاستدلال بالأصول ، والاستدلال بعدم النظر ، والاستحسان ، والاستقراء . . . إلخ .

(\*) يقول ابن منظور في لسان العرب ، مادة (فقه) : الفقه العلم بالشئ والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم . . . والفقه في الأصل الفهم ، يقال : أوتى فلان فقها في الدين ، أى فهما فيه . قال الله عز وجل : ﴿ ليتفقها في الدين ﴾ أى ليكونوا علماء به . . .

ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة ١/٤٤٢ (فقه) : الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح . يدل على إدراك الشئ والعلم به ، نقول : فقحت الحديد ألقه . وكل علم بشئ فهو فقه .

وربما اتضح بذلك بعض ما يتصل بتطور النظر إلى المادة اللغوية ، وبمعنى آخر الانتقال من المعرفة القائمة على النقل إلى المعرفة القائمة على التفقه والتبحر فى الجزئيات للوصول إلى أصول كلية تحكمها أو تضبطها . وتجلت أيضاً تلك الصلة الحميمة بين أصول النحو وأصول الفقه ، لأن فقهاء العربية أرادوا بعد أن جمعوا مادة غزيرة متشعبة أن يستنبطوا أحكاماً عامة وقوانين كلية . ولم يكن قصدنا من تلمس تلك الصلة إلا بيان أن درس النحو أو التفقه فيه ، وإن شكل جزءاً مهماً واضحاً فى نهجه ، لا يتفصل عن درس اللغة بمفهوم أشمل ، وإن كان أقل وضوحاً فى الحال الثانية . ويتجلى ذلك فى غموض مفهوم « فقه اللغة » فى المؤلفات التى استخدمت ذلك المصطلح صراحة أو ضمناً للإشارة إلى طبيعة الموضوعات التى تضمها أو النهج الذى ارتضته لمعالجتها .

على أية حال لا بد أن نتوقف هنا عند مفهوم « فقه اللغة » عند القدماء أولاً ، ثم نوضح دلالاته لدى المحدثين لتبين أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين المستخدمين . فقد رجح الباحثون أن مصطلح « فقه اللغة » مصطلح عربى ، بدأ استعماله على الأرجح منذ القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، فقد استخدمه ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) عنواناً صريحاً لكتابه « الصحابى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها » إشارة إلى أنه - كما قلنا - قد بناه على معرفة أصول علم العرب ، وقصد بالأصل « القول فى موضوع اللغة وأوليئها ومنتشئها ، ثم على رسوم العرب فى مخاطباتها ، ومالها من الافتتان تحقيقاً ومجازاً » . وتبدو خصوصية ذلك المفهوم من إصرار ابن فارس على أن الدرس الحقيقى للغة لا ينصب على معرفة الفروع ؛ ويعنى بها حفظ اللغة وروايتها أو مجرد نقل المواد اللغوية - ولا يخفى ما فى ذلك من تحول عن نظرة القدماء الأوائل ونهجم - بل الجمع بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول التى تعنى التعمق فى درس قضايا نظرية متشعبة تُكوّن فى مجموعها قدرة على فهم خطاب القرآن والسنة ويستند إليها عند النظر والفتيا . وهذه المسائل - فى رأيه - تضم الحديث عن نشأة اللغة العربية وخصائص اللسان العربى واختلاف لغات العرب ، ولغات العامة من العرب والقياس والاشتقاق والمشارك والترادف والألفاظ الإسلامية وغير ذلك . ولكنه يتسع فى موضوعه ليضم إليه مسائل نحوية و صرفية وبلاغية وأدبية باعتبار أنها تسهم فى الكشف عن طرائق العرب الخاصة فى كلامها .

ويرى بول كراوس أن ابن فارس يسمي كتابه : « الصاحبى فى فقه اللغة » قاصداً إلى المسائل الفكرية والكلامية والفلسفية . ولكننا نرجح - كما يتبين فيما يلى حين نعرض لمفهوم ابن جنى - أن علماء اللغة قد تنازعهم درس اللغة على أساس أصول الفقه ومبادئ علم الكلام . ولكن الثعالبى ( ت ٤٣٠ هـ ) الذى استخدم المصطلح ذاته فى كتابه « فقه اللغة وسر العربية » قد عاد إلى تغليب معرفة الفروع ، إذ إنه فى القسم الأول - كما يتضح من تقديمه ومادة كتابه - لم يتجاوز جمع المرادفات التى تستعمل فى موضوع واحد ، بمعنى أنه يعد معجماً من معجمات الموضوعات أو المعانى ، رتب فيه المادة اللغوية ترتيباً معنوياً . ولذا لا يختلف عن الكتب التى ألفت لتمد الكتاب بالفاظ مترادفة وعبارات بليغة تستخدم فى إنشائهم فى شىء . أما القسم الثانى فإن كثيراً من موضوعاته يشترك فيها مع ما فى كتاب الصاحبى . ولذا فإن تسمية الثعالبى لكتابه بهذا الاسم - كما قيل - فيه من التجوز ما لا يمكن تجاهله ، كما أن دلالة المصطلح لديه غامضة إلى حد ما ، ومغايرة لما حاول ابن فارس أن يحدده بدقة ، فاختلفاً فى طبيعة المادة المدروسة ، وإن تطابقت فى الهدف ، كما يتضح فى مقدمة الثعالبى ، إذ يقول ص ( ٢١ ) : « ولولم يكن فى الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها ، والتبحر فى جلائلها ودقائقها إلا قوة اليقين فى معرفة إعجاز القرآن ، وزيادة البصيرة فى إثبات النبوة ، التى هى عمدة الإيمان ، لكفى بهما فضلاً يحسن أثره » . وكتابه كما قال يضم نكتاً من أقاويل أئمة العرب فى أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها . ويرفض بول كراوس - على الرغم من إفصاح الثعالبى عن مفهومه وهدفه - أن يعده من مؤلفات فقه اللغة ، إذ يقول ( ص ١٧ ) : « وليس فيه شىء من فقه اللغة » .

أما مفهوم ابن فارس فقد كان أكثر وضوحاً ودلالة ، إذ يكاد يدخل تحته جميع المباحث التى تمت للغة بسبب ، سواء أكان ذلك فى أصولها أم فى فروعها أم فى تاريخها .

ويشبهه فى ذلك كتاب الخصائص لابن جنى ( ت ٣٩٢ هـ ) ، الذى أثر - كما سنرى فيما بعد بالتفصيل - أن يعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه ، ولذا نجده يعنى عناية كبيرة بدرس أصول العربية أو الأدلة النحوية الثلاثة وهى السماع والقياس والاستحسان . ويبحث علل النحو كاشفاً عن منزلتها من علل المتكلمين

وعلى الفقهاء ، ويتناول بالتفصيل أصل اللغة أيضاً وإن أولى اهتماماً كبيراً بالمباحث انصوتية والصرفية والنحوية وغالى فى الاعتماد على الاستنتاج العقلى فى طرق الاشتقاق والتقليبات والتصريف للوصول إلى أصول مشتركة وفروق دقيقة بين المفردات . وذلك كله يوائم نهج من رفض الاكتفاء بالنقل وأثر أعمال العقل . ويبدو أن هذا المفهوم الذى استعمله كل من ابن فارس وابن جنى لم يطرأ عليه أدنى تغيير فى أعمال أخرى تالية لعمليهما ، وليس هناك من مؤلف يمكن أن نتوقف عنده فى إطار هذا المفهوم إلا « المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها » للسيوطى ( ت ٩٩١ هـ ) وليس ذلك لإضافات اختص بها ، وإنما لأنه قد جمع أغلب فى ما ألف فى اللغة بوجه عام منسقا مادته ومرتباً أبوابه « الخمسين » ، يضاف إلى ذلك أن كثيراً من نقوله وشواهد كانت من مؤلفات فقد معظمها ، ولم يبق منها إلا ما أورده السيوطى فى كتابه . ويضم كتابه - كما هى الحال فى كتب السابقين - مباحث عامة ومباحث خاصة متشعبة ، شكلت معاً ما يشبه دائرة معارف أو موسوعة لغوية . وهى تتعلق - كما نرى بالتفصيل فيما يلى - بنشأة اللغة والمصنوع والفصيح ، والحوشى والغريب ، والمستعمل والمهمل ، وتوافق اللغات وتداخلها ، والمولد والمغرب والاشتقاق والترادف ، والاشتراك والتضاد ، والإبدال والقلب والنحت ، وهى الأنواع الراجعة إلى اللغة من حيث المعنى ، ثم استكملها بأنواع أخرى تتصل باللغة بطرق ما .

ويخلص بول كراوس بعد إمعانه النظر فى تلك الكتب إلى أن فقه اللغة يستعمل اصطلاحاً ، فى البحث عن أصل اللغة ، يقول ( ص ١٧ ) : ولعل تسميته « فقه اللغة » ليس إلا كناية مؤقتة عما يسمى تاريخ اللغة العربية ، لأن ما يقصد إليه قبل كل شيء ، إنما هو الكشف عن نشأة اللغة العربية وتطورها ، والعوامل التى أدت إلى نهوضها وارتقائها .

وفى إطار عدم الفصل بين مفهومي علم اللغة وفقه اللغة ذهب الأستاذ محمد المبارك فى كتابه فقه اللغة ص ١٣ وما بعدها ، إلى أنه قد ظهرت لدى هذين المؤلفين ( يقصد ابن فارس فى كتابه الصحاح ، وابن جنى فى كتابه الخصائص ) فكرة واضحة عن علم اللغة بالمعنى المعروف فى عصورنا الحديث على أنه علم القوانين العامة الناظمة لجزئيات اللغة بمعنى أعم وأشمل من علم النحو .

هذا العلم - لدى ابن جنى - بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى الفقه ، وهو هنا - أعنى الأستاذ محمد المبارك - يستند على مفهومة الخاص للمصطلحين ، إذ إنه قد ذهب ( ص ٥ وما بعدها ) إلى أن علم اللغة وفقه اللغة بمعنى واحد ؛ وذلك لأن معرفة اللغة معرفة عميقة وتفهمها وتدوقها لا يكون بمعرفة جزئياتها ومفرداتها ولا بقواعدها المحدودة ، وإنما بالغوص إلى أعماقها ومعرفة قوانينها وسنن تطورها . وهكذا فكلام القدماء يدور في ذلك البحث عن الأسرار والخصائص والطرائق والسنن والقواعد والقوانين - تلك هي المعرفة الكلية ، وتضاف إليها المعرفة الجزئية ؛ وهي معرفة ألفاظها ومعانيها وصرفها ونحوها . . . . الخ .

وليس علم اللغة لديه أيضاً سوى هذه الدراسة الشاملة للغة بوجه عام لاستخراج قوانينها الخاصة بها ومعرفة تطورها سواء أكان ذلك في أصواتها وألفاظها أو مفرداتها ومعانيها أو تراكيبيها وأساليبيها ، فعلم اللغة - بإيجاز - علم شامل يدرس عناصر اللغة في حالتى الثبات والتطور .

ويبدو الأثر والنتيجة فيما ذهب إليه د . رمضان عبد التواب في ( فصول في فقه العربية ) ، حين قال ( ص ٩ ) : وتطلق كلمة « فقه اللغة » عندنا الآن على العلم الذي يحاول الكشف عن أسرار اللغة ، والوقوف على القوانين التي تسير عليها في حياتها ، ومعرفة سر تطورها ودراسة ظواهرها المختلفة ، دراسة تاريخية من جانب ، ووصفية من جانب آخر .

ولم يبعد د . صبحى الصالح في ( دراسات في فقه اللغة ) كثيراً عن الأفكار الرئيسة التي تناولها الأستاذ محمد المبارك ، فقد رأى أنه من العسير تحديد الفروق الدقيقة بين علم اللغة وفقه اللغة ، لأن جل مباحثهما متداخل لدى طائفة من العلماء في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً ، وقد سمح هذا التداخل أحياناً بإطلاق كل من التسميتين على الأخرى . . . ( ص ١٩ ) .

والحق أن ترجمة مصطلح ( Philologie ) بفقه اللغة ليست ترجمة دقيقة ، وقد استشعر المستشرقين فروقاً دقيقة بين المصطلحين ، إذ إن استعمال القدماء لاصطلاح فقه اللغة ليس محددًا بدقة ، كما أن مصطلح " Philologie " استعمل للإشارة إلى دلالات مختلفة ، فقد حدد مجاله بتحقيق المخطوطات وإعدادها للنشر العلمي وفك

رموز الكتابات القديمة وكل ما يتعلق بتقديم النصوص من النقوش القديمة على نحو يمكن من القيام بأبحاث متخصصة فيها ، أو دراسة النصوص والوثائق القديمة لتفسيرها وبيان محتواها اللغوي والأدبي والحضارى ، واستخدم كذلك بمعنى علم اللغة المتعارف عليه ، أو بمعنى : دراسة الألفاظ العربية أو بمعنى الدراسة المقارنة للألفاظ العربية فى ضوء اللغات السامية أو بمعنى بحث الأصوات فى الفصحى أو بمعنى بحث اللهجات القديمة والحديثة ( أسس علم اللغة العربية ص ٣١ ، ٤٧ ) .

وهكذا فإنهما لا يتطابقان ، وإنما بينهما تداخل فى مواضع وافتراق فى مواضع أخرى ، ويفهم ذلك من كلام بول كراوس ، حين قال ( ص ١٧ ، ١٦ ) : إن مصطلح " Philologie " يقصره علماء الغرب المستشرقون على المباحث التاريخية التى تبين أصل اللغة ونشأتها وتطورها والعوامل التى أدت إلى ارتقائها ونهوضها ، وهو عندهم علم نظرى خالص . وعلى ذلك لا يعدون كتاب الثعالبى فى فقه اللغة بالمعنى الحديث ، وكذلك أكثر مادة الصحابى لابن فارس ، وجميع مادة سر العربية للثعالبى ، أما كتاب الخصائص لابن جنى فهو مجموعة مختلفة من مباحث نظرية تدخل فى ميدان فقه اللغة ، ومن مباحث أخرى صرفية ونحوية ولغوية وعروضية سبقت لمجرد التمثيل .

أما رأى سنور جويدى فيميل إلى أصل المصطلح ، وإن أشار ضمناً إلى تطور مدلوله ، حيث يذهب إلى أن الكلمة " Philologie " تصعب ترجمتها بالعربية ، وأن لها فى اللغات الغربية معنى خاصاً ، لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب ، فمنهم من يرى أن هذا العلم مجرد درس قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار الأدبية ، ومنهم من يرى أنه ليس درس اللغة فقط ، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها .

وعلى الرغم من إلحاح المستشرقين على صعوبة المقابلة الدقيقة بين المصطلح اليونانى والمصطلح العربى ، فإنه قد غلب على علماء اللغة المحدثين المقابلة بينهما اصطلاحاً على سبيل الاتساع . ويعد ذلك أمراً مقبولاً حتى نعت على مقابل جديد ، وإن لزم عند استعماله إضافة كلمة إيضاح إذا كان المؤلف يقصد منه دلالة خاصة . وتجدد الإشارة هنا إلى الأصل الذى يكون هذا المصطلح يقول د . صبحى الصالح ( ص ٢٠ ، ٢١ ) : كلمة " Philologie " هى كلمة مركبة من لفظين إغريقيين ، أحدهما ( Philos ) بمعنى الصديق ، والثانى ( Logos ) بمعنى الخطبة أو الكلام ، فكان واضح التسمية لاحظ أن

فقه اللغة يقوم على حب الكلام للتعلم في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه . وعلى هذا النحو كان العلماء في عصر إحياء العلوم يفهمون « فقه اللغة » - كما يقول د. صبحي الصالح - بل كان هذا الاسم إذا أطلقوه لا ينصرف إلا إلى دراسة اللغتين الإغريقية واللاتينية من حيث قواعدهما وتاريخ أدبهما ونقد نصوصهما ، وأصبحنا اليوم نعد هذه الدراسة متحفية ، ونسميها « فقه اللغة الإتباعي » *Philologie* "classique" . ويعود لينبه إلى الفرق بين مفهوم المصطلحين ، فيقول : وربما لا يكون مفهوم علمائنا القدامى لـ « فقه اللغة » شديد الاختلاف عما أصبحنا نسميه « فقه اللغة الإتباعي » إلا في مواطن قليلة ؛ فسرى أن كثيراً من مباحث القوم في اللغة كان يتناول العربية الفصحى من حيث قواعدها وتاريخ أدبها ونقد نصوصها ، فقابلت الفصحى عندهم الإغريقية واللاتينية عند الفرنجة .

ومن المهم هنا أن نشير إلى رأيه في منهج فقه اللغة عند العرب ، فيذهب إلى أنه بدأ وصفاً استقرائياً ، تقرر فيه الوقائع في ضوء النصوص ، ثم وقع انحراف عن ذلك إلى المعيارية من خلال الالتزام بقواعد أو قوانين أو معايير متشددة ، ويخلص إلى تعريف لفقه اللغة ، وهو أن فقه اللغة منهج للبحث استقرائي وصفي يعرف به موطن اللغة الأولى وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة الشقيقة أو الأجنبية وخصائص أصواتها وأبنية مفرداتها وتراكيبها وعناصر هجائها ، وتطور دلالتها ، ومدى نمائها قراءة وكتابة ( ص ٢١ ، ٢٢ ) .

وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أنه على الرغم من غموض مصطلح "Philologie" ، فقد اختاره أستاذاً بروفيسور ف. فيشر عنوان للمؤلف الضخم الذي اشترك معه فيه عدد كبير من المستشرقين المعاصرين ، وهو الأساس في فقه اللغة العربية *Grundriss der arabischen Philologie* ، ويبدو أن المصطلح استخدم لديهم بمعنى عام يشمل كل دراسة يكون محورها النصوص أو تقوم على نصوص مكتوبة . ومن ثم عالج الكتاب موضوعات مختلفة مثل تاريخ اللغة العربية ، والعربية القديمة والعربية الفصحى ، والعربية المعاصرة ولهجاتها ، والثروة اللفظية العربية ، والخط العربي وعلم النقوش وعلم العملات وعلم البرديات وعلم المخطوطات .

وربما يكون مفيداً أن نختم هذه المقدمة بإيضاح الفروق الأساسية - باختصار - بين النحو وما يفهم الآن من اصطلاح « فقه اللغة » ، تلك الفروق التي حرص بول كراوس - على إبرازها وصولاً إلى تحديد دقيق لكل منهما . فيذهب ( ص ١٩ ، ٢٠ ) إلى أن

النحو علم تطبيقي يعلمنا الصّحيح ، أما فقه اللغة فهو علم نظري بحث ، لا يبحث في اللغة من حيث الصحة أو عدمها ، بل يشرح أطوار الحياة اللغوية ، إذن فميدان فقه اللغة أوسع من ميدان البحث النحوي . كما أن فقه اللغة يجتهد في تدوين قواعد وقوانين اللغة ، وهي قوانين نظرية أشمل وأعم ، كما أنه يجتهد في تدوين ما القاعدة وإلى أي حد يمكن تطبيقها ويفسر الأسباب التي دعت اللغة إلى اختيار صيغة من الصيغ أو بنية أو تركيب دون غيره ، وما العوامل التي تدعو اللغة إلى اتباع ما نسميه قواعد ؟ وكذلك فقه اللغة يقابل ويقارن لغة بلغة ، لا من حيث قرابة اللغات بعضها من بعض فحسب ، بل من حيث إنه يعلمنا أن قواعد اللغة التي نبحت عنها ، يوجد مثلها في لغات أخرى ، وأخيراً فقه اللغة يرى أن اللغة في تغير دائم .

وهكذا يتبين أن مصطلح « فقه اللغة » في حقيقة الأمر يرتبط بمنهج علماء اللغة القدامى ( أو فقهاء اللغة على الأصح ) الذين استخدموا هذا المصطلح للإشارة إلى الكيفية المتميزة التي يجب أن تعالج قضايا اللغة العربية في إطارها ؛ أعني أنه لم يعد الاشتغال باللغة يقتصر على رصد كم ضخّم من المادة اللغوية في صورها المختلفة ، وروايتها ، وكان عليهم أن يتجاوزوا تلك المرحلة الأولية والحتمية في الوقت ذاته إلى مرحلة يعتمد فيها على إعمال العقل فيما وصل إليهم من مادة غزيرة ، والتوقف عند الظواهر والخصائص لدرستها وتحليلها ، وبخاصة بعد أن توفرت لهم وسائل التحليل ، فجمعوا بين الشوارد والمتفرقات وصور الانتظام والاطراد ، ليصلوا من خلال درس عميق ، إلى أحكام كلية يمكن أن تنتظم تحتها تلك الجزئيات ، وقد بلغ البحث اللغوي في إطار ما سمي بمنهج « فقه اللغة » ذورته في كتاب الخصائص لابن جني كما سنرى فيما يلي .

## الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها لابن فارس ( ت ٣٩٥ هـ )

لعل ابن فارس اللغوى ، السنى المتشدد ، أول من استخدم مصطلح « فقه اللغة » إشارة إلى خليط من الموضوعات ، بعضها نظرى ، وبعضها الآخر تطبيقى ، وقد كان هذا الكتاب ثمرة علاقة وطيدة ربطت بين أبى حسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازى والصاحب بن عباد ، كما يقول فى مقدمة كتابه : وإنما عنوانته بهذا الاسم ، لأنى لما ألفت أودعته خزانة الصاحب الجليل كفى الكفاة . . . تجملاً بذلك وتحسناً ، إذ كان ما يقبله كفى الكفاة من علم وأدب مرضياً مقبولاً ، وما يرذله أو ينفيه منقياً مردولاً ، لأن أحسن ما فى كتابنا هذا مأخوذ عنه ومفاد منه ( ص ١ ) .

فالصاحب بن عباد لما كان من أهم تلاميذه إلى جانب بديع الزمان الهمداني وأبى طالب مجد الدولة بن فخر الدولة ، وقد عرف عنه الجدل فى اللغة ، وكان يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة ، ويلقى عليهم مسائل ، ذكرها فى كتابه ( كتاب فتيا فقيه العرب ) ، مستهدفاً من إخراجهم أن يحفظوا اللغة ، فهى أساس التفقه فى لغة القرآن . وربما قصد بمصطلح فقه اللغة التفقه بمعنى التبحر والتعمق والبحث فى أصول علم العرب وفروعه ، وسنن العرب فى كلامها فهم طرائق العرب فى استعمالاتهم والغوص فيها للكشف عن أسرار العربية وخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والوصول إلى معرفة عميقة بدقائقها ولطائفها ، والتنبية على ما تفردت به العربية ، ألفاظها وأبنيثها وتراكيبها واستعمالاتها ودلالاتها جميعاً ، وهو يفرق فى مقدمته بين مفهوم الأصل ومفهوم الفرع ، فيقول ( ص ١ ) : إن لعلم العرب أصلاً وفروعاً . أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ، كقولنا : رجل وفرس ، وطويل وقصير ، وهذا هو الذى يبدأ به عند التعليم . وأما الأصل فالقول على موضوع اللغة وأوليئها ومنشئها ، ثم على رسوم العرب فى مخاطباتهم ومآلهم من الافتنان تحقيقاً ومجازاً .

ويرى أن من جمع الأمرين معاً فقد وصل إلى الرتبة العلية ، لأن بها يُعلم حسب القرآن والسنة ، وعليها يُعول أهل النظر والفتيا . والمكتفى بالفرع لا يقف على معرفة كثير من استعمالات القرآن والسنة وطرق العرب في كلامهم ، يقول ( ص ٤ ) : ولو أنه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتهم لغى بكثير من علم محكم الكتاب والسنة .

وهكذا كان هدفه معالجة القضايا التي تندرج تحت معرفة أصول علم العرب في المقام الأول ، أما معرفة الفروع فتتناثر ظواهرها وصورها داخل مسائل الأصول . وتختلف في ذلك كله ، أى في المفهوم والهدف والمادة عما ورد في كتاب الثعالبي إلا ما ورد في القسم الثاني منه ، فبينهما تشابه كبير .

ويجمل ما ورد في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الثعالبي من تحديد لمادة كتاب الصاحبى ، فقد ورد ( ص ١٥ ) أن كتاب الصاحبى يشمل مباحث مختلفة ، بعضها نظرى ، مثل باب القول على لغة العرب : أتوقيف أم اصطلاح ؟ ومثل القول فى إعجاز القرآن ، وبعضها تاريخى مثل باب القول على الخط العربى ، وأول من كتب به ، ومثل علم العربية وعلم العروض قبل أبى الأسود والخليل بن أحمد ، وبعضها فى الخصائص العامة للغة ، مثل القول فى أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها ، وبعضها فى اللهجات ، وبعضها فى النحو على مذهب الكوفيين ، وبعضها فى التصريف ، وبعضها فى البلاغة ، مثل معانى الكلام وأقسامه ، والمعانى التى تحملها لفظ الخبر ، والفرق بين الاستفهام والاستخبار والحقيقة والمجاز ، وبعضها فى أصول اللغة أو النحو مثل القبائل التى نزل القرآن بلغاتها ، والقول فى مأخذ اللغة ، وهل للغة العرب قياس ، وهل يشتق بعض الكلام من بعض . . . الخ .

بيد أنه لم تكن الموضوعات التى طرقها هنا من ابتكاره ، ولكنها كلها موضوعات بحثها علماء متقدمون فى فروع مختلفة ، وبخاصة المتكلمون وعلماء اللغة والنحو والتصريف وإعجاز القرآن وبعض الفلاسفة والفقهاء والمحدثين فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، حتى إذا ما طلع القرن الرابع على الناس ، كانت هذه الأفكار والآراء والمحاورات والمناقشات والمحاولات قد بلغت درجة كبيرة من النضج والانتساع والكثرة بحيث تمكن المتأخرين من المراجعة والتحقيق والتعميق وتقليب النظر واستخراج دقائق الإشارات والكشف عن خفايا الأسرار فى مادة ثرية فى علوم مختلفة يصب بعضها فى بعضها الآخر ، ولا يمكن للمرء أن يعزل البحث فى فرع ما عن البحث

فى الفروع الأخرى ، غير أنه ينبغي أن يلاحظ أن موقف العلماء المتأخرين منها قد انقسم اتجاهين ؛ اتجاه يغلب عليه درس المادة درساً دقيقاً للانتهاج إلى آراء مبتكرة ومباحث جديدة متخلصاً من أسر السابقين وسلطانهم ، وهو الاتجاه الذى يتجلى فى أعمال أبى على الفارسى وعبد القاهر الجرجانى وابن جنى وأقرانهم ، واتجاه آخر غلب عليه نقل آراء القدماء ، ومتابعتهم فيما ذهبوا إليه ، واختصار أعمالهم وتلخيص جهودهم أو شرحها أو تجميعها ، فداروا فى فلكتهم ولم يتخلصوا من أسرهم ولم يقدموا جديداً إلا فى مواضع قليلة ، ولم يضيفوا إلى ما نقلوه عنهم إلا فى حدود ضيقة ومن هؤلاء ابن فارس ، وهو لا ينكر ذلك ولا يدعى فضلاً ليس أهلاً له ، يقول فى نهجه الذى اتبعه لتأليف الصحابى فى المقدمة (ص ٥) : والذى جمعناه فى مؤلفنا هذا مغزق فى أصناف العلماء المتقدمين . . . وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع متفرق .

فهذه إذن هى الوسائل الأربعة التى انتهجها فى معالجة مادة كتابة التى جمعها من مؤلفات شتى . وقد تابع الآراء المتشددة فى قضايا عدة ، مثل القول بأن لغة العرب توقيف (وانسحب ذلك بطبيعة الحال على الخط والنحو والعروض . . . الخ) وتفضيل لغة العرب على غيرها ، وسعة العربية ، والقول بأن القرآن الكريم يخلو من الكلمات الأعجمية الأصل ، موافقاً لمذهب أبى عبيدة ، وانتهاء الخلاف فى اللغات ، وغيرها من الأقوال التى تكشف فى وضوح منهجه فى معالجة القضايا اللغوية ، ونقدم مثلاً جلياً على ذلك فى مسألة : هل يوجد فى القرآن الكريم كلمات أعجمية ؟ ، يقول (ص ٤٢) وما بعدها : فأما قولنا : إنه ليس فى كتاب الله تبارك وتعالى شىء بغير لغة العرب ، فقوله تعالى : ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ . . . ويستمر فى تقديم الشواهد على ما ذهب إليه ، ثم يقول : وادعى ناس أن فى القرآن ما ليس من لغة العرب ، حتى ذكروا لغة الروم والقبط والنبط . واستند إلى رأى أبى عبيدة (نعمربن المثنى) الذى أورده فى مجاز القرآن (ص ١٧) حيث قال : إنما أنزل القرآن بلسان عربى ميين ، فمن زعم أنه فيه غير العربية فقد أعظم القول . ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول . قال : وقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناها واحد ، وأحدهما بالعربية ، والآخر بالفارسية ، أو غيرها . . . وضرب أمثلة عدة من الألفاظ المعنية ، وانتهى إلى أن كل ذلك من لغات العرب وإن وافقه فى لفظه ومعناه شىء من غير لغاتهم . وينتهى ابن

فارس من هذه المسألة إلى النتيجة ذاتها ، فيقول : وهذا كما قاله أبو عبيدة . وقول سائر أهل اللغة : إنه دخل في كلام العرب ما ليس من لغاتهم - فعلى هذا التأويل الذي تأوله أبو عبيدة .

وعلى الرغم من إيراده محاولة أبي عبيد القاسم بن سلام للتوفيق بين مذهب الفقهاء الذين جوزوا ورود كلمات أعجمية في القرآن ، ومذهب أهل العربية الذين رفضوا ذلك ، فقد انتهى إلى رأى معقول : والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعاً . وذلك أن هذه الحروف أصولها عجمية - كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألستها ، وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية . ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب . فمن قال : إنها عربية فهو صادق . ومن قال : إنها عجمية فهو صادق ، وإلى ذلك ذهب ابن عطية في تفسيره وارتضى مذهباً معتدلاً .

ولم يكن موقفه من طرقه تنمية اللغة والاتساع في القياس وإضافة مفردات لم ترد في لغة العرب القدامى ، مخالفاً لموقفه السابق ، بل إنه قد غالى وآثر الجمود في اللغة ، ورفض أن يضاف إليها شيء لم يقله القدماء ، يقول في باب القول على لغة العرب : هل لها قياس وهل يشتق بعض الكلام من بعض ( ص ٥٧ ) : أجمع أهل اللغة - إلا من شذ عنهم - أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض . . . . . وقدم صوراً للاشتقاق وانتهى إلى قوله : وهذا أيضاً مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف . فإن الذي وقَّفنا على أن الاجتنان الستر ، هو الذي وقَّفنا على أن الجن مشتق منه . وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسه إلا نحن ؛ لأن ذلك فساد للغة ويطلان حقائقها ، ونكته الباب أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن . وهكذا فالرجل له موقف متشدد لا يجيد عنه أبداً في معالجة أى مسألة في اللغة .

والحق أن المسائل المتعلقة بلغة العرب ، أصلها وخصائصها ولهجاتها والاحتجاج بها وضرورة معرفتها إلى غير ذلك من المسائل النظرية ، تقل كثيراً عن المسائل النحوية والصرفية والبلاغية والأدبية الأخرى ، فهي تمثل أقل من نصف المادة التي أوردها حول النحو والصرف ؛ فقد بدأ بابا القول في حقيقة الكلام ثم أقسامه وفصل في الأسماء وأفاض في الحروف على غرار ما تفعل كتب الحروف ، ثم انتقل إلى قضايا البلاغة ،

فبدأ يباب معانى الكلام ثم تناول كثيراً من القضايا التي تبين طرائق العرب في كلامهم ، وخصائص استعمالاتهم في مسائل مثل القلب والإبدال والاستعارة والحذف والاختصار والزيادة والتكرار والعموم والخصوص وطرق استخدام العدد والأفعال والمشتقات وغير ذلك من الأبواب التي وردت في كتب إعجاز القرآن والنحو والبلاغة وغيرها . وهو في معالجته يسير على نهجهم في التعريف والشرح والتمثيل والاستشهاد وينقل عن العلماء مكثفياً بذكر أسمائهم في الأغلب ، ولا يخالف آراءهم إلا في مواضع قليلة كما فعل مع ابن قتيبة . وطريقته في الاستشهاد واحدة ، إذ يحدد ستة العرب في استعمال معين أو ظاهرة بعينها ، ثم يقدم بيتاً من الشعر أو آية قرآنية أو العكس بالعكس أو يكتفى بآيات قرآنية أو يكتفى بآبيات الشعر ، ومثل أيضاً بالأحاديث والأمثال ، وإن تقدم الاستشهاد بالقرآن والشعر على غيره .

ونختتم ذلك التحليل بموقفه من الضرورة في باب الشعر وهو الباب الأخير في كتابه ، إذ إنه يتفق وموقفه العام من قضايا اللغة التي سبق أن أشرنا إليها ، فقد أورده لأمر ثلاثة ؛ الأول نفى الشبه بين الشعر والقرآن ، والثاني الإشارة إلى قيمته في تفسير المشكل من غريب القرآن والحديث وأحاديث الصحابة والتابعين ، والثالث تفصيل طرق الشعراء العرب وما لا يجوز لهم ، وهو ما نريد أن ننبه إليه ، يقول ( ص ٤٦٨ ) :  
فأما لحنٌ في إعرابٍ أو إزالةُ الكلمة عن نهج صواب ، فليس لهم ذلك . ولا معنى لقول من يقول : إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز ، ويقدم أمثلة على خطأ من خرج منهم على الإعراب أو استعمال كلمة ما في غير ما استعمال العرب استعمالاً صحيحاً ، ثم ينتهي منها إلى أن ذلك كله غلط أو خطأ . وما جعل الله الشعراء معصومين يُوقون الخطأ والغلط ، فما صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية وأصولها فمردود .

ونشير أخيراً إلى غزارة مؤلفات ابن فارس ؛ فله كتب كثيرة في اللغة ، طبع منها عدد كبير ، غير أنه إلى جانب ذلك قد اشتهر بالتأليف المعجمي ، إذ إنه قد ألف متخير الألفاظ والمجمل في اللغة ، ومعجم مقاييس اللغة . وكلها تؤكد غزارة ما قدم من مادة لغوية في أسلوب مختصر ، وإلحاحه على فكرتي الأصول والنحت اللتين كان لهما تأثير واضح على حركة تأليف المعاجم العربية .

وفيما يلي نماذج من كتب (الصاحبي) لابن فارس

## من كتاب الصاحبى لابن فارس باب القول على لغة العرب أتوقيف، أم اصطلاح؟

أقول (١) : إن لغة العرب توقيف .

ودليل ذلك قوله جل ثناؤه : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٢) : فكان ابن عباس يقول (٣) : علمه الأسماء كلها وهى هذه [ الأسماء ] (٤) التى يتعارفها الناس ، من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .  
وروى خُصَيْفٌ (٥) عن مُجاهد قال : علمه اسم كل شىء .  
وقال غيرهما : إنما علمه أسماء الملائكة (٦) .  
وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين (٧) .  
والذى نذهب إليه فى ذلك ما ذكرناه (٨) عن ابن عباس .

فإن قال قائل : لو كان (٩) ذلك كما تذهب إليه لقال : « ثم عرضهن أعرضها » فلما قال : « عرضهم » علم أن ذلك لأعيان بنى آدم أو (١٠) الملائكة ، لأن موضوع الكناية

(١) نقل السيوطى هذا الباب فى المزمهر ١/٨ - ١٠ وانظر مقدمة الزبيدى لتاج العروس ١/٥ .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) قوله فى تفسير الطبرى ١/٤٩ والدر المنثور ١/٤٩ .

(٤) الزيادة من م ، س .

(٥) ط « حصيف » وهو تحريف ، وكانت وفاة خصيف فى سنة ١٣٧ كما فى التاريخ الصغير للبخارى ١٥٩ والكبير ٢/٢٠٨/١/٣ وتهذيب التهذيب ٣/١٤٣ .

(٦) ومنهم الربيع بن أنس ، كما فى تفسير الطبرى ١/٤٨٥ .

(٧) ومنهم ابن زيد ، كما فى الصفحة السابقة من الطبرى والدر المنثور ١/٤٩ .

(٨) س « مارويناه » .

(٩) س « كان كما » .

(١٠) س « والملائكة » .

فى كلام العرب [ أن ] <sup>(١)</sup> يُقال لما يَعْقِلُ : « عرضهم » ولما لا يعقل : « عرضها أو عرضهن » .

قيل <sup>(٢)</sup> له : إنما قال <sup>(٣)</sup> ذلك - والله أعلم - لأنه جَمَعَ ما يَعْقِلُ وما لا يعقل فغلب ما يعقل ، وهى سنة من سنن العرب ، أعنى باب التغليب . وذلك <sup>(٤)</sup> كقوله جل ثناؤه ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ <sup>(٥)</sup> فقال « منهم » تغليباً لمن يمشى على رجلين وهم بنو آدم .

فإن قال : أفتقولون فى قولنا : سيف وحسام وعَضْب ، إلى غير ذلك من أوصافه : إنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مُصْطَلِحاً عليه ؟

قيل له : كذلك نقول .

والدليل على صحَّة ما نذهب إليه إجماعُ العلماء على الاحتجاج ببلغة القنوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه . ثم احتجاجهم بأشعارهم . ولو كانت اللغة مُواضعةً واصطلاحاً لم يكن أولئك فى الاحتجاج بهم أولى منا فى الاحتجاج [ بنا <sup>(٦)</sup> ] لكو اصطلاحنا على لغة اليوم ، ولا فرق .

\* \* \*

ولعل ظاننا يظن أن اللغة التى دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفى زمان واحد .

وليس الأمر كذا <sup>(٧)</sup> ، بل وقف الله جلَّ وعزَّ آدمَ عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه فى زمانه ، وانتشر <sup>(٨)</sup> من ذلك ما شاء الله .

(١) الزيادة من م ، س .

(٢) راجع رأى الطبرى ١ / ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٣) س « قال - والله أعلم - عرضهم » .

(٤) س « وكذلك » .

(٥) سورة البور ٤٥ .

(٦) الزيادة من م ، س .

(٧) س « كذلك » .

(٨) س « فانتشر » .

ثم علم بعد آدم (١) عليه السلام - من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم - نبياً نبياً ،  
ما شاء أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبيا محمد ، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ،  
فاتاه الله جلّ وعزّ من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله ، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة .

ثم قرّ الأمر قرآره ، فلا نعلم لغة من بعده حدثت .

فإن تعملّ اليوم لذلك متعملاً ، وجد من تقاد العلم من ينفيه ويرده .

ولقد بلغنا عن أبي الأسود أن امرأ كلمه ببعض ما أنكره أبو الأسود ، فسأله أبو  
الأسود عنه فقال : هذه لغة لم تبلغك . فقال له : يا ابن أخي [ إنه ] (٢) لا خير لك  
فيما لم يبلغني . فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق .

وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمان يُقارب زماننا أجمعوا على  
تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه ، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح [ قد ] (٣)  
كان قبلهم .

وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهم البلغاء والفصحاء - من النظر في  
العلوم الشريفة ما لا خفاء به . وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغة أو إحداث لفظ  
لم تتقدمهم .

ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه (٤) ولا تزول إلا بزواله وفي  
[ كل ] (٥) ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب .

(١) س « بعد ذلك آدم » وهو تحريف .

(٢) الزيادة فيهما من م ، س .

(٣) س « بانقضائه وفي ذلك » .

(٤) الزيادة من م ، س .

## الخصائص لابن جنى ( ت ٣٩٣ هـ )

لا ريب في أن البحث اللغوي قد حقق تقدماً غير مسبوق وانعطافاً شديداً نحو الدراية والتعمق وليس إلى الرواية والنقل ، وذلك على يد اللغوي الفذ ، أبي الفتح عثمان بن جنى ، الذي تعد الموضوعات التي طرقها ، والنهج الذي سلكه في معالجتها ، إضافة لا يمكن أن تقارن - حقيقة - إلا بما أحدثه علماء اللغة في العصر الحديث . فقد عدل عن الاعتماد على النقل المحض ؛ وهو الأسلوب الغالب على أغلب فقهاء اللغة في عصره ، وفي عصور السابقين عليه إلى أسلوب جد مختلف عن أسلوبهم ، أسلوب يعتمد أساساً على إعمال العقل ، واستقصاء النظر ، والتعويل على الأدلة والحجج المنطقية في الجدل ، لا يقنع إلا بما يثبت بالدليل وتأييده الحجة . ولذا كان قوى الحجاج وموفقاً في الإقناع إلى حد بعيد لا يخشى أن يخالف من سبقه ، على الرغم من اعتناؤه بأرائهم وأفكارهم والنقل عنهم والحرص على تأكيد احترامهم لهم ، إذا اهتدى إلى رأى لم يقولوا به ، فيقدم له الأدلة الكافية ، ويستطرد في معالجة كافة جوانب الموضوع ، فيشتق من الفكرة فكرة أخرى ، ومن الجزئية جزئية أخرى ، ومن المعنى معنى آخر . . . الخ ، حتى يفرغ من مناقشته وتحليله على نحو يشعر الباحث معه أنه لم يترك أى مجال يمكن من خلاله إعادة طرح تلك المشكلة .

ويبدو أن هذا النهج يتلائم مع عنايته الشديدة بالتصريف والاشتقاق والتقليبات ، يشهد بذلك شرحه لتصريف المازنى والأبواب التي عالج فيها مسائل تصريفية في مؤلفاته ، فقد بلغ مكانة كبيرة في علم التصريف ؛ وهو العلم الأكثر صعوبة وعمقاً وقيمة للعلوم اللغوية الأخرى . وربما يرجع تفوقه فيه إلى تلك الحادثة المشهورة التي وقعت له مع أستاذه أبي على الفارسي ، كما سنبين فيما يلي ، وفاق السابقين في البحث في علل العربية وتخريبها وبيان الحكمة في تصريفها واستخراج مناسبات الاشتقاق إلى الحد الذي جلب له كثيراً من النقد والتجريح ، ووصف بالإسراف والمبالغة وغير ذلك من أوصاف الذين عارضوا نهجه معارضة كاملة .

ويربط الشيخ النجار ، محقق كتاب الخصائص بين هذا النهج ونهج ابن الرومي في الشعر ، إذ يقول : « وعلى مباحث ابن جني طابع الاستقصاء والغوص في التفاصيل ، والتعمق في التحليل ، واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات . وهو في هذا يشبه ابن الرومي في الشعر ، وكأنا للجنس الرومي الذي يتنمّن إليه أثر في هذا (المقدمة ص ٢٨) .

لم يكن ابن جني من أصل عربي ، إذ تروى يكتب الطبقات أن أباه كان رومياً من موالى سليمان من فهد بن أحمد الأزدي ، وتروى أيضاً أنه كان يفخر بانتسابه إلى الروم (بل إلى القياصرة) (\*) ، مما سوغ لخصومه ومن شغف بظواهر الأمور أن يتهموه بالشعوبية ، وهو منها براء ، ولكنه أراد أن يرد نظرة طبقية مرذولة ، ورأى أن ما بلغه من العلم كفيل بأن يعوضه هذا النقص ؛ فشرف العلم أسمى ، بلا مرء من شرف النسب . وكيف يتهم بذلك ، وهو من نصب نفسه مدافعاً عن العرب ولغتهم ، مجتهداً في التأليف في علومها ؛ علوم العربية ، مستخرجاً خصائصها ، وكاشفاً أسرارها ودقائقها .

على أية حال فقد سار ابن جني على نهج سلفه من اللغويين في الرواية عن الأعراب النصحاء الثقة الذين لم تفسد لغتهم ، ولكنه كان حصيفاً دقيقاً في النقل ؛ فلم يقبل الرواية على النهج السابق المعروف بشكل مطلق ، بل كان لا يأخذ عن بدوي إلا بعد أن يمتحنه ويتثبت من أمره وصدق نحيته . فقد كان محقاً في استيثاقه فيما يرويه وبخاصة بعد شيوع اللحن وفساد اللغة من جهة ، ولجوء بعض هؤلاء الأعراب إلى النحل للإرضاء والكسب . ومن أشهر هؤلاء الأعراب الذين كان يكثر النقل عنهم ، ويتكرر ذكره في كتبه مراراً ، أبو عبد الله محمد العساف العقبلي التميمي ، وكان يذكره باسم أبي عبد الله الشجري ، أما شيوخه فأهمهم أبو بكر محمد بن الحسن والمعروف بابن مقسم ، وهو من القراء وكان رواية ثعلب (ت ٣٥٤ هـ أو ٣٥٥ هـ) ، وأبو الفرج الأصبهاني ، صاحب الأغاني (ت ٣٥٦ هـ) ، وأبو بكر محمد بن هارون الروياني (ت ٣٥٨ هـ) ومحمد بن سلمة . أما شيخه أبو علي الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار (ت ٣٧٧ هـ) فقد كانت صلته به وثيقة للغاية ، إذ تروى كتب التراجم أن ابن جني قد صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة حتى توفي أبو علي ، فقد بدأت تلك الصلة إثر حادثة مسجد الموصل ؛ فقد كان ابن جني يدرس العربية في ذلك المسجد ، فمر به أبو علي ، فوجده يتكلم في مسألة قلب الواو ألفاً في نحو قال وقام ، فاعترض

(\*) كلمة (جني) تعريب للكلمة اليونانية (Genniaus) ، ولها دلالات مختلفة تدور كلها في فلك العبقرية والفضل والتبّل والكرم وغير ذلك .

عليه أبو علي ، فوجده مقصراً ، ونبهه إلى الصواب ، وقال له : تزيت وأنت حصرم ! أى أنك قعدت للتدريس دون أن تعد نفسك له إعداداً كافياً ، فلم تنضج بعد ، فما تزال أمامك مرحلة طويلة حتى تتمكن من العلم وتصلح لأداء هذه الوظيفة . ومهما يكن من حديث الرواة من أن أبا علي قد ثار لنفسه ، إذ تعرض لموقف مشابه حين كان فتى ، وألقيت عليه مسائل فى التصريف هرب منها ، فإن هذه الحادثة كانت فاتحة خير على ابن جنى ، إذ لزمه فى الحل والترحال ، وأخذ عنه وتعلم منه علماً غزيراً ، وتؤكد رواية ابن جنى عنه فى كتبه ، ودوام ثنائه عليه تلك المكانة العالية التى احتلها أبو علي لدى تلميذه ، وكان ابن جنى لا يميل إظهار تعلقه بأستاذه وترجيح علمه وتقبل رأيه . ويقول فيه فى الخصائص ١ / ٢٧٧ و ٢٧٨ : ولله هو ، عليه رحمته ! فما كان أقوى قياسه ، وأشهد بهذا العلم اللطيف الشريف أنسه ! فكأنه إنما كان مخلوقاً له ، وكيف لا يكون كذلك ، وقد أقام على هذه الطريقة مع جلّة أصحابه وأعيان شيوخه سبعين سنة ، زائجةً علته ، ساقطةً عنه كلّهُ ، وجعله همهً وسدّمه . . .

وهكذا فقد كانت لهذه العلاقة بينهما مظاهر شتى ، فقد انتفع بعلم أستاذه إلى حد بعيد ، وكتبه تظهر بجلاء أنه كان كثيراً ما يسأله فى بعض المسائل ويرجع إلى رأيه فيها ، كما أنه يورد أحياناً رأى أبى علي ولا يرضاه ، ويخالفه إلى غيره ، بل يحكى ابن جنى أن كتبه التى صنفها فى حياة أستاذه قد عرضها عليه فاستجادها ووقعت عنده موقع القبول ، كما أن أبا علي نفسه كان يسأل ابن جنى فى مسائل ، وكان يجيب عنها ، ثم وجدها ابن جنى بعد ذلك مدونة فى كتب أستاذه . والحق أن مقارنة كتب ابن جنى وأبى علي تكشف عن أوجه تشابه عدة بين الرجلين فى جوانب عدة وإن بالغ ابن جنى فى التفلسف والتفصيل والاستطراد وغير ذلك من أوجه المخالفة بينهما . وفى ذلك خير كثير ، ألم يكن فى وجه منها إكمال واستيفاء ، فمثلاً ألف أبو علي كتابه « الحجة » فى توجيه القراءات السبع ، وألف ابن جنى « المحتسب » فى توجيه الشواذ من القراءات .

أما الصلة الوثيقة الأخرى التى تستوجب الوقوف عندها فتلك التى كانت بينه وبين المتنبى . فربما سمع كل منهما عن الآخر قبل لقائهما ، ولكن كان أن اجتماعا بحلب عند سيف الدولة بن حمدان ، فتبادلا الإعجاب والتقدير ، وفتن كل منهما إلى قدر الآخر وعرف منزله ، فكان المتنبى يقول فيه : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ، وكان إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف فى شعره أو عن معنى قاله ، أو توجيه إعراب ، حصل فيه إغراب ، يقول سلوا صاحبنا يعنى أبا الفتح . وكان ابن جنى

يحسن الثناء عليه في كتبه ، ويستشهد بشعره في معان وأغراض متعددة ، ويعنيه وحده حين يقول : قال شاعرنا . وقدم شرحين لديوان المتنبي ، أحدهما سمي الشرح الكبير ، والثاني الشرح الصغير « الفَسْر » . ويبدو أن تفسيره لم يعجب عدداً من النقدة ، ذوى الدراية والخبرة والباع الطويل في الشعر ، فتعقبوا تفسيراته مثل ابن فُورجَه ، والشريف المرتضى والزوزنى .

ترجع بعض الآراء المتناثرة في الخصائص أنه كان معتزلياً ، كشيخه أبي علي ، يميل إلى التشيع أو أنه كان يصانع الشيعة ، إذ قضى أغلب عمره مجالساً لآل بني بويه ، فقد وثقوا فيه ، بعد مهده له أستاذه أبو علي الفارسي لديهم ، وقد كانت صلة أبي علي بآل بويه وثيقة محكمة لا يفصم عراها شيء ، إلى أن توفى ، فشغل ابن جنى مكان أستاذه ، وكان مذهبه النحوي بصرياً كشيخه أيضاً ؛ فهو يجرى في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب ، يدافع عنه بكل ما أوتى من قدرة على التأويل وتمكن في الجدل والتعليل . ولكن يبدو أنه لم يكن متشدداً في ذلك كله ، فلم يكن يغالى في أى جانب من تلك الجوانب ، فكان معتدلاً في علاقته بالتشيع ، غير متقيد بأراء المعتزلة في قضايا عدة ، مثل موقفه من قضية : اللغة هل هي اصطلاح أو توقيف ، فقد خالفهم في جزمهم بأنها اصطلاح وتواضع ( الخصائص ٤٢/١ وما بعدها ) ، كما أنه عارض البصريين في مواضع ، ونقل عن الكوفيين وبخاصة ثعلب والكسائي في مواضع أخرى ، وربما وافق ما أطلق عليهم البغداديين في بعض آرائهم في مواضع ثالثة . وعرف عنه أيضاً طول النظر في كتب الفقه وأصوله ، وتكشف بعض مباحث الخصائص عن احتذائه في مباحث النحو منهج الفقه وأصوله إلى حد بعيد . وليس من شك في أن ذلك التكوين العلمى المتشعب الأطراف المحكم الأصول ، العميق فى جذوره قد انعكس فى لغته ، إذ إن كتبه وبخاصة الخصائص تظهر إلى أى مدى وصل الرجل فى الرواية والدراية فى اللغة ، وما تمتع به من عقلية منطقية وقدرة غير محدودة على الإقناع بقوة الحججة والاستدلال واستقصاء كافة جوانب القضية المطروحة للدرس ، والاتساع فى الاستشهاد وطرح إمكانات تفسيرية متعددة فى عبارة فصيحة سلسلة تتنوع وتتصرف لتوائم مناسبات الكلام والإبانة عن المعانى بأحسن وجوه الأداء وإن لزم معها الحذر والروية للوصول إلى قصده وفهم مرامى حججه وأدلته .

عُرِفَ عنه أيضاً الصدق والأمانة فى النقل عن العلماء الآخرين ، فكان ينسب

الأقوال والآراء إلى أصحابها ، ولا يدعى لنفسه ما ليس له . ولكن للأسف الشديد كان موقف الآخرين منه مناقضاً ، فقد أغار مثلاً ابن سيده في ( محكمه ) على كثير من فوائده وبحوثه اللغوية . وكذلك يفعل ابن سنان الخفاجي ( ت ٤٦٦ هـ ) في ( سر الفصاحة ) ، وابن الأثير ( ت ٦٣٣ هـ ) في ( المثل السائر ) . وكان عف اللسان لا يتبع سقطات العلماء ، فكان يكتفى بالتصويب إذا عرض أمر غير صحيح فيها أمامه أو يردّها في لطف أو يعرض عن التعليق ، ولا أدل على ذلك من موقفه مما ورد في كتاب العين وكتاب الجماهر من أخطاء . رحمه الله فما أشبه سلوكه بسلوك الخليل بن أحمد العبقري الزاهد . أما مؤلفاته فهي كثيرة ؛ فقد وهب غزارة التأليف ( أحصاها ياقوت في معجم الأدباء فبلغت تسعة وأربعين كتاباً ، وهي في الحقيقة أكثر من ذلك ) ، وقد طبع أهمها ، مثل الخصائص ، وسر صناعة الإعراب ، والمحتسب في شواذ القراءات ، واللمع في العربية ، وتفسير ديوان المتنبي ، « الفُسر » ، والمذكر والمؤنث ، والإلفاظ المهموزة والتصريف الملوكي والتمام والعروض والمنصف في شرح تصريف المازني وغيرها ( انظر مقدمة الخصائص من ص ٦٢ : ٧٠ ) .

ويعد أن تحدثنا عن تكوينه وثقافته ونهجه ولغته وصلاته العلمية ومواقفه وغير ذلك نتقل إلى كتاب الخصائص الذي قدمه إلى بهاء الدولة البويهى ( حكم من ٣٧٩ : ٤٠٣ هـ ) ، فكان تأليفه أو إظهاره أو إخراجه إلى النور إذن بعد وفاة أستاذه أبى على ( ٣٧٧ هـ ) ، كما أن إشارته في الخصائص تدل على أنه ألفه بعد شرح تصريف المازني وسر صناعته الإعراب . ويعنى هذا أنه وصل في قضايا صوتية وصرفية عدة إلى سر صناعة كبيرة من النضج كما يتجلى ذلك في الخصائص .

يبين في مقدمته مدى الجهد والمشقة والوقت الذى بذل فيه حتى ارتضى إخراجه ، ويصفه ابن جنى بجملة من الأوصاف التى تدل على اعتزازه به ؛ لفه ، يقول ( المقدمة ص ١ ) :

واعتقادی فيه أنه من أشرف ما صنف فى علم العرب ، وأذهب فى طريق القياس والنظر . . . وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة : من خصائص الحكمة ، ونيطت به من علائق الاتقان والصنعة . . . وأثر أن ينهج أو أن يعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقہ .

فالكتاب يبحث إذن فى خصائص اللغة العربية ، يتقدمها حديث مفصل عميق فى

قضايا لغوية عامة مثل حديث عن الفصل بين الكلام والقول ، وفيه كثير من سمات نهج ابن جنى ، وهى الشغف بالاشتقاق والقلبيات والتصريف وشرح الدلالات وبيان الفروق الدقيقة وتقديم الشواهد المختلفة من التراث ، شعراً ونثراً ، فهو يطرح تعريفات شتى للكلام والقول للتمييز بينهما تمييزاً حاداً واضحاً ، وفى أثناء ذلك الموضوع الأساسى يستطرد فى مشكلات صرفية أو نحوية أو دلالية جزئية ثم يعود إلى الموضوع المحور ثم ينتقل إلى مقولات متصلة بهما وهى ( القول على اللغة ، ثم النحو ، ثم الإعراب ثم البناء ) ، وهو تناول منطقى منظم ثم يعرج على قضية فلسفية أثرت منذ فترة مبكرة من تاريخ الفكر الإسلامى وهى القول على أصل اللغة الإلهام هى أم اصطلاح؟ ويطرح الأفكار والآراء التى وردت فيها ويناقش هذه الأفكار ويظهر وجهة نظره ويسهب فى الاستدلال على صواب ما انتهى إليه ، ثم ينتقل إلى قضية تتصل ببناء الأبنية الصرفية والتراكيب النحوية فى العربية وهى قضية الاطراد والشذوذ ، فيعرفها أولاً ثم يبين أقسامها ثم يمثل لكل منهما فى تفصيل ، هكذا يستمر فى كتابه ينتقل من مبحث إلى مبحث مجاور له متصل به ، ويعالج أصول العربية الأساسية ( السماع والقياس والاستحسان . . . ) ويفصل فى درس العلل ، فقد أراد أن يبحث علة النحو بحثاً دقيقاً ويكشف عن منزلتها من علة المتكلمين وعلل الفقهاء ، ويخرج منه إلى قضايا صرفية ونحوية جزئية متعددة كعاداته ، فى استطراد يكاد على نحو ما يخرجنا عن الموضوع الأساسى ، وينتقل من باب إلى باب ومن فن إلى فن فى صورة موسوعية متشعبة .

ويتأكد لنا فى تحليلاته عمق فكره وسلامة منطق وقوة حججه واستقصاؤه كافة جوانب أو زوايا القضية المطروحة . نعم لقد فتح ابن جنى - بحق كما يقول الشيخ النجار محقق الكتاب - فى العربية أبواباً لم يتسن فتحها لسواه ، ووضع أصولاً فى الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني ، وإهمال ما أهمل من الألفاظ ، وغير ذلك . وكان بذلك إماماً يحتاج إلى أتباع يمشون فى سبيله ، ويبنون على بحوثه ، وإذا لنضجت أصوله وبلغت إنائها ، ولكنه لم يرزق هؤلاء الأتباع ( ص ٣١ ) ؟ !!

**وهيما يلي نموذج تضرد به ابن جنى وأورده**

**فى كتابه ( الخصائص )**

## من كتاب « الخصائص » لابن جنى

## باب فى الاشتقاق الأكبر

هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا على - رحمه الله - كان يستعين به ، ويُخلد إليه ، مع إعواز الاشتقاق الأصغر . لكنه مع هذا لم يسمه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ، ويستروح إليه ، ويتعلل به . وإنما هذا التلقين لنا نحن . وستره فتعلم أنه لقب مستحسن<sup>(٩)</sup> . وذلك أن الاشتقاق عندى على ضربين : كبير وصغير . فالصغير ما فى أيدى الناس وكتبهم ؛ كان تأخذ<sup>(١٠)</sup> أصلاً من الأصول فبتتقراه فتجمع<sup>(١١)</sup> بين معانيه ، وإن اختلفت صيغه ومبانيه . وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه ؛ نحو سلم ، ويسلم ، وسالم ، ويسلمان ، وسلمى والسلامة ، والسليم : اللديغ ؛ أطلق عليه تفاؤلاً بالسلامة . وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته ، وبقية الأصول غيره ، كتركيب (ض رب) و(ج ل س) و(ز ب ل) على ما فى أيدى الناس من ذلك . فهذا هو الاشتقاق الأصغر . وقد قدم أبو بكر - رحمه الله - رسالته فيه بما أغنى عن إعادته ؛ لأن أبا بكر لم يأل فيه نصحاً ، وإحكاماً ، وصنعة وتأنيساً .

وأما الاشتقاق الأكبر فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة<sup>(١٢)</sup> ، فتعقد عليه

- 
- (١) كذا فى ش ، ب . وفى أ « فهنا » .  
 (٢) كذا فى أ . وفى ش ، ب « ظريف » .  
 (٣) كذا فى أ ، ب . وفى ش : « نقبها » .  
 (٤) النشر : المتفرق غير المجتمع .  
 (٥) كذا فى أ . وفى ش ، ب : « انتصار » .  
 (٦) كذا فى أ . وفى ش ، ب : « منبهة » .  
 (٧) كذا فى أ . وفى ش ، ب : « الصنفين » .  
 (٨) كذا فى أ . وفى ش ، ب : « فتات » .  
 (٩) كذا فى أ . وفى ش ، ب : « مستحق » .  
 (١٠) كذا فى أ . وفى ب : « يأخذ . . . فيتقراء فيجمع » ، وفى ش كما فى ب غير أن فيه : « فيقرأ » وهو تصحيف .  
 (١١) يريد من السراج . وله كتاب الاشتقاق ، ولم يسمه . راجع البقية ٤٤ .  
 (١٢) كذا فى أ ، ج . وفى ش ، ب : « الثلاثة » .

وعلى تقاليبه (١) الستة معني واحدأ ، تجتمع التراكييب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك ( عنه ) (٢) ردُّ بلفظ الصنعة والتأويل إليه ؛ كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد . وقد كنا قدمنا ذكر طرف من هذا الضرب من الاشتقاق في أول هذا الكتاب عند ذكرنا أصل الكلام والقول وما يجيء من تقليب (٣) تراكييهما ؛ نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ك ل) (م ل ك) (ل ك م) (ل م ك) ، وكذلك (ق و ل) (ق ل و) (و ق ل) (و ل ق) (ل ق و) (ل و ق) ، وهذا أعوص (٤) مذهبها ، وأحزن مضطربا . وذلك (٥) أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة على الثقوة والشدة ، وتقاليب القول الستة على الإسراع والخفة . وقد مضى ذلك في صدر الكتاب .

لكن بقي علينا ( أن نحضر هنا ) (٦) مما يتصل به أحرفا ، تؤنس بالأول ، وتُشجع (٧) منه المتأمل :

فمن ذلك تقليب ( ج ب ر ) فهي - أين (٨) وقعت - للثقة والشدة . منها ( جبر ) انعظم ، والفقير ) إذا قويتها وشدت منها ، والجبر والملك لقوته وتقويته لغيره . ومنها ( رجل مجرب ) إذا جربته (٩) الأمور ونجذته (١٠) ، فقويت مثنه ، واشتدت شكيمته . ومنه الجراب لأنه يحفظ ما فيه ، وإذا حفظ الشيء وروعى اشتد وقوى ، وإذا أغفل وأهمل تساقط ورذى (١١) ومنها ( الأجر والبجرة ) وهو القوى السرة . ومنه قول على صلوات الله عليه : إلى الله أشكو عجرى ويجرى ، تأويله : همومى وأحزاني ، وطريقه أن العجرة كل عقدة في الجسد ، فإذا كانت في البطن والسرة فهي البجرة

(١) كذا فى أ ، ب ؛ وفى ج : «مقاليه» . (٢) كذا فى ش ، ب ، ج وسقط هذا فى أ .

(٣) كذا فى أ . وسقط فى ش . ب . (٤) كذا فى ش : أ . وفى ب : «أغرض» .

(٥) كذا فى أ ، ب . وفى ش : «ولذلك» . (٦) كذا فى أ . وفى ش ، ب : «حصرهما» .

(٧) كذا فى ش . وفى أ : «يشجع» .

(٨) كذا فى أ . وفى ش ، ب : «لين» وهو تحريف .

(٩) كذا فى أ . وفى ش ، ب : «حرسه» وهو تصحيف . وجرسه الأمور : جريته وأحكمته .

(١٠) كذا فى أ ، ب . وفى ش ، ب : «نجدته» وكلاهما صحيح . والبدال أعلى . يقال نجد الدهر

ونجده : عرفه وعلمه .

(١١) كذا فى أ . وفى ش ، ب : «ردى» ، وكلاهما صحيح . نردى هلك ، وردى : أنقله المرض .

(والبَجْرَة) (١). وتأويله أن السُرَّة غلظت ونتاجت فاشتد مسَّها وأمرها . وفُسراً أيضاً قوله عَجْرَى وَبُجْرَى ، أى ما أبدى وأخفى من أحوالى . و ( منه البرج لقوته فى نفسه وقوة مايليه ) (٢) به ، وكذلك البرج نقاء بياض العين وصفاء سوادها ، هو قوة أمرها ، وأنه ليس بلون مستضعف ، ومنها رجبت الرجل (٣) إذا عظمته وقويت أمره . ومنه رَجَب لتعظيمهم إياه عن القتال فيه ، وإذا كُرِمَت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة ، وهو شيء تُسند إليه لتقوى به . والراجبة : أحد فصوص الأصابع ، وهى مقوية لها . ومنها الرباجى وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله ، قال :

\* وتلقاه رباجياً فخوراً (٤) \*

تأويله أنه يعظم نفسه ، ويقوى أمره .

ومن ذلك تراكيب (ق س و) (ق و س) (وق س) (وس ق) (س وق) (٥) وأهمل (س ق و) وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع . منها (القسوة) وهى شدة القلب واجتماعه ، الأتري إلى قوله :

ياليت شعرى - والمئى لا تنفع - هل أغدوّن يوماً وأمرى (٦) مَجْمَعٌ

أى قوى مجتمعه (٧) ، ومنها (القوس) لشدتها واجتماع طرفيها . ومنها (الوقس) لابتداء الجرب ، وذلك لأنه يجمع الجلد ويُفحلّه (٨) ، ومنها (الوسق) للجمل ، وذلك لاجتماعه وشدته ، ومنه استوسق الأمر أى اجتمع (والليل وما وسق) (٩) أى جَمَعَ ، ومنها (السوق) ، وذلك لأنه أستحثاث وجمع للمسبوق بعضه إلى بعض ، وعليه قال (١٠) :

(١) كذا فى أ ، وسقط هذا فى ش ، ب .

(٢) كذا فى ش . ب . وفى أ : « منها البرج المؤيد فى نفسه وقوة من عليه » .

(٣) كذا فى أ ، ج . وفى ش ، ب . « الأمر » .

(٤) أورده فى الجمهرة ٢٠٩/١ معزواً .

(٥) كذا فى أ . وفى ش : « فأهمل » وفى ما هو أدنى إلى ما فى ش .

(٦) فى النوادر ١٣٢ . وبعده :

وتحت رحل زفيان مبلغ  
حرف إذا زجرت تسبوع

(٧) كذا فى أ . وفى ش ، ب : « مجمع » .

(٨) كذا فى ب . أى يجعله فعلاً أيضاً وفى أ : « يخفيه » أى يذهب . وفى ج « يخفيه » وفى ش :

« يفلحه » . وكانه تحريف من « يفعل » .

(٩) أى العجاج كما فى اللسان فى وسق .

(١٠) آية ٧ فى سورة الانشقاق .

\* مُستوسقات لو يجدن سائناً (١) \*

فهذا كقولك : مجتمعات لو يجدن جامعاً .

فإن شدَّ شيء من شُعب هذه الأصول عن عقده ظاهراً رُدَّ بالتأويل إليه ، وعُطف بالملاطفة عليه . بل إذا كان هذا قد (٢) يعرض في الأصل الواحد حتى يُحتاج فيه إلى ما قلناه ، كان فيما انتشرت أصوله بالتقديم والتأخير أولى باحتماله ، وأجدر بالتأويل له .

ومن ذلك تقلاب (س م ل) (س ل م) (م ل س) (ل م س) (ل م س م) والمعنى الجامع لها المشتمل عليها الإصحاب والملاينة . ومنها الثوب (السَّمَل) وهو الخَلَق . وذلك لأنه ليس عليه من الوبر والزئير ما على الجديد . فاليد إذا مرَّت عليه للمس لم يستوقفها عنه جدة (٣) المنسج ، ولا خُشنة الملمس . والسَّمَل : الماء القليل ؛ كأنه شيء قد أخلقت وضعف عن قوة المضطرب ، وجمة المرتكض ، ولذلك قال :

حوضاً كأن ماءه إذا عسل من آخر الليل رُويزى سَمَل (٤)

وقال آخر :

وراد أسمال المياه السُدْم في أخريات الغبش المعَم (٥)

ومنها السلامة . وذلك أن السليم ليس فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به . ومنها (الأسل و) (٦) والأسل والأسيل كله واحد ، وذلك أن الماء لا يجرى إلا في مذهب له وإمام متقاده ، ولو صادف حاجزاً (٧) لاعتاقه فلم يجد مُتسرباً معه . ومنها

(١) قبله : \* إن لنا لإبلا حقائقاً \*

(٢) كذا في ش ، ب . وسقط في أ .

(٣) كذا في ش ، ب . وفي أ : « حدة » .

(٤) قبله كما في اللسان في عسل من ثعلب : \* قد صبحت والظل غصن ما زحل \*

كأنه يصف إلا أو قفا وردت الماء ، ويقال عسل الماء إذا حركته الريح فاضطرب وارتفعت حبه

وطرافه . والرُويزى تصغير الرازي : المنسوب إلى الري . ويعنى به ثوب أخضر يشبه الماء به .

(٥) الدم « المتدفئة الغائرة . والغبش : الظلمة إذ يقبل الصباح . والمغم ذو الغيم أو الذي يضيئ

الأنفاس من شدة الحر .

(٦) كذا في أ ، ج . وسقط هذا في ش ، ب . والمعنى الواحد الذي يأتي له هذه الألفاظ الثلاثة هو

مجري الماء . وصاحب القاموس يجعل السمل في المعنى السيلان . والخطب مهل .

(٧) في ش بعد « حاجزاً » : « أو جائزاً » وفي ب : « أو حائزاً » .

الأمس والمساء . وذلك أنه لا اعتراض على الناظر فيه والتصريح له . ومنها اللمس . وذلك أنه إن عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس لم يصح هناك لمس ؛ فإنما هو (١) إهواء باليد نحوه ، ووصول منها إليه لا حاجز ولا مانع ، ولا بد مع اللمس من إمرار اليد وتحريكها على الملموس ، ولو كان هناك حائل لا ستوقفت به عنه . ومنه الملازمة (ولامستم النساء) (٢) أى جامعتم ، وذلك أنه لا بد هناك من حركات واعتمال ، وهذا واضح . فأما (ل س م) فمهمّل . وعلى أنهم قد قالوا : نَسَمَتِ الرياحُ إذا مرّت مرأً سهلاً ضعيفاً ، والنون أخت اللام ، وسترى نحو ذلك .

(ومرّبنا أيضاً السّمتُ الرجلُ حجته إذا لقتته وأزمته إياها . قال .

لا تلمسنّ أبا عمران حجّته ولا تكونننّ له عوناً على عمرا (٣)

فهذا من ذلك ، أى سهلتها وأوضحتها (٤) .

وأعلم أنا لا ندعى أن هذا مستمر في جميع اللغة ، كما ندعى للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة . بل إذا كان ذلك (الذى هو (٥)) في القسمة سدس هذا أو خمسه متعزراً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتصقاً (٦) . بل لو صحّ من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقلب كان غريباً معجبا . فكيف به وهو يكاد يساوق الاشتقاق الأصغر ، ويجاريه إلى المدى الأبعد .

(١) أى اللمس .

(٢) آية ٦ سورة المائدة .

(٣) « عمرا » كذا في ب . وهو الموافق لما في اللسان في لسم . وفي ش : بكسر الراء .

(٤) ما بين القوسين في س ، ب وسقط في أ .

(٥) كذا في أ « وفي ش ، ب : « هو الذى » .

(٦) كذا في ش ، ب . وفي أ : « ملبسا » .

## فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي ( ٤٣٠ هـ )

اشتهر أبو منصور ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، الثعالبي \* النيسابوري بكثرة تأليفه في اللغة والأدب . وقد وصفه أصحاب كتب التراجم والطبقات وأعلام الأدب بصفات شتى ، كلها تؤكد مكانته العلمية الرفيعة ، فقد وصف بأنه كان جاحظ زمانه أو جاحظ نيسابور ، حجة فيما يروى ، ثقة فيما يحدث ، مكيناً في علمه ، ضليعاً في فنه ، جامع أشتات البثر والنظم ، رأس المؤلفين في زمانه له مؤلفات أو مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب . والحق أن مؤلفاته تؤكد حسه الشعري المرفه وذوقه الرفيع ، فقد كان يقرض الشعر ، وكذا تمكنه في اللغة ومعرفته لكثير من مفرداتها ودلالاتها ودقائق أسرارها ، فقد طبع له : كتاب إعجاز الإعجاز وكتاب التمثيل والمحاضرة في الحكم والمناظرة وكتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب وكتاب خاص الخاص وكتاب الطرائف واللطائف وكتاب بتيمة الدهر وكتاب فقه اللغة وسر العربية ، الذي نحله هنا ، وغيرها من التصانيف التي تعكس طول باعه في اللغة ، شعراً ونثراً ، غير أنه ما تزال بعض مؤلفاته مخطوطة لم ينفض عنها غبار الزمان وعودى السنين .

قلنا إن ابن فارس قد يكون أول من استعمل عبارة « فقه اللغة » عنواناً لمؤلف له ولكنه يختلف عن أبي منصور الثعالبي الذي استخدم العبارة ذاتها ، إذ إن مادة الكتاب تكشف عن مفهوم خاص لهذا المصطلح ؛ وهو التفقه أو التبحر في ألفاظ اللغة العربية ، يحصر المفردات التي تندرج تحت معنى معين أو موضوع بعينه ، وإيضاح الفروق الدقيقة بين الدلالات والاستعمالات ، والولوع بذكر المترادفات المختلفة للمعنى الواحد ، وغير ذلك مما هو أقرب إلى الكتب أو الرسائل اللغوية التي صنعها اللغويون الأوائل كالأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي حاتم السجستاني وأبي عبيدة وغيرهم ثم توسع فيها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه « الغريب المصنف » . ووصلت إلى قمة

\* قيل إن هذه النسبة ترجع إلى أنه كان يعمل فراء ، يخيظ جلود الثعالب ، ويبيعها .

هذا اللون من التأليف على يد ابن سيده في كتابه «المخصص» . وقد أشار محققو الكتاب إلى هذه المسألة حينما تعرضوا لما ورد في كتب الطبقات من جعلهم كتاب «فقه اللغة» كتاباً مستقلاً منفصلاً عن كتاب «سر العربية» . . . وانتهوا إلى أن مادة كتاب فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي بعيدة عن مادة كتاب «الصاحبي» لابن فارس ، ذلك لأن هذا الكتاب ؛ أي كتاب الثعالبي : إنما هو معجم من المعاجم اللغوية التي رتبته فيه المادة ترتيباً معنوياً ، لا على ترتيب حروف الهجاء ، وفائدته لمن أراد أن يعرف معنى من المعاني ، ويطلب اللفظ الدال عليه . . . والذي يشبه كتاب الصاحبي لابن فارس ، الكتاب الثاني ، «سر العربية» في مؤلف الثعالبي الذي جعل قسماً ثانياً من كتاب يشكل فقه اللغة القسم الأول منه ، فإن كثيراً من موضوعاته مشترك بين الكتابين ، وهو يكرر هذه العبارة في صدر كل موضوع «من سنن العرب . . . الخ» ، وهو احتذاء لقول ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها» (المقدمة ص ١٦).

ويبدو أن مفهوم القدماء لفقه اللغة يتسع لتناول موضوعات شتى ، كلها تتصل بالبحث في اللغة ألفاظها وتراكيبها للوقوف على دلالاتها والتفريق بين استعمالاتها والكشف عن القوانين التي تحكم كلام العرب ، فحدوده إذن ليست واضحة ، ولكنها محاولات اللغويين للبحث في اللغة على نهج الفقهاء أو المتكلمين التي توصلت إلى أن أثمرت علوماً مشابهة كعلم أصول اللغة وعلم أصول النحو .

وربما كانت المقارنة بين كتاب الثعالبي والكتب أو الرسائل اللغوية الأولى في جمع المفردات والشغف بالمفردات من جهة ، وبينه وبين تلك الكتب التي ألفت لتقدم للكتاب ألفاظاً فصيحة سهلة وعبارات جميلة بليغة من جهة أخرى مقبولة . أما القول بأن قيمته وقيمة المؤلفات المشابهة عملية تطبيقي صرفة ، وليس فيها شيء من فقه اللغة ففيه تجوز . وقد سبق أن أشرنا إلى مفهوم مصطلح «فقه اللغة» عند علماء اللغة المحدثين ، واختلافه عن مفهومه عند علماء القدامى اختلافاً كبيراً .

ويهمنا الآن أن نوضح سبب تأليفه الكتاب ، ففي الرسالة التي جعلها الثعالبي مقدمة إلى «فقه اللغة وسر العربية» ، الذي ألفه لمجلس الأمير السيد أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، يطيل في بيان قيمة درس اللغة العربية ، ونكتفي باقتباس عبارة أكثر دلالة على هدفه ، إذ لا يتسع المقام للتفصيل ، يقول (في المقدمة ص ٢١) : ولو

لم يكن في الإحاطة بخصائصها، والوقوف على مجاريها ومصارفها، والتبحر في جلائلها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة التبصير في إثبات النبوة، التي هي عمدة الإيمان، لكفى بهما فضلاً يحسن أثره . . .

وقد توفرت له المادة من الأحاديث والمسامرات والمناقشات التي كانت تجري في مجلس الأمير أبي الفضل الميكالي، يقول: وقد كانت تجري في مجلسه - أنسه الله - نكت من أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها، ولطائفها وخصائصها، مما لم ينتبهوا لجمع شمله، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده، وإنما اتجهت لهم في أثناء التأليفات، وتضاعيف التصنيفات، لمع بسيرة كالتوقيعات، و فقر حفيضة كالإشارات، فيلوح لى - أدام الله ودولته - بالبحث عن أمثالها، وتحصيل أخواتها، وتذييل ما يتصل بها وينخرط في سلكها . . . (ص ٢٨).

وقد دفعه إلى التأليف حين قال: إنك إن أخذت فيه أجدت وأحسنت، وليس له إلا أنت. فقد انتهى من مرحلة الجمع والبحث، ولم يبق إلا التأليف الذي رسم الميكالي خطته أيضاً، يقول (ص ٢٩): فأقام لى في التأليف معالم أقف عندها، وأقفو حدها، وأهاب بى إلى ما اتخذته قبلة أصلى إليها، وقاعدة أبنى عليها، من انتمثيل والتزليل، والتفصيل والترتيب، والتقسيم والتقريب.

وقد زوده بالمادة من ثمار خزائن كتبه، ووسائل التفرغ للتأليف، وفي المقدمة يحدد صراحة من نقل عنهم، إذ يقول: وتركتُ والأدب والكتب، أنتقى منها وانتخب، وأفضل وأبوب، وأقسم وأرتب وأنتجع من الأئمة مثل الخليل والأصمعى وأبى عمرو الشيبانى . . . ومن سواهم من ظرفاء الأدباء، الذين جمعوا فصاحة البلغاء إلى إتقان العلماء، ووعورة اللغة، إلى سهولة البلاغة كالصاحب أبى القاسم، وحمزة بن الحسن الأصبهانى . . . . وأجتلى من أنوارهم، وأجتنى من ثمارهم، وأقتفى آثار قوم قد أقفرت منهم البقاع، وأجمع في التأليف بين أبقار الأبواب والأوضاع وعون اللغات والألفاظ (ص ٣٠).

إذن فقد نقل المادة من كتب الأوائل، ولافضل له فيه إلا الانتخاب ثم التيوب والترتيب. وقد ذكر ذلك صراحة حين قال: وأجمع في التأليف بين أفكار الأبواب والأوضاع، أى أنه لم يسبق إليها فهى من ابتكاره ووضعها، أما المادة فقال عنها:

وعون اللغات والألفاظ فقد سبقه كثيرون إليها ، ولم تكن إضافته فيها إلا إضافة محدودة في حقيقة الأمر - ولا تخفى هنا المقابلة بين البكر والعون .

وقد قسم القسم الأول « فقه اللغة » ثلاثين باباً ، تضم ما يناهز ستمائة فصل ، أى أنه قد وزع المادة بين هذه الأبواب التى تحمل المعانى الكلية ، ثم يوزع المعانى الجزئية لتضم مجموعات من المفردات المستعملة فى موضوع واحد أو الداخلة فى إطار معنى جزئى بعينه ، وتحكمها جميعاً تلك المعانى الكلية التى تشكل رؤوس الأبواب . ومن ثم فهذا القسم لا يختلف فى مادته عما سمي بكتب أو معاجم الموضوعات أو المعانى أو المفردات ، يعتمد فيها على مؤلفات المتقدمين الذين جمعوا مادتهم من أفواه الأعراب الفصحاء ، ولم يقبلوا - كما أشرنا فيما سبق - إلا ما يرد من طريق الرواية الشفوية .

وقد بدأ بباب الكليات ثم الأشياء ثم الإنسان وكل ما يتصل به ثم الحيوان وكل ما يتصل به ثم الكون والبيئة ، الأرض والسماء وكل ما يتصل بهما ثم النبات ثم ذيل بمفترقات ، وقد عنى بالترتيب عناية فائقة ، وإبراز الفروق بين ما يتصل بالأشياء وما يتصل بالحيوان . . . الخ ، والفروق الدقيقة بين المعانى ، يقول فى فصل فيما يحتاج عليه منها بالقرآن ( ص ٦٨ ) :

الهكع : شدة الجزع . البث : شدة الحزن .  
 اللدد : شدة الخصومة . النصب : شدة التعب .  
 الحس : شدة القتل . الحسرة : شدة الندامة .

واهتم كذلك بتفصيل درجات الألوان والسن والحركة والأوجاع وغير ذلك من الأحوال والصفات المتعلقة بالأشياء والأحياء ، يقول فى فصل فى تقسيم المشى ( ص ١٩٧ ) .

الرجل : يسعى . البعير : يسير .  
 المرأة : تمشى . الظليم : يهدج .  
 الصبى : يدرج . الغراب : يخجل .  
 الشاب : يخطر . العصفور : ينقر .  
 الشيخ : يدلف . الحية : تنساب .  
 الفرس : يجرى . العقرب : تدب .

سار على نهج السابقين فى العناية بألقاب اللهجات العربية ، وتقديم الاحتجاج بالقرآن على غيره . أما توثيق المادة فيما كتب فأمر عسير ، إذ إنه فى بعض المواضع يكتفى بذكر أسماء بعض من نقل عنهم ، وفى مواضع أخرى لا يذكر إلا المادة اللغوية ، فيجعل بذلك الوصول إلى حقيقة الابتكار أو النقل معلقاً بالبحث والتحرى والتنقيب فى كتب الأوائى اللغوية .

ويبدو أنه لم يفصل فى تأليفه القسم الأول عن القسم الثانى أو أنه قد بدأ بتأليف «فقه اللغة» ثم أعقبه «بسر العربية» فبينهما صلة لا محالة ، وهى ما سببت الخلاف بين أصحاب كتب الطبقات والنساخين وغيرهم ، ويقول (ص ٣٣) بعد سرده لأبواب «فقه اللغة» وفصولها : وقد اخترت لترجمته ، وما أجعله عنوان معرفته ، ما اختاره أدام الله توفيقه ، من «فقه اللغة» ، وشفعته «بسر العربية» ، ليكون اسماً يوافق مسماه ، ولفظاً يطابق معناه .

وقد حدد موضوعه بأنه سر العربية فى مجارى كلام العرب وسنتها ، والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، وهو فى هذا النهج أشبه بكتب إعجاز القرآن ، غير أنه أصغر حجماً منها وأقل استشهاداً وأوجز تحليلاً ، فأغلب فصوله على جهة الإشارة وتضم موضوعات نحوية وصرفية وبلاغية وبعض قضايا لغوية ؛ فالبلاغية مثل حديثه عن الكناية والاستعارة والتشبيه والتجنيس والطباق والالتفات والحشو وغير ذلك ، واللغوية مثل المشترك اللفظى والإبدال والقلب والأضداد والاتباع والنحت وغيرها ، والنحوية الصرفية ، وهى الأغلب وتضم التقديم والتأخير ، والمجاورة ، وطرق استعمال العدد ، والفعل والمفعول والفاعل والمصدر والتذكير والتأنيث ، والعدول فى الأساليب ، وأشكال الحذف والاختصار والإضمار ، وسنن العرب فى الزوائد والصلات والحرف ، وأبنية الأفعال والأسماء وغير ذلك ، وهو بشكل عام يعنى بالاستشهاد بعد تحديد الموضوع الذى يعالجه ، ويقدم الاستشهاد بالقرآن فى الأغلب على الاستشهاد بالشعر إذا كانت الظاهرة واضحة فى أسلوب القرآن ، وقد يورد أمثلة من الشعر والحديث والنثر والأقوال والأمثال والحكايات والنوادر التى تكشف عن خصائص أو سمات كلام العرب ، يقول مثلاً فى فصل يناسب الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة والمناسبة (ص ٣٢٦) : العرب تسمى الشئ باسم غيره ، إذا كان مجاوراً له ، أو كان منه بسبب ، كسميتهم المطر بالسما ، لأنه منها ينزل ، وفى القرآن :

﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ ، أى المطر ، وكما قال جل اسمه : ﴿ إني أراني أعصر خمراً ﴾ أى عنباً ولا خفاء بمناسبتهما ...

ويقول كذلك فى فصل المفعول يأتى بلفظ الفاعل ( ص ٣٣٠ ) : تقول الغرب : سرقاتم : أى مكتوم ؛ ومكان عامر : أى معمور . وفى القرآن : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ أى لا معصوم . وقال تعالى : ﴿ خلق من ماء دافق ﴾ أى مدفوق ، وقال : ﴿ عيشة راضية ﴾ : أى مرضية ...

ويلاحظ أنه يغلب عليه الاستشهاد بشعر الأوائل ، وكان ورود شعر المولدين قليلاً محددًا ، ولم يلتزم بمذهب نحوى بعينه ، فخلط بين آراء النحاة المختلفة ومصطلحاتهم .

**وفيما يلى نماذج من كتاب « فقه اللغة وسر العربية ، لأبى منصور الثعالبى**

## الباب الثامن

في الشدة والشديد من الألفاظ

### أفضل الألفاظ

في تفصيل الشدة من اشياء واقوال مختلفة

الأوارُ شِدَّةُ حرِّ الشَّمْسِ \* الوَدِيعةُ شِدَّةُ الحرِّ \* الصِّرَّةُ  
شِدَّةُ البَرْدِ \* الإِنْهالُ شِدَّةُ صَوْبِ المَطَرِ \* التَّهَبُ شِدَّةُ  
سَوادِ اللَّيْلِ \* التَّمُّ شِدَّةُ الأَكْلِ \* التَّخْفُ شِدَّةُ الشَّرْبِ \*  
السَّنْبِجُ شِدَّةُ النَّوْمِ ( عن أبي عبيد عن الأُموي عن  
الأَصمعي ) \* الجَمْعُ شِدَّةُ الحِرْمِ \* الحَرُّ شِدَّةُ الحَيَاةِ \*  
السَّارِ شِدَّةُ الجُوعِ \* الصَّدَى شِدَّةُ المَطْسِ \* التَّنْفُ شِدَّةُ  
القُرْبِ \* الحَكُّ شِدَّةُ العَجَاجِ \* المَدُّ شِدَّةُ المَدَمِ \* التَّحْلُ  
شِدَّةُ اليَسْرِ \* المَلَقُ شِدَّةُ البَكَاءِ ( عن أبي عمرو ) \* الرُّزَاحُ  
شِدَّةُ الرِّزَالِ \* الصَّلَقُ شِدَّةُ الصِّبَاحِ ( وفي الحديث : ليس  
بِأَمْنٍ مَلَقٌ أو حَلَقٌ ) \* الشَّفُّ شِدَّةُ البَيْضِ \* الشَّنَائِدَةُ

ذَكَاءُ الرِّيحِ (عَنِ الْقَرَادِ) \* الضَّرْمَةُ شِدَّةُ الْمَضِ (عَنِ  
الَّتِي عَنْ الْحَلِيلِ) \* الْقَرَضَةُ شِدَّةُ الْقَطْعِ (عَنِ ثَلَبٍ عَنْ  
أَبْنِ الْأَعْرَابِيِّ) \* الْحَقْمَةُ شِدَّةُ السَّيْرِ (وَفِي الْحَدِيثِ: شَرُّ  
السَّيْرِ الْحَقْمَةُ) \* الْوَصَبُ شِدَّةُ الْوَجَعِ \* الْخَبْرُ شِدَّةُ السُّوقِ  
(عَنِ أَبِي زَيْدٍ وَأَشَدُّ:

لَا تَخْبِرَا خَبْرًا وَبَسَابًا)

أَفْضَلُ الثَّانِي

فِي مَا يُجْعَلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ

الْمَلْعُ شِدَّةُ الْجُرْعِ \* الْأَدُّ شِدَّةُ الْخُصُومَةِ \* الْحَسُّ  
شِدَّةُ الْقَتْلِ \* الْبَثُّ شِدَّةُ الْحَزَنِ \* النَّصَبُ شِدَّةُ التَّبِيبِ \*  
الْحَسْرَةُ شِدَّةُ الدَّامَةِ

أَفْضَلُ الثَّلَاثِ

فِي تَفْصِيلِ مَا يُوصَفُ بِالشَّدَةِ

(عَنِ الْأَصْمَعِيِّ وَابْنِ زَيْدٍ وَالْبَيْهَقِيِّ وَابْنِ عَبِيدَةَ)

لَيْلٌ عَكَامِسٌ شَدِيدُ الظُّلْمَةِ \* رَجُلٌ وَصَحْحَحٌ شَدِيدُ الْمَنَةِ \*  
أَسَدٌ صَبَارِمٌ (١) شَدِيدُ الطَّلَاقِ وَالْقُوَّةِ \* رَجُلٌ عَصَلِيٌّ وَصَمْرِيٌّ  
كَذَلِكَ \* إِمْرَأَةٌ صَهْلَقِيٌّ شَدِيدَةُ الصَّوْتِ \* رَجُلٌ أَفْشَرٌ

١ وفي نسخة صبارم وذلك غلط

شَدِيدُ الْحُمَةِ \* رَجُلٌ خَصِمٌ شَدِيدُ الْحُصُونَةِ \* شَرٌّ قَطِطٌ  
شَدِيدُ الْجُمُودَةِ \* لَبَنٌ طَخْتُ شَدِيدُ الْحُمُوضَةِ \* مَا زُعَاقٌ  
شَدِيدُ الْمُلُوحَةِ (وَأَنَا اسْتَظَرُّ قَوْلَ اللَّيْثِ عَنِ الْحَلِيلِ: النَّعَاقُ  
كَالزُّعَاقِ تَمَثَّلَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِهِمْ وَمَا تَدْرِي أَلَنَّهُ أَمْ لَنَّهُ) (١) \*  
رَجُلٌ شَقِيذٌ شَدِيدُ الْبَصَرِ سَرِيحٌ الْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ . وَكَذَلِكَ  
جَلَمِي (عَنِ اللَّيْثِ وَغَيْرِهِ) \* فَرَسٌ ضَلِيعٌ شَدِيدُ الْأَضَاعِ \*  
يَوْمٌ مَعْمَانِي شَدِيدُ الْحَرِّ \* عُوْدٌ دَعِيرٌ شَدِيدُ الدَّخَانِ

### الفصل الرابع

في التسمية

(عن الأئمة)

يَوْمٌ عَصِيبٌ وَأَرْوَانٌ \* سَنَةٌ خُرَاقٌ وَجَسُوسٌ \* جُوعٌ  
دَبْهُوعٌ وَرَفُوعٌ \* دَابٌّ عَضَالٌ وَعَعَامٌ \* دَاهِيَةٌ عَنَقِيرٌ  
وَدَرْدَيْسٌ \* سَيْرٌ زُعَاقٌ وَخَمْحَامٌ \* رِيحٌ عَاصِفٌ \* مَطَرٌ  
وَأَيْلٌ \* سَبِيلٌ زَائِبٌ (٢) \* بَرْدٌ قَارِسٌ \* حَرٌّ لَافِحٌ \* شَيْبَةٌ  
كَلْبٌ \* ضَرْبٌ طَلْحِي \* حَجَرٌ صَيِّحُودٌ \* قَتَّةٌ صَاهٌ \* مَوْتُ صِهَابِي  
(كُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ شَدِيدًا)

١ كلالا الوجوهين اصل في اللثة ٢ وفي نسخة زائغ ومعرظ

وَصَلَّ عَلَى حِينِ<sup>(١)</sup> الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا  
ويقال : إنه أراد والله فاعبدن ، فقلب النون الخفيفة ألفا . وكذلك فى قوله عز وجل  
﴿ الْقِيَامَ فِي جَهَنَّمَ ﴾ .

## ١٩ - فصل فى الفعل يأتى بلفظ الماضى وهو مستقبل

### وبلفظ المستقبل وهو ماضى

قال الله عز ذكره ﴿ آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ : أى يأتى . وقال جل ذكره : ﴿ فَلَا صَدْقَ وَلَا  
صَلَىٰ ﴾ : أى لم يصدق ولم يصل . وقال عز من قائل فى ذكر الماضى بلفظ المستقبل ؛  
﴿ قَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ أى لَمْ قَتَلْتُمْ ؟ وقال تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا  
الشَّيَاطِينُ ﴾ : أى ما تَلَّتْ . وقد تأتى كان بلفظ الماضى ومعنى المستقبل ، كما قال  
الشاعر .

فَأَذْرَكْتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فى القصائد مَصْنَعًا  
أى لمن يكون بعدى . وفى القرآن : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ أى كان ويكون  
وهو كائن الآن ، جل ثناؤه .

## ٢٠ - فصل فى المفعول يأتى بلفظ الفاعل

تقول العرب : سر كاتم : أى مكتوم ؛ ومكان عامر : أى معمور . وفى القرآن  
﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ : أى لا معصوم . وقال تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَاقِقٍ ﴾  
أى مدفوق . وقال : ﴿ عَيْشَةَ رَاضِيَةً ﴾ : أى مرضية . وقال الله سبحانه : ﴿ حَرَمًا آمِنًا ﴾  
أى مأموناً . وقال جرير :

إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ تَمَلَّ كَلَامَهُ فَانْقَعُ فُوَادِكُ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ<sup>(٢)</sup>  
أى من حديث المؤمن .

(١) كذا فى ديوان الأعشى الأكبر ، طبعة القاهرة (ص ١٣٧) - طبعة مكتبة الآداب . بشرح وتحقيق  
الدكتور محمد حسين . وفى الأصل : (خير) . وهو تصحيف .

(٢) الشطر الأول من هذا البيت :  
\* إِنَّ الْبَغِيضَ لَمَنْ يُعَلِّ حَدِيثُهُ \*

## ٢١- فصل في الضاعل يأتي بلفظ المفعول

كما قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ أى آتياً ؛ وكما قال جلّ جلاله : ﴿ حَجَابًا ستوراً ﴾ : أى ساتراً .

## ٢٢- فصل في إجراء الاثنين مجزئ الجمع

قال الشَّعْبِيُّ ، فى كلام له فى مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءوني ؛ فقال الملك . لَحَنْتَ يا شعبيّ ، قال : يا أمير المؤمنين ، لم ألحن ، مع قول الله عز وجل : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فى رَبِّهِمْ ﴾ . فقال عبد الملك : لله درك يا فقيه العراقين ، قد : شَفَيْتَ وكفيت !

## ٢٣- فصل فى إقامة الاسم والمصدر مقام الضاعل والمفعول

تقول العرب : رجل عدلٌ : أى عادل ، ورضاً : أى مرضى ، وبنو فلان لنا سلمٌ : سالمون ، وحرَبٌ : أى محاربون . وفى القرآن : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللّهِ ﴾ : ولكن البرُّ من آمن بالله ، فأضمر ذكر البر ، وحذفه .

## ٢٤- فصل فى تذكير المؤنث وتأنيث المذكر فى الجمع

هو من سنن العرب . قال الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فى المَدِينَةِ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ قَالَتِ الأعرابُ أُمَّتًا ﴾ .

## ٢٥- فصل فى حمل اللفظ على المعنى فى تذكير المؤنث وتأنيث المذكر

من سنن العرب ترك حُكْم ظاهر اللفظ ، وحمله على معناه ، كما يقولون : ثلاثة أنفُس ، والنفس مؤنثه ، وإنما حَمَلُوهُ على معنى الإنسان ، أو معنى الشخص . قال الشاعر :

ما عندنا إلا ثلاثة أنفُسِ      مثل النجوم تلالأت فى الحنْدِسِ (١)  
وقال عمر بن عبد الله أبى ربيعة :  
فكان مجئى دون ما كنتُ أنقى      ثلاثُ شُخُوصٍ : كاعبانٍ ومُعْصِرِ

(١) الحنْدِس (بالكسر) : الليل المظلم ، والظلمة .

فحمل ذلك على أنهن نساء . وقال الأعشى :  
لَقَوْمٍ وَكَانُوا هُمُ الْمُتَقَدِّينَ شَرَابَهُمْ قَبْلَ تَتَفَادَهَا (١)  
فَأَنْتَ الشَّرَابُ لِمَا كَانَ الْخَمْرَ الْمَعْنَى ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ ، كَمَا ذَكَرَ الْكُفَّ ، وَهِيَ مُؤَنَّثَةٌ فِي  
قَوْلِهِ .

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِيهِ كَفَا مُخَضَّبًا (٢)  
فحمل الكلام على العضو ، وهو مذكر . وكما قال الآخر :

يَأْيُهَا الرَّكَبُ الْمُرْجِي مَطِيئَةً سَائِلِ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ (٣)  
أى ما هذه الجلبة . وقال الآخر :

مَنْ النَّاسِ إِنْسَانَانِ دِينِي عَلَيْهِمَا مَلِيحَانِ لَوْ شَاءَ لَقَدْ قَضَيْتَانِي  
خَلِيلِي أَمَّا أُمَّ عَمْرٍو فَوَاحِدٌ وَأَمَّا عَنِ الْآخَرِي فَلَا تَسْلَانِي

(١) في ديوان الأعشى الكبير بشرح الدكتور محمد حسين : (إنقادها) . وهي أحسن .  
(٢) البيت للأعشى ، كما في (اللسان ، كفف) قال وأنشد البيت : إن أراد الساعة ، فذكر إنما أراد  
العضو .

(٣) البيت منسوب في (اللسان : صوت) إلى رويشد بن كثير الطائي . ثم قال : فإنما أنثه لأنه أراد  
الضوضاء والجلبية ، على معنى الصيحة أو الاستغاثة ، قال ابن سيده : وهذا قبيح من  
الضرورة ، أعني ، المذكر ، لأنه خروج من أصل إلى فرع ، وإنما المستجاز من ذلك ، رد التانيث  
إلى التذكير ، لأن التأكيد الأصل ، بدلالة أن (الشيء) مذكر ، وهو يقع على المذكر والمؤنث ،  
فعلم بهذا عموم التذكير ، الأصل الذي لا ينكر . ونظير هذا في الشذوذ قوله ، وهو من أبيات  
الكتاب :

إذا بعض السنين تفرقتنا كفى الأيتام فقد أبى الرميم  
قال : وهذا أسهل من تانيث الصوت ، لأن بعض السنين ستة وهي مؤنثة ، وهي من اظنت  
(الصوت) بعض الاستغاثة ، ولا من لفظها .

## المزهر في علوم اللغة للسيوطي (ت ٩١١ هـ)

اختلف الدارسون حول ذلك التنوع الفريد وتلك الوفرة الغريبة لشخصية علمية متميزة ، اتفق على أنها بلا ريب من أعلام القرنين التاسع والعاشر ، فقد نبه العلماء - قداماء ومحدثون - إلى كثرة مؤلفاته ، إذ ذكر الداودي أنها فاقت خمسمائة مؤلف ، وقال ابن العماد : إنه كان آية كبرى في سرعة التأليف ، أما ابن إياس وهو تلميذ السيوطي فقد ذكر أنها بلغت الستمائة - أما كارل بروكلمان فيقول : له أربعمائة وخمسة عشر كتاب بينما أحصى له فلو جل خمسمائة وستين كتاباً وأحصى له مؤلف كتاب مكتبة الجلال السيوطي ٧٢٥ مؤلفاً ، أما السيوطي نفسه فقد ذكر في حسن المحاضرة أن مؤلفاته بلغت ثلاثمائة كتاب سوى ما رجع عنه وأحصى له د . عبد العال سالم مكرم ٧٢٥ مؤلفاً .

وهكذا إذا نظرنا في قوائم علماء التراجم والطبقات الذين سردوا مؤلفاته فإننا نلاحظ أنه ألف في علوم عدة؛ ألف في علوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ والطبقات والتراجم والرحلات واللغة والنحو والبلاغة والأدب والطب وغيرها .

ولا شك أنه لم تكن له معرفة شاملة بكل تلك العلوم ، وإنما كان مجيداً في بعضها وغير مجيد في بعضها الآخر ، كما اعترف هو بنفسه بذلك في ترجمته لنفسه في «حسن المحاضرة» افتداء بالمحدثين قبله ، إذ يقول : رزقت التبخر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، على طريقة العرب البلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة . أما العلوم الأخرى السائدة في عصره مثل أصول الفقه والجدل والتصريف والإنشاء والتراسل والفرائض والقراءات والطب وعلم الحساب فإن معرفته بها ليست متساوية ، فهي درجات في التحصيل والاستيعاب .

وعلى ذلك يصعب أن نقبل مبالغات بعض الباحثين التي جعلته مبدعاً نابغاً مجيداً في كافة ما ألف ، كقول د . عبد العال سالم مكرم : لم يترك شيئاً إلا وكتب فيه ، ولم

يطرق باباً من أبواب المعرفة إلا وفتح هذا الباب على مصرعيه ، كتب فى كل فن وأبدع فى كل علم . وفى موضع آخر من كتابه عن السيوطى ( جلال الدين السيوطى وأثره فى الدراسات اللغوية ) يقول : أدلى بدلوه فى كل علم ، وغاص بفكره فى عمق كل فن ، ونبغ نبوغاً منقطع النظير فى كل ما كتب أو ما ألف ( ص ١٣٤ ) .

وعلى الرغم من أن تلك الكثرة أثارت لدى الباحثين - قدامى ومحدثين - عدداً من التساؤلات والشكوك يصعب أن تزيلها تلك الأدلة التى أوردها د . عبد العال سالم مكرم لدفع تهمة أو ادعاء يتصل بتلك الكثرة اتصالاً وثيقاً ، وسنحاول أن نلخص ذلك الجهد المشكور فيما يلى بعد .

لا شك أن تلك المؤلفات التى وصلت إلينا لها أهمية كبيرة ، تتضح من حديث د . مصطفى الشكعة عن دور السيوطى ( كتابه جلال الدين السيوطى ، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ) ، إذ يقول ( ص ١٤٩ ) : وذلك أنه استطاع الاطلاع على كتب سابقيه فاستوعبها وهضمها ، ورسم لنفسه خطة فى التأليف والتصنيف تشق مع دراساته المستفيضة ، وتنسجم مع فهمه وهضمه لما قد قرأ واستوعب هذا من ناحية . وأما من الناحية الأخرى فقد احتفظ لنا بالكثير من النماذج التى أخذها من الكتب التى قرأها ، وكثير من هذا ، الكتب قد ضيعته يد الإهمال أو أتت عليه غوائل الزمان ، فكان للسيوطى فضل المحافظة على تلك النماذج التى أطلعتنا على نهج تفكير عدد من اللغويين وسبل تأليف كثير من النحويين .

وفى الواقع فإن كثيراً من النصوص أو المادة التى نقلها من كتب ضاعت قيمة كبيرة لدى الباحثين إذ يصعب عليهم أن يعثروا على الأفكار أو الآراء التى تعكسها هذه النصوص فى مواضع غير ذلك المواضع التى وردت فى مؤلفات السيوطى .

ويرجع ذلك بلا شك إلى النهج الذى اتبعه السيوطى فى التأليف ، إذ كان يحرص كل الحرص على ذكر كل المصادر التى يستقى منها مادة كتبه ، بل احتفظت كتبه بنصوص طويلة من مؤلفات للأسف ، لم يعد لها وجود . وكان من الممكن ألا نتعرف على هذه النصوص أو أن تختلط بكلام السيوطى نفسه إذا لم يكن أميناً فى النقل وعزوا النصوص إلى أصحابها .

وفى الحقيقة كان الضرورى أن نعرض ابتداءً لتكوينه الثقافى وخصوماته التى أثرت تأثيراً كبيراً فى مسار حياته العلمية قبل ذلك المدخل عن كثرة تأليفه ، ولكنها مسألة

مثيرة للانتباه إذ كيف يستطيع عالم - مهما رزقه الله من عمر مديد - أن يؤلف الكم  
الضخم من الرسائل والكتب في تلك الفروع العلمية المختلفة كما فعل السيوطي .  
وعلى أية حال فقد تلقى عبد الرحمن بن الكمال بن أبي بكر السيوطي العلم على يد  
والده أولاً ، ثم عنى بإيصاله إلى مجالس العلماء ، وحفظ القرآن والعمدة ومنهاج  
الفقه والأصول والفية ابن مالك ثم أخذ عن شيوخ عصره وأهمهم : شهاب الدين  
الشارح مساحي ، وعلم الدين البلقيني وشرف الدين المناوي وأبو عبد الله الشُّمْنِي ،  
والكافيجي ( الذي لزمه أربع عشرة سنة ) ، أخذ عنهم الفقه والفرائض والنحو  
والأصول والتفسير والعربية والمعاني وغير ذلك من المعارف والعلوم والفنون المختلفة  
التي كونت نسيج شخصية .

كان السيوطي أنفياً عزيز النفس ، متبعداً عن ذوى السلطان وأتباعهم ، لا يقبل  
عطية ، ولا يمالي ولا يداهن ، غير أنه كان حاداً عتيفاً إلى درجة كبيرة مع بعض العلماء  
الذين حاولوا إيذاؤه وهاجموا مؤلفاته واتهموه بالسطو على مؤلفات السابقين ونسبتها  
لنفسه ، وقد عد السيوطي ذلك الإيذاء من الجاهلين والقاصرين ، أسقاط الخلق  
وأرذالهم ابتلاءً أو كما يقول سنة الله في العلماء السالفين .

كانت خصوماته الأساسية مع الشيخ برهان الدين إبراهيم المعروف بالناجي والشيخ  
إبراهيم بن عبد الرحمن المعروف بابن الكركي والشيخ أحمد بن محمد القسطلاني  
والشيخ محمد بن عبد الرحمن السخاوي - بيد أن خصومته مع الأخير كانت شديدة ،  
إذ اتهم ذلك الأخير السيوطي باتهامات كثيرة تفتقر إلى الموضوعية والجدوى ، ومن ثم  
لا جدوى من ذكرها هنا مفصلة ، إذ يمكن أن ندرجها - بوجه عام - ضمن ما يسمى  
خصومة الأقران .

على أية حال ، حاول السخاوي أن يجرد السيوطي من كل فضيلة واتهمه بالخيانة  
العلمية والسرقة والسطو على مؤلفات علماء سالفين ونسبتها لنفسه . يقول السخاوي  
في « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » ٦٦ / ٣ : « أخذ من كتب المحمودية وغيرها  
كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد للكثير من العصريين بها من فنون ، فغير فيها  
يسيراً ، وقدم وأخر ، ونسب لنفسه ، وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما  
لا يوفى ببعضه » . وربما سوغت كثرة تأليف السيوطي للسخاوي أن يلصق به هذه  
التهمة ؛ فهي أمر - كما ذكرنا من قبل - يدعو إلى الدهشة والتعجب ، فلم يكن

السخاوى أو غيره من هاجم السيوطى قادراً على تقبل أو استيعاب أن يكون فرد وحده دون أية معاونة قادراً على إنتاج هذا الكم الضخم من المؤلفات .

وقد اتهمه أيضاً بالتحريف والتصحيف فقال فى كتابه السابق أيضاً ٦٩/٣ : « كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التحريف والتصحيف وما ينشأ من عدم فهم المراد ، لكونه لم يزاحم الفضلاء فى دروسهم ، ولا جلس بينهم فى مسائهم وتعريستهم ، بل استبد بأخذه من بطون الدفاتر والكتب » .

وقد دافع السيوطى عن نفسه دفاعاً عنيفاً مبالغاً فيه أحياناً ، متحاملاً على خصومه أشد التحامل وبخاصة السخاوى . وفى الواقع لا يتسع المقام لا يراد لغة الدفاع العنيفة التى استخدمها السيوطى ، ونؤثر أن نورد التنفيذ الذى دفع به الشوكانى التهمتين السابقتين بوجه خاص ، يقول الشوكانى ( فى البدر الطالع / ١ ، ١٦٠ ، ١٦١ ) مفنداً التهمة الأولى وهو تهمة الأخذ والمسح : « ليس بعيب ، فإن هذا ما زال دأب المصنفين ؛ يأتى الآخر ، فيأخذ من كتب من قبله ، فيختصر أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التى هى الباعثة على التصنيف ، ومن ذاك الذى يعتمد على فن قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ كلامه » .

ثم يقول مفنداً التهمة الثانية وهى كثرة التصحيف والتحريف فى مؤلفات السيوطى : دعوى عاطلة عن البرهان ، فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة أحسن تحرير ، ومتقنة أبلغ الاتقان .

وهكذا فقد قيص الله من يدافع عن السيوطى وأن ينصفه ، بل إن الشوكانى قد كشف عن علة ذلك الموقف من السخاوى بقوله : بأن من طبيعته أنه كثير التحامل . وربما تلقى سيرة حياته الضوء على مسألة كثرة مؤلفاته ، إذ إنه قد بدأ التأليف منذ سن صغيرة ، واستمر دون انقطاع ينظر فى مؤلفات السابقين فى متون مختلفة يلخص ويختصر وييسط ويجمع ويعلق ، بل إنه انقطع عن الناس فى أخريات حياته وأعرض عن الدنيا وأهلها وتجرد للعبادة والتأليف .

وكما أشرنا من قبل اجتهد د . عبد العالم سالم مكرم حين عرض لهذه المسألة فى تقديم عدد من الأدلة التى تضعف من ادعاء خصوم السيوطى وتكشف عن بطلان اتهامهم ، يقول فى كتابه السابق ذكره ( ص ٢٨٧ ) : يعتقد كثير من الباحثين أن السيوطى لم يجمع نصوص هذه المؤلفات بقلمه ، وإنما جمعها طلابه وتلاميذه من

المؤلفات التي ورثها عصر السيوطي من العصور التي سبقتة ، وهذه المؤلفات تناولت العلوم الإسلامية السائدة في هذه العصور ، وعمل تلاميذه - كما يدعى بعض الباحثين - هو التنقيب عن النصوص المختلفة ، وجمعها ثم تقديمها للسيوطي ليرتبها حسب قدرته الاستيعابية لعلوم عصره ، أي أن السيوطي قد قدمت له المادة : فتولاها بالتنقيح والتهديب والتصنيف والتبويب مما ساعده على أن يقوم بتأليف هذه الكتب التي كثر عددها إلى حد الثمانمائة مؤلف تقريباً .

وفي الواقع ربما تدل شواهد قديمة وحديثة على إمكان قبول هذا الفرض - دون انفعال - غير أنه تعوزه أدلة يؤكدها معاصرو السيوطي بأن تلاميذه كانوا يقومون بذلك أو أن بعض تلاميذه يقرر أن السيوطي كان يكلفه بذلك ، وأنه كان عليه أن يفعل ما يؤمر به لعله ما من العلل ، ولكن ما يبطل هذا الفرض بشكل أساسي أنه لم يرد في المصادر والمراجع ما يؤيد ذلك الفرض صراحة أو ضمناً .

على أية حال نفسح المجال هنا لذكر الأدلة التي ذكرها د . مكرم ( من ص ٢٨٨ : ٣٠٣ ) لإثبات بطلان هذه التهمة ، ولا يتسع المقام لعرضها مفصلة ، وإنما نكتفي هنا بتلخيص أكثرها أهمية ، فيذكر ابتداءً أنه برغم ما كان بين السخاوي وغيره وبين السيوطي من خصومة فلم يشر أحد منهم مطلقاً إلى هذا الادعاء ، ويتساءل - دافعاً للتهمة السخاوي الذي عرضنا لها من قبل من أنه السيوطي اختلس من مصنفات مشايخه - لم يبين لنا السخاوي الكيفية التي مسخ بها السيوطي كتب شيوخه أو على أي نحو كان اختلاسه من مؤلفات شيوخه ومصنفاتهم ، ثم كيف يرضى شيوخه الأحياء أن تمسخ كتبهم دون أي رد منهم على فعل السيوطي !؟

ويستند إلى المدة الزمنية التي استغرقها السيوطي في التأليف ، وهو أمر أشرنا إليه آنفاً أيضاً إذ انقطع للعبادة والتأليف زمناً طويلاً ( ما يزيد على ٢٢ سنة ) . وينبه كذلك إلى ضرورة النظر إلى طبيعة هذه المؤلفات ، فبعضها لا يتجاوز ورقات أو في حجم كراسة من الكراسات فمثلاً كتاب « الخاوي للفتاوى » قد ضم حوالي « ٧٨ » كتاباً بما ألق منجماً في مراحل متتابعة من سني عمره في علوم الفقه والتفسير والنحو والإعراب وسائر الفنون .

ويضيف عاملاً مهماً يعين على سرعة الإنجاز ، وبخاصة إذا كان المرء مؤهلاً لعمل دؤوب - أعنى تيسر حصوله على المراجع والمصادر ، فكما أشرنا من قبل ، أنه اعتمد

على ذخائر المكتبة المحمودية اعتماداً كبيراً ، فقد سُمح له أن يستعير بنفسه أو يستعير له أحد تلاميذه إن كان منشغلاً أو غير قادر على الحضور إلى المكتبة ، كل ما يريد منها دون قيد على كم المستعار أو كلفيته أو مدة الإعارة . وكما سنفصل فيما بعد حين نتناول كتاب المزهري - يتضح لمن ينعم النظر في مؤلفات السيوطي ، برغم ما عرف عنه من أمانة ودقة في النقل ، حيث لا نجد نصاً نقله غفلاً من الكتاب الذي نقل عنه ، والإشارة عند الانتهاء من النقل بكلمة « انتهى » - حقاً لقد أسرف في النقل ، إذ تضم بعض كتبه أجزاءً كاملة من كتب السابقين أو عدة فصول أو نصوصاً مطولة ، ولكنها مرتبة ، تنسجم من التخطيط الذي يضعه لكل مؤلف من مؤلفاته .

وثمة أمور أخرى تستوجب الوقوف عندها لإلقاء الضوء عليها وبخاصة أنها ما تزال مسائل خلافية شائكة ، ولكن نؤثر أن لا نخوض فيها حتى لا تستغرقنا وتحول بيننا وبين معالجة الكتاب اللغوي الرئيسي الذي نهدف إلى معالجته في هذا المقام أعني كتابه « المزهري في علوم اللغة وأنواعها » الذي يعد من أهم كتب السيوطي في اللغة وأشهرها إلى جانب كتاب الأشباه والنظائر وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع والاقتراح في أصول النحو . وقد طبع عدة طبعات آخرها طبعة مصححة مشروحة بعناية محمد أحمد جاد المولى وآخرين . وقد أشاروا في مقدمتهم للكتاب ( ب ، ج ) إلى صعوبات تحقيقه ، وأبرزها أنه وعى كثيراً مما حوته كتب اللغة ، ولكن المؤلف كان أحياناً يبتسر العبارة أو يختصر المطول ، فيستبهم الغرض ويدق المعنى المراد . وكان عليهم لتصحيحه وشرح كثير من ألفاظه التي في حاجة إلى إيضاح لغرابتها وندرته الرجوع إلى ما أمكنهم العثور عليه من مراجعه الأصلية أولاً ثم إلى المعجمات اللغوية ثانياً .

وإذا كان د . مكرم ( ص ٣١٥ ، ٣١٦ ) محقاً إلى حد ما في بعض نقده لتحقيقهم إذ لم يحددوا كيف صححوا النصوص التي نقلها السيوطي من مراجع صارت مفقودة في الوقت الحاضر كما أن مراجعة المخطوطة غير مذكورة في هولميش الكتاب . ومن ثم انتهى إلى أن الكتاب يفتقر إلى تحقيق علمي ، تستكمل فيه بقية النسخ المخطوطة للكتاب ومقابلتها لمعرفة ما زاد وما نقص ، وتوثيق ما ضبط وما نقل ، كما أن شواهد الكتاب تفتقر إلى تخريج علمي . وبرغم ذلك فإن للحققين قد بذلوا جهداً طيباً في إخراج الكتاب والتغلب على كثير من المشكلات التي واجهتهم في تواضع ، إذ قالوا في المقدمة ( ب ) : لذلك بذلنا في ضبطه ما استطعنا من الجهد حتى تسهل قراءته

ويتيسر فهمه . . أما ما ليم تهتد إلى ضبطه من الألفاظ ، وما لم نستطع تحريره من العبارات - وهو قليل - فقد أشرنا إليه في ذيل الصفحات . . . فإذا الكتاب في حاجة إلى نشرة علمية أكثر ضبطاً وتصحيحاً - وهو أمر حتمي لا يجادل د . مكرم فيه - ومع ذلك فإننا في الوقت نفسه لا يمكن أن نغبط حق الأوائل وننكر جهدهم .

أما مادة كتاب الزهر فهي ثرية متشعبة تتطلب خطة محكمة حتى لا يختلط بعضها ببعض ، وقد اختار السيوطي في تبويبه نهج التبويب في علوم الحديث - أو كما يقول : حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وجعله في خمسين نوعاً : ثمانية في اللغة من حيث الإسناد وثلاثة عشر من حيث الألفاظ وثلاثة عشر من حيث المعنى ، وخمسة من حيث لطائفها وملحها ، وواحد راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها ، وثمانية راجعة إلى حال اللغة ورواتها ونوع المعرفة والشعر والشعراء والأخير لمعرفة أغلاط العرب .

وليس بغريب أن يتساءل المرء عن مدى إسهام السيوطي في مادة الكتاب أو بعبارة أخرى ما قدر إضافة السيوطي إلى النقول الكثيرة التي جعلت الكتاب بهذه الضخامة ؟ ذهب بعض الباحثين إلى أن كتاب « الزهر » لا يعدو أن يكون مجموعة من النقول اللغوية . ولا يبعد هذا عن عبارة ناشري الكتاب حين قالوا ( المقدمة ص ٥ ) ليس السيوطي فيه إلا الجمع والترتيب ، عدا بدوات قليلة ، نجدها مبثثة في ثنايا الكتاب ، فقرات قد يقدم بها بين يدي الباب أو يختتمه .

لا شك أن السيوطي قد نقل أغلب مادة الكتب من مصادر كثيرة ( بلغت مائتي مصدر ) من كتب اللغة التي كانت متاحة في أيامه ثم فقدت بعد ذلك فلم تصل إلينا ؛ وهو شق جوهري في محاولتنا الإجابة عن السؤال السابق ، فلا يمكن أن نغفل أنه لم يكن للسيوطي إضافة ملموس في النقل في حد ذاته . وعلى ذلك يمكن موافقة من أكد على هذا الأمر . أم الشق الثاني وهو الذي يبرز من خلاله دور السيوطي الفعلي ، فهو اختيار نصوص الكتاب وتنسيقها وتنظيمها وترتيبها ، على نحو ييسر للقارئ الاستفادة منها ، فالكتاب - كما يقول د . مكرم ( ص ٣١٨ ) - يحتوي على خمسين موضوعاً في اللغة ، وأنها لو تركت وشأنها من غير تحديد لضاعت المعالم بين موضوع وموضوع وذابت الفوارق بين نص ونص . وينتهي إلى أن السيوطي رجل منهجي في التأليف لا يترك المسائل تشابك والموضوعات يختلط بعضها ببعض مما يؤدي إلى الاضطراب في

الفهم والعجز في معرفة فحوى النصوص ( انظر الموضوعات التي احتواها المزهز ) .

وهكذا فالدكتور مكرم - متسقاً مع موقفه المدافع عن السيوطي - لا يرى في النقل تهمة بل قيمة في ذاته ، ولذا نجده يرفض تهمة « التلخيص والتهديب والتبويب والتقسيم » التي وجهت إلى السيوطي ، رفضاً تاماً ، ويقول ( ص ٢٢٣ ) : « لا أعترف بهذا الاتهام ، لأن التلخيص فن وقدرة واستيعاب وراء فكرة معنية تندرج تحتها هذه التلخيصات التي تمثلها النصوص التي يوردها للفكرة التي يعرضها » . على أية حال إذا قبلنا هذا الدفاع فإنه من حقنا أن نتردد في قبول وصفه لتنهج السيوطي بأنه تجديد ، ومن حقنا أن نتساءل : هل يعد ما فعله السيوطي تجديداً - كما ذهب إلى ذلك د . مكرم في نقده المجانب للصبواب لناشري الكتاب ، ولا أدري ما مفهوم التجديد لديه أو ما معاييرها ، كيف نفتنح بأن تنسيق النصوص واختيارها والترتيب بينها ووضع كل نوع مع أخيه وكل قسم مع نظيره وراء فكرة جمعت المتشابه ووصلت بين المتفرق يعد تجديداً ؟ لقد كان ناشرو الكتاب أبعد نظراً وأصدق رأياً حين وصفوا ذلك العمل دون جحود أو نكران لفضل المؤلف بقولهم : فلقد وعى كتابه كثيراً مما حوته كتب اللغة ، وبذل مجهوداً مشكوراً في ترتيب ما نقله ووضعها في محله ، وذلك لا شك يدل على إطلاع واسع وإحاطة شاملة .

وقد أفاد د . الشكعة من هذه العبارة فأعاد صياغتها في رده على من رأى أنه ليس للسيوطي في المزهز إلا النقل ، إذ يقول في كتابه السابق ذكره ( ص ٢٠٨ ) : لم يكن السيوطي ينقل النصوص نقلاً عشوائياً ، وإنما كان يضعها في مكانها الأمثل على صفحات المزهز في نطاق منهج دقيق ، رسمه لكتابه ، وترتيب متسق سار على دربه . . . ثم يكشف عن قيمة أو نفاسة ما نقل السيوطي ، وهو ما أشرنا إليه مراراً فيما سبق ، فيقول : « وليس ثمة شك في أن النقول التي ضمنها السيوطي كتابه من النفاسة بمكان ، لأن نماذج كثيرة منها قد استمدت من كتب قيمة ، ضاعت جميعها ، ولولا اهتمام السيوطي بالنقل منها لما عرفنا عنها كثيراً أو قليلاً . ومن ثم كان النقل الذي اهتم به السيوطي يعتبر من أخطر ما حفل به كتاب المزهز من مواد » .

ولا يختلف الأمر لدى د . رمضان عبد التواب فبعد أن عرض لمصادر الكتاب عرضاً دقيقاً مفصلاً ، تساءل أيضاً فماذا للسيوطي في كتابه « المزهز » ، وذهب ص ٢١٤ إلى : « أن له أولاً فضل جمع الجزئيات الصغيرة من هنا وهناك في الموضوع الذي

يكتبه ، وهو يعزو كل قول إلى صاحبه في أمانة علمية فائقة ، ولكنه لا يدري السر الذي جعله يجهل مصدره في مواضع قليلة جداً .

ويضيف كذلك : لم يخل « الزهر » بالإضافة إلى هذا الجمع الدءوب والترتيب المعجب الرائق من خطرات هنا وهناك للمؤلف تعزى إليه وحده ، وهى فى بعض الأحيان رأى له ، واجتهاد وصل إليه بثاقب فكره وطول خبرته باللغة ( ص ٢١٥ ) .

فهو يتدخل أحياناً بجمل اعتراضية ، تفسر مبهماً أو تشرح غامضاً أو تضيف جديداً ولم تخل بعض تعليقاته من الوهم ، وهى قليلة ، كما لا تخلو تعليقاته من الرد على ما لم يعجبه من آراء العلماء وتفنيدها بالحجج والبراهين ( ص ٢١٦ ) .

ويضيف د . رمضان محدداً صور إضافة السيوطى فى الزهر ، فيقول :

« وتبدو سعة علم السيوطى ، حين يهمل مصدره تفسير شىء ما فيعثر عليه السيوطى مفسراً فى كتاب آخر فيذكره » ( ص ٢١٧ ) ، « ويبدو فى بعض تعليقات السيوطى استدراكه المكمل لبعض المؤلفات السابقة » ( ص ٢١٩ ) وبعض تعليقاته نادرة ، « وهو كثير التخريج لنصوص مصادره ، من أجل توثيقها ، وهو فى تعليقاته حريص كل الحرص على توثيق نقوله بذكر خطوط العلماء الذين نقل عنهم » ( ص ٢١٨ ) .

ويضيف د . الشكعة إلى قيمة المادة قيمة المنهج الذى اتبعه السيوطى فى تأليف الزهر ، وهو ما سنفصل الحديث فيه بعد قليل ، فيقول : هذا ولا يفوتنا أمر المنهج الحديثى الذى التزمه السيوطى فى تأليف الزهر قد أضفى عليه دقة شاملة ، وأبسه ثوباً أنيقاً من الصدق فى الرواية والأمانة فى النقل ( ص ٢٠٢ ) .

وثمة أمر ظاهر للعيان لمن ينعم النظر فى فصول الزهر وأنواعه ، وهو أنها تختلف قصراً وطولاً اختلافاً يلفت النظر ، فبعضها بضع صفحات ، وبعضها متوسط الطول وبعضها غاية فى الإطالة « النوع الأربعون تناهز صفحاته ثلاثمائة صفحة » ، وربما يرجع السبب فى ذلك فى بعضها إلى أن المادة اللغوية التى كانت متاحة له ، فهى التى كانت تتحكم فى كم هذه الفصول .

وثمة أمر آخر ، وهو أن الأنواع من الرابع والأربعين إلى الخمسين لا تدخل فى ميدان الدراسات اللغوية دخولاً مباشراً ، فالعناوين تبرز أنها تتصل بأشخاص وليس باللغة ، ولكن على الرغم من أن موضوعات هذه الأنواع تتناول الأشخاص دون

الموضوعات اللغوية ، فإنها على كل حال موصولة الأسباب بعلم اللغة بشكل أو بآخر ، لأن هؤلاء الأشخاص موضوع الحديث إنما هم أشخاص لغويون أو شعراء من أولئك الذين يحتاج اللغويون بأشعارهم ( د . الشكعة ص ١٩٦ ) .

وبعد أن عرضنا لمادة المزهر نتقل إلى إيضاح معالم منهجه ، غير أنه لم يكن هناك من طريق أفضل للوصول بين تناول المادة والمنهج مما ذكره السيوطي نفسه في مقدمة المزهر ، إذ يقول ( ص ١ ) هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويحه وتبويبه ، وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع . وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ، ويعتني ببيانها بتمهيد المسالك غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ، ولا طرق سبيله قبلي طارق ، وقد سميت به « المزهر في علوم اللغة » .

وليس ثمة دليل على ماهية المنهج الذي اتبعه السيوطي في تعامله مع اللغة من عبارة : « حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع » . وقد سبقه إلى ذلك كثير من العلماء - كما يقرر د . الشكعة - ولكنه في الحقيقة كان أشدهم استمساكاً بهذا المنهج وأكثرهم التزاماً به ، وينعكس ذلك بوضوح في اختياره الأبواب الأولى من كتاب « المزهر » مشاكلة لما يشترط في علوم الحديث ، فقد جعل النوع الأول من أنواعه الخمسين في معرفة الصحيح الثابت ، والثاني في معرفة ما روى من اللغة ولم يصح ولم يثبت ، وجعل الثالث في معرفة المتواتر والآحاد . . . الخ . وهكذا فقد أفرد أبواباً كثيرة تنتهي إلى أن تجعل اللغوي محدثاً أو أقرب للمحدث ، تماماً مثلما جعل علم اللغة والحديث نهرين يجريان من واد واحد « على حد تعبيره .

وثمة مظاهر أخرى تؤكد التزامه التزاماً كاملاً بمنهج علوم الحديث ، فهو لا يسوق خيراً إلا برواية ، ولا يأتي بنص إلا وهو موثق من حيث المصدر ، ومن حيث الراوى . ونلاحظ أنه حين يعدد مؤهلات اللغوي نجدها في جملتها مماثلة لأدب المحدث ، إذ يجب على اللغوي أن يكون حافظاً دؤوباً ، وأن يقيد ما يجمعه كتابة ، وأن يجعل الرحلة وسيلة الطلب ، وأن يحفظ أشعار العرب ، فإن فيها حكماً وأدباً ومواعظ ، ويشعر العرب يستعان على تفسير القرآن والحديث . ويجعل باللغوي أن يكون رقيقاً بمن يأخذ عنهم ، فلا يكثر عليهم ولا يطيل بحيث يضرّون . . . الخ .

ويلاحظ أنه حين يعالج أية قضية من قضاياها يبدأ بمقدمة أو تمهيد موجز لهذه

القضية، ثم يدرس بعد ذلك القضية من كافة جوانبها فيعرض الرأي فيها وأدلته معتداً بإيراد النصوص المعضدة لوجهة النظر، مطولة أو موجزة أيضاً تبعاً لما يتطلبه الأمر أو يقتضيه موقف الاستشهاد في استدعاء النصوص لتأييد فكرة وتوضيح غرض وبيان مقصود من وجهة نظره، إلا أنه يلتزم حين يعرض نصاً كاملاً أن ينسبه لصاحبه، وأن يختمه بكلمة: انتهى. ولا يختلف الأمر حين يعرض نصوصاً مختصرة أو موجزة أو ملخصة مثل قوله: «انتهى كلام ابن جنى ملخصاً».

ويستدرك عليه د. رمضان أنه قد غابت عنه - برغم هذه الإطالة الظاهرة - حين عالج بعض القضايا اللغوية لم يستخدم بعض المراجع الأساسية التي كان من الأولى اطلاعه عليها أيضاً يقول: «ومع تطويلة النقل في بعض المصادر على هذا النحو، نراه لا يستخدم في بعض الأحيان كل الكتب المتخصصة في الموضوع الذي يكتب فيه» (ص ٢٠٦).

ونتقل أخيراً إلى إلقاء الضوء على مصادر كتاب الزهر، وكما أشرنا من قبل حين عرضنا لمادة الكتاب إلى أنه يضم موضوعات كثيرة متشعبة، مما استلزم معه الرجوع إلى عدد كبير من المصادر التي تناولت تلك الموضوعات، ويؤخذ في الاعتبار هذا أيضاً خاصية شخصية السيوطي البارزة وهي شغفه بأن يستوعب في أي موضوع يعرض له كل ما ذكره السابقون عليه فيه، فلا يترك شاردة ولا واردة في الموضوع إلا نقلها نقلاً واعياً موجهاً، وقد أصاب كل من ذهب إلى أنه ينبغي أن يوضع في الاعتبار إكثاره من استحضار المصادر وبراعته في استعمالها، يقول د. رمضان: «لم يكن ينقل ما في مصادره نقلاً عشوائياً، وإنما هو نقل واع يتبع منهجاً وتخطيطاً بالغ الدقة» (ص ٢٠٤)، وكذلك د. مكرم حين قال (ص ٣٢٣): «فالسيوطي في مؤلفاته لا ينقل اعتباراً، وإنما ينقل في ضوء فكرة يحاول أن يبرزها، مستعيناً بالمصادر التي بين يديه، والنصوص التي تدعم هذه الفكرة حتى تنضج، فتزدهر ثمارها، وهكذا كان «الزهر» الذي ازدهرت ثماره، وازدهمت أفكاره وتعددت مسائله وكثرت مصادره».

ويختلف الباحثون في تحديد عدد هذه المصادر فنجد د. مكرم يذهب في كتابه السابق إلى أنها بلغت ما يقرب من (١٧١) مصدرًا، بينما يذهب د. رمضان عبد التواب في كتابه (بحوث ومقالات في اللغة ص ٢٠٣) إلى: «أنها بلغت مائتي مصدر يعود أقدمها إلى القرن الثاني الهجري، كالعين للخليل بن أحمد الفراهيدي وأحدثها إلى الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) قبل السيوطي بحوالي قرن من الزمان».

وإذا ما أنعمنا النظر في مصادر المزهرة فنلاحظ إلى جانب كثرتها ووفرتها ، فهي تضم بعض المصادر التي ضاعت ، ولم يعد لها وجود الآن ، وبعضها ما يزال مخطوطاً لم ينشر ، وبعضها عز على علماء عصره العثوري عليه ، بل إن السيوطي يشير في ثنايا كتابه إلى أن من المصادر ما رآه ثم افتقده في أثناء تأليف المزهرة ، وبعضها كان نسخاً فريدة بخطوط مؤلفيها . ويذهب د . رمضان إلى « أن نسبة النصوص المنقولة عن كتب مفقودة تبلغ في المزهرة حوالي ٤٠٪ من حجم الكتاب ومن هنا تبدو قيمة كتاب المزهرة للسيوطي الذي حفظ لنا نصوصاً كثيرة ضاعت أصولها ولم تصل إلينا ، وهو في مثل هذه النصوص يعد مصدراً أصيلاً في البحث العلمي » ( ص ٢١٣ ) .

وقد حرص الباحثون على تصنيف تلك المصادر وتقسيمها وبخاصة أن السيوطي لم يقف في مصدريه عند كتب اللغة وحدها وإنما أفاد من مؤلفات في تخصصات شتى ، وقد ذكر د . الشكعة ص ١٧٢ وما بعدها أمثلة من تلك المؤلفات ، ولا يتسع المقام لذكرها مفصلة ونكتفي هنا بتقسيم د . رمضان لها ، وهو على النحو التالي :

- ١ - كتب في فقه اللغة .
- ٢ - معاجم عربية مرتبة على الموضوعات .
- ٣ - كتب لغوية متخصصة في موضوع واحد .
- ٤ - كتب في النحو والصرف .
- ٥ - كتب في لحن العامة .
- ٦ - كتب الأمالي .
- ٧ - كتب النوادر .
- ٨ - دواوين في الأدب والمجاميع الشعرية .
- ٩ - مجاميع أمثال العرب .
- ١٠ - كتب في البلاغة والتقد القديم .
- ١١ - كتب في الأصول والفقه .
- ١٢ - كتب في التفسير .

١٣ - كتب في الحديث .

١٤ - كتب في التراجم والطبقات .

١٥ - كتب تاريخية .

ونختم هذه المعالجة بتحديد كيفية استعمال السيوطي للمصدر ، ونساءل هل كان له نهج واحد ثابت في الإفادة من المصدر ، وبعبارة أخرى هل كان ينقل منها بقدر متساو في المواضيع المختلفة من الكتاب ؟ يتفق الدارسون على أنه كان يختلف قدر النقل من المصدر تبعاً لما تقتضيه مواقف الاستشهاد ، فنجده يكثر النقل ، إلى حد الإسراف ، من كتب بعينها مثل الإبدال لابن السكيت والصاحبي لابن فارس والخصائص لابن جني وغيرها . وقد نقل فصولاً كاملة من لمع الأدلة للأنباري والغريب المصنف لأبي عبيد ، وأحياناً يلخص مما في مصدره تلخيصاً شديداً كما فعل حين لخص كتاب مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، وأحياناً ينقل نصاً أو نصين ، وأحياناً يختصر نصاً مطولاً ، وعلى ذلك يمكن أن تنتهي إلى أنه كانت تختلف معاملة السيوطي لمصادره من مؤلف إلى مؤلف ومن موقف استشهاد إلى آخر حسبما يتطلب الغرض ، ويفرض سياق الدرس ، فيلزم النقل الحرفي هنا ، والتصرف باختصار أو تقديم أو تأخير هناك . ومن ثم لم يبالغ د . الشكعة حين أجمل دور السيوطي وجهده في عبارة موجزة إذ يقول ص ٦١ من كتابه السابق : « إن السيوطي ظاهرة علمية فكرية أدبية متميزة بين أقرانه من أعلام القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، من حيث تنوع ثقافته وسخاء عطائه ووفرة كتبه ونفاضة محتواها ، مهما اختلف بعض معاصريه معه أو تجاوزوا الحدود المتعارف عليها بين العلماء فيما يتعلق بشخصه أو سلوكه العلمي » .

**وفيما يلي نموذج من كتاب ( المزهرة ) للسيوطي**

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجباري  
 من كتاب « المزهر » السيوطي  
 (أسكنم الله الفردوس)

## النوع العشرون معرفة الألفاظ الإسلامية

قال ابن فارس في فقه اللغة - باب الأسباب (٥) الإسلامية :

كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسألتهم وقرأبينهم ، فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ، ونُسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر ، بزيادات زيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعنى الآخر الأول (٦) .

فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن ، والمسلم ، والكافر ، والمنافق ، وإن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان ، وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سُمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً . وكذلك الإسلام والمسلم ، إنما عرقت منه إسلام الشيء ؛ ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء ؛ وكذلك كانت لا تعرف من الكافر إلا الغطاء والستر ؛ فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه ، وكان الأصل من نفاق (٧) اليربوع ؛ ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم : فسقت الرطبة ، إذا خرجت من قشرها ، وجاء الشرع بأن الفسق الإفحاش في الخروج عن طاعة الله تعالى .

(١) في الأصل : الشام بالشين ، والتصحيح عن اللسان .

(٢) في الأصل : يقول .

(٣) في اللسان : عروق الذهب والفضة .

(٤) زيادة من فقه اللغة .

(٥) لعلها باب الأسماء الإسلامية (من تعليق على الصاحبي) .

(٦) ترك المؤلف هناك فقرات طويلة ، فارجع إليها إن شئت صفحة ٤٤ من الصاحبي .

(٧) في اللسان : سمي المنافق منافقاً لأنه نافع كاليربوع وهو دخوله نفاقه .

ومما جاء في الشرع : الصلاة ، وأصله في لغتهم الدعاء ، وقد كانوا يعرفون الرُّكُوع  
والسجودَ ، وإن لم يكن على هذه الهيئة .

قال أبو عمرو : أسجدَ الرجل : طأطأ رأسه وانحنى . وأنشد :

\* فقلن له : أسجد لليلي فأسجدًا \*

يعنى البعير إذا (١) طأطأ رأسه لتركبة . وكذلك الصيام أصله عندهم الإمساك ، ثم  
زادت الشريعة النية ، وحظرت الأكل والمباشرة وغيرهما ، من شرائع الصوم . وكذلك  
الحج ، لم يكن فيه عندهم غير القصد ، ثم زادت الشريعة ما زادت من شرائع الحج  
وشعائره . وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء ، وزاد الشرع فيها  
ما زاده .

وعلى هذا سائر أبواب الفقه ؛ فالوجه في هذا إذا سئل الإنسان عنه أن يقول فيه  
اسمان : لغوى وشرعى ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ، ثم جاء الإسلام به ، وكذلك  
سائر العلوم كالنحو والعروض والشعر ، كل ذلك له اسمان : لغوى وصناعى . انتهى  
كلام ابن فارس .

وقال فى باب آخر : قد كانت حدثت فى صدر الإسلام أسماء ، وذلك قولهم لمن  
أدرك الإسلام من أهل الجاهلية مخضرم . فأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن محمد مولى  
بنى هاشم [ قال (٢) ] : حدثنا محمد بن عباس الحشكى (٣) عن إسماعيل بن [ أبى (٤) ]  
عبيد الله ، قال : المخضرمون من الشعراء من قال الشعر فى الجاهلية ، ثم أدرك  
الإسلام ؛ فمنهم حسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة ، ونابغة بنى جعدة ، وأبو زيد ،  
وعُمرو بن شأس ، والزبيرقان بن بدر ، وعمرو بن معدى كرب ، وكعب بن زهير ،  
ومعن بن أوس .

وتأويل المخضرم من خضرمت الشيء أى قطعتُه ، وخضرم فلان عطيته أى قطعها ،  
فسمى هؤلاء مخضرمين ، كأنهم قطعوا عن الكفر إلى الإسلام ، ويمكن (٥) أن يكونَ

( ١ ) فى اللسان : يعنى بعيرها أنه طأطأ رأسه لتركبه ، ورواية اللسان : وقلن له . .

( ٢ ) زيادة من الصحاحى .

( ٣ ) فى الأصل بالحاء والضبط عن الصحاحى .

( ٤ ) زيادة ليست فى الصحاحى .

( ٥ ) فى الصحاحى : ويمكن .

ذلك لأن رُبَّتَهُمْ فِي الشَّعْرِ نَقَصَتْ ؛ لِإِنْ حَالَ الشَّعْرُ تَطَامَنَتْ فِي الْإِسْلَامِ ، لَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكِتَابِ الْعَرَبِي الْعَزِيزِ ؛ وَهَذَا عِنْدَنَا هُوَ الْوَجْهُ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنَ الْقَطْعِ لَكَانَ كُلُّ مَنْ قُطِعَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْجَاهِلِيَةِ مُخَضَّرًا ، وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ هَذَا .

وَمِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي كَانَتْ قَزَالَتْ بِزَوَالِ مَعَانِيهَا قَوْلُهُمْ : الْمَرْبَاعُ (١) ، وَالنَّشِيطَةُ (٢) ، وَالْفُضُولُ ، وَلَمْ يَذْكَرْ (٣) الصَّفِيُّ (٤) ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ اصْطَفَى فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ ، وَخُصَّ بِذَلِكَ ، وَزَالَ اسْمُ الصَّفِيِّ لَمَّا تَوَفَى ﷺ .

وَمَا تَرَكَ أَيْضًا : الْإِنَاوَةُ ، وَالْمَكْسُ ، وَالْحُلُوانُ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : أَنْعَمَ صَبَاحًا ، وَأَنْعَمَ ظِلَامًا ، وَقَوْلُهُمْ لِلْمَلِكِ : آيْتِ اللَّعْنِ .

وَتَرَكَ أَيْضًا قَوْلَ الْمَمْلُوكِ لِلْمَالِكِ : رَبِّي ، وَقَدْ كَانُوا يَخَاطَبُونَ مَمْلُوكَهُمْ بِالْأَرْبَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَسْلَمْنَا فِيهَا رَبَّ كَنْدَةَ وَابْنَهُ      وَرَبَّ مَعَدِّ بَيْنَ خَيْبَتِ وَعَرَّعَرَ (٥)

وَتَرَكَ أَيْضًا تَسْمِيَةَ مَنْ لَمْ يَحِجْ ضَرُورَةً ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ : لَا ضَرُورَةَ (٦) فِي الْإِسْلَامِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : الَّذِي يَدْعُ النِّكَاحَ تَبْتَلًا ، أَوِ الَّذِي يَحْدُثُ حَدَثًا ، وَيَلْجَأُ إِلَى الْحَرَمِ .

وَتَرَكَ أَيْضًا قَوْلَهُمْ لِلْإِبْلِ تُسَاقُ فِي الصَّدَاقِ : التَّوَافِجُ (٦) .

(١) الرِّبَاعُ : رِبْعُ الْغَنِيمَةِ الَّذِي كَانَ يَأْخُذُهُ الرَّيْسُ فِي الْجَاهِلِيَةِ .

(٢) قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : النَّشِيطَةُ فِي الْغَنِيمَةِ : مَا أَصَابَ الرَّيْسَ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى بَيْضَةِ الْقَوْمِ .

(٣) فِي الصَّاحِبِيِّ : وَلَمْ يَذْكَرْ .

(٤) الصَّفِيُّ وَالصَّفِيَّةُ : مَا يَصْطَفِيهِ الرَّيْسُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَغْنَمِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مَعَ الرِّبْعِ الَّذِي لَهُ ، وَالْمَرْبَاعِ

رِبْعِ الْغَنِيمَةِ . وَالْفُضُولُ : بِقَايَا تَتَقَى مِنَ الْغَنِيمَةِ ، فَلَا تَسْتَقِيمُ قِسْمَتُهُ عَلَى الْجَيْشِ لِقَلَّتْهُ وَكَثُرَتْهُ

الْجَيْشِ ، وَالنَّشِيطَةُ : مَا يَغْتَنِمُهُ الْقَوْمُ فِي طَرِيقِهِمُ الَّتِي يَمْرُونَ بِهَا وَذَلِكَ غَيْرَ مَا يَقْصِدُونَ بِالْغَزْوِ ،

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : الصَّفِيُّ أَنْ يَصْطَفِيَ الرَّيْسُ لِنَفْسِهِ بَعْدَ الرِّبْعِ شَيْئًا كَالنَّاقَةِ وَالْفَرَسِ وَالسَّيْفِ

وَالجَارِيَةِ ، وَالصَّفِيُّ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَقَدْ اصْطَفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيْفَ مَنِبِهِ بِنِ

الْحِجَاجِ يَوْمَ بَلَدِ وَهُوَ ذُو الْفَقَارِ ، وَاصْطَفَى صَفِيَّةَ بِنْتَ حَبِيبِ .

(٥) الْخَيْبَةُ : الْمَتَسِعُ مِنَ بَطُونِ الْأَرْضِ ، وَالْعَرَّعَرُ : شَجَرُ السَّرْوِ .

(٦) يُوصَفُ بِهَا الذَّكَرُ وَالْمَوْثُ .

(٧) كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَةِ لِلرَّجُلِ إِذَا وُلِدَتْ لَهُ بِنْتُ : هِنِيئًا لِكَ النَّاقِجَةِ . أَيِ الْمَعْظَمَةِ

لِلْمَلِكِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَزُوجُهَا فَيَأْخُذُ مَهْرَهَا مِنَ الْإِبْلِ فَيُضَمُّهَا إِلَى إِبِلِهِ فَيَنْفِجُهَا أَيِ يَرْفَعُهَا وَيَكْثُرُهَا .

ومما كُرِه في الإسلام بين الألفاظ قول القائل : خَبِثتُ نفسي ؛ للنهي عن ذلك في الحديث ، وكُرِه أيضاً أن يقال : استأثر الله بفلان .

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم : حَجراً مَحْجوراً ، وكان هذا عندهم لمعنيين :

أحدهما - عند الحرمان ، إذا سئل الإنسانُ قال : حَجراً مَحْجوراً ، فيعلم السامعُ أنه يريد أن يحرمه ، ومنه قوله :

حنت إلى النَّخْلَةِ القُصْوَى قَلتُ لها : حجرٌ حرامٌ ألا تلك الدهاريس (١)

والوجه الآخر : الاستعادة ، كان الإنسان إذا سافر فرأى من يخافه قال : حَجراً مَحْجوراً ، أي حرام عليك التعرُّضُ لى ، وعلى هذا فسَّر قولهُ تعالى : يَوْمَ يَرَوْنَ الملائكةَ لا بُشْرَى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً . يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا . انتهى ما ذكره ابن فارس .

وقال ابن برهان في كتابه في الأصول : اختلف العلماء في الأسمى : هل نُقلت من اللغة إلى الشرع ؟ فذهبت الفقهاء والمعتزلة إلى أن من الأسمى ما نُقل كالصَّوم ، والصلاة ، والزكاة ، والحج .

وقال القاضي أبو بكر : الأسماءُ باقيةٌ على وَضْعِها اللُّغوي غير منقولة .

قال ابن برهان : والأولُ هو الصحيح ؛ وهو أن رسول الله ﷺ نُقلها من اللغة إلى الشرع ، ولا تخرجُ بهذا النقل عن أحد قسمي كلام العرب وهو المجازُ ، وكذلك كل ما استحدثه أهل العلوم والصناعات من الأسمى ؛ كأهل العرُوض ، والنحو ، والفقهِ ، وتسميتهم النقصَ والمنعَ والكسرَ والقلبَ وغير ذلك . والرفع والنصب والخفض ، والمديد والطويل .

قال : وصاحبُ الشرع إذا أتى بهذه الغرائب التي اشتملت الشريعةُ عليها من علوم حار الأوكون والآخرين في معرفتها مما لم يخطر ببال العرب ، فلا بد من أسمى تدل على تلك المعاني . انتهى .

(١) في اللسان : حجت ، وفي الأصل : الدعاير ، وهذه رواية اللسان وفي اللسان : حجر مثلك الحاء ، ولكن الكسر أفصح .

ومن صحَّح القول بالنقل الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وألكيا ؛ قال الشيخ أبو إسحاق : وهذا في غير لفظ الإيمان ؛ فإنه مَبْقَى على موضوعه في اللغة . قال : وليس من ضرورة النقل أن يكونَ في جميع الألفاظ ، وإنما يكون على حسب ما يقوم عليه الدليل .

وقال التاج السبكي : رأيت في كتاب الصلاة للإمام محمد بن نصر عن أبي عبيد : أنه استدلَّ على أن الشارعَ نَقَلَ الإيمانَ عن معناه اللُّغوي إلى الشرعي بأنه نقل الصلاة والحجَّ وغيرهما إلى معانٍ آخر . قال : فما بالُ الإيمان ؟  
قال السبكي : وهذا يدلُّ على تخصيص محلِّ الخلاف بالإيمان .

وقال الإمام فخر الدين وأتباعه : وقع النقلُ من الشارع في الأسماء دون الأفعال والحروف ؛ فلم يوجد النقلُ فيهما بطريق الأصالَةِ بالإِسْتِقْرَاء ؛ بل بطريقِ التَّبَعِيَّة ؛ فإن الصلاة تستلزمَ صَلَّى .

قال الإمامُ : ولم يوجد النقلُ في الأسماء المترادفة ، لأنها على خلاف الأصل ؛ فتقدَّر بقدر الحاجة .

وقال الصفي الهندي : بل وُجِدَ فيها في الفَرَضِ والواجبِ والتزويجِ والإنكاحِ .

وقال التاج السبكي في شرح المنهاج : الألفاظُ المُستعملة من الشارع وقع منها الاسمُ الموضوعُ بإزاء الماهيات الجعلية ؛ كالصلاة ؛ والمصدرُ في أنت طلاق ؛ واسمُ الفاعل في أنت طالق ، وأنا ضامن ؛ واسم المفعول في الطلاق والعَتقُ وَالوَكالة ؛ والصفة المشبهة في أنت حر ، والفعل الماضي في الإنشاءات ؛ وذلك في العقود كلها ، والطلاق ؛ والمضارع في لفظ أشهد في الشهادة ، وفي اللعان ؛ والأمر في الإيجاب والاستيجاب في العقود نحو بعني واشتر مني .

قال ابن دُرَيْدٍ في الجمهرة : الجوائز : العَطَايا ، الواحدة جائزة .

قال : وذكر بعض أهل اللغة : أنها كلمة إسلامية ، وأصلها أن أميراً من أمراء الجيوش واقف العدو ، وبينه وبينهم نهر ، فقال : مَنْ جازَ هذا النهرَ فله كذا وكذا ؛ فكان الرجلُ يعبرُ النهرَ فيأخذُ مالا ، فيقالُ : أخذ فلان جائزةً فسميت جوائزٌ بذلك .

وقال فيها : لم يكن المحرمُ معروفاً في الجاهلية ، وإنما كان يقال له ولِصْفَرِ

الصَّفْرَيْنِ ، وكان أول الصَّفْرَيْنِ من أشهر الحرم ؛ فكانت العربُ تارةً تحرمه ، وتارةً تُقاتل فيه ، وتحرمُ صفرَ الثاني مكانه .

قلت : وهذه فائدة لطيفة ، لم أراها إلا في الجمهرة ؛ فكانت العرب تسمى صفرَ الأولى ، وصفرَ الثاني ، وربيعَ الأول وربيعَ الثاني ، وجمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ؛ فلما جاء الإسلام ، وأبطل ما كانوا يفعلونه من النسئ (١) ، سمَّاه النبي ﷺ شهرَ الله المحرم ، كما في الحديث : أفضلُ الصيام بعدَ رمضانَ شهرُ الله المحرم ؛ وبذلك عُرِفَت النكتهُ في قوله : شهرَ الله . ولم يردْ مثلُ ذلك في بقية الأشهر ولا رمضان ، وقد كنتُ سُئِلتُ من مدة عن النكتهُ في ذلك ولم تحضرنى فيها شيء ، حتى وقفتُ على كلام ابنِ دُرَيْدٍ هذا ؛ فعرفتُ به النكتهُ في ذلك .

وفى الصحاح قال ابنُ دُرَيْدٍ : الصَّفْران : شهران في السنة ، سمي أحدهما في الإسلام المحرم .

وفى كتاب ليس لابن خالويه : إن لفظ الجاهلية اسمٌ حَدَثَ في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . والمنافق اسمٌ إسلامي لم يُعرف في الجاهلية ، وهو من دَخَلَ في الإسلام بلسانه دون قلبه ؛ سُمِّي منافقاً مأخوذاً من نفاق (٢) اليربوع .

وفى الجمل : قال ابن الأعرابي : لم يُسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق .

قال : وهذا عجيبٌ ، وهو كلامٌ عربي ، ولم يأت في شعر جاهلي ، وفى الصحاح نحوه .

وفى كتاب ليس : لم يعرف تفسير الضراح (٣) إلا من الحديث قال : هو بيت في السماء يلازم الكعبة .

وفى الصحاح : التَّقَتْ في المناسك : ما كان من نحو قص الأظفار ، والشارب ، وحلق الرأس والعانة ، ورمى الجمار ، ونحر البدن ، وأشباه ذلك .

(١) شهر كانت تؤخره العرب في الجاهلية ، فنهى الله عنه .  
(٢) النفاق : إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها .  
(٣) في الأصل بالصاد ، والتصحيح عن اللسان .

قال أبو عبيدة : ولم يجرى فيه شعرٌ يحتجُّ به .

وفيه : إذا كان الفرسُ لا يتقطعُ جَرِيهَ فهو بحر ، شبه بالبحر الذى لا يتقطع ماؤه ، وأول من تكلم بذلك رسول الله ﷺ فى وصف فرس ركبه .

وقال ابن دُرَيْد فى المجتبى : باب ما سُمِعَ من النبى ﷺ مما لم يُسْمَع من غيره قبله :

أخبرنا عبد الأول بن مرید أحد بنى أنف الناقة من بنى سعد فى إسناد قال : قال على رضى الله عنه : ما سمعتُ كلمةً عربيةً من العرب إلا وقد سمعتها من عربى قبله .

وقال ابن دُرَيْد : ومعنى حَتَفَ أنفه : أن رُوحه تخرج من أنفه ، بتتابع نفسه ، لأن الميت على فراشه من غير قتل يَنْتَفَس ، حتى يَنْقُضِ رَمَقَهُ ، فخصَّ الأنفَ بذلك ؛ لأنَّه من جهته ينقضى الرَّمَقُ .

قال ابن دُرَيْد : ومن الألفاظ التى لم تُسْمَع من عربى قبله قوله : « ولا يَنْتَطِحَ فيها عَزَّانٌ » .

وقوله : « الآن حمى الوطيس » ، وقوله : « لا يُلْدَغُ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .  
وقوله : « الحربُ خدعة »<sup>(١)</sup> . وقوله : « إياكم وخضراء الدمن » فى ألفاظ كثيرة .

وفى الصحاح قال أبو عبيد : الصيرُ ، فى الحديث<sup>(٢)</sup> أنه شقُّ الباب ، ولم يُسْمَع هذا الحرف . قال : والزَّمَّارة<sup>(٣)</sup> فى الحديث أنها الزانية . قال أبو عبيد : ولم أسمع هذا الحرفَ إلا فى الحديث ، ولا أدرى من أى شيء أخذ<sup>(٤)</sup> .

وفيه : الجُلْهُمة بالضم الذى فى حديث أبى سفيان : ما كدت تأدُن لى حتى تأدُنَ لحجارة الجُلْهُمَتين<sup>(١)</sup> . قال أبو عبيدة : أراد جانبى الوادى ، وقال : لم أسمع بالجلْهُمة إلا فى هذا الحديث ، وما جاءت إلا ولها أصل .

(١) يفتح الخاء وضمها ، والفتح أفصح ، وخدعه مثل همزة (لسان مادة خدع) .

(٢) الحديث : « من نظر فى صير باب فعينه هدر » والصير : شق الباب .

(٣) فى حديث عن أبى هريرة : أن النبى ﷺ نهى عن كسب الزمارة .

(٤) قال الجوهري : يحتمل أن يكون أراد المغنية ، يقال غناء زمير : أى حسن .

وفى تهذيب الإصلاح لِلتَّبْرِيْزِيّ : يقال اجْعَلْ هذا الشَّيْءَ باجًا (٢) واحداً مهموزة ،  
 أى طريقاً واحداً . ويقال : إن أول من تكلم به عثمان بن عفان .  
 وفى شرح الفصيح لابن خالويه : أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال :  
 أول ما سُمِعَ مصدر « فاض الميت » من شريح قال هذا أو أن فوضه .  
 وفى كتاب ليس : لم يُسْمَعْ جمعُ الدَّجَالِ من أحدٍ إلا من مالك بن أنس فقيه  
 المدينة ، فإنه قال : هؤلاء الدجاجلة (٣) .

- 
- ( ١ ) الحديث . إن النبي ﷺ أخر أبا سفيان في الإذن وأدخل غيره من الناس قبله فقال : ما كدت . . .  
 الخ .  
 ( ٢ ) تهمز ولا تهمز ، وفى المصباح قال : ومنه قول عمر رضى الله عنه : لأجعلن الناس كلهم باجاً  
 واحداً أى طريقة واحدة فى العطاء .  
 ( ٣ ) عبارته : ليس أحد فسر الدجال أحسن من تفسير أبي عمر قال : الدجال المموه يقال : دجلت  
 السيف : موته وطليته بماء الذهب ، قال : وليس أحد جمعه إلا مالك ابن أنس قال : هؤلاء  
 الدجاجلة .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٧)

## بناء المعجم على أساس صوتي

- مفهوم المعجم

- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

- جمهرة اللغة لابن دريد

- تهذيب اللغة للأزهري

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٧)

## بناء المعجم على أساس صوتي

### مفهوم المعجم

لم تمكنا المصادر من تحديد متى أطلق لفظ «معجم» على كتاب ألف بترتيب حروف المعجم ، ولا من كان أول من أطلق هذا اللفظ على كتابه ، اصطلاحاً . فربما يرجع استخدامه إلى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، إذ إنه أطلق على بعض الكتب النوعية التي تعنى بمواد مرتبة ترتيب حروف المعجم أو تراجم خاصة . ومن أوائل الكتب التي وصل خبرها إلينا ، وهي تحمل اسم «معجم» ، كتاب أبي القاسم عبد الله ابن محمد البغوي ( ٢١٤ - ٣١٧ هـ ) الذي أطلق عليه «معجم الصحابة» ، ثم توالى العلماء في تأليف معاجم لأسماء القراءة والشيوخ والشعراء وغيرهم (\*) .

بيد أن زيادة صاحب الصحيح ، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ( ١٩٤ - ٢٥٦ هـ ) ظاهرة في تأليفه كتاباً مرتبة على حروف المعجم ككتاب التاريخ الكبير الذي أشار في مقدمته إلى وضعه الأساسي على : أ ، ب ، ت ، ث ، وإثما بدىء بمحمد من بين الحروف لحال النبي ( ﷺ ) ، فإذا فرغ من المحمدين ابتدء بالألف ثم الباء . . . إلى الياء .

ويبدو أن هذا المصطلح قد ذاع بعد ذلك وانتشر ، واتسعت دلالته ، لتطلق ليس

---

(\*) انظر في أسمائها ما أورده د . حسين نصار في المعجم العربي ص ٨ ، و د . عدنان الخطيب في المعجم العربي ، ص ٣١ ، ٣٢ .

على كتب الطبقات المرتبة على حروف المعجم فحسب ، بل على الكتب التي رتبت فيها الكلمات بترتيب حروف الهجاء ، ويتضح ذلك في العمل المعجمي الذي ألفه ابن فارس ( ٣٩٥ هـ ) وأطلق عليه «معجم مقاييس اللغة» .

وأظن أنه من المفيد أن نتوقف عند معنى الإعجام لغةً لتتعرف على ذلك الخلاف الذي دار حول الدلالات التي تضمها مادة (ع ج م) . ويبدو أن الدلالة الأولى التي عرفت بين العرب كانت الإبهام والإخفاء ، وهي ضد البيان والإفصاح ، ودليل ذلك ما أوردته المعجمات العزيمية كالعين والجمهرة والتهديب وصحاح العربية واللسان والقاموس وتاج العروس وغيرها .

فالأعجم الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب ، والأعجم أيضاً الذي في لسانه عجمة ، وإن أفصح بالعجمية ، ويقال : رجل أعجم وامرأة عجماء .

وأعجم الشعر : لحن فيه ، وأتى به غير فصيح ، دال على المعنى .

وأعجم كلامه : إذا ذهب به إلى العجمة .

واستعجم القراءة : لم يقدر عليها لغلبة النعاس .

واستعجم الرجل : سكت .

واستعجمت الدار عن جواب سائلها : سكنت .

واستعجم علينا الكلام : استبهم .

وفلان يستعجم في شعره : إذا كان يحوج قارئه إلى الاستعانة بمعجم . الدلالة المسيطرة هنا إذن هي دلالة السلب . وربما كانت هذه الدلالة هي السائدة حين كانت العربية لغة منطوقة ، ولم تكن الكتابة والتدوين ، فلما بدأت جهود العلماء في العناية بالخط ووضع النقاط والشكل وأصول الكتابة ، استخدمت الدالتان ، وصار يفهم العرب من لفظة «معجم» السلب والإيجاب معاً ، وإن غلب الإيجاب بعد ذلك . فقالوا :

( وزن أفعل ) أعجم الكتاب : خلاف أعربه ، أى أوضحه .

وأعجم الكتاب : أزال استعجابه / عجمته .

( وزن فعل ) وعجم الكتاب : للسلب والإيجاب .

والإعجام والتعجيم : التنقيط ، أى وضع نقاط فوق حروف الكتاب لكى تستبين  
عجمته ، ويتضح .

ويوضح المبرد ذلك التركيب الإضافى « حروف المعجم » (بمعنى حروف الإعجام) ،  
إذ يقول : فليس المقصود حروف الكلام المعجم ولا حروف اللفظ المعجم ، وإنما المعنى  
أن الحروف هى المعجمة . . . وهذا التركيب (حروف المعجم) من باب إضافة المفعول  
إلى المصدر ، مثل سهم نضال ، أى سهم من شأنه أن يناضل به . . . وكذلك حروف  
المعجم ، أى حروف من شأنها أن تعجم .

وفى توضيح علة إطلاق « معجم » على الحروف كلها ، على الرغم من أنها جميعها  
ليست معجمه ، بل بعضها معجم ، والآخر غير معجم ، يقول ابن سيده فى المحكم  
والمحيط الأعظم (ع ج م) :

فإن قيل : إن جميع هذه الحروف ليس معجماً ، وأما المعجم بعضها ، ألا ترى أن  
الألف والذال والحاء ونحوها ليس معجماً ، فكيف استجازوا تسمية جميع هذه  
الحروف حروف المعجم ؟

قيل له : إنما سميت بذلك ، لأن الشكل والحد إذا اختلفت أصواته ، فأعجمت  
بعضها ، وتركت بعضها ، فقد علم أن هذا المتروك بغير إعجام ، وهو غير ذلك الذى  
من عادته أن يعجم ، قد ارتفع أيضاً بما فعلوه ، الإشكال والاستبهاج عنهما جميعاً ،  
ولا فرق بين أن يزول الاستبهاج عن الحرف بإعجام عليه أو يقوم مقام الإعجام فى  
الإيضاح والبيان . ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بواحدة من أسفل والحاء بواحدة من  
فوق ، وتركت الحاء غفلاً ، فقد علم بإغفالها أنها ليست بواحدة من الحرفين الآخرين ،  
أعنى الجيم والحاء ، وكذلك الدال والذال والصاد والضاد وسائر الحروف ، فلما استمر  
البيان فى جميعها جاز تسميتها « حروف المعجم » .

هذا تعليل من ذهب إلى أنها تركيب إضافى ، ولكن ربما يقدم التعليل الآخر تفسيراً  
أكثر وجهة ، إذ يرى أن التركيب كان « حروف الخط المعجم » فالوصف هنا إذن  
للخط ، بمعنى أنه لا يبين إلا بالإعجام تنقيطاً وشكلاً ، وعليه تكون كلمة (معجم) فى  
(حروف المعجم) صفة لموصوف محذوف هو الخط . ثم أريد بهذا التركيب بعد ذلك ،  
حروف العربية المرتبة بطريقة ما ، ثم رأوا - كما يقول د . عدنان الخطيب فى كتابه المشار  
إليه آنفاً ص ٣٠ - فى ترتيب الحروف نهجاً يمكن التزامه فى عرضهم للمعلومات التى

يريدون تدوينها ، فيستهلّون بذلك الرجوع إليها ، إذ يكتفى المراجع بالنظر فى المعلومات المدونة فى الفصل المعقود للحروف الذى تبتدىء به الكلمة الدالة على الموضوع ، ويكون هذا فى الموضوعات التى يمكن ترتيبها تبعاً للحرف الذى تبتدىء به أول كلمة فى الموضوع ، أو أى كلمة أخرى تدل عليه ، كما فى ترتيب الأحاديث النبوية أو تراجم الرجال من صحابة وعلماء وشيوخ ، أو كما فى تقويم البلدان والأمصار .

يبد أنه يلاحظ أن هذه الدلالة لم تستقر على الكتاب الذى يحصى مفردات اللغة ، ويسير على نهج معين فى ترتيب مواده على حروف المعجم إلا فى القرن الرابع الهجرى على يد ابن فارس ، كما قلنا . فقد أطلق الخليل بن أحمد ( ١٧٥ هـ ) على معجمه ( العين ) وأبو عمرو الشيبانى ( ت ٢٠٦ هـ ) على معجمه ( كتاب الجيم ) وابن دريد ( ت ٣٢١ هـ ) على معجمه ( جمهرة اللغة ) ، والفارابى ( ت ٣٥٠ هـ ) على معجمه ( ديوان الأدب ) ، والقالى ( ت ٣٥٦ هـ ) على معجمه ( البارع ) ، والأزهري ( ت ٣٧٠ هـ ) على معجمه ( تهذيب اللغة ) ، والصاحب بن عباد ( ت ٣٨٥ هـ ) على معجمه ( المحيط ) ، والجوهري ( ت ٣٩٣ هـ ) على معجمه ( صحاح العربية ) . ويبدو أن ابن فارس قد تفرد فى استخدام مصطلح « معجم » ، فلا نجد من يستخدمه فيما بعد عن اشتغل بالتأليف المعجمى . يبدو أنه ثمة كلمات أخرى أطلقها مؤلفو المعاجم على مؤلفاتهم ، إذ كانوا يطلقون اسما من أسماء البحر أو صفة من صفاته عليها ، كما فعل ابن عباد فى معجمه ( المحيط ) ، وربما قصد بها الإحاطة بمفردات اللغة ، كذلك ابن سيده ( ت ٥٤٨ هـ ) فقد أطلق على معجمه ( المحكم والمحيط الأعظم ) ، وأطلق الصاغانى ( ت ٥٧٧ هـ ) على مؤلفه ( العباب / مجمع البحرين ) . أما الفيروز آبادى ( ت ٨١٧ هـ ) فقد أطلق على معجمه ( القاموس المحيط ) لأنه - على حد تعبيره - البحر الأعظم ، أى لإحاطته بلغة العرب لإحاطة البحر للربع المعمور . ويبدو أن هذه الكلمة كانت معروفة فى البيئة اللغوية الفارسية التى نشأ فيها ، بل إنها كانت معروفة لدى علماء الجغرافيا قبل زمنه بكثير ، فقد وردت لدى المقدسى ( ت ٣٧٥ هـ ) فى أحسن التقاسيم ص ١٢٤ .

وقيمة هذا المصطلح أنه قد كتب له البقاء حتى العصر الحديث ، ليستخدم على الألبسة مرادفاً لمصطلح « معجم » الذى يقابل مصطلح Dictionary فى الإنجليزية .

Dictionaire فى الفرنسية من الكلمة اللاتينية الوسيطة Dictionarium ، وتعنى : مجموع ما يعلم أو النصاب التعليمى . أما فى الألمانية فالمصطلح المقابل هو Werterbuch ويعنى حرفياً : كتاب الكلمات . وتحدد دلالة هذا المصطلح - بشكل أساسى - فى أنه الكتاب المرجعى الذى يضم كلمات اللغة مرتبة ترتيباً هجائياً أو معنوياً (موضوعياً) ، ويعطى مع كل كلمة هجاءها ودلالاتها ، وقد يضيف إلى ذلك نطقها واستخدامها ومرادفاتها واشتقاقاتها وتاريخها وبعض الصور الإيضاحية لها أو أحد هذه الجوانب على الأقل .

ويستخدم هذا المصطلح أيضاً فى دلالة أخرى ، وهى الكتاب الذى يقدم مجموعة المعارف الأساسية فى أحد موضوعات المعرفة ، وغالباً ما ترتب مداخل الموضوعات الجزئية بداخله ترتيباً هجائياً (\*). وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هذا الاستخدام هو الأسبق ، كمعاجم المحدثين والقراء والشيوخ ، بل والشعراء والبلدان والمؤلفين وغير ذلك .

---

(\* انظر فى هذه الدلالات للمصطلح : د . محمود حجازى : المعجمات الحديثة ص ٢٦ . ودائرة المعارف البريطانية ( E B ) ، مادة ( Dictionary ) .

## كتاب العين

للخليل بن أحمد الفراهيدي ( ت ١٧٠/١٧٥ هـ )

بدأ التأليف اللغوي في القرن الأول الهجري بداية متواضعة ، غير أنه ما لبث أن نشط في القرن الثاني نشاطاً كبيراً على يد هؤلاء اللغويين الرواد الذين انكبوا على جمع اللغة من مصادرها الأصلية وتدوينها في موضوعات شتى ، شكلت مادة لغوية ضخمة ، صبت بعد ذلك في المعاجم اللغوية . غير أنه قد بدأت في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة حركة تأليف المعاجم العربية الموازية لحركة الجمع الموضوعي ، بدأت بكتاب العين ، الذي يعد أول محاولة لحصر ألفاظ اللغة العربية ، على نحو شامل وفي إطار نظام منهجي واضح له أسس وقواعد مضبوطة . ويبدو أن تأليف العين كان طفرة وسابقاً لأوانه ، إذ لم تكن حركة جمع اللغة قد انتهت بعد من عملية استقصاء اللغة وتسجيلها بشكل تام ، ولم يشاركه هذا السبق إلا أبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) في معجمه ( كتاب الجيم ) إلا أنه خالف نهج الخليل الصوتي ، إذ يرتب الكلمات الواردة في إطار الجذر الواحد ترتيباً داخلياً على نحو ما فعل الخليل داخل المواد . ولم تحدث إضافة منهجية أخرى في بناء المعجم إلا في القرن الرابع الهجري الذي يعد أهم القرون في وضع المعاجم العربية .

تدين علوم العربية لهذا العبقرى بالفضل ؛ فقد حصر موازين الشعر العربي ، بوضعه علم العروض ، ووضع طريقة الضبط بالشكل التي نستخدمها إلى اليوم ، وشكلت آراؤه وأفكاره أسس أقدم كتاب في النحو لتلميذه سيبويه ، وابتكر نظاماً رياضياً لحصر مفردات اللغة ، فأهداه حسه الموسيقي إلى وضع أسس ترتيب المعجم ترتيباً أبجدياً على أساس صوتي يعتمد على مخارج الحروف .

وثمة خلاف حول مدى إسهامه في العين ، وذلك القدر الذي فعله تلميذه الليث بن المظفر ( ت ١٩٠ هـ ) . ويبدو أن جهد الخليل ينحصر في المقدمة ، ووضع التخطيط العام للكتاب ، وتطبيقه في الأبواب الأولى . أما الليث فهو راوية ما أعده الخليل ومؤلف باقى الكتاب . وقد رتب المادة اللغوية في كتاب العين على حسب مخارج الحروف من الحلق ، على النحو التالي :

[ع ح هـ خ غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / واى].

وقد علل الليث حكاية عن الخليل تقديم العين على الحاء والهاء وما لاحظته من تغيير الهمزة والألف فلم يبدأ بأى منها ، وإنما بدأ بالعين لأنه الصوت الحلقى الأول الذى لا يتغير فى الأبنية الصرفية ، وسمى معجمه باسم أول قسم فيه من كتاب « العين » ثم تلاه ببقية أصوات الحلق ، متدرجاً من أعلى إلى أسفل ، فذكر باقى الحروف ، حتى الحروف الشفوية ، وختم ترتيبه بأصوات العلة والهمزة . هذا الأساس الأول للترتيب الخارجى .

أما الأساس الثانى ، وهو خاص بالترتيب الداخلى ، فينقسم قسمين :

الأول : ترتيب الكلمات على أساس الحروف الأصول فقط ، دون الجروف الزوائد ، وظل هذا المبدأ الذى وضعه الخليل فى [كتاب العين] الأساس الذى بنيت عليه معظم المعاجم العربية .

الثانى : ترتيب الكلمات الداخلة تحت مادة واحدة على أساس الأبنية ، فبدأ بالثنائى ثم الثلاثى ( الصحيح والمعتل واللفيف ) ثم الرباعى ، ثم الخماسى . والتزم هذا المبدأ أيضاً عدد من المعاجم التى سارت على نهج الخليل ، مثل تهذيب اللغة والمحيط والبارع وغيرها .

أما الأساس الثالث فهو التقلبيات ، إذ تتج هذه الطريقة فى الثنائى إمكائيتين فقط ، مثل : ع د / د ع . أما الثلاثى ففيه ستة تقلبيات ، مثل :

ك ت ب / ك ب ت / ت ك ب / ت ب ك / ب ك ت / ب ت ك .

أما الرباعى فعدد التقلبيات فيه ٢٤ وجهاً تقلبياً ، وفى الخماسى تبلغ ١٢٠ وجهاً تقلبياً .

ويديهى أن هذه التقلبيات لا يوجد لها فى اللغة أمثلة ، إذ إنها ليست كلها مستعملة عند العرب ، ولذلك أطلق الخليل على الصيغ التى وجدها فعلاً مصطلح « المستعمل » وعلى الصيغ غير الموجودة ، ولكنها ممكنة نظرياً « المهمل » ، ويلاحظ أنه يصدر حديثه عن كل مادة بيان ما استعمل من تصاريفها وما أهمل ، مثل :

« باب العين والهاء والجيم معهما . عهج ، هجع ، مستعملان ، جمع ، عجه ،

هعج ، جعه مهملات . وقد حرص على ذلك دائماً ، ينبه على المستعمل والمهمل ، ثم يبدأ فى شرح التصريفات المستعملة ، الأول فالثانى فالثالث . . الخ .

وثمة ملاحظات يجب أن يشار إليها فى هذا السياق ، وهى :

- يضم كل حرف جميع الكلمات التى ورد فيها الحرف فى أى موضع فيها ، فإذا انتقل إلى حرف آخر استبعدت الكلمات التى فيها الحرف المتقدم ، بمعنى أنه بدأ كتابه بحرف العين ، فذكر جميع الكلمات التى تتضمن حرف العين فى أى موضع منها ، وحين انتقل إلى حرف الحاء ذكر جميع الكلمات التى تتضمن هذا الحرف ، ولكنه استبعد الكلمات التى فيها عين ، لأنه قد تقدم ذكرها فى حرف العين المتقدم ، وهكذا .  
- بناءً على كل ما تقدم فإن البحث عن كلمة ما فى العين يلزم تتبع الخطوات التالية :

- تجريد الكلمة من الحروف الزوائد ، للوصول إلى المادة الأصلية ( الحروف الأصول ) ، فإذا كانت الكلمة جمعاً ردت إلى الأفراد ، وإذا كانت مضعفة استغنى عن التضعيف لتحديد بنائها الثنائى أو الثلاثى أو الرباعى . . الخ .

- ترتب حروف المادة الأصلية ترتيباً صوتياً وفق نظام الخليل الصوتى المشار إليه فيما سبق ، فإذا كانت الكلمة مثل : كعج ، فالبحث عنها فى مادة : ع ك ل .

ثار خلاف حول أصالة هذا النظام ، فقليل إن الخليل لم يتكره ، وإنما تأثر فيه بالهنود فى ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية على هذا النظام . وهذا لم يثبت بعد ، فإذا سلمنا به فإن طريقته فى رد المشتقات إلى مادة واحدة تعد أصلاً لها جميعاً ، وجهده فى استقصاء الأبنية ، الثنائية والثلاثية والرباعية والخماسية وإن تقدمت عليه جهود فى هذا سهلت مهمته ، وتوصله إلى طريقة تتحكم فى حصر الصيغة المختلفة للكلمة الواحدة ، أعنى طريقة التقليل فحدد ما هو مستعمل وما هو غير مستعمل فى اللغة ؛ كل هذه أمور جعلت صنيعه - بلا مرأى - أساساً ارتكز عليه علماء اللغة ومؤلفو المعاجم الذين جاءوا بعده ؛ فلم يخل كتاب فى اللغة أو معجم من الإشارة إليه .

أما طريقته فى الشرح والاستشهاد فكانت واحدة ، إذ كانت البداية دائماً بذكر المادة مجردة ، وهذا هو المبدأ الأساسى الذى ارتضاه أغلب المعجميين ، ثم شرحها مجردة ومزينة ، ولم يحد عن تتبع مشتقات الكلمة وجمعها فى موضع واحد . وكان يذكر الفعل ومصدره فى مثال يبين معناه ، فإذا كان مزيداً بين طرق زيادته ، ويلحق بالمصدر

الصفات إن وجدت . أما الأسماء فكان يبين وزنها ويشرحها ويهتم بإظهار علة تسمية الشيء بذلك الاسم ، وكيفية اشتقاقه وعلته ، وذكر صيغ المفرد والجمع . وإذا كان للفظ دلالات مختلفة أوضحها في عدة استعمالات . وقد جمع في معجمه المستعمل الواضح والغريب والنادر ، إلا أنه أولى المستعمل عناية أكبر في الشرح والتعليل .

لم يغفل ما عنى به أصحاب الرسائل من حيوان وحشرات ونبات ومظاهر البيئة الطبيعية العربية ، واستند في شرحه إلى شواهد من القرآن والشعر والحديث والمأثور ، كما أورد عدداً من لغات العرب وخصائصها مثل تميم وربيعة وطىء وهذيل وغيرها .

- تعرض المعجم لنقد عنيف ، وكان للمتأخرين عدة مأخذ عليه ، من أهمها :

- التصحيف ، والخطأ في الاشتقاق والتصريف .

- إهماله الضبط ، فإن قبل ذلك فيما لا يحتاج إلى ضبط ، فأغلب المواد كانت في أمس الحاجة إلى ضبط دقيق ، اتقاء للحن والتحرير .

- وقوع خلط واضطراب في ترتيب بعض المواد وترتيبها ، فلزم الاستدراك عليها .

- أما وجود بعض آراء للكوفيين والاستشهاد بشعر المحدثين ، وورود روايات لبعض رواة جاءوا بعد الخليل فأمر لا دخل للخليل فيها .

أخيراً سار على نهج الخليل ، أى النظام الصوتي ، وحصص مشتقات المادة ، وتقسيم المواد وفق الأبنية ، وتحديد تقلبات المادة ، مع تعديل في بعضها كل من :

- أبى على القالى (ت ٣٥٦ هـ) في معجمه (البارع) .

- وأبى منصور الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ) في معجمه (تهذيب اللغة) .

- وأبى بكر الزيدى (ت ٣٧٩ هـ) في كتابه (مختصر العين) .

- والصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) في معجمه (المحيط) .

- وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في معجمه (المحكم والمحيط الأعظم) .

**وفيما يلي نموذج من (كتاب العين)**

من معجم « العين » للخليل بن أحمد  
باب العين والجيم والميم

(ج ٤٤، ج ٤٤، ج ٤٤، ج ٤٤)

(ج ٤٤، ج ٤٤، مستعملات)

عجم :

الْعَجْمُ: ضدُّ العَرَبِ • وَرَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ • لَيْسَ  
بِعَرَبِيٍّ • وَقَوْمٌ عَجْمٌ وَعَرَبٌ • وَالْأَعْجَمُ: الَّذِي لَا يَفْصَحُ •  
وَأَمْرَأَةٌ عَجْمَاءُ: بَيْتَةُ الْعَجْمَةِ وَالْعَجْمَاءُ: كُلُّ دَابَّةٍ أَوْ  
بَهِيمَةٍ • وَفِي الْحَدِيثِ « الْعَجْمَاءُ جَرَحُهَا جِبَارٌ، أَي إِذَا أَقْلَتِ  
الدَّابَّةُ فَتَلَّتْ إِنْسَانًا فَلَيْسَ عَلَيَّ صَاحِبِهَا دِيَّةٌ » • جِبَارٌ: بَاطِلٌ  
هَدَرَ •

وَالْعَجْمَاءُ: كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَقْرَأُ فِيهَا • وَالْأَعْجَمُ كُلُّ كَلَامٍ  
لَيْسَ بِعَرَبِيَّةٍ إِذَا لَمْ تُرَدِّ بِهِ التَّشْبِيهُ • قَالَ أَبُو النَّجْمِ: -  
صَوْتٌ مَخُوفًا عِنْدَهَا مَلِيحًا أَعْجَمٌ فِي آذَانِهَا فَصِيحًا  
يَصِفُ حِمَارَ الْوَحْشِ •  
وَقَوْلُ اسْتَعْجَمْتُ الدَّارُ عَنْ جَوَابِ السَّائِلِ: سَكَنْتُ قَالَ  
أَمْرُؤُ الْقَيْسِ (١):

صَمَّ صَدَّاهَا وَعَفَا رَسْمُهَا

وَاسْتَعْجَمْتُ عَنْ مَنْطِقِ السَّائِلِ

(عَدَّاهُ بِعَيْنٍ؛ لِأَنَّ اسْتَعْجَمْتُ بِمَعْنَى سَكَنْتُ) (٢)

وَالْمُعْجَمُ: حُرُوفُ الْهَجَاءِ الْمُقَطَّعَةُ (٣) لِأَنَّهَا أَعْجَمِيَّةٌ •  
وَتَعْجِيمُ الْكِتَابِ: تَنْقِيطُهُ كَمَا تَسْتَبِينُ عَجْمَتَهُ وَيَصِحُّ •  
وَعُجْمَةُ الرَّمْلِ: أَكْثَرُهُ وَأَضْيَخُهُ • وَقِيلَ آخِرُهُ أَوْ

(١) ديوان امرئ القيس (دار المعارف) ص ١١٩ .

(٢) النكلمة من: ص .

(٣) يقصد حروف الهجاء قبل تركيبها في كلمات .

الْمُتْرَاكِمُ مِنْهُ الْمَشْرُوفُ عَلَى مَا حَوْلَهُ وَأَكْرَبُ مَا يَكُونُ فِي  
وَسَطِ الرَّمْلِ قَالَ دُو الرِّمَّةُ<sup>(٤)</sup> :-

مِنْ عَجْمَةِ الرَّمْلِ أَنْقَاءَ لَهَا حَبَبٌ

وَعَجْمُ التَّمْرِ : نَوَاةٌ<sup>(٥)</sup> . وَالْإِنْسَانُ يَعْجَمُ التَّمْرَةَ  
إِذَا لَأَكَهَا بِوَأْتِيهَا فِي فَمِهِ . وَعَجِيمُ النَّوَى : الدِّي قَدْ قَشِرَ  
لِحَاؤُهُ مِنَ التَّمْرِ . وَعَجَمْتُ الْعُودَ : عَضَّضْتُ عَلَيْهِ بِإِسْنَانِي  
لَأَعْرِفَ آيَتَهَا أَصْلَبُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبْرَةَ الْجَرَشِيُّ :-

وَكَمْ عَاجِمٍ عَوْدِي أَضْرَّ بِسَابِهِ  
مَدَاقِي ، فَنِي نَابِيهِ فَرَضُ قُلُوبِ

وَقَالَ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكَبَ كِنَانَتَهُ  
فَعَجَمَ عِيدَانَهَا فَوَجَدَ نَبِيَّ أَصْلَبِهَا ، قَوْلُهُ : عَجَمٌ : أَيُّ عَضَّ عَلَى  
بِإِسْنَانِهِ لِيَنْظُرَ آيَتَهَا أَصْلَبُ . وَهَذَا مَثَلٌ : أَيُّ جَرَّبَ الرَّجَالَ  
فَاخْتَارِي مِنْهُمْ .

وَالثَّوْرُ يَعْجَمُ قَرْنَهُ : يَضْرِبُهُ بِشَجَرَةٍ لِيَسْتَفِّفَهُ<sup>(٦)</sup> .  
وَمَا عَجَمْتُكَ عَيْبِي مِنْهُ كَذَا<sup>(٧)</sup> . أَيُّ مَا آخَذْتُكَ وَتَقُولُ  
لِلرَّجُلِ الْعَزِيزِ النَّفْسِ : إِنَّهُ لَأَصْلَبُ الْعَجْمِ : أَيُّ إِذَا عَجَمْتَهُ  
الْأُمُورَ وَجَدْتَهُ مَتِينًا . وَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَسْعَدٍ :-

ذَا سَبَّحْتَ لَوْ كَانَ حُلُوَ الْعَجْمِ

أَيُّ ذَا جَمَالٍ . وَهَذَا مِنْ سُبْحَانَ الْوَجْهِ وَهِيَ مَحَاسِنُهُ .  
لَأَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ فَكَلْتِ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَقَوْلُهُ : لَوْ كَانَ حُلُوَ الْعَجْمِ  
أَيُّ لَوْ كَانَ مَحْمُودَ الْخَيْرِ كَانَ تَمَّ أَمْرُهُ ، وَلَكِنَّهُ جَمَالَ دُونَ

(٤) ديوانه ص ١٨ وصلره : حتى إذا جملة بين أظهرها

(٥) ظ ، ج : نواته

(٦) س : ليلوه

(٧) س : من كذا

خَيْرٌ . قال أبو ليلى : المَعْجَمُ هُنَا : المِذَاقُ وَعَجْمَتُهُ . ذُقْتَهُ  
قال الأخطل (٨) :-

يا صَاحِبِ هَلْ تَبْلِغُنِيهَا ذَاتُ مَعْجَمَةٍ  
بِصَفْحَتَيْهَا وَمَجْرَى نَسْعِهَا يَقَعُ

عَمَج :

التَعْمِجُ : الأَعْوِجَاجُ فِي السَّيْرِ وَتَحْرِيكِ اليَدَيْنِ وَالْأَعْضَاءِ  
فِي (٩) [الشيء] ، لأَعْوِجَاجٍ (١٠) الطَّرِيقُ كَتَعْمِجِ السَّيْلِ إِذَا انْقَلَبَ  
بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . قال المِجَاجُ (١١) :

مِآحَةٌ تَسِيحُ مَشْيًا رَهْوَجًا  
تَدَافِعُ السَّيْلَ إِذَا تَعَمَّجًا

جَم :

امْرَأَةٌ جَعْمَاءُ : أَنْكَرُ (١٢) عَقَلْنَاهَا هَرَمًا . وَلَا يُقَالُ رَجُلٌ  
أَعْجَمٌ . وَنَاقَةٌ عَجْمَاءُ : مُسِنَّةٌ . وَرَجُلٌ جَعْمٌ وَأَمْرَأَةٌ جَعْمَةٌ  
وَبِهَا جَعْمٌ أَي غَلِظَ كَلَامُهُ فِي سَفَاةِ حَلْقِهِ . وَجَعِمَ الرَّجُلُ  
يَجْعَمُ جَعْمًا : قَرِمَ إِلَى اللَّحْمِ وَهُوَ فِي ذَلِكَ أَكْوَلٌ . قال المِجَاجُ (١٣) :

تَوَفِّي لِهَمِّ كَيْلِ الْإِنَاءِ الْأَعْظَمِ  
إِذْ جَعِمَ الذُّهْلَانُ كُلُّ مَجْعَمٍ  
أَي جَمَعُوا إِلَى الشَّرِّ كَمَا يُقَرَّمُ إِلَى اللَّحْمِ .

جَمَع :

الجَمْعُ : مصدرُ جَمَعْتُ الشَّيْءَ (نَقِيضُ (١٤) فَرَقْتَهُ) وَالْجَمْعُ

(٨) ديوان الأخطل ص ٧٠ . والرواية فيه :

«ومجرى نسعها وقع»

(٩) التلکمة من : س .

(١٠) س : واعوجاج .

(١١) ديوانه ص ٨ .

(١٢) س «العجماء من النساء التي أنكر عقلها هرمًا» .

أيضاً : اسم ( الجَمَاعَة ) • وانجَموعُ الناس على اِخْتِلافِ طَبَقَاتِهِمْ •  
وانجَمعُ الناس والموضع الذي يَجْمَعُهُمْ (١٥) • والجِمَاعُ : عَدَدٌ كُلُّ شَيْءٍ وَكَثْرَتُهُ • والجِمَاعُ : ما جَمَعَ عَدَدًا فَهُوَ جَمَاعَةٌ كما تقول :  
لِجَمَاعِ الخِيَاءِ اِخْبِيئْتَهُ • وجماع كذا •

قال النحس • اتقوا هذه الأهواء التي جَمَاعُهَا الضَّلَالَةُ وَمَعَادُهَا  
إِلَى النَّارِ ، وكذلك الجَمِيعُ لأنه اسم لَأَزْمٍ يقال رجلٌ جَمِيعٌ أى  
مُجْتَمِعٌ فِي خَلْقِهِ • وَأَمَّا اِنْتِجَمِعُ فهو الذي اسْتَوَتْ لِحْيَتُهُ  
وَبَلَغَ غَايَةَ شَبَابِهِ • ولا يقال لِنِسَاءٍ • والمسجدُ الجامعُ : نَعَتْ بِهِ  
لِأَنَّهُ يُجْمَعُ أَهْلُهُ وَمَسْجِدُ الْجَامِعِ خَطَأً بِغَيْرِ الألفِ وَاللَّامِ  
لأنَّ الاسمَ لا يضافُ إِلَى التَّعْتِ إِذْ لا تقول : هذا زَيْدُ الفَقِيهِ وَجَمْعُ  
النَّاسِ : أَيْ شَهِدُوا الْجُمُعَةَ وَقَضُوا الصَّلَاةَ (١٦) •

وَجَمَاعٌ كُلُّ شَيْءٍ مُجْتَمِعٍ خَلْفِهِ ، فمن ذلك : جَمَاعٌ جَسَدٌ  
إِلَّا نَسَانٍ : رَأْسُهُ • وَجَمَاعٌ اِثْرَةٌ وَنَحْوُهَا : إِذَا اجْتَمَعَتْ بِرَاعِمِهَا

(١٥) التكملة من س . والذي في ظ ، د اسم الجماعة الناس ، والجموع : اسم لجماعة الناس .  
والمجمع حيث يجتمع الناس ، وهو أيضاً : اسم للناس .  
آخر نسخة «س»

(١٦) إلى هنا انتهت نسخة «س» وهو الرمز الذي اخترناه ليرمز إلى «نسخة الأب أنستاس  
الكرملي» وهو القسم الذي كان قد طبعه في عام ١٩١٢ م ولكن قيام الحرب العالمية الأولى  
حال دون انمام المشروع . وتسبب في ضياع النسخة الخطية التي اعتمد عليها الأب أنستاس .  
وقد سافرت للعراق وبحثت عنها في دير الكراملة وفي المتحف العراقي ، ولدى تلميذه  
الأستاذ «كوريس هواد» وعند غيره من تلاميذ الأب أنستاس ، فلم أثر عليها . ونلاحظ أن  
الأب أنستاس ، مع الجهد الذي بذله في أخراج قسم صغير ونشره ، لم يكن يهتم بالشرح أو  
نسبة الأبياب . ولكن له بعض تعليقات ، وكان آخرها في هذا الموضع حيث علق على تعبير «  
مسجد الجامع» الذي يوهم إضافة الشيء لنفسه ، فقال بعد أن نقل من اللسان رأى الأزهرى  
في تخطئة كتاب العين في هذا التعبير ، بأنه لا يجوز الإضافة مع بقاء معنى التعت ، أما على  
البدل فهو جاتز .

في موضع واحد ، قال ذو الرمة (١٧) :-

ودأس كجماع الثريا ومشفر

كسبت اليماني قده لم ينجر

وتقول : ضربته بجمع كفي ، ومنهم من يكسر اجيم .  
وأعطيته من الدراهم جمع الكف ، كما تقول مراء الكف .  
ومات المرأة بجمع : أي مع ما في بطنها . ويقال : إذا ماتت  
عذراء . وترك فلان امرأته بجمع وسار : أي تركب وقد  
أثقلت . واستجمع للمرء أموره : إذا استجمع وهو قد ما  
يسر به من أموره . قال :

إذا استجمعت للمرء منها أموره

كأكبوة للوجه لا يستقبل

واستجمع السيل : إذا اجتمع . واستجمع الفرس جرياً .

قال (١٨) :-

ومستجمع جرياً وليس ببارح

تباريه في ضاحي المنار سواعده

وسمى الجمع جمعاً ، لأن الناس يجتمعون اليها من نزدة ،

بين الصلّتين : المغرب والعشاء الآخرة .

وانجماعة والجماع كناية عن الفعل . والله يكتفي عن الأفعال .

---

( ١٧ ) في التاج واللسان أن البيت الذي الزمة ، وبالرجوع إلى ديوانه لم نجد فيه .

ولكن في ديوان طرفة بيت يشبهه إلى حد كبير وهو :

وخذ كقرطاس الشامى ومشفر

كسبت اليماني قده لم يجر

وهو من معلقة طرفة « شرح المعلقات للوزني ص ٥٥ والقصائد العشر للتبريزي ص ٧١ .

ومن ديوان طرفة ص ٢٦ هذا وقد ضبط اللسان كلمة « اليماني » بتشديد الياء والأولى حذف

الشدّة لوزن البيت .

( ١٨ ) البيت في اللسان ، والرواية به :

تباريه في ضاحي المنان سواعده

ثم أخاف يعنى السراب ، وسواعده : مجارى الماء .

قال الله عز وجل (١٩) «أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ» كناية عن النكاح.

معج :

المعج : التقلب في الجري . معج الحمار ، يمعج معجاً ، أي جرى في كل وجه جرياً سريعاً . قال المعاج (٢٠) :-

حَتَّى مِنْ غَيْرِ مَا أَنْ يَمْعَجَا  
غَمْرَ الْأَجَارِي سَحاً مُمْعَجَا

وحمار معاج : يسبق في عدوه يمينا وشمالا . والريح تمعج في الثبات كما تقلبه . قال ذو الرمة (٢١) :-

أَوْ نَفْخَةٌ مِنْ أَعَالَى صَفْوَةِ مَعَجَتٍ

فِيهَا الْعَبَا مِنْ هِنَاءِ الرُّوَضِ مَرْمُومٍ

والفصيل يمعج (٢٢) ضرع أمه : إذا لهزه ، وقلب فاه في نواحيه ليتمكن . وقول : جاءنا الوادي يمعج بسيله أي يسرع . قال :-

ضَاقَتْ تَمْعَجُ أَعْنَاقُ السُّيُولِ بِهِ

مجمع :

مَجَعَ الرَّجُلُ مَجْعًا ، وَتَمَجَّعَ تَمَجُّعًا : إِذَا أَكَلَ التَّمْرَ بِاللَّبَنِ . وَالمُجَاعَةُ : فُعَالَةٌ مَا يُتَمَجَّعُ ، وَالمَجِيعُ . قَالَ :-

إِنَّ فِي دَائِرِنَا ثَلَاثَ حُبَالِي  
فَوَدَدْنَا لَوْ قَدْ وَضَعْنَ جَمِيعًا

(١٩) سورة النساء : ٤٣ .

(٢٠) ديوانه ، ص ١٠ .

(٢١) ديوان الرمة ص ٥٧٣ . والرواية فيه :

أَوْ نَفْخَةٌ مِنْ أَعَالَى حَنُوءِ مَعَجَتٍ فِيهَا الْعَبَا مَوْهِنَا وَالرُّوَضِ مَرْمُومٍ

## جمهرة اللغة

### لابن دريد ( ت ٣٢١ هـ )

لم نر مقولة أكثر دلالة على منزلة أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي في اللغة من تلك التي قالها الناس حين توفي سنة ( ٣٢١ هـ ) ، إذ قالوا : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي ، فقد كان من أكابر علماء اللغة ، مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم ، إذ وصف بأنه كان واسع الحفظ جداً ؛ فقد كانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسبق إلى إتمامها وإلى حفظها ، بل كان هو نفسه شاعراً وكان لمقصورته حظ كبير من الذبوع والشهرة ، فقد لقيت اهتماماً كبيراً من العلماء ، فكثرت ما وضع لها من شروح . أما أوجز كلمة جمعت معرفته باللغة والشعر معاً فتلك التي وصفته بأن كان « أشعر العلماء وأعلم الشعراء » .

ألف ابن دريد عدداً من التصانيف اللغوية ، أهمها كتاب اشتقاق الأسماء ، وكتاب الملاحن ورسائل لغوية صغيرة مثل المقصور والمدود والسلاح وصفة السحاب والغيث والرواد والسرج واللجام والأنواء والمقتبس والمجتنى وغيرها من المصنفات التي تشهد بسعة علمه وقدرته على اللغة والشعر في آن واحد . بيد أن تلك المكانة التي وصل إليها وتلك الشهرة التي أحرزها قد اكتسبته عدواة ، كتلك التي جاهر بها النحوي الأديب نبطويه ( ت ٣٨٤ هـ ) ، إذ حقر من شأن ابن دريد ، ولم ير في الجمهرة أي جديد ؛ وقال إنه قد سطا على كتاب العين ، وغير فيه بعض التغيير . ويصعب أن نوافق نبطويه في كل ما ذهب إليه على نحو ما فعل أبو منصور الأزهرى حين رمى ابن دريد في مقدمة كتابه تهذيب اللغة ، بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس في كلام العرب في كلامها . وهذا كلام فيه نظر غير أنه لا يمكن أن نغفل شغف ابن دريد بالاشتقاق إلى حد المبالغة والتمحل ، ولكن الاهتمام بالاشتقاق في لطف واعتدال أمر ظاهر ونهج مقبول استنه الخليل بن أحمد للإفادة منه . ولم يكن ابن دريد متفرداً بتلك المبالغة ، بل إنها تتجلى في أعمال ابن فارس وبخاصة في المقاييس ، وفي احتفاء أبي على الفارسي بما أسماه ابن جنى الاشتقاق الأصغر وافتان ابن جنى بما أسماه الاشتقاق الأكبر الذي زعم أنه لم يمسه أحد من قبله برغم استخدام أبي على له .

فالرجل إذن لم يكن بدعاً في تنكبه هذا النهج ، كما أننا نتردد في قبول علة عدم أخذ الأزهرى عنه حين قال : ألفيته أنا على كبر سنه سكران ، لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من غلبة السكر عليه . فهذه تضاهى تهمة نفظويه التي سبق ذكرها ، فكيف يأخذ عنه وكان مدخله إليه سؤال نفظويه عنه واستخفاف الأخير بابن دريد وعدم توثيقه فى روايته ( المقدمة ص ٨ ) . أما الاتهام الذى كان الأزهرى محقاً فيه ، وعضده ابن جنى ، دون تطاول أو تجريح ، لأنه كما قلت فيما سبق كان عف اللسان ، يقول الأزهرى عن الجماهرة فى المقدمة أيضاً ( ص ٨ ) .

وتصفحت كتاب الجماهرة له فلم أراه دالاً على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوها ، وأوقع فى تضاعيف الكتاب حروفاً كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها ، فأثبتها من كتابى فى مواقعها منه ، لأبحث عنها أنا أو غيرى ممن ينظر فيه ، فإن صحت لبعض الأئمة اعتمدت ، وإن لم توجد لغيره وقفت .

وعلى الرغم مما تضمنه هذه العبارة من تجاوز يضاف إلى شاكلته من التجاوزات السابقة فلا ننكر أن تصحيفات ابن دريد قد وجدت من تعقبها ليصوبها خدمة للعلم ، فكان ذلك الموقف الإيجابى متجاوزاً لموقف ابن جنى الذى أثار ألا يخوض فيها ، وذلك لكثرة ما سجله من تصحيفات من جهة ، ورفضه الطعن فى العلماء وإرجاع أسباب الخطأ إلى غير المؤلف ، كما برأ الخليل من أخطاء فى كتاب العين . فقد وجد فى الجماهرة من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر . . . . وكان موقفه منها الإيحاء إلى بعضه والإضراب عن بعضه . ولكن قل من سلم من التصحيف ! كما أن ذلك لا ينسحب على الجماهرة برمتها ، وكيف يكون ذلك ، وهو الجامع للغة مشافهة ، المتحرى الدقة والأمانة فى الرواية ، فلم يكذب فيها ولم يسند إلى أئمة اللغة ما لم يقولوا ، وكان يذكر عقب إيراده للغات التى لم تصح عنده : لا أحقه ولا أدرى صحته .

كان عمه الحسين بن دريد أول من وضع قدمه على طريق العلم ، فقد تكفل بتربيته وتهذيبه ، ثم أخذ العلم بعد ذلك على عدد من الشيوخ ، أهمهم أبو عثمان سعيد بن هارون الأشنادانى ( ت ٢٨٨ هـ ) وأبو حاتم سهل بن محمد السجستانى ، ( ٢٥٥ هـ ) ، وأبو الفضل العباس بن الفرغ الرياشى ( ٢٥٧ هـ ) وعبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعى ( ٢٤٠ هـ ) ، أخذ عنهم اللغة والشعر وعلوم القرآن واستكمل تكوينه العلمى برحلات التلقى المباشر عن أهل الوبر . وبعد أن حصل على الإجازة التى تؤهله

للتأليف والتأديب قعد للتدريس وذاع صيته وكثر طلابه كثرة ملحوظة ، ومن أهمهم أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ، وأبو على القالى وأبو الفرج الأصبهاني وابن خالويه والرماني والزجاجي والعسكري والمرزباني والأمدى وأبو على الفارسي وغيرهم . واستدعاه الشاه الميكالى ليؤدب ابنه ، وفى تلك الفترة تهيأت له الظروف للتأليف ، فألف كتاب الجمهرة لأبى العباس اسماعيل بن عبد الله بن ميكال ، ويحدد الميكالى تاريخ التأليف حين قال : أملى على أبو بكر الدریدی ( كتاب الجمهرة ) من أوله إلى آخره حفظاً سنة ( ٢٩٧ ) ، فما رأيت استعان عليه بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعض الكتب .

وبين نسخ الجمهرة اختلاف واضح ، ويرجع ذلك إلى ابن دريد ذاته ، فقد أملاه فى أماكن عدة ، فى فارس وفى بغداد من حفظه ، فلما اختلف الإماء وقعت الزيادة والنقصان . وعلى أية حال فالمقدمة التى وضعها المؤلف تبين عدة أمور تمهد لتناول مضمون المعجم ومنهجه ، وتوقف عند أهم ما ورد بها ، من ذلك وصفه لحال العلم فى العصر الذى عاش فيه : إنى لما رأيت زهد أهل هذا العصر فى الأدب وثاقلمهم عن الطلب وعداوتهم لما يجهلون وتضييعهم لما يعلمون . . . ( المقدمة ص ٢ ) كل ذلك منعه من أن يبث علمه فى غير أهله وأن يضيعه بحيث لا يعرف كنه قدره حتى تناهت به الحال إلى ( أبى العباس . . . بن ميكال ) . . . فبذلت له مصون ما أكننت وأبديت مستور ما أخفيت وسمحت بما كنت به ضنيناً . . . فارتجلت الكتاب المنسوب إلى ( جمهرة اللغة ) وابتدأت فيه بذكر الحروف المعجمة التى هى أصل تفرع منها جميع كلام العرب ، وعليها مدار تأليفه وإليها مآل أبيته . . . ( ص ٣ ) .

وارتكز اختياره للمادة اللغوية الواردة فى معجمه على معيار شخصى ، يحدد من خلاله المستعمل ويميزه عن غير المستعمل الذى أطلق عليه الوحشى المستنكر ، يقول فى ذلك موضعاً سبب تسمية كتابه بجمهرة الكلام واللغة : وإنما أعرنا هذا الاسم ، لأننا اخترنا له الجمهرة من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشى المستنكر ( ٤ / ١ ) .

وقد تأثر بأسس معجم الخليل إلى حد بعيد ، ولكن ينبغى أن ننبه - ابتداءً - على أنه عدل عن الأساس الأول فى معجم الخليل وهو الترتيب الصوتى ، بادئاً من حروف الحلق ، فى ترتيب خاص للحروف. أشرنا إليه فيما سبق ، لأنه استشعر الصعوبة الشديدة التى واجهها الناس عند استعمالهم معجم العين ، ورأى أن يستخدم الترتيب الهجائى المألوف للناس ( أ ب ت ث . . . ) ويوضح علة إثارة ذلك النهج فى المقدمة ،

إذ يقول : وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أعبق ( أعلق ) ،  
وفى الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيداً  
من الحيرة ، مشفياً على المراد ( ٣ / ١ ) .

بيد أننا عرضناه إثر معجم الخليل ، لأنه التزم بالأسس الأخرى التى سار عليها  
الخليل ؛ فقد تابعه فى نظام التقلبات ، وهو ، كما قلنا ، حشد مشتقات المادة ووجوه  
مقلوبات حروفها فى موضع واحد . وهو اتجاهه سنة هؤلاء الأوائل لخصر المواد اللغوية .  
أما الأساس الثانى الذى تبعه فيه أيضاً فهو التنظيم وفق ترتيب الأبنية ، أى أنه بوب  
معجمه وفق الأبنية الستة وهى الثنائى والثلاثى والرابعى والخماسى والسداسى (الملحق  
بالسداسى بحروف من الزوائد) ، واللفيف باب واحد ، وأخيراً للنوادير باب جمع فيه  
المتفرقات . ذلك هو الترتيب بشكل عام . أما أسسه التى التزمها فهى ثلاثة :

- ترتيب المواد اللغوية على أساس الترتيب الهجائى المألوف (خالف فيه ترتيب  
الخليل) .

- تبويب المواد على أساس الأبنية الستة الأساسية التى تفرعت - كما قلنا - إلى سبعة  
عشر باباً ( النظام أو التقسيم الكمى ، الذى تابع فيه الخليل مع تغييرات ) .

- الالتزام بنظام التقلبات ؛ ذكر وجوه المادة الممكنة وتصريفاتها فى موضع واحد  
(تابع فيه الخليل إلى حد كبير) .

بيد أنه افتقر إلى الدقة فى الترتيب الداخلى للمواد ، فتعقبه عدد من العلماء القدامى  
والمحدثين نقداً وتصحيحاً واختصاراً واستدراكاً لما فاتته . ولست فى حاجة إلى إعادة  
موقف ابن جنى والأزهري ونفطويه منه ، فالكتاب يحتاج دون شك إلى إعادة ترتيب  
المواد اللغوية التى يتضمنها وتبويبها حتى يمكن أن توضع المواد فى مواضعها ، فتتخلص  
عما وصمت به أبوابه من اضطراب وخلل وخلط وتكرار وغير ذلك . أما تصحيح أوجه  
التصحيح والتحريف التى نبه إليها العلماء أيضاً فيستلزم جمع ملاحظاتهم وتمييزها  
استناداً إلى المواد المماثلة فى المعجمات الأخرى التى تحرت الضبط والدقة .

ونحاول فيما يلى أن نعرض لبعض التفاصيل الخاصة بذلك المعجم ، فقد بدأ ابن  
دويلب معجمه بمقدمات لغوية (معمية فى ذلك أثر الخليل أيضاً) ، إذ تضم هذه المقدمات  
الصوتية بيان صفة الحروف وأجناسها ، ثم باب مخارج الحروف وأجناسها ، ثم باب

معرفة الزوائد ومواقعها . . . ثم انتقل إلى باب الأمثلة فبدأ الأبنية بباب الثنائي الصحيح وقصد به ما اجتمع فيه حرفان فقط تكرر أو شدد ثانيهما .

وهو يوضع أو يلتزم في كل الأبنية الترتيب الهجائي (باب الباء ، فالتاء ، فالثاء ، فالجيم . . . فالواو فالهاء . . .) . ويلاحظ أيضاً أنه يذكر أوزان الأسماء فقط ، ويمثل لها . وقد أدخل بضع تعديلات في ترتيب الثنائي ؛ منها عدم إدماج كل الكلمات التي يدخل في تركيبها حرفان صحيحان ، فيضعهما في موضع واحد ، بل فصل الثنائي غير المضاعف عن الثنائي المشدد الآخر (المعروف بالثلاثي المضاعف (أب ، آز) ، وفصل كليهما عن الثنائي الذي ذكر فيه القطع مرتين (الرباعي المضاعف (زلزل) .

ولم يفصل المعتل عن الصحيح ولم يدمجه فيه ، كما أنه اضطرب في موقفه من الهمزة ؛ فلم يعدها من حروف العلة ، ولا من الحروف الصحيحة ، وكذلك موقفه من تاء التأنيث ، هل هي هاء أو تاء ؟ يعكس الوضع اللغوي آنذاك ، وقد أشرنا إلى ذلك حين تناولنا المشكلات التي واجهت الناس في استعمال الهمزة والمذكر والمؤنث والمقصود والمدود وغير ذلك . ففي باب الهمزة بدأ بـ (ب أب أ ← ت أت أ ← ج أ ج أ . . .) وفي باب الثنائي المعتل بـ (ب (ب) اوى ← ت اوى ← ث اوى . . . واوى ← ه اوى) .

أما الثلاثي فهو ما اجتمع فيه ثلاثة أحرف ليس فيها تضعيف . ونجده في أبواب الصحيح بطريق الترتيب الداخلي ، ففي مادة (ب ت ك) نجد الترتيب (ب ت ك) ، و ك ب ت ، و ك ت ب (المستعمل) . وفي مادة (ب ج ر) نجد البدء بـ (جبر ، ثم رجب ثم جرب ثم بجر) (٢٠٧/١) ، وفي مادة (ب ح ر) نجد الترتيب (بحر ، بريح ، حبر ، حرب ، ربح ، رحب) . ويلاحظ هنا أيضاً أنه قد فصل أبواب الثلاثي المعتل عن أبواب الثلاثي السالم ، كما أنه جعل أبواباً لما اجتمع فيه حرفان مثيلان في أي موضع ، وأبواباً لما لحق بالثلاثي الصحيح بحرف من حروف اللين مثل باب . وذكر للثلاثي عشرة أوزان .

أما الرباعي فهو على أوزان (أوبناء فَعْلَل وفَعْلَل وفَعْلَل وفَعْلَل ، وفَعْلَل) والحماسي أربعة أوزان ، وبوب للسداسي أبواباً ، وألحق بهذه الأبواب ملحقات . وهكذا يكون مجموع الأوزان (للاثلاثي والرباعي والحماسي) تسعة عشر وزناً .

وضم اللفيف ، وهو ما التف بعضه على بعض ، المواد التي خلت الأبواب السابقة

منها . ففيه أبنية مختلفة كان من الممكن إعادتها إلى مواضعها في أبوابها الأساسية .

واختتم الجمهرة بباب ضخم أسماه النوادر ، قسمه إلى أبواب وفق الصيغ ( باب فعلاء ، ويا بفاعلاء . . . الخ ) كما فعل ابن السكيت ، ولم يراع هنا الترتيب الهجائي الذي ارتضاه ، وقد وقع هنا أيضاً تكرار وخلط بين نظام كتب الموضوعات أو المعاني والترتيب الهجائي الأساسي ، وهي أبواب صغيرة ، نقلها عن أبي حاتم وأبي عبيدة والأصمعي في نوادرهم ورسائلهم نقلاً صريحاً . وقد قيل ربما كان باب النوادر كتاباً مستقلاً أضافه الرواة إلى الجمهرة ؛ فليس في المقدمة شيء عنه ، وهذا غير صحيح ، ففي المقدمة ( ص ٤ ) : وجمعنا النوادر في باب قسميناه النوادر لقله ما جاء على وزن ألفاظها . . . على أنا ألغينا المستنكر واستعملنا المعروف . ويفتقر - كعادة مؤلفي اللغة الأوائل - إلى أي شكل من أشكال الترتيب ، ولهذا لا يكون العثور على لفظ معين فيه إلا بقراءة الباب .

على كل حال لهذا المعجم عدة مزايا ننوه إليها في إيجاز ؛ أولها : تلك المادة اللغوية التي جمعها ابن دريد وحافظ عليه من الضياع . وعلى الرغم من أوجه النقد التي تعلق بالخلل في الترتيب والتكرار والافتقار إلى الضبط ، فقد كان التأليف المعجمي في مراحل الأولى ، ومن المعقول أن نتجاوز عن ذلك ، غير أن أوجه التشابه الكبير بين مادة معجم ابن دريد ومادة معجم الخليل ، وطريقة ابن دريد في شرح الكلمات والاستشهاد وغير ذلك ، وإن صرح بأنه اعتمد على كتاب العين ، يوجب بعد درس دقيق متأن أن نحسم هذه القضية ، وأن يحدد بدقة ماذا نقل عن الخليل وماذا أضافه ؟ حقاً قد أشرنا إلى أمانته في النقل ، فقد كان يذكر أسماء من نقل عنهم ويشير إلى كتبهم أحياناً ولكن ذلك لا يسوغ له نقل معجم بأكمله .

ثانيها : التزامه بنهج واحد في العرض في الأغلب ، إذ يبدأ بالفعل الماضي ثم المضارع ثم المصدر . وتتنوع شواهد في شرح معاني المادة ، فهي تضم القرآن والحديث والشعر والرجز وألوان الأدب الأخرى ، كما أنه يهتم بالتعريف بالأعلام والأماكن والحيوان والنبات وغير ذلك ، ويلاحظ هنا كلفه بالاشتقاق ، فقد جعله يتعسف في إيضاح معاني بعض الكلمات أحياناً ، وقد جلب له هذا التعسف نقداً شديداً كما أشرنا ، ولكنه اقتفى فيه آثار المتقدمين ، ولقى بعد ذلك اهتماماً أكبر على يد أبي علي الفارسي وابن جنى وابن فارس وغيرهم . وإن كنا نرى في بعض تفسيراته غرابة

وتمحل ، يقول مثلاً فى ( ب دع ) : والعبد ضد الحر ، وأصل العبد من قولهم : طريقة مُعَبَّد أى مدلل - وقد استقصينا شرح هذا فى ( كتاب الاشتقاق ) .

ثالثها : استطراده فى شرح الشواهد ، وفى ذلك قيمة كبيرة ، فقد قدم بذلك تفسيرات مختلفة تعين على فهم استعمالات الشعراء إلى جانب الاستعمالات المتنوعة التى كانت تضمها المواد ذاتها .

وقد استفاد من تلك المادة الثرية المعجميون الذين جاءوا بعده مثل ابن سيدة فى مخصصه محكمه والصاغانى فى العباب والتكملة وابن منظور فى لسان العرب وغيرهم ، والأزهري ذاته قد استفاد من تهذيب اللغة . وقد عنى آخرون بإكماله وشرحه مثل أبى عمر الزاهد غلام ثعلب فى ( فائت الجمهرة ) ، وأبو العلاء فى ( نشر شواهد الجمهرة ) ، والصاحب بن عباد فى ( جوهرة الجمهرة ) .

فهذه المزايا وغيرها فيها عزاء للمشقة التى يبذلها الباحث عن مادة معينة فيه . فالجمع بين الترتيب الهجائى ونظام التقلبات فيه عسر ، إذ إنه لم يذلل الكشف عن كلمة ما : على أية حال يبدأ الكشف فى هذا المعجم أساساً بتجريد الكلمة من زوائدها ثم تحديد بنيتها ، هل هى ( ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ) ونوع حروفها ( صحيح / معتل / مهموز ) ، ثم ترتيب حروفها ، مع ملاحظة تقديمه لحرف الواو على الهاء فى ترتيب الأبواب ، وترتيب فصول الأبواب أيضاً ، ثم يبحث عنها فى بابها . ولا يمكن أن نغفل فى هذا المقام الفهرس الحديث الذى صنع له ، فهو - بلا شك - المداخل وأكثرها توفيراً للوقت والجهد .

**وهيما يلى نموذج من كتاب ( جمهرة اللغة ) لابن دريد**

# من معجم جمهرة اللغة لابن دريد

ج - ١

بحر

بحر

جمهرة اللغة

كَانَ السَّيْطُ يَلْبَسُ الْجَدَّ بَدَنِي

على موضع - الصلح من ذبوا بها

﴿ ب ح ذ ﴾

الذَّبُّ مَعْدَرٌ ذَبَعْتُ إِذْ بَعْتُ ذُبْحًا - واصل الذَّبْحُ الشَّقُّ ذَبَعْتُ الْمَكَّ لَمَّا قَفَعْتُ عَنْهُ نَوَابِغَهُ فَوَذَّبْتُ وَمَذْبُوحٌ وَالذَّبْحُ الذَّبُوحُ - وكذلك ذب في التزبيل (وقد يتأه بفتح عظيم) والذَّبْحُ والذَّبْحَةُ بفتح الباء وتكيتها - ذاب يعيب الإنسان في خلقه - وقول الرب حبي الله هذه الذبحة أي هذه الطلقة - والذَّبْحُ الشَّقُّ

في الرجل أصابه ذبأح في رجله - ويقال حاس ذبأحاً في رجله إذا تخاطبه - والذَّبْحُ نُورٌ أحر - قال الشاعر - الأعمى

وسوريل تحب العين إذا

صفت جند عاتور الذَّبْحُ

قال أبو بكر - الجندع ما غور منها عند المزاج والجنادع - خفافس منها وتكون في مواضع الأفاعي والغياض تعرف بما مواضعها - وكثير ذلك حتى قالوا (بَدَتْ جَنَادِعُ الشَّرِّ) أي أو الله وعلامة - وسعد الله الحريم مروف والتحنى بنو فلان وبنو فلانة جلوا عن ذبج أي عن قبيل

﴿ ب ح ذ ﴾

(البحر) مروف - والرب تسمى الماء البلع

والذَّبُّ بحرٌ إذا كثر - وفي التزبيل (موج البحرين يتقيان) يعني الملح والذَّبُّ والله اعلم وبتجر الرجل في المال واللم - إذا اتسع فيها والذَّبُّ البَحِيرَةُ التي تُشَقُّ إِذْ نَعَابَتَيْنِ فَمَا تَغِيرُ بِمَضِ أَمَلِ اللَّئِنَةِ - وقال آخرون بل البَحِيرَةُ أن تشج الشاة عشرة أبطن فإذا استككت ذلك شقوا أذنها وركوها ترحى وردد الماء وترومؤها الغامبات على ناسهم - وأكلها الرجال دون النساء وفي البَحِيرَةُ كلام كثير يؤتى عليه في كتاب الاشتقاق إن شاء الله

وقد سميت العرب - بغير أو ببحر أو بحراً ونبو بحري بطن منهم - واحسن موضعاً بجديسي ببحراً أو يقال ببحري وقد سميت العرب بحرة - الأية زائدة وهو مأخوذ من البحر والسعد ودم ببحري وبحري إذا كان خالص الحرة من دم الجوف

والذَّبْحُ من قولهم جاء فلان بالبرح إذا جاء بالأسر العظيم - وبنات برح الدواهي - ومثل للرب إذا استظمو الشيء قالوا (أحدى بنات برح شريك على رأسك) وقال الأسي (ابنة طين شريك على رأسك) ويزح بي هذا الأسر إذا غاظ على واشتد - والذَّبْحُ والتكاريح مأخوذ من البرح ايضاً - والبرح من قولهم جاء

بالبرحاء اذا جاء بالدامية - وجاء بالبرحين  
 والبرحين والبرحين - قال الشيخ ابو بكر  
 والبرحين لا امر فاني معنى البرحاء - وقد سميت  
 العرب - ايرح - وهو من البرح الياء زائدة  
 والبارح الريح الشديدة التي تهب النار - وهي  
 نوا مروة - قال الشاعر

فيا بارح الجوزاء مالك لا ترقى - ٢

عيا لك قد اسوا امرا ميل جوعا

قال ابو بكر - هذا رجل اما ان يريد ان يقطع التمر  
 اذا غصته البوارح من النخل - واما ان يكون  
 لصا يريد ان يطرد طريدة فيطلب الريح لتنفث على  
 اثره - والبراح الارض المكشوفة الظاهرة - ومن  
 ذلك قولهم (برح الغناء) اي ظمر - واول من قاله

يشق الكاهن - وله حديث - فن قال برح  
 الخنقاء بفتح الراء فانه لو ادال انكشاف - ومن

قال برح بكسر الراء فانه لو اد زال الخنقاء - من  
 قولك ما برحت من مكاني اي ما زلت عنه - واكثر  
 ما يستعمل في النفي ما برحت - ولا ابرح  
 ولا يقولون برحت امس وبرحت اليوم الا انهم

يقولون برح كذا وكذا اي زال - وتسمى الشمس  
 برح معدول عن البرح - قال الرازي - نصف  
 وجلا استقى للابل الى ان غابت الشمس واسم  
 رباح

هذا مقام قديم رباح

قدوة حتى ذككت براح

يريد مالك لو كوهو التروب فتح الباه - ويروي  
 الشمس حتى ذككت براح - يريد لها تذكت في المغرب  
 فهو يعيها عن عيه براحه - ومن قال برح لو اد  
 الشمس بينها اذا ذككت فالت - والد لو ك هدم  
 الليل من الشرق الى المغرب - ومن قال برح لو اد  
 انه رذها براحه - كما قال الآخر - السجاج

والشمس قد كادت تكون دقا

أدنها بالراح كتر حقا

وسى الاسد حيل براح وكذلك الرجل الشجاع  
 اجنأى كانه قد شد بالجمال - فلا يبرح - والبارحة  
 اليلة الماخية قال الشاعر طرفة بن العبد البكري  
 كلهم ازوغ من نلب • ما شبه اليلة بالبرح  
 وقد مر ذكر البرح - فانقول الابن

قول ابتي حين تجد الرحيل

فأبرحت ربأ وأبرحت جارا

اي اكرمت وعظمت - وتقول ما برحت من  
 المكان برحا وبروحا - اي ما زلت - وبرحت  
 افضل كذا وكذا اي زلت - قال الشاعر - خدش  
 بن زهير الناصري

وابرح ما دام امة قومي

بمدا امة متطفا مجيدا

والرب كنان عند الرمي - اذا صاحب قارا  
 سرحي - واذا اخطا قارا - برحي في وزن فعل  
 والجبر - الصام والجبرود - السرود وكذلك  
 الخبر - ومن انالم (كل حجرة نقيها حبرة)

(١) قول - ييرحاً • (٢) قول - بخطاب التذكير

وأحبرني الاسراجار اذا سرك - ويرد  
 حجرة - ويرد حجرة من هذا - وهو الحير  
 ايضاً - قال الشاعر - سبيعة بنت الاحي  
 الموازية -

ولقد غزاها نبع

فكنا بيننا الحير

البنية الكمية - وقال الراجز - في الحيرة

يا يذره يا يذره يا يذره ١

يا مشرى القير يردى حير

ثلث يمين ما في ما اخره

وقال حيرت اسائه اذا اصقرت صفرة غليظة

قال ابو الزحف - الكليبي

تضحك عن ايض لم تضحك

ما في من الحير لذيذ البسم ٢

وقال يونس من هذا اشتاق الحير الذي يكتب

به وانثده

ولست ببيدي - على فيه حيرة

ولست ببيدي تحقيه الترو

وقال (نعب حير الرجل وسيره) وقالوا حيره

وسيره - وهو على ذاتين مية - وذهب جماله

وفي الحديث (يخرج من اللور رجل قد ذهب حيره

وسيره) وقالوا حيره وسيره والي حير وضرب من

الطير والجمع حمار وبمسي حمار ابو سلاتي من اليمن

والجاري معروقة - وسترها في لها ان شاء الله

وحير موضع - قال الشاعر عيدين الابرص  
 الاسدي

فردة فتا حير - ليس به من له حير  
 وعبار كل شيء آخره - قال الراجز - حير

١

ولم يحلب ارتها يطار

ولاحلبه بها حبار

والحرب معروفه واشتاقها من الحرب وهو

الملاك - ورجل حريب وعروب اذا حرب

ماله - والحرة الالة والجمع حواب - ورجل

عرب ومرايا - اذا كانت صاحب حرب

دعرب اليت سدره واكرم موضع فيه - وبه

سعي عراب المجد - والعراب ايضاً الترفة

من تولم مطلوب فمدان يرد ون الترفق - وانثدا

ابو حاتم - عن الاصمعي لوضاح اليمن

رؤية عراب اذا اجتعا

لم أدن حتى ارتقى سلما

وتحرب الرجل اذا اغتبه - وكذلك الاسد

فعر حير - وتحرب السات اذا حذفته

والحزب الحراب ملك من ملوك كندة - قال

الشاعر - ليدن رية الناعري

والحزب الحراب حل بايلو

تجدنا أرقام به ولم يتول

وتدست الحراب عاربا وحرايا وحزبة

(١) ن لوب - يذره • (٢) ن ل - الكليبي • (٣) ن • - لذيذ العلم • (٤) ن • - لبيدي • (٥) ن • - لم ادن

موضع غير مصروف - والمرباه دوية - وحارب  
موضع بالثام - وحربة الرجل ماله اذا حربه قال  
اخذت حريته اى ماله

والريج ضد الممران - وهو من قولهم ريج فلان  
فى تجارته يريج ريجاً ورجحاً والتجر الريح  
والريج الذى يريج فيه - والرياح ولد القرد  
والجمع رياج - والريج زعموا الشحم - وانشدوا  
لخفاف بن ثديبة

قروا ضياءهم رياجاً

بيش بفضلين التحي سر

وبروى ١ - مجيب بفضلين الس - والس المسح  
عنه بسمحة - والبع التذاح - ويأح اسم عربي  
صحيح - قال الشاعر

تمرت القبايل عن رباح

تمرت يفتة عن ذى جناح

والمكان الرحب الواسع - وكذلك الرحب  
والرحة بكين الماء وقحها - التجره الوايسه  
بين دور وغيرها - وقد سميت العرب مسجاً  
وهو منقل من ذلك - وقولهم للرجل (مسجاً

وسهلاً) اى لقيت سهه وسعوكه وبتو ٢ رحة  
بلن من حمير - وبنوار حبه بلن من همدان  
والابل الارحيه منسوبة الى ارحب رجل  
من همدان مصروف - والرحابة اطم بالدينة

والرحاوان الواحدة رحيا وهو من القوس  
اعلى الكشحين - ٣ ويقال لما الرحيان الواحدة  
احبه وحبى منصور - وكذلك من الانس

وهى او اخر الاضلاع - وانشد

تلكت به بجامع رحيته

كان رداه سم طليل

الطليل قطة كاه يشد بها الترض

ب ح ذ

(حزب) للرجل الذين يملون اليه - والجمع الاحزاب  
وتحارب القوم اذا ما لا بعضهم بعضاً وفى التنزيل  
العزيز (الذين حزب الله هم الفاسقون) وقال  
الاربع - وثبة بن الساج

أقيت أحوال رجال الكذب

وكيف أحوى ويلاً حزبي

الحذكى الذى الجأ اليه - وحزبى الاسر اذا اشتد  
عليه - والاسم الحزابة - واسم حازب - وحزب  
اذا كان شديداً

والحزب الدتو من الشيء - رحبت الى فلان  
ورحبت الي اذا تداينا

ب ح س

رحبت لشيء آخيه حباً اذا منه عن الحركة  
وأجبت الدابة احباً اذا جعلته حسيباً فهو  
محبس - وحيس وهذا احد ما جاء على فليل من

(١) وقول - مجيب بلين الترس السح بمفهومه • (٢) بنور حبة بالشمرك •

(٣) من هنا الى آخر الباب بيت قول - ولا يق •

## تهذيب اللغة للأزهري ( ت ٣٧٠ هـ )

لا ريب في أن تلك الحملة المستعرة التي شنها الأزهري على جماعة من العلماء كان وراءها من الأسرار ما قدر لبعض المحققين أن يزيلوا النقاب عن بعضها ، بينما ما يزال بعضها الآخر غامضاً أشد الغموض ، ونظن أنه قد حجب عنا نهائياً ، فقد كان كامناً في صدر الأزهري وعقله ووراه التراب برحيله ، بيد أننا يمكن أن نتفهم مدى تمتع الأزهري بثقافة لغوية عميقة وتمكن وقدره على تمييز الصحيح من الفاسد أو المحرف أو المصحف من المفردات وصل إليها من طريق التلقى عن جماعة من العلماء الثقات من جهة ، ثم من طريقة التلقى عن الأعراب الفصحاء في أثناء فترة أسره من جهة أخرى . وفي الحقيقة كان أغلب اللغويين في تلك الفترة يزعم أنه أخذ اللغة رواية ، أي نقلًا عن الأعراب الذين انتقلوا إلى الحواضر ، ولكن لم تفسد لغتهم بعد أو من خلال رحلة أو رحلات إلى البادية والبقاء فيها عدة سنوات للمشاهدة والسؤال والتدوين .

ومن البديهي أن تحدث تغيرات لغوية كبيرة بعد خروج العرب من بيئتهم إلى بيئات جديدة ، واختلاطهم بالأمة الأخرى ، فقد بدأ الناس يستخدمون لغة تتضمن أشكالا مختلفة من العدول عن اللغة التي عدّها علماء التنقية اللغوية معياراً صارماً لتصويب ما شاع بين الناس وما يجري على ألسنتهم أو في كلامهم .

ومن الغريب أنهم - في الوقت ذاته - ينقلون عن علماء اللغة الأوائل ما دونوه في رسائلهم وكتبهم ، على الرغم من أنهم كانوا يصفون من يعمل ذلك بأنه « صُحْفِي » ، أي يأخذ عن الصُحْف ، ولا يعدونه ثقة ولا يأخذون عنه ، ويصفون من شأنه . . . . إلى آخره . ولكن يبدو أن الأمر كان نسبياً ، فلم يكن من الممكن أن يستغنى أحد عما دونه القدماء ، غير أن ما دُون كان يتضمن أو تعرض لصور من التحريف والتصحيف ؛ تلك الآفة الكبرى التي أصابت التراث العربي ، فإذا لم يكن الآخذ قادراً على التمييز بين الصحيح والمحرف من خلال خبرة المشاهدة أو السماع المباشر فسوف يقع في أغلاط وأوهام تكشف عن نهجه في تلقي العلم ودرجته أو رتبته بين الثقات ، ويتخرج العلماء

فى الأخذ عن كتبه ، فإذا أجبروا على ذلك أكدوا نسبة الكلام إليه حتى يأمنوا حدة لسان أولئك العلماء الذين كانوا يتتبعون السقطات والهفوات ، ويرصدون ألوان التصحيف والتحريف ، ويؤلفون كتباً تتضمن هجوماً عنيفاً عليهم وطعنأ فى قدراتهم واستدراكاً على تصانيفهم .

كان الأزهرى الهروى ، أبو منصور محمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر ، أحد هؤلاء العلماء المتشددىن فى أخذ اللغة ، فى خاتمة مقدمته التى أوضح فيها علة تأليفه لمعجمه والمنهج الذى سار عليه وبيان الأئمة الذين اعتمد عليهم فىما جمع فى ذلك المعجم ، مرتبأ إياهم فى طبقات ، يحدد سبب إطلاق عبارة « تهذيب اللغة » عليه ، فىقول : وقد سميت كتابى هذا ( تهذيب اللغة ) لأنى قصدت بما جمعت فىه ما أدخل فى لغات العرب من الألفاظ التى أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيرها العُثم عن سنتها ، فهذبت ما جمعت فى كتابى من التصحيف والخطأ بقدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالخشو الذى لم أعرف أصله ؛ والغريب الذى لم يُسند الثقات من العرب ( ص ٥٤ ) .

وفى الحقيقة تؤكد كتب التراجم والطبقات المنزلة العليا التى وصل إليها الأزهرى فى اللغة والفقه ، فقد وصف بأنه إمام فى اللغة ، بصير بالفقه ، عارف بالمذهب الشافعى ، تقى ورع . وقد تشكلت ثقافته اللغوية من جهتين ، الأولى عن طريق الأخذ عن شيوخه فى هراة حيث ولد سنة ٢٨٢ هـ ، وهم : أبو الفضل محمد بن أبى جعفر المنذرى الهروى ( ت ١٢٩ هـ ) ، وأبو محمد أحمد بن عبد الله المزنى ( ت ٣٦١ هـ ) ، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ( ت ٣١٧ هـ ) وغيرهم . والثانية عن طريق مشافهة الأعراب الفصحاء ، إذ إنه فى أثناء عودته من الحج ، وكان سنة آنذاك نحو الثلاثين ، أسرته الأعراب - وقد سجل الأزهرى هذه الحادثة فى مقدمة معجمه ص ٧ - وكانوا خليطاً من هوازن وتميم وأسد ، يتكلمون بطباعهم البدوية ، وقرائحهم التى اعتادوا ، ولا يكاد يقع فى منطقتهم لحن أو خطأ فاحش . وقد بقى فى إسارهم دهرأ طويلاً ثم تخلص بعد ذلك من الأسر ودخل بغداد . وكان لهذا الأسر أثر كبير فى إفادة الأزهرى مما سمعه ودونه عن هؤلاء الأعراب ، واكتسابه خبرة لغوية واسعة جنبته الوقوع فىما وقع فيها علماء كبار . والحق أن الأزهرى كان يتغنى بذلك ، وإذا ما تجاوزنا عن حدة نقده وهجومه على بعض العلماء اعتمادأ على تمييز تكويته

اللغوى ومحصوله المعجمى فإن هذه الحادثة قد جعلته يحتل رتبة متقدمة بين علماء اللغة الثقات .

وفى بغداد درس على أبى عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه (٣٢٣ هـ) وأبى بكر محمد بن السرى بن سهل المعروف بابن السراج (٣١٦ هـ) وغيرهما . ولا يتسع المقام لذكر شيوخه جميعهم ، وإنما أوردنا بعض الأسماء التى يتضح من تكرارها فى التهذيب أنه قد تأثر بها تأثيراً شديداً . أما تلاميذه فنذكر منهم اثنين هما : أبو عبيد أحمد بن محمد الهروى (٤٠١ هـ) صاحب الغريبين (غريب القرآن وغريب الحديث) ، وأبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الهروى (٣٩٩ هـ) الذى روى كتاب التهذيب عن الأزهرى . وللأزهرى كتب فى تفسير القرآن وتفسير أسماء الله عز وجل ، وفى تفسير الحديث وفى القراءات وتفسير الشعر ؛ السبع الطوال وشعر أبى تمام . ولكن يبدو أن كتابه «تهذيب اللغة» يعد فى قمة تأليفه ، إذ إن شهرته قد تحققت من خلاله ، فقد ألفه بعد أن بلغ فى العلم والخبرة مبلغاً عظيماً ، وهو فى سن السبعين ، يقول (ص ٧) : وكنت منذ تعاطيت هذا الفن فى حدائتى إلى أن بلغت السبعين ، مولعاً بالبحث عن المعانى والاستقصاء فيها ، وأخذها من مظانها ، وإحكام الكتب التى تأتى لى سماعها من أهل الثبوت والأمانة للأئمة المشهورين ، وأهل العربية المعروفين .

وتجدر الإشارة هنا فى إيجاز إلى بعض ماتضمنته مقدمته من عبارات تمهد للأسباب الذى دعت به إلى تأليف كتابه ، ويتقدم وصف الوضع اللغوى الذى كان عليه الأوائل ، وصلته بفهم القرآن الكريم ، ثم تغير الحال بعد هذه الفترة المبكرة ، يقول : نزل القرآن الكريم والمخاطبون به قوم عرب ، أولو بيان فاضل ، وفهم بارع ، أنزله جل ذكره بلسانهم ، وصيغة كلامهم الذى نشئوا عليه وجبلوا على النطق به ، فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ، ويفهمون فنون نظامه ، ولا يحتاجون إلى تعليم مشكله وغريب ألفاظه ، حاجة المولدين الناشئين فىمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلمه ، ولا يفهم ضروبه وأمثاله ، وطرقه وأساليبه ، حتى يفهمها (ص ٣ ، ٤) .

فالهدف الأسمى من معجمه إذن خدمة كتاب الله عز وجل أولاً ، فلم يكن الصحابة والتابعون فى حاجة إلى تلك المعرفة . أما وأن الحال قد تغيرت ، وصارت الحاجة شديدة إلى معرفة لغات العرب واختلافها والتبحر فيها ، والاجتهاد فى تعلم العربية ، التى بها - كما يقول ص ٥ - تمام التوصل إلى معرفة ما فى الكتاب والسنن فى

الأثار ، وأقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ، من الألفاظ الغريبة والمخاطبات العربية . فإن من جهل سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها ، واقتنائها في مذاهبها ، جهل جُمَل علم الكتاب ، ومن علمها ووقف على مذاهبها ، وفهم ما تأوله أهل التفسير فيها ، زالت عنه الشبهة الداخلة على من جهل لسانها من ذوى الأهواء والبدع . فقد حدد بذلك كيف المادة اللغوية التى سيعنى بها فى معجمه ، إذ إن الكم قاصر عن استيعاب كافة معانى التنزيل وألفاظ السنن ، كما أنه يولى تأويلات أهل التفسير عناية خاصة ، منبهاً إلى لغات العرب واختلافها واتساع لسانها واقتنائها فى مذاهبها وتشعب مخاطباتها . . . إلى آخره ملتزماً فى النقل عن الأئمة المعروفين بالمعرفة الثابتة والدين والاستقامة . وربما كان هذا المبدأ أحد أسباب موقفه من ابن دريد كما سنرى . وبالإضافة إلى تدوينه ما حصله من لغات العرب وألفاظهم من خلال هؤلاء العلماء فإن يقيد - كما يقول ص ٦ معتزاً بهذه المعرفة اللغوية المتميزة - نكتاً حفظها ووعاها عن أفواه العرب الذين شاهدوهم وأقام بين ظهرانئهم سنين ، « إذ كان ما أثبتته كثير من أئمة أهل اللغة فى الكتب التى ألفوها والنوادر التى جمعوها ، لا ينوب مناب المشاهدة ، ولا يقوم مقام الدربة والعادة » .

وقد مكنته من هذه المعرفة القائمة على الرواية المباشرة أو المشاهدة والمشاهدة من كشف آفات الكتب المصحفة وتمييز صحيحها من سقيمها ؛ وهى معرفة لم تتوفر لأبناء زمانه ، وجعل كل همه - توخياً للمثوبة من الله - أن يهذب لغة العرب غاية التهذيب ، وأن يدل على التصحيح الواقع فى كتب المتحاذقين ، والمعور من التفسير المزال عن وجهه ، لئلا يغتر به من يجهله ، ولا يعتمد منه من لا يعرفه . ويمضى الأزهرى بعد ذلك فى ذكر أئمة اللغة - الذين اعتمد عليهم فى معجمه من ص ٨ : ٤٠ مرتباً إياهم فى طبقات ، ملخصاً تراجمهم وأثارهم اللغوية . وتعد هذه الوثيقة ذات قيمة كبيرة لما تضمنته من معلومات مفيدة فى تتبع حركة التأليف اللغوية وبيان جهود العلماء فى المراحل المختلفة فى تشكيل ذلك التراث اللغوى الضخم .

ومن المهم هنا أن ننبه إلى أن الأزهرى قد ناقض نفسه فى موقفه من الليث بن المظفر وابن دريد . فإذا موقفه من البشتى (أحمد بن محمد) المعروف بالخارزنجى ، المعاصر له ، الذى ألف « التكملة » لكتاب العين للخليل بن أحمد ، يمكن أن تفهم دوافعه ، فقد وصفه الأزهرى بصفات هى فى مجملها أنه ليس ثباتاً ولا ثقة ، يقول : قد اعترف

البُشتى بأنه لا سماع له فى شىء من هذه الكتب ، وأنه نقل ما نقل إلى كتابه من صحفهم ، واعتل بأنه لا يزرى ذلك بمن عرف الغث من السمين . وليس كما قال ؛ لأنه اعترف بأنه صحفى . والصحفى إذا كان رأس ماله صحفاً قرأها فإنه يصحف فيكثر ، وذلك أنه يخبر عن كتب لم يسمعها ودفاتر لا يدرى أصحح ما كتب فيها أم لا . وإن أكثر ما قرأنا من الصحف التى لم تضبط بالنقط الصحيح ولم يتول تصحيحها أهل المعرفة - لسقيمة لا يعتمدها إلا جاهل ( ص ٢٣ ) .

إذا كان هذا موقفه من البُشتى ، فما تفسير رجوعه إلى التكملة ونقله كثيراً من المواد اللغوية وبخاصة تلك المواد النادرة الاستعمال التى تصل فى قدرها إلى درجة المهمل ؟ . أما موقفه من الليث بن المظفر فأكثر غرابة . فقد ذهب إلى أنه نحل الخليل ابن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفقه باسمه ، ويرغب فيه من حوله ( ص ٢٨ ) . فما فى كتاب العين من اضطراب أو خلل أو حروف أزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيح والتغيير ، فمرجهه إلى الليث .

ولذلك عنى بتتبع ما صحف وغير منه ، يقول ( ص ٢٩ ) : فأخرجته فى مواقفه من الكتاب وأخبرت بوجه الصحة فيه ، وبينت وجه الخطأ ، ودلت على موضع الصواب منه وستقف على هذه الحروف إذا تأملتها فى تضاعيف أبواب الكتاب .

فكيف يسير على نهج الخليل فى ترتيبه الصوتى ونظام التقلبات وتبويب الأبواب ، وقد وصف الكتاب بأنه منحول ؟ . وإذا كان قد صحح بعض ما هو لليث وارتاب فيه وتوقف فى حروف لم يوفق إلى تصويبها فأشار إليها بعبارة : إنى لم أجده لغيره فاعلم أنه مريب ، فكيف يعزوه إلى الليث تارة أخرى . إنه قد اعتمد على كتاب العين اعتماداً كبيراً ، سواء أصرح بذلك أو لم يصرح ، فعبارته - فى معجمه ، للمدقق فى جلاء - تتفق مع عبارة الخليل فى أكثر الأحيان .

وقد تكرر الأمر ذاته مع ابن دريد وكتابه ( الجمهرة ) ، فقد وسم ابن دريد بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب فى كلامهم ، وقد تحدت علاقة الأزهرى بابن دريد من خلال علاقة أستاذه نبطويه بابن دريد ، إذ كان نبطويه يستخف به ولم يوثقه فى روايته ، ثم تلك الحادثة التى أثرت فى نفس الأزهرى حين دخل يوماً على ابن دريد فوجده سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من غلبة السكر عليه ، يقول ( وذلك بعد أن قطع صلته به ) ص ٣١ :

وتصحفت كتاب الجمهرة له فلم يراه دالاً على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوها ، وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفاً كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها ، فأثبتها من كتابي في مواقعها منه ، لأبحث عنها أنا أو غيري ممن ينظر فيه . فإن صحت لبعض الأئمة اعتمدت ، وإن لم توجد لغيره وقفت .

فقد تتبع التصحيف ونبه عليه في كتابه ، وقدم نماذج له في مقدمته ، وقصر كتابه على ما صح له سماعاً من العرب ، عازفاً عن المادة اللغوية التي تضمها الصحف ، يقول ( ص ٤٠ ) : ولو أني أودعت كتابي هذا ما حوته دفاتري ، وقرأته من كتب غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون ، وأفسدها المصحفون لطلال كتابي . ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها ، ولقليل لا يخزي صاحبه خير منه كثير يفضحه . ولم أودع كتابي هذا من كلام العرب إلا ما صح لي سماعاً منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتي ، اللهم إلا حروفاً وجدتها لابن زيد وابن المظفر في كتابيهما ، فبينت شكى فيها ، وارتببى بها . وترأها في مواقعها من الكتاب ووقوفى فيها .

إن المقارنة المبدئية بين قوله وفعله تفضح هذا الموقف المتناقض ، ولكننا لا يمكن أن نصل إلى حكم دقيق قاطع إلا بعد مقابلة كاملة بين المواد اللغوية الواردة في التهذيب والمواد اللغوية الواردة في كتابي العين والجمهرة . ومادمننا لا نستطيع أن نقوم بها الآن في هذا المقام فنرجى الحكم إلى أن نتاح لنا هذه المقابلة في بحث علمي مستقل . وبين الأزهرى في تفصيل في مقدمته أيضاً أن الدافع إلى تأليف معجمه أنه قصد به معرفة معانى القرآن وألفاظ السنة بطرق ثلاث هي الجمع والاستقصاء والاستشهاد ، أى الجمع من لغات العرب وألفاظها ، والاستقصاء في تتبع ما حصل منها ، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها ، يقول إن الدافع خلال ثلاث :

١ - تقييد ما حفظه ووعاه من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقام بين ظهرانيهم سنين أيام الأسر . وهذه ميزة كأن الأزهرى لا يفتأ يذكرها في مواضع عدة ، فلم يقم توثيقه للمادة اللغوية كما قلت على الأخذ عن العلماء ، فذلك نهج قاصر هيأت الظروف له أن يستكمله من خلال المشاهدة والمشافهة والسماع المباشر .

٢- أداء النصيحة الواجبة على أهل العلم : لجماعة المسلمين ، عملاً بالحديث النبوي الكريم « ألا إن الدين النصيحة لله ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ولعلمائهم » .

٣- والثالثة لها أكثر القصد ؛ رصده ما فى كتب اللغة من دَخَلٍ وَعَوَارٍ ، وإن كان بها كثير من الصحيح السليم ( الفصح ) ، غير أن النوع الأول أشكل على أبناء زمانه ، فليست لديهم المعرفة ولا الخبرة الكافيتين لتمييز الصحيح من السقيم والتنبيه على أشكال التصحيف والتحريف فيها ، ويبان التفسير المزال عن وجهه . ( ص ٦ ) .

وقد سار الأزهرى فى ترتيبه ( تهذيب اللغة ) على نهج الخليل فى ترتيبه ( معجم العين ) ، وهنا يتأكد لنا ذلك التناقض الذى وقع فيه الأزهرى ، فقد أشار فى مواضع عدة إلى أن كتاب العين منسوب إلى الخليل ، وأن الليث وضعه ونحله إلى الخليل ، وأن ما فيه من خلل واضطراب وتصحيف وتحريف يجعله على ثقة بأن الخليل لم يؤلفه ، وأن الليث هو المسؤول الأول عما وقع فيه ، وحين أراد أن يبين المنهج الذى انتهجه عدل عن موقفه السابق ، ونقل عن الخليل أسسه الأساسية فى الترتيب ، وهى الأساس الصوتى ، وترتيب الأبنية ، ونظام التقلبات ، يقول ( ص ٤١ ) : ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المفضل فى أول كتاب العين ، لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه . وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه . فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردد فكره فيه ، وتستفيد منه ما بك حاجة إليه ، وأتبعه بما قاله بعض النحويين مما يزيد فى بيانه وإيضاحه .

فقد التزم إذن فى ترتيب المواد اللغوية نهج الخليل ؛ والأساس الأول فيه : ترتيب حروف الهجاء ترتيباً معيناً ، يتبع مخارج الحروف ، يبدأ بأقصاها فى الحلق وأدخلها وهو العين - فى رأى الخليل - ثم ما قرب مخرجه منها الأرفع فالأرفع ، حتى يأتى على آخر الحروف . وهذا تأليفه : ( ع ح ه غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي ) . أما الأساس الثانى فهو ترتيب الأبنية ، فيبدأ بالثنائى ثم الثلاثى ( الصحيح والمعتل واللفيف ) والرباعى والخماسى . أما الأساس الثالث فهو نظام التقلبات ، إذ يذكر فى كل بنية التقلبات الممكنة ، ويراعى عدم التكرار فيما يستقبل ، وينص على ما استعمل من تلك التقلبات ( المستعمل ) ، وما أهمل ( المهمل ) .

وقد بدأ بباين نقلهما كلية ، إذ رأى أن المقدمة التي وضعها الخليل للعين أفضل بل أو في ما يجب أن يصدر به كتابه ، وهما باب ألقاب الحروف ومدارجها ثم باب أحياء الحروف . وهكذا فإنه لم يصف شيئاً يذكر إلى منهج الخليل العسير على من أراد أن يخرج منه حرفاً معيناً ، وقد دفع ذلك المسلك الوعر الناس إلى إهماله ، ليس لأى سبب سوى تعقد الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب . بيد أن ذلك لا يقلل من قيمته ، إذ إنه يعد من أوثق المعاجم اللغوية . ألم يقل الأزهرى « ولم أودع كتابى هذا إلا صح لى سماعاً منهم أو رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتى . وقد اعتذر عن حذف بعض الحروف والشواهد حرصاً منه على عدم التطويل والتكثير . وعلى الرغم من ذلك فقد حوى مادة لغوية ضخمة ، حاول بها تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوى وأشعار العرب وأمثالها . أما عبارته فقد تناولتها فيما سبق ، ويكفى هنا فى ختام هذا التحليل أن أورد رأى أحد تلاميذه فيه ، وهى كلمة جامعة ، فيها يقول عن التهذيب : « كتاب قد اشتمل من لغة العرب على جزء متوفر مع جُساءة فى عبارة المصنف وعجرفة فى ألفاظه » . وقد أدى منهجه فى التوثيق اللغوى أن يعتمد عليه ابن منظور خاصة فى معجمه ( لسان العرب ) ، اعتماداً كاملاً ، فيفرغ معظم كتاب الأزهرى فى معجمه .

**وفيما يلي نموذج من معجم ( تهذيب اللغة ) للأزهرى .**



أنهم يُحْمَلون بِقَدْر ما لا يطيقون ، فإن لم تكن عاقلة لم يُحْمَل في مال الجاني ولكن ، يدبر عنه . وقال إسحاق : إذا لم تكن العاقلة أصلاً فإنه يكون في بيت المال ولا تُهدر الدية .

قلت : والققل في كلام العرب : الدية ، سميت قعلاً لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلاً ، وكانت أموال القوم التي يرتفون بها الدماء ، فسُميت الدية قعلاً لأن القاتل كان يكافئ أن يسوق إبل الدية إلى قناب . ورتة القتل ، ثم ينفقها بالققل ويسلها إلى أوليائه وأهل القتل مصدر غفلت البعير بالقتال أغفله عقلاً ، واليفال : جبل يُبقى به بد البعير إلى ركبته ، يشدُّه .

وقضى رسول الله صلى الله عليه في دية الخطأ المحض ويضيه الممد أن يبرئها نصيب القاتل ويُخرج منها ولده وأبوه فأما دية الخطأ المحض فإنها تقسم أحماً بنت مخص ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين بنت لبون ، وعشرين حقة ، وعشرين جذعة . وأما دية شبه المدفأها تغلظ ، وهي مائة بعير أصا ، منها ثلاثون حقة ، وثلاثون جذعة ، وأربع مائتين نية إلى إزلة غايبها ، كلها خليفة مصيبة

القاتل إن كان القتل خطأ محضاً فحرموا الدية لأولياء القتل أحماً كما وصفت ، وإن كان القتل شبه المدفأ فحرموا مائة كما وصفت في مدبر سنين . وهو الققل ، وم العاقلة .

ويقال غفلت فلاناً ، إذا أغلقت دية ورثته . وغفلت عن فلان ، إذا زنته جنابة فترثت ديتها عنه وهذا كلام العرب .

وروي عن الشعبي أنه قال : لا تغفل العاقلة عمداً ولا عبثاً ولا صلحاً ولا اعتراضاً ، المسمى أن القتل إذا كان عمداً محضاً لم يلزم الدية عاقلة القاتل ؛ وكذلك إن سوط الجاني من الدية على ماله بإقرار منه لم يلزم عاقلة ما سولح عليه وإذا جنى عبد لرجله حر على إنسان جنابة خطأ لم تنرم عاقلة مولاه جنابة العبد ، ولكنه يقال لسيده : إنما أنرتت إلى ولي القتل أو تديبه بماله يؤذيه من عنده . وقيل ممن قوله لا تغفل العاقلة عبثاً ، أن يجنى حر على عبد جنابة خطأ فلا يبرم عاقلة الجاني ممن العبد . وهذا أشبه بالمسمى ورواه بعضهم : لا تغفل العاقلة المد ولا العبد .

وقال سعيد بن السيب في تأنيه من أهل المدينة: المرأة كمثل الرجل إلى ثلث دينها، فإذا جازت الثلث رُدَّت إلى نصف دية الرجل. ومنه أن دية المرأة في أصل شريعة الإسلام على النصف من دية الرجل، كما أنها ترث نصف ما يرث الذكر، فجعلها سعيد بن السيب جراحاً مساويةً لجراح الذكر فيما دون ثلث الدية، تأخذ كما يأخذ الرجل إذا جُنِيَ عليه، فلها في إصبع من أصابعها عشر من الإبل كما إصبع الرجل، وفي إصبعين من أصابعها عشرين من الإبل، وفي ثلاث أصابع ثلاثون كالرجل. فإذا أصيب أربع من أصابعها رُدَّت إلى عشرين لأنها جاوزت ثلث الدية فردَّت إلى عشرين لأنها جاوزت ثلث الدية فردَّت إلى النصف مما للرجل.

وأما الشافعي وأهل الكوفة فإتهم جعلوا في إصبع المرأة حساً من الإبل، وفي إصبعين لما عسراً. ولم يستبرئ الثلث الذي احتج به ابن السيب.

وفي حديث أبي بكر الصديق أنه قال حين امتنعت العرب من أداء الزكاة إليه بدموت

النبي صلى الله عليه: «لو منون عقالاً بما أدوا إلى رسول الله صلى الله عليه قسائهم عليه». قال أبو عبيد، قال الكاسي: النقال صدقة عام، يقال أخذ منهم عقال هذا العام، إذا أخذت منهم صدقته. وأشد غيره لسروين القدياء الكاسي:

سَمِي عِقَالاً فَلَمْ يَتْرِكْ لَنَا سَبْكَاً  
فَكَيْفَ لَوْ قَدَسَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ<sup>١</sup>  
أَصْبَحَ الْحَيُّ أَرَاداً وَلَمْ يَمْلُوا  
عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْمَجَا جَالَيْنِ

وقال بعضهم: أراد أبو بكر رضي الله عنه بالنقال الميل الذي كان يُنْقَلُ به القرية التي كانت تؤخذ في الصدقة، إذا قبضها المصدق أخذت معها عقالاً ينقلها به. وذلك أنه كان على صاحب الإبل أن يؤذي على كل قرية عقالاً يُنْقَلُ به، ورواه، أي جلاً.

(١) اللسان (مثل، سمي، وهد). والسر يقول في عمرو بن حبة بن أبي سفيان، وكان حارياً استعمله على صدقات كلب، انتهى عليهم. وانظر المزاوة ٣: ٢٨٧ والأغانى ١٨: ٤٩ ومجالس نبل ١٧١.

ويقال: فلان قديد مائة، وعقل  
إذا كان غلظه إذا أضر مائة. وقال  
يزيد بن الصيق:

أسود راعين وأجنى  
المثني في الصباح وفي الدهر (١)

وقال أبو عبيد: قال الأصمى: يقال  
عقل الرجل يقال عقلًا، إذا كان عاقلاً.  
وقال غيره: سمي عقل الإنسان - وهو تمييزه  
الذي به يفرق جميع الحيوان - عقلًا لأنه يفقهه،  
أي يفهمه من التورط في المتكدة، كما يقال  
العقل البهيم من ركوب رأسه. وقيل إن  
الدية سميت عقلًا لأنها إذا وصلت إلى ولي  
المتورط عقلته عن قتل الجاني الذي أذاعها،  
أي منته. وقال الأصمى: عقل الظبي يقال  
عقلًا، أي امتنع؛ وبه سمي الرجل عاقلاً.  
ومنه العقل، وهو اللجأ. وعقل الدواء  
بطلته يفقه عقلًا، إذا أمسكه بعد استطلاقه.  
ويقال: أصلى عقلًا، فيعطيه دواء يبيد  
بطنه.

(١) البيت معروف في اللسان (عقل).

وقال ابن شميل: إذا استطلق بطن  
الإنسان ثم امتسك فقد عقل بطنه، وقد  
عقل الدواء بطنه، سواء. ويقال لقوم على  
مناظرة الأول من الدية، أي يؤذونها كما  
كانوا يؤذونها في الجاهلية، واحتسبوا عقلة.  
وعقل المصدق المدقة، إذا قبضها. ويقال  
لا تشتر المدقة حتى يتلقا المصدق، أي  
يتقبضها. ويقال نقة عقله وبه عقل بين  
العقل، وهو أن يكون في رجله التورط. والعقل:  
أن يكون القوس ظلمة ساعة ثم ينبط. وقد  
احضل فلان ربحه، إذا وضع بين ركبتيه وساقه.  
واحضل لثته، إذا وضع رجليها بين لثته  
وساقه فغلبها. ويقال فلان عقله يتقل بها  
الناس، يعني أنه إذا صار لهم عقل أرجلهم،  
وهي الشغوية والاحضل.

قال: وقال غير واحد: العقل: ضرب  
من الرشي. والبقيلة: الكريمة من النساء  
والإبل وغيرهما، والجميع العقائل. وعقل الظل:  
إذا قام قائم الظهيرة. ويقال احضل فلان  
الرخلة، إذا نقي رجله فوضعا على اللوزك.  
وقال ذو الرمة:

أطَلْتُ اعْتَالَ الرَّحْلُ فِي مَدَلْتِهِ

إِذَا شَرِكَ لِلرَّمَاةِ أَوْ دَرَى نَتَاسُهَا<sup>(١)</sup>

أَي خَفِيَتْ آخَارُ طَرَفِهَا .

وَيُقَالُ تَعَقَّلَ فُلَانٌ قَادِمَةً رَحْلِهِ ، بِمَعْنَى اعْتَضَهُ . وَقَالَ النَّابِغَةُ :

سَيَسْتَعْلِقُ قَوَادِمَ الْأَكْوَابِ<sup>(٢)</sup> .

وَسَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِأَخْرَجٍ : تَعَقَّلْ لِي بِكَتَيْبِكَ حَتَّى أُرَكِبَ بِهَيْوَى . وَذَلِكَ أَنَّ بَيْهْرَهُ كَانَ قَائِمًا مِثْلًا ، وَلَوْ أَنَا خَلِمَ بِيَهُمْ بِهِ وَبِحَمَلِهِ ، فَنَجَعَ لَهُ يَدَيْهِ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَسَابِيهِ حَتَّى وَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ وَرَكِبَ .

وَيُقَالُ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ ، إِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ . وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

وَسَقَطَ اللِّسَانُ بِتَسِيرِ خَبَلِي

يَجِيدُ كَأَنَّهُ رَجُلٌ أَبِيمٌ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان ذي الرمة ١٢٩ . واللسان ( عقل ) .

(٢) في حواشي اللسان : و السنان : مكانا أُنشده الأزهري ، و انتهى في شعره :  
لِيَأْتِيَنَّكَ قَصَادٌ وَ لِيَدِينَنَّ  
أَنْفَ إِلَيْكَ قَوَادِمَ الْأَكْوَابِ

وَأورد له روايات أخر تم قال : و إنما هو للبربر ابن سعيد التنسي . و صدره :

• يَا ابْنَ الْمُقَرَّبِ إِلَيْكَ أَقْبَلْ صَبِيحِي •  
و انظر ديوان النابغة ٣٥ . و اللسان ( عقل ) .

(٣) ديوان ذي الرمة ١٩٣ . و اللسان ( عقل ) .

قال أبو سعيد : يقال عقل فلاناً وعتكته ، إذا أفتت على إحدى رجليه ، وهو يتقول : منذ اليوم . وكل عقل وفتح . وجرل دم فلان سقطة على قومه ، إذا حرموه . و يقال اعتقل فلان بين دم صاحبه ومن يملكه ، إذا أخذ العقل . والمائل : حيث تمقل الأبل وعتقت البراة شرفها ، إذا شطبت . والمائطة : بإمالة . والدرة الكبيرة الصافية عتيبة البحر . والميقول : العقل . ويقال ماله مققول أي ماله عقل .

تقلب عن ابن الأعرابي قال : العقل : التثبت في الأمور . والعقل : القلب ، والقلب : العقل .

الحيث : التثقل والمثقل وهو الخمين ، وجمه مقول : وانشده :

وقد أعددت لحدتيان حصناً

لأن البرء يفنه المقول<sup>(١)</sup>

قلت : أرأه أركب الخول اليبسين في الجبل ؛ يجل وعل عائل ، إذا شمتن بجواريه

(١) البيت لأبي نعيم بن الجراح . الأغانى ١٩٤٣ .  
واللسان لا يعلقه .  
(٢١٤) - تهذيب اللغة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٨)

بناء المعجم على أساس الأصول

(الأخير فالأول)

- صحاح العربية للجوهري

- لسان العرب لابن منظور

- القاموس المحيط للفيروزآبادي

- تاج العروس للزبيدي

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي  
أسكنه الله الفردوس

## صاحح العربية للجوهرى

على الرغم من أن معجم ( تاج اللغة وصحاح العربية ) قد أحدث تحولاً جوهرياً فى تاريخ التأليف المعجمى بابتداع الجوهرى نهجاً جديداً فى التصنيف والترتيب ، فإن الخلاف بين العلماء ما زال قائماً والجدل مستعراً حول براءة اختراع هذا النهج ، فقد ذهب بعضهم مذهباً معتدلاً حين قال لقد تأثر الجوهرى فى ترتيب معجمه بيوادر هذا الترتيب فى كتاب خاله ، أبى إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابى ( ت ٣٥٠ هـ ) المعروف باسم ( ديوان الأدب ) . إذن فقد كانت البداية على يديه ، وقد تتلمذ الجوهرى عليه ، وأخذ عنه . وذهب فريق آخر إلى أنه لم يكن أول من توصل إلى هذا النهج فقد سبقه البندنجى «صاحب كتاب التقفية» ( ت ٢٨٤ هـ ) ، والفارابى ، خال الجوهرى ، الذى سار فى إثر هذه الطريقة غير المسبوقة مع توسيع وتفصيل . ورفض فريق ثالث أن يكون غير الجوهرى أول من فكر فى وضع معجم شامل على هذا الأساس ، إذا لم يراع البندنجى إلا الحرف الأخير ، مهملاً النظر إلى الحرفين الأول والثالث . أما الفارابى فقد قسم معجمه إلى ستة كتب ( كتاب السالم ) ، وكتاب المضاعف ، وكتاب المثال ، وكتاب ذوات الثلاثة ( أى الأجوف ) ، وكتاب ذوات الأربعة ( أى الناقص ) ، وكتاب الهمزة ) ثم كل كتاب منها إلى قسمين ، الأول منهما يختص بالأسماء والثانى يختص بالأفعال ، وكل قسم منها إلى أبواب ، على أساس الأبنية . ولكنهم ينسون أنه قسم هذه الأبواب وفق حروف الهجاء ( أ ب ت ث . . . الخ ) على حسب الأصل الأخير من الكلمة ، ثم رتب المفردات فى أصولها وفق الحرف الأول منها فالثانى ، فما بعده من حروف تبعاً لأصول كل بنية .

وهكذا فالأرجح أن ينسب هذا النهج إلى مبتكره الأولى به ، الذى طبقه إلى حد بعيد وهو الفارابى ، ولكن كان مدخله الأساسى تقسيم المواد اللغوية على أساس

الأبنية ، وقد تأثر فيه بكتّاب العين ، كما أنه اقتصر على مواد قليلة بالنظر إلى ما ضمه معجم الجوهري ، فاشتهر به لتوسعه في استخدامه وتطبيقه على نحو شامل ، وشاع بين الناس لقرب متناوله . فقد كانت الحاجة في تلك الفترة التي ألف فيها ، ملحة إلى ذلك النظام ، فقد شاع السجع في القرن الرابع الهجري - على النحو ما يذهب إليه د . حسين نصار في المعجم العربي ( ص ١٧٦ ) واحتاج الأدباء إلى الكلمات المتحدة الحرف الأخير ، وكذلك اختفاء العرب من بين الشعراء ، . وغلبة الأعاجم على الشعر ، وضعف محصيلهم اللغوي ، وحاجتهم إلى البحث عن الألفاظ التي تتفق مع قوافيهم .

وتذكر كتب التراجم والطبقات أن الجوهري قد كون ثقافته اللغوية من طريقين ؛ الأولى من خلال الأخذ عن العلماء ، وهم في المقام الأول خاله الفارابي ، وأبو سعيد السيرافي ( ت ٣٦٨ هـ ) وأبو علي الفارسي ( ت ٣٧٧ هـ ) ، والثانية من خلال رحلة إلى البادية ومشاهدة العرب الخالص . فقد تابع المتقدمين في عدم الاكتفاء بتحصيل اللغة عن طريق الرواية عن العلماء الثقات ، والرحلة إلى البيئات الموثوق في نقاء لغتها وفصاحة سكانها ، وذلك لزيادة المحصول اللغوي من جهة ، والاستيثاق من صحة ما تلقاه عن شيوخه من مواد لغوية من جهة أخرى .

وترجع علة تسمية معجمه بصحاح العربية ( صحاح بكسر الصاد جمع صحيح أو صحاح بفتحها مفرد نعت مثل صحيح ) إلى قوله محدداً المنهج الذي سلكه : قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة . . . على ترتيب لم أسبق إليه ، وتهذيب لم أغلب عليه ، بعد تحصيلها بالعراق رواية ، واتقانها دراية ، ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية ، ولم آل في ذلك نصحاً ولا ادخرت وسعاً ( ١ / ٣٣ ) . وقد التزم إثبات الصحيح من الألفاظ ، وهو هدفه الأساسي من وضعه لمعجمه كما يقول ، فلم يعن بحصر كل المواد واقتصر على المتداول من المفردات ، إذ رأى أن بعد العهد بالعربي الفصيح قد أدخل على اللغة ما ليس فيها ، ولقد بلغ الاختلاط في هذا إلى درجة أن اشبه ( الصحيح ) بغير الصحيح ، فألف كتابه ليثبت فيه ما ذكره لنا منه أنه الفصيح في اللغة . وهو بذلك يخالف الكتب السابقة عليه ، التي أثبتت أو حاولت دون شك أن تثبت الصحيح ، ولكنها عرجت على غير الصحيح أيضاً وما لم يثبت لتتقده أو تعلق عليه . ويلزم هنا أن ننبه إلى اختلاف موقف العلماء من هذا

النهج ؛ فإن كان بعض العلماء قد رأى فيه نهجاً مقبولاً لتنقية اللغة من الألفاظ التي لم يستوثق منها ، فقد رأى آخرون أنه قد فاته كثير من المواد اللغوية الصحيحة التي قصر عزم الجوهري ومعرفته عن إثبات صحتها ، وقد سوغ ذلك للفيروزابادي أن يقول إن الجوهري قد ترك بذلك نصف اللغة . ولكنه على كل حال يمثل وجهة نظر المؤلف فيما وثق في صحته ، ويكون إعراضه عن المواد التي لم يذكرها اتجاهها خاصاً به ، لا يقلل من قيمة المعجم ، ويمثل النهج الذي اكتمل على يديه خطوة رائدة في مسار حركة التأليف المعجمي .

وقد التزم الجوهري في ترتيبه لمعجمه الترتيب على أساس ترتيب حروف الهجاء ، فكانت أبوابه مقسمة بعدها ، ولكن الانطلاق ليس من الصورة التي توجد عليها الكلمة ، وإنما من المادة المجردة ، أي أنه لا بد أن تجرد الكلمة أولاً من الحروف الزوائد ، ثم ينظر إلى الحرف الأخير من المادة الأصلية ، ثم قسم كل باب إلى فصول بعدد حروف الهجاء أيضاً ، وذلك بحسب الحرف الأول من المادة الأصلية ، دون اعتبار لعدد حروف المادة ، وغير المستخدم من المواد اللغوية . فالأساس إذن الحروف الأصول ، وبعد الأصل الأخير (الباب) ، والأصل الأول (الفصل) ؛ ففي باب (الراء) - مثلاً - تجمع كل المواد المنتهية بهذا الحرف ، وفي فصل (الجيم) منه تجمع كل المواد المبدوءة بهذا الحرف من هذا الباب ، ثم ترتب المواد بعد ذلك وفق الحروف الأخرى للمادة ؛ أي حسب الحرف الثاني ، إن كانت الكلمة ثلاثية ، فالثالث إن كانت رباعية ، فالرابع إن كانت خماسية . . .

ويلاحظ هنا أنه قدم فصل (الواو) ، وجعله بين النون والهاء ، والترم بذلك أيضاً في الترتيب الداخلي للمواد . ويلاحظ كذلك أنه قد ارتبط عدد فصول كل باب بوجود المواد المستعملة فيه أو عدم وجودها ؛ فهناك أبواب اكتملت فصولها الثمانية والعشرين ، بينما توجد أبواب أخرى لم تكمل فصولها . وهكذا يكون المعجم مكوناً من ثمانية وعشرين باباً في الأساس . أما معظم الأبواب فيقل عدد فصولها عن ثمانية وعشرين تبعاً لطبيعة المادة كما قلت . ومن ثم فإن مجموع ما يضم الصحاح من فصول - كما يقول محققه الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في المقدمة ص ١٢٩ - اثنان وثلاثون وستمائة فصل ، وأما عدد المواد اللغوية فيه فالتواتر أنها بلغت أربعين ألف مادة .

اختتم معجمه بياب الألف اللينة ، ويقصد بها الألف الأصلية التي ليست منقلبة عن

همزة أو حرف لين ( وقد تحقق هذا في الحروف والأدوات ) : ولم يقسم هذا الباب إلى فصول تبعاً للحرف الأول - كما هي العادة في بقية الأبواب - وإن راعى ذلك في ترتيب الأدوات . ونبه كذلك إلى مراعاته للثلاثي في المقام الأول ، فلم يفصل بين الثلاثي وغيره .

عنى الجوهري بضبط المواد اللغوية درءاً للتصحيف ومنعاً للتحريف ، ولم يكن الضبط بوضع الحركة على الكلمة وإنما يذكر نوع الحركة بعد الكلمة ، مقتصرأ في ذلك على ذكر حركة الحرف المحتمل أكثر من وجه . وفي كل قسم كانت له طريقة ؛ ففي المصادر كان الضبط للحرف الأول ، وفي الأسماء كان الضم والكسر والفتح للحرف الأول والتحريك بالتغير ، حين ينتقل إلى صيغة المضارع ، وكان يذكر المصدر بجواره أحياناً لأهميته أو لإمكان وقوع اللبس فيه أو لندرته أو لصعوبة بنائه إلى آخر تلك العلل الموجبة للذكر والتنبيه ، وقد اكتمل هذا النهج في الضبط فيما بعد على يد الفيروزابادي .

ويبدأ عادة بالمصدر محلياً معناه ثم يذكر الفعل وسائر مشتقات المادة ، وقد عنى في تحليل المواد ومضعفاتها ومزيداتها بإيضاح المعاني الناتجة عن التغيير من حالة إلى حالة والاستشهاد على ذلك بالنصوص الأدبية الموثوق بها من الشعر والنثر والحكم والأقوال والأمثال ، وإن أولى القرآن الكريم والحديث الشريف عناية خاصة .

ويلاحظ هنا أيضاً أنه كان يكرر المادة إذا تعدد معناها واتفق ضبطها ، ويثبت اللغات المختلفة في المادة الواحدة ، وينسب المادة إلى اللغة التي تستخدمها ، ويحشد القواعد النحوية والصرفية ، ويناقش آراء العلماء ، منبهاً على مواضع الخلاف أو الاتفاق بينهم ، مهتماً بنسبة ما ينقل إلى أصحابه أحياناً . وهكذا يكون الجوهري قد أضاف إلى صناعة المعجم إضافات قيمة ، ولكن كما قلنا مراراً لم يسلم عمل من نقد ، وبخاصة وقوع بعض التصحيقات والتحريفات فيه . وعلى الرغم من ورود خبر - صح أو لم يصح - أساسه الاعتذار عما أخذ على « الصحاح » من هذه المآخذ التي عنى بعض العلماء بتتبعها واستخراجها والتنبيه عليها ، وهو أن الجوهري قد توقف في تأليف معجمه عند حرف الضاد ، وقد ظل المعجم على مسودته ، لم ينقح ولم يبيض حتى وفاته ، فبيضه وأخرجه أبو اسحق بن صالح الوراق ؛ تلميذ الجوهري ، وغلط فيه في مواضع كثيرة ، وقد أشار محقق الكتاب في مقدمته ( ص ١٣٤ ) ، إلى ذلك ،

بالإضافة إلى تأكيد نقد الفيروز ابادى لعمل الجوهري بإهماله بعض المواد الصحيحة ، وكذا نسبة الأقوال لغير أصحابها ، وغلطه في ترتيب المواد ، واشتماله على أخطاء نحوية وصرفية ، وعدم دقته في نقل أقوال العلماء ، واضطرابه في نسبة الأحاديث النبوية إلى غير رواياتها ، وكذلك نسبة الكلام إلى النبي على أنه حديث ، وخلطه بين أجزاء الآيات من الشعر ، وخطئه في شرح معانى المفردات . على الرغم من ذلك كله فإن ما في العمل من مزايا تتجاوز هذه العيوب بدرجة كبيرة ، قد وجهت العلماء إلى العناية به في صور شتى ؛ فعنى ابن برى ( ت ٥٨٢ هـ ) ، تلميذ الجوهري ، بالتنبيه على ما وقع من الوهم في كتاب الصحاح ، في حاشيته عليه ، وذكر الكلمات التي وضعت خطأ في غير مواضعها ، وأضاف بعض الشواهد التي لم يذكرها الجوهري . أما الصاغاني ( ت ٦٦٠ هـ ) في تكلمته ، فقد ذكر بعض المواد التي تركها الجوهري ، مع تعليق موجز على ما ذكره الجوهري من معانى المفردات أو نسبة الآراء إلى قائلها .

وعنى العلماء إلى جانب ذلك بتهذيبه وتنقيحه ، ومن ذلك تنقيح الجواليقي ، أبى منصور موهوب بن أحمد ( ٤٦٥ هـ ) مع حذف الشواهد ، وتنقيح الزنجاني ، أبى المناقب محمود بن أحمد ( ت ٦٥٦ هـ ) ، وكان أشهرها اختصار الرازي ، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر ( ت ٦٩١ هـ ) ، المسمى « مختار الصحاح » ، فقد اختار بعض المواد من صحاح الجوهري ، مستهدفاً بذلك تلبية حاجة الحفاظ والأدباء ورجال الفقه واللغة إلى تلك المواد في صورة يسيرة وسريعة ، كان عليه لأجل ذلك أن يضيف مواد أخرى ، من تهذيب اللغة وغيره من المعجمات . وقد حفزت قيمة هذا المختصر « وزارة المعارف المصرية » إلى تعميم الانتفاع به بعد تيسير تناوله وتغيير منهجه ، دون مساس بالمادة الأساسية وخصائصها فى الأغلب . فقام الأستاذ محمود خاطر بتهذيبه وإعادة ترتيبه ، مراعيًا الحرف الأول من المادة الأصلية وما يليه ، الثانى فالثالث . . . . وأن يرد إلى كل مادة مشتقاتها التى يصعب على الطالب زدها ، وأن يحذف ما لا ينبغى أن يترك مسامح النشء . وقد طبع سنة ١٩٠٧ م ، ثم أعيد طبعه مراراً ، ومنه طبعة تتصدرها مقدمة قيمة ، قام بها زميلى د . عبد الفتاح البركاوى ، سوف نعالجها فى موضوعها إن شاء الله .

وتجدر الإشارة هنا إلى عناية بعض الباحثين بما وجه إلى معجم الجوهري من نقد وإلى مناقشة كل مأخذ على حدة ، والرد عليه . ويغلب على ذلك طابع الجدل

والتشديد على استحالة وقوع الجوهري في أوهام أو أخطاء ، وإنكار ما ورد في معجمه بنسبته إلى أبي اسحق الوراق . وكان ردهم على المأخذ الأساسية الأول ، وهو الاقتصار على المواد الصحيحة ، وغياب مواد أخرى صحيحة لا تقل عما أثبتته ، بأنه ليس ملزماً أن يدون كل ما في اللغة من مفردات ، كما قال هو نفسه في المقدمة : فلا يوجد أحد أحاط باللغة كل الإحاطة . . . إلى آخر ما ذكر في مقدمته . وبالنسبة للمأخذ الثاني ، وهو وقوع تصحيف وتحريف في بعض المواد ، كان ردهم بأنه لا يسلم أحد من الخطأ ، فالمرء يخطئ ويصيب فيما يؤلف وبخاصة في الأعمال الضخمة وبالنسبة للمأخذ الثالث ، وهو وجود أخطاء عامة كما ورد لدى ابن بري خاصة ومقدمة المحقق الأستاذ أحمد عطار . كان الرد أن الجوهري قد توفي قبل أن يتم معجمه ، فلم يتيسر له مراجعة سائر كتابه ، ولم ينقحه . وكان على من أخرجه أن يستدرك ذلك قبل نشره بين الناس . وقيل أيضاً أنه قد استقى مادته من العين والجمهرة والتهذيب وغيرها ، ولم يخالف من سبقه في شرح المفردات ، وكان يصرح بالمصدر الذي نقل عنه أحياناً ويغفله أحياناً أخرى ، بل قيل إن جميع ما ورد فيه موجود في التهذيب إلا بعض الشواهد التي أتى بها من عنده . وعلى الرغم من التشابه الكبير بين معجم الجوهري ومعجم العين ومعجم التهذيب في جوانب شتى ، إلا أن هناك زيادات واضحة أضافها الجوهري من خلال الطريقتين اللتين اتبعهما في جمع المادة اللغوية ، كما أننا لا يمكننا أن نصل إلى حكم دقيق في هذه المسألة الأخيرة إلا بعد مقارنة شاملة للمواد في هذه المعاجم الثلاثة .

ومهما يكن من شيء فإن نهج الجوهري المكتمل في معجمه قد تجاوز المصاعب والمشكلات الناتجة عن استخدام طريقة الترتيب الصوتي ونظام التقليليات ، إذ إن الاعتماد على أصول المادة طريق أيسر ونظام أكثر ضبطاً وإحكاماً . وينبغي أن نضيف في طريقة الكشف عن كلمة ما ، بالإضافة إلى المبدأ الأول وهو إرجاع المادة حروفها الأصلية ؛ بتجريدها من حروف الزيادة بأنه يستلزم ذلك أيضاً رد الحرف المحذوف إليها إن كان بها حذف ، ورد حروف العلة إلى أصلها إن كانت منقلبة عن أصل ، ورد الجمع إلى مفردة ، والمؤنث إلى مذكرة ، والمصغر إلى مكبره . . الخ . حتى نصل إلى تحديد سليم لحرف الباب ، وهو الحرف الأخير من المادة الأصلية ، كما قلنا ، وحرف الفصل ، وهو الحرف الأول منها ، ثم حروف الحشو حسب بنية الكلمة ( ثلاثية ، رباعية ، خماسية ) ، وإن كانت هذه البنية الثلاثية هي المحور دائماً . وأظن بعد ذلك أننا

لسنا فى حاجة إلى سرد مزايا هذا المعجم ، وذلك لورودها فى ثنايا معالجتنا لمنهج  
وتبويبه وترتيبه وطريقة عرض مادته والايستشهاد عليها وضبطه ، وطريقة تعامله مع  
مصادره ، واهتماماته ، وإضافاته وتميزه الأساسى من جهة توثيق مادته ، فلم يثبت فيه  
إلا الصحيح الفصيح من وجهة نظره ، وانتهاج ذلك النهج فى الترتيب الذى وسع دائرة  
الإفادة من المعجمات . قد تجلّى ذلك العجب به فى أوصاف القدماء ، كما أشرنا ، وفى  
أوصاف المحدثين ، حيث يقول محقق الصحاح ( ت ٢١٢ هـ ) : والصحاح أول معجم  
عربى صحيح يوثق به ثقة علمية ، ولا نغالى إذا قلنا : إنه أول معجم حق عرف فى  
العالم ، لأن المعاجم التى عاصرتة أو سبقته فى الأمم العربية ، أو غير العربية لم تكن فى  
مستواه العلمى ، واستيعابه كثيراً من مواد اللغة الصحيحة ، وترتيبه ونظامه ودقته  
وتحريره الصحة .

**وفيما يلى نماذج من معجم ( صحاح العربية ) للجوهري**

تمرّة وتمر. وقد جمع على ليلال فرادوا فيها الياء على غير قياس. ونظيره أهل وأهل. ويقال: كان الأصل فيها ليلاة فخذت، لأن تصغيرها ليلية.

وليل الليل: شديد الظلمة. قال القزويني:

• والليلُ مُخْتَلِطُ النَّيْطَالِ أَيْلُ (١)

وليلة ليلاة وليل لائل، مثل قولك شير شاعر في التأكيده.

الكسائي: عاملة ليلاة، كما تقول:

مِيَاوَةٌ مِنَ الْبُرْمِ.

وليل: اسم امرأة؛ والجمع ليال. قال ابن جرير:

لَمْ أَرِ فِي صَوَاحِبِ النَّحَالِ

اللَّائِيَاتِ الْبَدَنِ الْحُرَالِ

شَيْئًا لَيْلِي خَيْرٌ مِنَ الْبَيْلِي

وذكر قوم أن الليل ولد الكروان،

والتهار ولد الخباري. وقد جاء ذلك في بعض

الأشعار (٢):

وذكر الأصمعي في كتاب الفرق التهار،

ولم يذكر الليل.

(١) صدره:

• قالوا وخيرُهُ بُرْدٌ عَلَيْهِمْ •

(٢) هو قوله:

أَكَلْتُ التَّهَارَ بِبَعْضِ التَّهَارِ

وَلَيْلًا أَكَلْتُ بِلَيْلِ بَيْمِ

الحديث أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقاتل المدون فأنه سيفاً يُقاتلُ به، قال له: «فلمك إن أعطيتك أن تقوم في الكيول» قال: لا. فأعطاه سيفاً، فجعل يقاتل به وهو يرتجز، ويقول:

إِنِّي امْرُؤٌ عَاقِدِي خَلِيلِي

أَنْ لَا أَقُومَ الدَّفْعَ فِي الْكَيْوَلِ

أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ (١)

وإنما سكن الياء في أضرب لكثرة الحركات.

وتكلى الرجل، أي قام في الكيول.

والأصل تكيل، وهو مقلوب منه.

### فصل اللام

[لد]

لَمَّ كُلُّ شَيْءٍ، وأصلها لَمَّ، واللام في

أولها زائدة. قال الشاعر (٢):

يَقُولُ أَنَسٌ عَلَّ مَجْنُونٌ عَاسِي

يَرُومُ سُلُوكًا قُلْتُ إِنِّي لَمَّيَا

ويقال لَمَّيْتُ أَمَلْتُ وَلَمَّيْتُ أَمَلْتُ، بمعنى.

[لد]

الليل واحد بمعنى جمع، وواحدة ليله مثل

(١) صدره:

• ضَرِبَ غَلَامٌ مَاجِدٌ بِهَلَلِ •

(٢) هو مجنون بن عاسر.

وَكَرْبَلَاءَ : مَوْضِعٌ ، بِهَا قَبْرُ الْحُسَيْنِ (١)  
ابن علي عليها السلام .

[ كربل ]

الكَرْبَلُ : التَّكَاثُرُ مِنَ الْأَمْرِ . وَقَدْ كُرِبَ  
بِالْكَسْرِ ، فَهُوَ كَثَلَانٌ ، وَقَوْمٌ كَسَالِيٌّ وَكَسَالٌ (٢)  
وَبِنِ شَيْئٍ كَسَرَتْ اللَّامَ كَمَا قُلْنَا فِي الصَّغَارِي .  
وَأَمْرًا يُكْتَلُ : لِأَنَّ كَادَ تَبْرُحُ جَلَسَهَا ،  
وَهُوَ تَدَحُّ لَهَا ، مِثْلُ قَوْمِ الشُّحِيِّ .

وَأَكْتَلَ الرَّجُلُ فِي الْجَمَاعِ ، إِذَا خَالَطَ  
أَهْلَهُ وَلَمْ يُنْزِلْ . وَيُقَالُ فِي فِعْلِ الْإِبِلِ أَيْضًا .

[ كربل ]

الكَفْلُ : الضَّيْفُ . قَالَ نَعَالِي : ( يُؤْتِيكُمْ  
كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَةٍ ) . وَيُقَالُ : إِذَا التَّمِيبُ .  
وَدُو الْكَفْلِ : اسْمُ نَهْجٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،  
وَهُوَ مِنَ الْكَفَالَةِ .

وَالكَفْلُ : الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى ظُهُورِ الْخَيْلِ  
وَقَالَ (٣) :

• كِفْلُ الْقُرُوسَةِ دَائِمُ الْإِنْعَامِ (٤) •

(١) في القاموس : « به قتل الحسين » .  
(٢) ويروي الكسالي كافي القاموس . وهذا  
الماعاني .

(٣) الجعاف بن حكيم .

(٤) صدره .

• والتلبي على الجواد غيبة •

وَتَمَكَّلَ الرَّجُلُ ، إِذَا أَخَذَ مُكْحَلَةً .  
وَكَحَلْتُ عَيْنِي وَكَحَلْتُ وَكَتَحَلْتُ (١) .  
الْأَسْمَنِيُّ : الْكُحَيْلُ مَبْنِيُّ عَلَى التَّصْنِيهِ :  
الَّذِي تَعَالَى بِهِ الْإِبِلُ لِجُرْبِهِ ، وَهُوَ النَّقْطُ . قَالَ :  
وَالْقَطْرَانُ إِذَا بَطَلَى بِهِ اللَّدْبِرَ وَالْقِرْدَانُ  
وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ .

[ كربل ]

الكَرْبَلَةُ : رَحَاؤَةٌ فِي الْقَدِيمِينَ . يُقَالُ :  
جَاءَ بِمِثْيِ مُكَرِبِلًا : أَي كَأَنَّ مِثْيَ فِي طِينٍ .  
أَبُو عَمْرٍو : كَرَبَلْتُ الْحِنَطَةَ ، إِذَا هَدَبْتَهَا ،  
مِثْلَ غَرَبَلْتَهَا . وَأَنْشَدَ :

يَحْمِلُنَ تَمْرَاءَ (٢) رَسُوبًا بِالنَّقْلِ

قَدْ غُرِبَتْ وَكُرِبَلَتْ مِنَ التَّمَلِّ (٣) .

وَالْكَرْبَالُ : الْمِنْدَفُ الَّذِي يُنْدَفُ بِهِ  
التَّمَلُّ . وَأَنْشَدَ الشَّيْبَانِيُّ :

تَرَى (٤) النَّعَامَ عَلَى هَامَاتِهَا قَرَعًا

كَالْبُرْسِ طَيْرُهُ ضَرْبُ الْكِرَائِيلِ

(١) كحلت عيني أكلت من باب نصر ومن  
باب منع ، فهي مكحولة ، وكحيل وكحيلة ، وكحيل  
من أعين كحلي وكحائل . وكحيل من باب فرح  
فهو أكل .

(٢) في نسخة : وحرأ .

(٣) يصف حنطة .

(٤) في نسخة : « ترى النعام » .

والكفّلُ بالتحريكِ للدابةِ وغيرها . يقال :  
 اكفنتُ بكنا ، إذا وليتهُ كفنتك .  
 والكفنية : العجبة الضخمة .

[ كلان ]

الكل : البيلُ والبقُل . قال الله تعالى :  
 ﴿ وهو كلٌ على مولاة ﴾ والجمع الكلولُ .  
 والكل : النيمُ . والكل : الذي لا ولد له  
 وآلاؤه . يقال منه : كلُّ الرجلِ يكلُّ كلالتهُ .  
 والعرب تقول : لم يرتهُ كلالتهُ ، أى لم يرتهُ عن  
 عرض ، بل عن قربٍ واستحقاقٍ . قال التروذى :  
 ورثتمُ قناةً للكلِ غيرَ كلالتهُ

عن ابْنِ مَنْفٍ عبدِ قيسٍ ومائيم .  
 قال ابن الأعرابي : الكلالَةُ بنو المِ  
 الأبايدُ . وحكى عن أعرابي أنه قال : مالي كثيرٌ  
 ويرثني كلالتهُ مَرَاخِ نهبهم .

ويقال : هو مصدرٌ من تكَلَّلَهُ التَّبُّ ،  
 أى تَطَرَّقَهُ ، كأنه أخذ طرفيه من جهة الوالدِ  
 والوالدةِ وليس له منها أحدٌ ، فسُمِّيَ بالمصدر .

والعربُ تقول : هو ابنُ عمِّ الكلالَةِ ،  
 وابنُ عمِّ كلالتهُ ، إذا لم يكن لها وكان رجلاً  
 من المشيرة .

وكفنتُ من الشيءِ أكِلَ كلالاً وكلالتهُ ،  
 أى أعيتتُ . وكذلك البعيرُ إذا أعيا .  
 وكلُّ السيفِ والرمحِ والطرفِ واليدِ ،

والجمعُ اكفانٌ . قال الأعشى يمدح توما :  
 غيرُ ميلٍ ولا عواويرٍ في الميتِ  
 بما ولا عزولٍ ولا أكفانٍ (١)

والكفْلُ أيضاً : ما اكفَلَ به الراكبُ ،  
 وهو أن يدار الكيكةُ حولَ سنامِ البعيرِ ثم  
 يُرْكَبُ . ومنه حديثُ إبراهيمَ قال : « يُكْفَرُ  
 الشُّرْبُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِنْهَاءٍ وَمِنْ عُرْوَتِهِ » قال :  
 يقالُ لَهَا كِفْلُ الشَّيْطَانِ لَمَنْ لَمْ يَكْفُرْ .

والكفيلُ : الضامنُ . يقال : كفنتُ به  
 كفالةً ، وكفنتُ عنه بالمالِ لتربيتهُ .

وكفنتُ أيضاً كفلاً ، أى واصلتُ الصومُ .

قال الطحاوي بصف إبلا يقلةُ الشرب :

يَلْدَنُ بِأَعْيَارِ الْيَأْسِ كَانَهَا

نِثَاءُ النَّصَارَى أَمْبَحَتْ وَهِيَ كِفْلُ  
 وَأَكْفَنْتُ اللَّحْلَ ، أَيْ صَمَمْتُ يَأَهُ .  
 وكفنتُهُ يَأَهُ فكفَلَ هو به كفتلاً وكفتولاً .  
 والتكفيلُ ينثلهُ .

وتكفَلَ بدينه تكفلاً .

والكافِلُ : الذي يكفَلُ إنساناً بقرتهُ .

ومنهُ قوله تعالى : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ وذكر  
 الأخصى أنه قرئ أيضاً : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بكسر التاء .

(١) في نسخة زيادة بيت قبله :

جُنْدُكَ الطَّارِفُ الطَّيْدُ مِنَ الْبَا

دَلَّتْ أَهْلَ الْهَيْبَاتِ وَالْأَكْلِ

يَكِيلُ كَلًّا وَكِتَةً وَكَلَاةً وَكُلُولًا . وَتَيْفٌ  
كَلِيلُ الْمَدَى ، وَرَجُلٌ كَلِيلٌ لِيَاكُونَ ، وَكَلِيلُ  
الْعَرَبِ .

وَمَنْ يَمْلِكُ كَلَاءً الْبَصِيرَةَ اسْمًا مِنْ كَلٍّ  
عَلَى قَمَلَاءَ وَلَا يَصْرِفُوهُ . وَاللَّمْبِيُّ أَنَّهُ تَرَضِعُ  
تَكِيلُ الرِّيحِ فِيهِ عَنْ عَمَلِيَا فِي غَيْرِ هَذَا لِلْوَضْعِ .  
قَالَ رُوَيْبَةُ :

• يَكِيلُ وَقَدْ الرِّيحُ مِنْ حَيْثُ انْتَوَى (١) •

وَالِكَيْتَةُ : السِّبْزُ الرَّقِيقُ بِمَخَالِطِ كَالِيَتِ ،  
يَتَوَقَّى فِيهِ مِنَ التَّبَيُّ .

وَكَلٌّ قَطْعَةٌ وَاحِدٌ وَمِنَاهُ جَمْعٌ . فَعَلِ هَذَا  
تَقُولُ : كَلٌّ حَضَرَ وَكَلٌّ حَضَرُوا ، عَلَى الْإِنْفِطِ  
مَرَّةً وَعَلَى اللَّغْوِ أُخْرَى .

وَكَلٌّ وَبِضُّ مَعْرِفَانٌ ، وَلَمْ يَمْسُ عَنْ  
الرَّكْبِ بِالْأَنْفِ وَاللَّامُ وَهُوَ جَائِزٌ ، لِأَنَّ فِيهَا  
مَعْنَى الْإِنْسَانَةِ أَضْفَتِ أَوْلَامُ تَعْيِيفٌ .

وَالْإِكْلِيلُ : شَيْءٌ عِمَّاقِيَةٌ تُرَبَّنُ بِالْجَوْمِ .  
وَيَسَمَى النَّجْمُ الْإِكْلِيلًا .

وَالْإِكْلِيلُ : مَنزِلٌ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، وَهُوَ  
أَرْبَعَةُ أَنْجُمٍ مُصْطَفَاةٌ .

وَالْإِكْلِيلُ : السَّعْبُ الَّذِي تَرَاهُ كَأَنَّ غِشَاءَهُ  
أَلْبِيٌّ .

(١) فِي نَسْخَةِ قَبْلِهِ :

• سَمِعْتُ الْإِعْلَامَ لِنَجْمِ الْخَمْنِ •

وَأَكْلِيلٌ لَلْكَ : تَبَيُّتُ يَتَكْوَى بِهِ .  
وَالكُكُلُ وَالكُكُلَانُ : السَّذْرُ .  
وَرَبَّمَا جَاءَ فِي ضَرُورَةِ الشَّيْءِ شَدِيدًا . وَقَالَ (٢) :

كَانَ مَهْرًا مَا عَلَى الْكُكُلِ  
مَوْضِعُ كَتْنِي وَابِي يَسْتَلِي  
وَرَجُلٌ كُكُلَانٌ بِالْمِمْ ، وَكُلَاكِلٌ أَيْضًا ،  
أَي قَصِيدٌ عَظِيمٌ مَعَ شِدَّةٍ .

وَأَكْلُ الرَّجُلِ بَعِيدُهُ ، أَيْ أَجَاهُ .  
وَأَكْلُ الرَّجُلِ أَيْضًا ، أَيْ كَلُّ بَعِيدُهُ . . .  
وَأَصْبَعْتُ مُكْلًا ، أَيْ ذَا قَرَابَتٍ . وَم  
قَلَى عِيَالٌ .

وَسَعَابُ مُكَلَّلٌ ، أَيْ يُلْتَمَعُ بِالْبَيْضِ .  
وَيَقَالُ : هُوَ الَّذِي حَوَّلَهُ قِطْعًا مِنَ السَّعْبِ ، فَيُرَى  
مُكَلَّلًا بَيْنَهُ .

وَأَكْتَلُ الْقَمَامَ بِالْبَيْضِ ، أَيْ لَمَحَ .  
وَكَلْمَةٌ ، أَيْ أَلْبَتُّ الْإِكْلِيلِ .

وَرُدُودَةُ مُكَلَّلَةٌ ، أَيْ حُتَّتْ بِالنُّوْرِ .  
وَالكُكُلُ : الْجِلْدُ . يَقَالُ : حَمَلٌ فَكُكُلٌ ، أَيْ

مَعْنَى قَدَمًا وَلَمْ يَحْمِمْ . وَأَشَدُّ الْأَسْمَى :  
حَسَمَ عَرَقَ الْعَاهَةَ فَتُغْصَبُ  
تَكْلِيلَةً لَلْبَيْتِ إِذَا لَبِثَتْ وَتَبَّ

وَقَدْ يَكُونُ كَلٌّ بِمَعْنَى جَيْبٍ . يَقَالُ :  
حَمَلٌ فَا كُكُلٌ ، أَيْ فَا كَذَّبَ وَمَا جَيْبٌ

(١) مَنظُورٌ بِمَعْنَى الْأَسْمَى .

كأنة من الأضداد . وأند أبو زيد ليجم

ابن سبيل :

ولا أكلل عن حرب بجلحة

ولا أخذر فلفين باللم

وانكلك الرجل انكلا لا : تبسم .

قال الأعشى :

وتنكلك<sup>(١)</sup> عن غرة عذاب كاتها

حتى أقحوان نبته متاعيم

يقال : كثر وأقتر وانكلك ، كل ذلك

تبدؤ منه الأسنان .

وانكلال النيم بالبرقي ، هو قدّر ما بريك

سواد النيم من بيانه .

[ كل ]

الكامل : التمام ، وفيه ثلاث لغات : كل ،

وكمل ، وكيل . والسكر أزدؤها .

وتكامل ، وأكلفه أنا .

ورجل كامل وقوم كثة ، مثل حانيد

وخذة .

ويقال : أعطه هذا المال كئلا ، أى كلة .

وكامل : اسم فرس يزيد الخليل .

والتكيل والإكمال : الإتمام .

واشكلكه : اشتمته .

(١) في السن : « وشكل » .

وقول حميد :

حتى إذا ملحاحب الشمس دسج

تذكر اليفن بكسول فلج

من نون الكسول قال : هو متآزلة . وقلج

يربدلج في السير ، وإنما ترك التشديد للقافية .

وقال الخليل : الكسول : نبت ، وهو بالنارسية

برغنت ، حكاه أبو تراب في كتاب الاحتباب .

ومن أضاف قال فلج : نهر صغير .

[ كمل ]

الكمل من الرجال : الذي جاوز الثلاثين

ووخطه الثيب . وإراءة كملة . قال الرازي :

ولا أعود بتدما كريا<sup>(١)</sup>

أمارس الكملة والصيا<sup>(٢)</sup>

وفي الحديث : « هل في أمك من كاهل »

قال أبو عبيد : ويقال « من كاهل » ، أى من

أسن<sup>(٣)</sup> . وصار كئلا .

(١) ويروى : « ولن أعود » .

(٢) بده .

• والمذب للنفه الأثيا •

الأثي : اليب القليل الكلام . والنفه : الذى

فيه السير ، أى أعياء .

(٣) اليبى فى التاموس : أى تزوج . قاله لرجل

أراد الجهاد معه صلى الله عليه وسلم .

والكامل: الحارك، وهو ما بين الكفتين  
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تميم كامل  
مُعَرَّ، وعليها الحنل» .

وكامل: أبو قبيبة من أسيد، وهو كامل بن  
أسيد بن خزيمية، ومثله أبو امرئ القيس .  
واكتهل، أى صار كهنلاً .  
واكتهل النبات، أى تم طوله وظلّه  
نوره .

وكنيل بالكسر: اسم موضع أو ماء .

[ كحل ]

الكنهيل والكنهيل، بفتح اليا، وضما:  
ضرب من الشجر. قال امرؤ القيس:  
فأنحى بئح الماء من كل فيته  
بكب على الأذقان دوح الكنهيل  
والنون زائدة .

[ كوله ]

الكنولان بالفتح: نبت، وهو البردي .  
وتكول القوم على فلان: جمعوا عليه .

[ كحل ]

الكيل: الكيل . والكنيل: مصدر  
كحل الطعام كيلاً وتكلاً وسكلاً أيضاً، وهو  
ثقل لأن المصدر من قتل يقيل ثقيل .

يقال: ماتي برك تكال، وقد قيل تكيل  
عن الأخت .

والاسم الكيلة، بالكسر . يقال: إته  
لحسن الكيلة، مثل الجلة والركية . وفي اللؤلؤ:  
«أحسنا وسوء كيلة» . أى أبيض أن تعطيني  
حسناً وإن تسيء لي الكيل .

ويقال: كتته، بمعنى كت له . قال تعالى:  
( وَإِذَا كَأْسُكَ ) أى كالوا لم .

واكتلت عليه: أخذت منه . يقال: كالت  
المطى واكتلت الأخذ .

وكيل الطعام على ما لم يسم فاعله، وإن  
ثبت ضمن الكاف . والطعام مكيل وسكيل،  
مثل خيط وخيط . ومنهم من يقول: كول  
الطعام ذبورع الناع<sup>(١)</sup> واضطود الصيد،  
واستوق ماله، بقلب اليا . وأو أحسن ضم ما قبلها،  
لأن اليا، الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم .  
وكأيلت وتكأيلنا، إذا كالت لك وكلت له،  
فهو كائل بلامز .

وقولم: «لأنكأيل بالدم» أى لا يجوز  
أن تتل إلا تارك، ولا تعتبر فيه المرأة في  
التفصل إن لم يكن غيره .

وكال تزند يكيل، إن لم يخرج نارا .

والكيلول<sup>(٢)</sup>: مؤخر المصوف . وفي

(١) التكة من الخطوة .

(٢) شدد اليا كميوف .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

## لسان العرب

### لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١ هـ)

اتفق الباحثون على أن لسان العرب معجم موسوعي ضخم ، خالف معاجم السابقين في أمرين ؛ هما عدوله على نهج الانتقاء من مواد المصادر السابقة إلى حشد واستقصاء كل ما ورد في كل مادة من لغة وأدب وتفسير وقراءات وحديث وفقه وغير ذلك ، مخالفاً بذلك ما عرف به طوال حياته من اختصار الكتب المطولة التي صنفت قبله . وكذلك عدم ادعائه النقل عن الأعراب الفصحاء مشافهة كما فعل الرواد الأوائل في القرن الثاني الهجري ، بل اعتمد على خمسة مصادر اعتماداً كاملاً ، جمع منها في معجمه أفضل ما فيها من مادة ، وواءم بينها ، فضم ما اتفقت فيه وفصل ما تفرد به كل مصدر منها ، يقول ابن منظور : ( مقدمة لسان العرب ١/٣ ) .

« فجمعت منها في هذا الكتاب ما تفرق ، فانتظم شمل تلك الأصول كلها في هذا المجموع . وأنا مع ذلك لا ادعى فيه دعوى ، فأقول : شافهت أو سمعت ، أو فعلت أو صنعت ، أو شددت أو رحلت ، أو نقلت عن العرب العرباء أو حملت ، فكل هذه الدعاوى لم يترك الأزهرى وابن سيده لقاتل مقالاً ولم يخليا فيه لأحد مجالاً » .

أما مصادره التي اعتمد عليها ، وصرح في مقدمته فهي :

- تهذيب اللغة للأزهري (ت ٣٧٠ هـ) .
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) .
- صحاح العربية للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) .
- حواشي ابن بري على الصحاح (٥٨٣ هـ) .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ت ٦٠٩ هـ) .

ويكشف ابن منظور عن الدافع إلى تصنيف معجمه في وضوح ، إذ يقول في

مقدمته :

« وإنى لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغة أو الاطلاع على تصانيفها وعلل  
تصانيفها . ورأيت علماءها بين رجلين : أما من أحسن جمعه ، فإنه لم يحسن  
وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يفد حسن الجمع مع إساءة  
الوضع ، ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع . »

فقد أراد أن يفيد من محاسن من سبقه ويتجنب مساوئهم في التأليف المعجمي  
بوضع معجم يجمع بين أفضل مادة وأدقها وأغزرها مما تركوا ، وأحسن ترتيب وتنظيم  
وتبويب . وهكذا فلم يصف شيئاً إلى ما نقله عنهم ، ولم يتكرر نظاماً ، إذ سار على  
نظام الجوهري في صحاحه ، وقد قرر ذلك في مقدمته أيضاً إذ يقول :

« ليس لى في هذا الكتاب فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها ، سوى أنى  
جمعت ما تفرق في تلك الكتب من العلوم . . . فمن وقف على صواب أو زلل أو  
صحة أو خلل ، فعهدته على المصنف الأول ، وحمده وذمه لأصله الذى عليه المعول ،  
لأننى نقلت من كل أصل مضمونه ، ولم أبدل منه شيئاً . . . بل أدبت الأمانة في نقل  
الأصول بالنص ، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص . »

وبعد أن انتهى من المقدمة القيمة التى صدرَ بها معجمه ، وكشف فيها عن دافعه إلى  
تأليف هذا المصنف الكبير ، واطلاعه على كتب اللغويين السابقين ، ونقده لمادتهم  
ومنهاجهم ، وقصده إلى الجمع بين استقصاء المادة وحسن الترتيب ، يصنع فصلين  
تمهيديين ؛ تناول في الأول منهما تفصيلاً لأراء العلماء فى الحروف المقطعة ، التى  
بدئت بها بعض سور القرآن الكريم ، مثل : ألم ، ص ، ق . . . الخ ، مخالفاً الأزهرى  
الذى وضعه فى نهاية معجمه ، وإن اعتمد فى معظمه على ما أورده الأزهرى .

أما الفصل الثانى فتحدث فيه عن ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها ، وقد اعتمد  
فيه على علماء اللغة والنحو السابقين . أما حديثه عن الدلالات والاستخدامات  
السحرية للحروف فاعتمد فيه على من صنف فى السحر . وليس له فى الفصلين من  
فضل إلا الجمع والترتيب للمادة .

اختار ابن منظور أن يسير في ترتيب مادة معجمه على النظام الذي سار عليه الجوهري في صحاحه ، وقد صرح بذلك في مقدمته ، حين قال :

ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول ، لحسن تبويبه وسهولة تأتبه ، معنى ذلك أنه قد جعل الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية ( أى الحروف الأصول بعد تجريدتها من الزوائد ) الباب ، ثم روعى ترتيب حروف الهجاء ( ء / ب / ت / ث / ج . . الخ ) في الحرف الأول ( الفصل ) وما يليه . فالكلمات : عدل ، غزل ، فضل ، قتل ، كفل ، . . . هزل ، نجدها جميعاً في باب اللام ، وفصول : العين والغين والفاء والقاف والكاف . . . والهاء على التوالي . وتوضح الكلمة الأخيرة تقديم ابن منظور فصل الهاء على الواو ، خلافاً للجوهري الذي قدم فصل الواو على فصل الهاء . وتمثل الهمزة الأصلية أو المتقلبة عن واو أو ياء مشكلة في ترتيب المعاجم . ولذا نجد ابن منظور يؤثر صنيع الجوهري ، فيجعل باب الهمزة للكلمات المنتهية بالهمزة الأصلية ( غير المتقلبة عن واو أو ياء ) مثل : رزه ، فيء . . . ، وجمع الكلمات المنتهية بواو أو ياء سواء بقيتا على حالهما أو تحولتا ( بسبب الإبدال أو الإلينة ) ألفا لينة أو همزة ، في باب واحد . وجعل الباب الأخير للكلمات المنتهية بالألف اللينة غير معروفة الأصل ، ويلاحظ هنا أن كل باب يبدأ بحديث يختلف في الطول والقصر عن الحرف المعقود له الباب .

وقد بلغ عدد المواد اللغوية التي ضمها معجم لسان العرب ثمانين ألف مادة . سار في ترتيبها وفق المصدر الذي يتقل عنه ، يبدأ بالمادة المجردة ، ثم ينتقل إلى مشتقاتها ، وليس له نهج مطرد في البدء ، فقد يبدأ بالفعل أو بالاسم ، ولكنه حين يعرض لمادة معينة لها أكثر من دلالة فإنه لا يخلط بينها . وإنما التزم أن يأتي على مشتقات المادة وصورها لمعنى بعينه ، فإذا فرغ منه انتقل إلى المشتقات والصور التي تؤدي المعاني الأخرى ، معنى بعد آخر ، وهو في تتبعه لسائر الصور والاشتقاق يستطرد في الاستشهاد ، ويطيل في الحشو ، على نحو يؤدي إلى اضطراب صيغ المادة وتفرق تفسيرها ، غير أنه في أغلب مواده يحسن جمع مشتقات المادة وتصريفاتها وتنسيق شروحه وتعليقاته .

وقد اشتمل معجم ( لسان العرب ) - في إطار موسوعيته - على تفصيلات كثيرة في علوم النحو والصرف وتفسير القرآن والحديث ، وشواهد من الشعر وتفسيره ، وطرف

من الأدب والتاريخ والسير والأمثال والأخبار وأسماء الأعلام والبلدان والأماكن والنبات والحيوان والحشرات وغير ذلك من علوم العرب ومعارفهم وإن لم يتجاوز البيئة العربية وأحوالها ومظاهرها في القرن الرابع الهجري وما يليه بقليل ، لأنه تقيد بالمصادر التي نقل عنها ، التي كانت بدورها ناقلة لجهود جامعي اللغة الأوائل ، دون إضافة في الأغلب ، ومن ثم فإنها تمثل المادة التي جمعت معظمها في القرن الثاني الهجري ، وبعضها في القرن الثالث ، لانستثنى من ذلك إلا الجوهري لجهده في الثبوت من المادة اللغوية من خلال العمل الميداني ، فلم يودع كتابه إلا ما صح عنده من هذه اللغة ، وبخاصة من الأزهرى الذى اعتمد فى مادة معجمه كما أشرنا على ما جمعه ودونه عن الأعراب الفصحاء خلال فترة أسره من هؤلاء الأعراب الفصحاء .

ولما كان غياب الضبط والترتيب فيه قد حال دون استفادة قطاع كبير من الباحثين من مواد المعجم ، فإنه قد قام فريق من الأساتذة وهم هاشم محمد الشاذلى ، وعبد الله على الكبير ، وحمد أحمد حسب بمحاولة حديثة ، لإعادة ترتيبه وضبطه وتحقيق مادته واستجلاء الغامض منها واستكمال الناقص ، والتنبيه على الأخطاء السابقة وإضافة هوامش تطلبها التحقيق والبحث ، وفهارس للآيات القرآنية والأحاديث والأمثال والأعلام والقبائل والأماكن ومصطلحات النبات والحيوان وغيرها ، لتيسيره وتسهيل استعماله ، كما أنه تمجيباً للضخامة فقد جعلت المواد فى كل صفحة فى ثلاثة أنهر ، وظهر منجماً فى ستة أجزاء ، أصدرته دار المعارف بمصر ، غير مؤرخ .

**وفيما يلي نموذج من (لسان العرب) لابن منظور**

# من معجم (لسان العرب) لابن منظور

قد

قد، والتمنى أي قد فعل، ويجوز أن يكون منناه فعله أي حسب لأن قد فرغ منا فريد به فلا معنى لإذعك وزجرك، وتكون قد مع الأفعال الآتية يسترلة رما، قال هملتي:

قد أترك القرون مضمرًا أنابه

كان أولها منبت بفرصا  
قال ابن بري: حيث يقيد بن الأبرص، وتكون قد بيان قط يسترلة حسب، يقولون: مالك عدلى إلا هذا فقد أي قط، حكاة يتقرب وزعم أنه بكل فتقول قدي وقتلي، وتشد:

إلى حسابتنا ونعنفه قدي

وتقولون في قدي كالتقول في قلمي، قال حسيب الأرسط:

قدي من غير الحسبي قدي  
قال الجوهري: وأما قولهم ذلك بمعنى حسبك فهو اسم، تقول قدي وقدي أيضا، يقولون على غير قياس لأن عليه الثوب إذا أراد في الأفعال وقاية لها، مثل غرقتي وشقتي، قال ابن بري: وهم الجوهري في قوله إن الثوب في قوله قدي زيدت على غير قياس وجعل ثوب الوفاية مخصوصة بالثوب لا غير، وليس كذلك وإنما أراد وقاية الحرمة أو سكون في بئر أو حرمة كقولك في من وعن إذا أضعفتها إلى تفليك يني وعنى فرددت ثوب الوفاية يعني ثوب من وعن على سكونها، وكذلك في قد وقط تقول قدي وتلقي كريد ثوب الوفاية يعني الدال والعلاه على سكونها، قال: وكذلك زادوها في كيت قالوا كيتي، يعني حركة الله على حياها، وكذلك قالوا في ضرب غرقتي، يعني حركة الله على فخها، وكذلك قالوا في اضرب اضربني أيضا أدخلوا ثوب الوفاية على يعني الله على سكونها، وأراد عيبا بالحيين عيب الله بن الرية وأما منسبا، قال ابن بري: والشاهد في البيت قد يقال قدي وقدي يعني، وأما الأصل

قدي بغير ثوب، وقدي بالثوب شاذ لم يجز الثوب فيه لضرورة الوزن، قال: فالأمر فيه بمتكسر ما قال وأن قدي هو الأصل وقدي حذف الثوب به للضرورة.

وق صفة جهنم، تؤذ بالله فيها،

وقال: هل اتللت؟ فتقول: هل من مزيد؟ حتى إذا أوجعوا فيها قالت قد قد، أي حسب حسبى، ويرى بالله بكل الدال وهو بمناء، وبنه حيث الظية: يقول قد قد يعني حسب، وتكرارها تأكيد الأمر، ويقول المتكلم: قدي أي حسبى، والمخاطب: فذلك أي حسبك. وق حيث عثر، رضى الله عنه، أنه قال لأبي بكر، رضى الله عنه: فلك يا أبا بكر،

قال: وتكون قد بسترلة ما يعني بها، شبح بنصر الفصحاء يقول:

قد كنت في حجب كثرته  
وان جئت قد أسأ شذمة كقول:  
كثبت فدا حسنة وكثبت حتى وهو زك لأن  
عذبه الحروف لا تكيل على ما قصص فيها،  
ويجب أن يراة في أولها ما هو من حيثها  
ويقدم، إلا في الألف فالتك تهيئها ولو  
سببت رجلا بلا ثوب ماسم وقت في آخره ألفا  
هزئت لأنك تحرك الهمزة، والألف إذا  
تحركت صارت هزرة. قال ابن بري: قال  
الجوهري: لو سببت بقدر رجلا لقلت:  
عفا قد، بالثبديد، قال: عفا غلط به أنا  
يكون الضمير في المعك كقولك في هو  
اسم رجل: عفا هو، وقو: عفا لوزن  
ق: عفا في، وأما الصحيح فلا يصح  
كقول في قد: عفا قد وركبت قد وتررت  
يقو، كما تقول: غلبو يد وركبت يد وتررت  
يكو.

• القدير والقادر: من معان الله عز  
رجل، يكونان من القدر، ويكونان من  
الضمير. وقوله تعالى: «إن الله على كل  
شئ قدير»، من القدر، قد عز وجل

الذي

على كل شئ قدير، والله سبحانه منزه عن  
شئ وقائيد. ابن الأثير: في أسماء الله  
تعالى القادر والمفتير والقادر اسم  
تاجل عن قدر يتلو، والقدير قيل به،  
وهو للباية، والمفتير متعلل من القدر،  
وهو المفتح

القهار: اللبث: القدر القهار  
المعروف. يقال: قدر الإله كما تعبيراً، وإذا  
والتى الشئ الشئ قلت: جاءه قدره. ابن  
سيته: القدر والقدر القهار والقدر، وهو  
ما قدره الله عز وجل من القضاء وبحكمه  
من الأمور. قال الله عز وجل: «إننا أنزلناه  
في ليلة القدر»، أي الحكم، كما قال  
تعالى: «فيها ينزل كل أمر حكيم»،  
وأنشد الأعرابي: إنك من خنوم:

ألا بالقرين للرابيد والقنار  
والأمر يأتي الرمي من حيث لا يدرى  
ولأمرهم من صالح قد توفقت  
عليك قوارثه بلقمة قفر

فلا ذا جلال منه لجلال  
ولذا غلب من يتركن للفر  
تودأت عليه أي استوت عليه. والناقة:  
الأرض فهي تلج فيها السراب. وقوله: فلا  
ذا جلال انصب: ذا بإسار يقل يترسو  
ما ينه أي لا حين ذا جلال، وقوله: ولا  
ذا غلب منسوب بقوله يتركن. والغياح،  
يشعر الصاد: الفيضة، والتي أن المنايا  
لا تغفل عن الحك، عفا كان أو قفا، جليل  
القدر كان أو جيباً. وقوله تعالى: «لكل  
القدر غير من القدر غيره»، أي القدر غير  
ليس لها لك القدر، وقال القزويني:

وما صب رجلي في حديد منيع  
مع القدر إلا حابة لي أريها  
والقدر: كالتنير، وجمتها جية القدر.  
وقال الطائي: القدر الاسم، والقدر  
القدر، وأنشد:

كل شئ على أهلك - ماغ  
ويغلب لفرق واجتماع

وَأَنَّهَا فِي الْمَشْرِقِ :

قَبْرِ الْبَيْتِ فِي الْجَبَلِ وَقَدْ لَرَى  
وَأَيْكَ بِإِلَاقَةِ الْجَبَلِ يَدَارِ  
قَالَ ابْنُ سِينَةَ : هَكَذَا أَتَيْتُهُ بِالْقَمَرِ وَالْقُرُونِ  
يَتَمَلَّكُ الْحَرَكَةَ وَالْيَكُونُ . وَفِي الْحَيْثُ وَكَمْ  
لَقَدْ قَدَّرْتُ : وَهِيَ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَقْتَضِي فِيهَا  
الْأَرْزَاقُ وَالْمَقْبَرَةُ :

وَالْقَدْرَةُ : قَوْمٌ يَرْتَجِعُونَ الْقَدْرَ  
مَوْلِدُهُ : الْهَيْبَةُ : وَالْقَدْرَةُ قَوْمٌ يَنْتَوِنُ إِلَى  
التَّكْلِيبِ بِإِقْرَارِ اللَّهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وَلَا يَلِ  
بِتَمَسُّ تَكْلِيبَهُمْ : لَا يَلِيْنَا هَذَا الْقَبْرِ لَأَنَّ  
يَكْفِي الْقَدْرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ أَيْتَهُ فَهُوَ  
أَوْلَى بِهِ ، قَالَ : وَهَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ  
يُتَعَرَّفُونَ الْقَدْرَ لِأَنَّهُمْ وَإِلَيْكَ شَرُّوا ، وَكَانَ  
أَقْوَمَ الْبَيْتِ إِنْ عَلِمَ اللَّهُ سَبِيحَ فِي الْبَيْتِ فَيَكْفِي كَمْ  
مَنْ كَفَّرَ بِهِمْ كَمَا عَلِمَ وَإِيمَانٌ مِنْ لَمَنْ : قَالَتْ  
عَلِيَّةُ السَّابِقِ فِي الْخَلْقِ وَكَيْفَهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَنَا  
خَالِقٌ لَهُ ، وَكَيْفَ عَلِيَّةُ : قَالَ أَبُو مُصْعَبٍ :  
وَقَدَّرَ اللَّهُ الْخَلْقَ تَبِيْهُهُ كَمَا بَدَأَ بِهِمْ لَمَّا عَلِي  
أَنَّهُمْ صَارُوا إِلَى مَوْنِ السَّادَةِ وَالشَّعْبِ ،  
وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلِمَ بِهِمْ كُلَّ خَلْقٍ بِإِسْمِهِ .

كَلِمَةُ عَلِيَّةُ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِ بِهِمْ وَقَدَّرَهُ  
تَقْدِيرًا ، وَقَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَقْدَرُهُ وَقَدَّرَهُ  
قَدْرًا ، وَقَدَّرُوا ، وَقَدَّرَهُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ : وَقَوْلُهُ :  
بَيْنَ أَيِّ يَوْمٍ بَيْنَ الْمَوْتِ أَيْ  
أَيُّ يَوْمٍ تَمَّ يَقْدَرُ : أَمْ يَوْمٌ قَدِيرٌ ؟

قَالَهُ أَرَادَ الْقُرُونِ الْحَقِيقَةَ ثُمَّ خَلَقَهَا حُرُوفًا  
فَكَيْفَ أَرَادَ بِتَبَعِثَةِ كَلِمَةِ أَرَادَ : يَقْدَرُونَ ،  
وَأَنْتُمْ يَتَّبِعُهُمْ بِيَلِيَا فَقَالَ : خَلِقُوا الْقُرُونُ  
لَا يَخْلُقُ إِلَّا يَكُونُ بِأَيْدِيهَا وَلَا يَكُونُ هُنَا  
بَيْدَهَا ، قَالَ ابْنُ جَنِّي : وَالَّذِي أَرَادَ أَنَا فِي  
هَذِهِ وَمَا عَلِمْتُ إِذْ لَمَسْنَا مِنْ أَسْحَابِنَا  
وَالْغَيْرِمْ ذِكْرَهُ ، وَيَسْتَبِيحُ أَنْ يَكُونُوا لَمْ  
يَذْكُرُوهُ لِقَلْبِهِ : هُوَ أَنْ يَكُونَ أَمَلُهُ لَيْسَ لَمْ  
يَقْدِرُ أَمْ : يَكُونُ الزَّاهِ الْفَجْرُ ، ثُمَّ إِنَّمَا  
جَارَتْ هِيَ هِيَ الْمُتَعَرِّفَةُ وَهِيَ سَائِكَةٌ ، وَقَدْ  
تَبَرَّطَ الرَّبُّ بِالْحَرَفِ الْبَاسِئِ إِذَا جَارَ  
الْحَرَفُ الْبَاسِئُ حُرْفِي الْبَاسِئِ ، وَذَلِكَ

قَوْلُهُمْ فِيهَا حِكْمَةٌ سَيُورِي مِنْ قَوْلِهِ بِنَفْسِ  
الرَّبِّ : الْكِسَاءُ وَالْمَرَاةُ . يُرِيدُونَ الْكِسَاءَ  
وَالْمَرَاةَ وَلَكِنْ قِيمَ وَالرَّاهُ لَمْ كَانَا  
سَائِكَتَيْنِ ، وَالْمَرَاةُ بِنَفْسِهَا مَعْرُوفَةٌ .  
صَارَتْ الْفَتْحَانِ الثَّلَاثُ فِي الْمَرَاةِ كَمَا هِيَ  
فِي الزَّاهِ وَالْيَسِيمِ . وَصَارَتْ الْيَسِيمُ وَالرَّاهُ  
كَمَا هِيَ مَعْرُوفَةٌ . وَصَارَتْ الْمَرَاةُ لَمْ  
قَدَّرَتْ حَرَكَاتِهَا فِي حَيْرِهَا كَمَا هِيَ سَائِكَةٌ .

نَصَارَ الْقَدِيرَ يَيْسَا تَرَاهُ وَكَمَا . ثُمَّ خَفَّتَا  
فَأَبْدَلَتْ الْمَرَاةُ الْيَسِيمَ لِيَكُونَهَا وَاجْتِمَاعُ مَا  
فِيهَا . فَجَاءُوا : تَرَاهُ وَكَمَا . كَمَا قَالُوا فِي  
رَأْسِ وَأَسْرَى لَمَّا خَفَّتَا : رَأْسٌ وَعَسْرٌ .  
وَعَلَى هَذَا حَقْلٌ أَبُو عَلِيٍّ قَوْلُ عَبْدِ يَحْيَى :  
وَفَعَلْتَكَ يَبِيَّ شَيْخَةَ عَشِيَّةً

كَانَ نَمَّ تَرَاهُ قَلِي أَيْمَاءُ بَانِيَا  
قَالَ : جَاءَ بِهِ عَلَى أَنْ تَقْدِيرُهُ مُخْتَلَفٌ كَمَا نَمَّ لَمْ  
تَرَاهُ . ثُمَّ إِنَّ الزَّاهِ السَّائِكَةَ لَمْ جَارَتْ  
الْمَرَاةُ . وَالْمَرَاةُ مَعْرُوفَةٌ صَارَتْ مَعْرُوفَةٌ  
كَانَهَا فِي التَّقْدِيرِ كَمَلِ الْمَرَاةِ وَاللُّطْفُ بِهَا لَمْ  
تَرَاهُ . ثُمَّ أَبْدَلَتْ الْمَرَاةُ الْيَسِيمَ لِيَكُونَهَا وَاجْتِمَاعُ  
مَا فِيهَا فَصَارَتْ تَرَاهُ . فَأَلْفَتْ عَلَى هَذَا  
التَّقْدِيرِ بَدَلًا مِنَ الْمَرَاةِ الَّتِي مِنْ حَيْرِ  
الْفَيْسَلِ . وَاللَّامُ مَعْدُومَةٌ لِلْحَرَمِ عَلَى مَقْصَبِ  
الْحَقِيقَةِ . وَقَوْلُهُ مِنْ قَالَ : رَأَى بَرَاهِي . وَقَدْ  
قِيلَ : إِنَّ قَوْلَهُ تَرَاهُ ، عَلَى الشَّيْءِ السَّائِكِ  
بِأَنَّ أُمَّ أَلْفَتْ الْأَلْفَ فِي مَوْجِعِ الْحَرَمِ شَيْئًا  
بِأَيَّاهُ فِي قَوْلِ الْأَخْبَرِ :

لَمْ بِأَيْتِكَ وَالْأَيَّاهُ شَيْءٌ  
بِمَا لَأَنْتَ كَيُونُ بِي وَيَاوِي  
وَرَوَاهُ بِنَفْسِهِمْ لَمْ بِأَيْتِكَ عَلَى ظَاهِرِ الْحَرَمِ .  
وَأَشْبَهَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِي عَمَّاسٍ عَنْ  
الْأَسْحَبِيِّ :

أَلَا عَلَّ تَالَا وَالْأَيَّاهُ شَيْءٌ  
وَقَوْلُهُ نَعَالِي : هُوَ الْأَبْرَاهِيمُ قَدَّرْنَا إِنَّمَا لَمَنْ  
الْمَغَابِرِينَ . قَالَ الرَّجُلُ : أَلَمْ يَكُنْ عَلِيًّا تَمَّا  
مِنْ الْمَغَابِرِينَ . وَقِيلَ : دَبَّرْنَا تَمَّا مَسَّ  
الْمَغَابِرِينَ . أَيِ الْمَغَابِرِينَ فِي الْمَغَابِرِ .  
وَيَعَالُ : اسْتَقْبَرَهُ خَيْرًا ، وَاسْتَقْبَرَهُ

خَيْرًا سَأَلَهُ أَنْ يَقْدَرُ لَهُ بِهِ ، قَالَ :  
فَاسْتَقْبَرَهُ اللَّهُ خَيْرًا وَأَرْضَيْتُ بِهِ  
فِيهَا الْمَرْءَ إِذْ دَارَتْ نَيْسَابُ  
وَفِي حَدِيثِ الْأَشْيَاخِ : اللَّهُمَّ إِنِّي لَأَسْتَقْبِرُكَ  
بِقَدْرَتِكَ . أَيِ أَسْأَلُ بِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِي عَلَيْهِ  
قَدْرَةً .

وَقَدَّرَ الرُّزُقُ يَقْدَرُهُ : قَسَمَهُ  
وَالْقَدْرُ وَالْقَدْرَةُ : وَالْقَدْرُ : الْقُوَّةُ .  
وَقَدَّرَ عَلَيْهِ يَقْدِرُ وَيَقْدَرُ وَقَدِيرٌ . بِالْكَسْرِ .  
قَدْرَةٌ وَقَدَارَةٌ وَقَدُورَةٌ وَقَدُورٌ وَقَدِيرَاتٌ وَقَدَارَاتٌ  
(مَعْنَى عَنِ السَّيَّاحِي) وَفِي الْهَيْبَةِ :  
قَدِيرَانًا . وَأَقْدَرُ وَهُوَ قَادِرٌ وَقَدِيرٌ الْقَدْرَةُ اللَّهُ  
عَلَيْهِ . وَالْأَسْمُ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ الْمَقْدَرَةُ  
وَالْمَقْدَرَةُ وَالْمَقْدَرَةُ . وَيَعَالُ : مَا لِي عَلَيْكَ  
مَقْدَرَةٌ وَمَقْدَرَةٌ وَمَقْدَرَةٌ أَيْ قَدْرَةٌ .

وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذْ  
الذَّكَاءُ فِي الْحَقْلِ وَاللَّيْلِ لَيْسَ قَدْرًا : أَيِ لَيْسَ  
لَيْسَ الشَّيْءُ فِيهَا . فَأَمَّا التَّادُّ وَالْمَقْدَرَةُ فَالَّتِي  
أَخْبَرَ مِنْ جِسْمِهَا ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ : اسْتَقْدَرَهُ  
تَذْيِبَ الْحَقِيقَةِ .

وَالْإِقْبَادُ عَلَى الشَّيْءِ : الْقَدْرَةُ عَلَيْهِ .  
وَالْمَقْدَرَةُ مَعْدُومَةٌ قَوْلُكَ قَدَّرَ عَلَى الشَّيْءِ  
قَدْرَةً . أَيِ مَلَكَةً . فَهُوَ قَادِرٌ وَقَدِيرٌ . وَأَقْدَرُ  
الشَّيْءِ : جَعَلَهُ قَدْرًا . وَقَوْلُهُ [نَعَالِي] :  
عِنْدَ مَلِكِهِ مَقْدِيرُهُ ، أَيِ قَادِرُهُ . وَالْقَدْرُ :  
الْعَيْنُ وَالْيَسَارُ . وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ كَلِمَةَ قَدْرَةُ  
وَهُوَ قَدِيرَاهُ : الْعَبَّاسِيُّ . وَرَجُلٌ دُو  
قَدْرَةٌ . أَيِ دُويسَارٍ . وَرَجُلٌ دُو مَقْدَرَةٍ . أَيِ

(١) قَوْلُهُ : هُوَ الْقَدْرُ وَالْقَدْرَةُ بِح . مَبْرَأَةٌ  
لِلْمَقْدَرِ : وَالْقَدْرُ الْعَيْنُ وَالْيَسَارُ وَالْمَقْدَرَةُ كَالْمَقْدَرَةِ  
وَالْقَدْرَةُ مَعْنَى الْعَدَالِ وَالْقَدَارُ وَالْقَدَارَةُ . وَالْقَدِيرَةُ  
وَالْمَقْدَرُ جِسْمِهَا . وَالْقَدِيرَانُ بِالْكَسْرِ . وَالْقَدَارُ  
وَالْكَسْرُ . وَالْإِقْبَادُ . وَالْفَيْسَلُ كَصَرْبٍ وَنَصْرٍ وَفَرْحٍ .  
(٢) قَوْلُهُ : لَمْ يَكُنْ لَهُ أَيِ لَمْ كَانَتْ الْحَقِيقَةُ  
فِي بَيْدِهِ فَتَدَّرَ عَلَى إِيقَاعِ الذَّكَاءِ بَيْنَ الرَّوْسَيْنِ . فَأَمَّا  
ذَا نَحَتْ طَيْسَةً مَعَهَا حَكَ الصَّيْدَ فِ أَنْ مَدَحَهُ  
نُحِفَ الَّذِي نَصَبَ إِلَيْهِ نَوَاسِيفُ . كَمَا بَدَأَ  
الْبَابُ

هو يسار أيضاً ، وإنما من القضاة والقدر  
تفتترة ، بالفتح ، لا يفتح ، قال الهذلي :  
وما يتى على الأيام شيء  
يا حبيبا يستنزه الكبابا  
وقدر كل شيء ويقضاه : يقيمه .  
وقدر الشيء بالشيء يقدره قدرأ وقدره :  
حاشه . وقادرت الرجل مقادرة إذا قابله  
وقضت بفتح ياءه .

القبلي : والقضخ على ويضو من  
القبلي : أصلها القوية والقضخ في شوية  
ثم ويضو ، والثاني تشويهه بلامات يعلمه  
عليها ، والابن أن شوي أمراً يقضه تقول :  
قضرت أمر كذا وكذا ، أي قوضته وعقدت  
عليه . ويقال : قضرت لأمر كذا أقبره  
وقضرت قدرأ إذا تكرت فيه وجرته وقابله  
ومع قول عائشة ، وضوان الله عليها :  
فأضروا قدر الجارية الحبيبة من المستحبة  
للشعر ، أي قدروا وقابسوا وانكروها وانكروا  
في شعر : يقال قضرت أي عابت ،  
وقضرت ، أي أظفت ، وقضرت ، أي  
ملكنت ، وقضرت ، أي زفت ، قال لبيد :  
قضرت بلود المثلث غيرة  
قضرت قبل شيئا الأروان  
وقال الأعشى :

عاقلة بيزريك بيننا  
إن كنت بيزان القضاة  
بوزن : حيات . قال أبو عبيدة : أقرر  
بيزريك بيننا ، أي أبيض واخترت بقرعة .  
وقوله عز وجل : ثم جعلت على قدر  
يا موسى ، قيل في الضمير : على توبه ،  
وقيل : على قدر بين تكليمي لآلها (هذا عزو  
الرحيم ) وقدر الشيء : قتاله ، قال لبيد :  
لقت عجبنا فقد طال الهوى  
وقدرا إن حتى لائل غفل  
وقدر القوم أمرهم بتغييرهم قنوا :  
قنوا .  
وقضت عليه الحرب قدرأ فاقضت ، أي  
جاء على المفضل . ويقال : بين أوزنك

وأزمر فلان بكته كاديه ، إذا كانت كته  
الشيء ، بفتح كاديه ورواية ( عن يعقوب ) .  
وقدر عليه الشيء بتغيره ويقدره قدرأ  
وقدرا وقدره : ضيقة ( عزو الجعابي ) وفي  
التهذيب التزويد : وعلى الموضع قدره وعلى  
الموضع قدره ، قال الفرزدق : فري قدره  
وقدره ، قال : وقدرت كان صوابا على  
تكرار الفيل في البيت ، أي ليشط الموضع قدره  
والمعنى قدره ، وقال الأحمسي : وعلى  
الموضع قدره وأي طائفة ، قال الأزرقعي :  
وأنتهى الملبدي عن أبي التماس في قوله  
[ ثمال ] : وعلى المعنى قدره . وقدره ،  
قال : التفتيل أعلى للفتين وأكثر ، ولذلك  
أخبر ، قال : واستار الأحمس الضمير ،  
قال : وأنا اخترنا التفتيل لأنه اسم ، وقال  
الجبالي : بقرأ بالضمير والتفتيل وكل  
صواب ، قال : قدر وهو يتغير متغيرة  
ومتغيرة ومتغيرة ويكررا وقدرا وقدره ،  
قال : كل هذا شيئا من العربية ، قال :  
ويقدر لغة أخرى يقوم يقرون المثل فيها ،  
قال : وإنما قدرت الشيء ثانيا أقبره ،  
خفيف ، فلم أسته إلا تكسورا ، قال :  
وقوله [ ثمال ] : وما قدروا الله حتى  
قدروه ، خفيف وكو نقل كان صوابا ،  
وقوله : إنا كل شيء عتقناه بقدره ،  
ممثل ، وقوله عز وجل : ولأنت أوزة  
بقدرها ، ممثل وكو خفيف كان صوابا ،  
وأنته بيت الفرزدق أيضا :

وما يب رجل في حليد يظلم  
مع القدر إلا حاجة لي أربها  
وقوله ثمال : فظن أن لن تغدير  
عليه ، يفسر بالقدر ويضرب بالضمير ، قال  
الفرزدق في قوله عز وجل : وهذا اللون إذ  
ذهب ثمانيا فظن أن لن تغدير عليه ، قال  
الفرزدق : ألمسى فظن أن لن تغدير عليه من  
المشوية ما قدرنا . وقال أبو الهيثم : روى أنه  
ذهب ثمانيا بغيره ، وروى أنه ذهب  
ثمانيا بغيره ، فلما من أصد أن يؤمن ،

عليه السلام ، عن أن لن تغدير الله عليه قدر  
كأية ، لأن من ظن ذلك غير مؤمن ،  
ويؤمن ، عليه السلام ، رسول لا يجوز ذلك  
الظن عليه . قال المصنف : فظن أن لن تغدير  
عليه المشوية ، قال : ويكمل أن يكون  
تغييره : فظن أن لن تغدير عليه ، من قوله  
ثمال : ومن قدر عليه رزقه ، أي شئ  
عليه ، قال : ومثلان قوله : وما إذا  
ما ابتلاه قدره عليه رزقه ، انتهى فقدر عليه  
تغييره عليه ، وقد عني الله على يؤمن ،  
عليه السلام ، أشد تضييقا ضيقا على المتبدلين  
في الدنيا لأنه سبحانه في بطن حوت أصاب  
مكظوما أخذ في بطنه بكظوه ، وقال الفرزدق  
في قوله ثمال : فظن أن لن تغدير عليه ،  
أي لن تقدر عليه ما قدرنا من كرمه في بطن  
الحوت ، قال : وتغيره يمتي فظن ، قال :  
وقد جاء هذا في الضمير ، قال الأزرقعي :  
وهذا الذي قاله أبو إسحق صحيح .  
والمصنف ما قدره الله عليه من الضمير في بطن  
الحوت ، ويجوز أن يكون المصنف لن تغدير  
عليه ، قال : وكل ذلك جامع في اللغة ،  
وهو أعلم بأمرنا . فلما أن يكون قوله : أن  
لن تغدير عليه ، من القدر لا يجوز ، لأن  
من ظن هذا كفر ، والظن شك ، والشك في  
قدره الله ثمال كفر ، وقد عصى الله قيامه  
عن بطن ما ذهب إليه هذا المتكبر ، ولا يجوز  
يقه إلا الجاهل بكلام التبريد ولماها ، قال  
الأزرقعي : سميت للتلويح بقوله : ألقى  
ابن التيزيدي عن أبي حاتم في قوله ثمال :  
فظن أن لن تغدير عليه ، أي لن تغدير  
عليه ، قال : ولم يهر الأحمس ما انتهى تغدير  
وذهب إلى موضع القدر إلى متى فظن أن  
يؤمن ولم يتم كلام التبريد حتى قال : إن  
بعض المتفهمين كان لواد الاستهزاء ، فظن  
أن لن تغدير عليه ، وكو عليم أن متى تغدير  
تغدير لم يخط هذا الخط ، قال : ولم  
يكن عالما بكلام التبريد ، وكان عليه  
يقاسوا الأثر ، قال : وقوله [ ثمال ] :

من غير عليه رزقه ، اى عبيد عليه  
 علمه . وكذلك قوله [ عز وجل ] : **وَمَا**  
**إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ** . اى عبيد .  
**وَمَا تَزُولُ** تعالى : **فَقَدَرْنَا** فبعض  
 القادرون . **فَإِنَّ الْفَرَّهَ قَالَ** : **فَرَأَاهُ عَلَى**  
**كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ** . **فَقَدَرْنَا** . وحقها عاصم .  
 قال : ولا يخذ أن يكون المسمى في الضمير  
 والشديد واحداً . لأن الترتيب يقول : **فَقَدَر**  
**عَلَيْهِ الْمَوْتُ** وقدر عليه الموت . **فَقَدَر** عليه  
 وقدر . **وَاصْبِحَ الَّذِينَ يَكْفُرُوا** فقالوا : لو  
 كانت كذلك لكان : **فَبعض الْمُنْكَرُونَ** . وقد  
 جمع الترتيب بين اللتين . قال الله تعالى :  
**فَسَمِعُوا الْكَافِرِينَ أَنبَأَهُمْ رُؤْيَاهُ** .

وقدر على عياله قدرأ : **بِئْسَ قَرْ**  
**وَقَدِرَ عَلَى الْإِنْسَانِ رِزْقُهُ قَدَرًا** : **بِئْسَ**  
**قَدِيرٌ** .

وقد تريت الشيء كثيراً وتكررت الشيء  
 القدره والقدره قدرأ من التفسير . وفي الحديث  
 في رؤيه الهلال : **صُومُوا لِرُؤْيِيهِ وَأَنْظِرُوا**  
**لِرُؤْيِيهِ** فإن غم عليكم فاقدروا له . وفي  
 حديث آخر : **فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْبِرُوا**  
**الْبُيُوتَ** . قوله : **فَاقْدُرُوا لَهُ** . اى قدروا له  
 عدد الشيء حتى تكملوه ثلاثين يوماً .  
 واللفظان وإن اختلفا يرجعان إلى معنى  
 واحد . وروى عن ابن سريج أنه فسّر قوله  
**فَاقْدُرُوا لَهُ** . اى قدروا له منازل القدر فإنها  
 كذلك وبين لكم أن الشهر سبع وعشرون أو  
 ثلاثون . قال : وهذا خطاب لمن حشم الله  
 تعالى بهذا العلم . قال : وقوله فأكبروا  
 البيوت خطاب العامة التي لا تحسن تقدير  
 المنازل . وهذا نظير التارة يقول بالعلم  
 الذي أمر بالإيجاد فيها **وَأَلَّا يَمْلِكُوا الْفَلَاحَةَ**  
**أَشْكَالَ التَّارِقِ** به حتى يتبين له العوالم كما  
 بان لهم . **وَأَمَّا الْعَامَّةُ** التي لا يجهد لها قلبها  
 فتعلم عمل العلم . قال : **وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ**  
**أصح** . وقال الشاعر ياس بن مالك بن عبد  
 الله السبيعي :

كلا ثقلتا طامعاً بئسمة  
 وقد قدر الرحمن ما هو قادر  
 فلم لو يما كان أكثر سائياً  
 وشئتاً سريانه لا ياتحز  
 وأكثر يك بالما يتقى الملا  
 يضارب قرناً دارعاً وهو حاسر  
 قوله : ما هو قادر أى مقدر . ونقل الرجل  
 بالله حشمه وساع بيته . وأراد بالقل هنا  
 الشاه . اى يسأوا ويسألهم طامعات في  
 ظهور كل واحد من الحشم على صاحبه  
 والأمر في ذلك جاز على قدر الرحمن .  
 وقوله : **وشئتاً سريانه لا ياتحز** . اى يشتب  
 سريانه وهو لا يتحز ذلك لأنه مضروب قد  
 قيل . **واشصب سريانه بأنه منقول ثان**  
**لشئتاً** . وفي شئتاً سريه مرفوع به .  
 ومن رجع سريانه جملته مرفوعاً به ولم يخل  
 فيه ضمياً . **والباقى** : **المتفرغ الداعل في**  
**عصر شبابه** . **والذارع** : **اللباس الفروع**  
**والحاسر** : **الذي لا يوزع عليه** .

وقد تريت الشيء كثيراً وتكررت الشيء  
 القدره والقدره قدرأ من التفسير . وفي الحديث  
 في رؤيه الهلال : **صُومُوا لِرُؤْيِيهِ وَأَنْظِرُوا**  
**لِرُؤْيِيهِ** فإن غم عليكم فاقدروا له . وفي  
 حديث آخر : **فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْبِرُوا**  
**الْبُيُوتَ** . قوله : **فَاقْدُرُوا لَهُ** . اى قدروا له  
 عدد الشيء حتى تكملوه ثلاثين يوماً .  
 واللفظان وإن اختلفا يرجعان إلى معنى  
 واحد . وروى عن ابن سريج أنه فسّر قوله  
**فَاقْدُرُوا لَهُ** . اى قدروا له منازل القدر فإنها  
 كذلك وبين لكم أن الشهر سبع وعشرون أو  
 ثلاثون . قال : وهذا خطاب لمن حشم الله  
 تعالى بهذا العلم . قال : وقوله فأكبروا  
 البيوت خطاب العامة التي لا تحسن تقدير  
 المنازل . وهذا نظير التارة يقول بالعلم  
 الذي أمر بالإيجاد فيها **وَأَلَّا يَمْلِكُوا الْفَلَاحَةَ**  
**أَشْكَالَ التَّارِقِ** به حتى يتبين له العوالم كما  
 بان لهم . **وَأَمَّا الْعَامَّةُ** التي لا يجهد لها قلبها  
 فتعلم عمل العلم . قال : **وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ**  
**أصح** . وقال الشاعر ياس بن مالك بن عبد  
 الله السبيعي :

لو كان خلفك أو أمامك حايياً  
 بترأ سرك لهايك البقدار  
 يتقى الموت . ويقال : إنها الأشياء نقادير  
 لكل شيء مقدار داخل .  
 ( ١ ) قوله : لكل شيء مقدار داخل . حكاه  
 في الضمات جميعها . ونسقت أن العوالم :

والبقدار أيضاً : هو البقدار . يقول :  
 يتزل البقر بالبقدار أى يقدره وتقدر . وهو  
 مبلغ الشيء .  
 وكل شيء مقدر فهو الوسط . اى  
 سببه . **والمقدر الوسط** من كل شيء .  
 ويجعل مقدره الخلق اى وسطه ليس بالعلول  
 ولا القصور . وكذلك الوعل والفتى  
 ونحوهما .

والفقر : الوسط بين الرخا والسرور  
 ونحوهما . يقول : هذا سرى فقر . يخفف  
 ويثقل . **الشهتيب** : سرى قادر قائم . وهو  
 الرأى الذى لا يتغير . **وقيل** : هو بين المشير  
 والكبير .  
**والقدر** : قصر القوي . **قَدِرَ قَدْرًا** . وهو  
**أقدر** . **والأقدر** : القوي من الرجال . قال  
**صخر الرى** يعنى صابراً وبكره وعزلاً قد  
**وودت بشرت الله** :

لوى الأيام لا يتقى كرمها  
 ولا أوحش الأوبد والشاما  
 ولا غسأ أربد في مشرد  
 تحين على قوسها خدما  
 أبح لها أقبير ذور خيمو  
 إذا ساتت على السلفات ساما  
 متى أبح : قدر . والتفسير في لها بنود  
 على المقص . **والأقبير** : أربد به الصابدة .  
**والحشيف** : القرب الخلق . **وسامت** : مرت  
 ونفت . **والسلفات** : جنج ملقة . وهي  
 الصخرة المساء . **والأوبد** : الوحوش التي  
 تأبجت . اى توحشت . **والمقص** : جنج  
 أعصم وقصماء : الوعل يكون يبراعيه  
 ياحر . **والخندام** : الخلاجيل . **وأراد**  
**المخلوط السود** التي في بيته . وقال  
 الشاعر :

أرؤك أقبير حترقوه  
 وقيل : الأقدر بين الرجال القوي القوي .  
**والقدر** : الرتبة بين الناس . **كبر عشرو**  
 لكل شيء مقدار داخل . لا من داخل هنا  
 [ عده ]

## القاموس المحيط

لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم  
الفيروزي ابادي (- ٨١٧ هـ)

عنى الفيروزي ابادي بعلوم الحديث والتفسير والفقه واللغة التي عدها أساس دراسة العلوم العربية ، وفي مقدمتها علوم الدين ، غير أنه شغل باللغة إلى حد بعيد ، كما يشير في مقدمته ، يقول : « هذا ، وإنى قد نبغت في هذا الفن قديماً وصبغت به أديماً ، ولم أزل في خدمته مستديماً ، وكنت برهة من الدهر ألتبس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطة ، ولما أعياني الطلاب ، شرعت في كتابي الموسوم بـ « اللامع المعلوم العجائب ، الجامع بين المحكم والعباب » ، فهما غرتا الكتب المصنفة في هذا الباب ، وتبراً براقع الفضل والآداب ، وضممت إليهما زيادات امتلا بها الوطاب ، واعتلى منها الخطاب ، ففاق كل مؤلف في الفن هذا الكتاب » . المقدمة ص ٣٣ .

فقد أراد إذن أن يضع معجماً لغوياً ضخماً قدر له نحو ستين سفرأ ، غير أنه عدل عن الهدف بعد أن انتهى من خمس مجلدات ، بعد أن سئل في تقديم كتاب وجيز محكم ، يلتزم فيه إتمام المعاني وإبرام المباني ، فيفي بحاجات الطلاب . ويحدد سمات المادة التي أوردها في هذا المختصر ، يقول في مقدمته ( ص ٣٣ ، ٣٤ ) .

« وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، مغرباً عن الفصح والشوارد ، . . . ولخصت كل ثلاثين سفرأ من سفر ، وضمته خلاصة ما في « العباب » و « المحكم » ، وأضفت إليه زيادات من الله تعالى بها وأنعم . . . وأسميته : القاموس المحيط ، لأنه البحر الأعظم » .

وربما يرجع السبب في اختياره للمحكم ، الذي يسير على نهج العين ، والعباب ، الذي يسير على أساس الترتيب الهجائي ، والجمع بينهما . إلى إعجابه الشديد بكم المادة في المعجمين ، فكلاهما قصد إلى جمع المشتت والشوارد ، وبذلاً كل جهد لتحقيق ذلك ، وإن انفرد الصغاني بصلة وثيقة بصحاح الجوهري .

اختار الفيروزابادى لمعجمه نهج الصحاح فى الترتيب . أما مادة الصحاح فهى - فى رأيه - غير كافية ، فأكملها ليضيف عشرين ألف مادة ، إلى مواد الصحاح التى يبلغ عددها أربعين ألف مادة ، معتمداً فى ذلك على المعجمين السابقين اللذين اهتم بهما ، بالإضافة إلى مواد من الجمهرة والتهديب والنهية وحواشى ابن برى . ولا تدرى العلة الحقيقية لإعراضه عن ابن منظور ، وإن كنا نرجح أنه لم ير فى معجم لسان العرب ما يوجب الذكر ، لا فى المادة ولا المنهج ، إذ إن ابن منظور قد سار على نهج الصحاح ، والفيروزابادى نفسه اختار النهج ذاته أساساً لترتيب مواد القاموس . أما مادة اللسان ففى الأغلب ليس لابن منظور فيها فضل كبير ، والفيروزابادى نفسه رجع إلى المصادر التى نقل عنها ابن منظور ، وزاد عليها . بيد أنه وجه إلى الصحاح نقداً مبرزاً أوجه القصور فيه ، مما دفعه إلى تمييز ما أضافه إليه من مواد بحبر أحمر ، كما أنه أشار فى ثنايا معجمه إلى بعض أخطائه . يقول الفيروزابادى فى مقدمته أيضاً : « ولما رأيت إقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاته نصف اللغة أو أكثر ، إما بإهمال المادة أو بترك المعانى الغربية النادرة ، أردت أن يظهر للناظر بادىء بدء فضل كتابى هذا عليه ، فكتبت بالحمرة المادة المهملة لديه » ص ٣٤ .

أما سمات معجمه من وجهة نظره فقد حددها فى حسن الاختصار وتقريب العبارة ، وتهذيب الكلام ، وإيراد المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة .

وقد سار الفيروزابادى فى ترتيب مواد القاموس على النهج الذى ارتضاه من قبل الجوهري فى صحاح العربية ، وابن منظور فى لسان العرب . فيقسم معجمه إلى ٢٨ باباً حسب ترتيب الهجاء لأواخر الكلمات مدمجاً بابى الواو والياء فى باب واحد ؛ (أى على أساس الحرف الأخير من المادة الأصلية) ، ثم قسم كل باب إلى ثمانية وعشرين فصلاً ، إذ يسقط من الفصول ما يبدأ بلفظ لا ينسجم مع آخر حرف فى الكلمة ولم يرد فى لغة العرب ، ثم رتب مواد كل فصل حسب الحرف الثانى ، إن كانت المادة ثلاثية ، فالثالث ، فالرابع ، إن كانت المادة رباعية أو خماسية .

ويضم باب الألف اللينة ، وهو الأخير ، الكلمات المنتهية بالألف غير المهموزة أو المنقلبة عن أصل ، وأضاف إليها مواد أخرى ، ليس هذا موضعها ، وإنما مردها إلى أبوابها ، مثل الهمزة والياء والتاء . . . والواو والياء . ويلاحظ أنه قدم فصل الواو على الهاء فوقعت الهاء بين الواو والياء ، وكذلك يفعل فى ترتيب مواد كل فصل ؛ وتلك

مزية اختص بها إذ يقول : « ومن أحسن ما اختص به هذا الكتاب تخليص الواو من الياء » . ففي باب الواو والياء نجد يوضع رمز ( و ) لمواد الواو ، و ( ي ) لمواد الياء .

وهكذا فالأساس في التبويب وترتيب مواد كل باب أصول المادة ، فلا يمكن الكشف عن أية كلمة في صورتها التي تأتي عليها ، بل يلزم ردها إلى الأصول التي تتكون منها .

لم يسر الفيروزابادي على نهج بعينه في بداية كل مادة ؛ فتارة نجد الفعل مفرداً أو في جملة موجزة ، وتارة في صورة المصدر ، وثالثة في صورة اسم الذات . . . الخ ، كما أنه لم يلزم طريقة واحدة في شرح المادة ، غير أنه - بوجه عام - عنى بتصريف المادة ومشتقاتها وحرص على الضبط ، فترك المشهور والمفتوح ، وما عدا هذا يضبطه بذكر لفظ مشهور . وكثيراً ما يعتمد على الأوزان في الضبط . والتزم في الشرح والتفسير السبيل الذي اختطها في المقدمة كما أشرنا آنفاً .

وضع للاختصار عدداً من الرموز الذي تغنى عن التكرار ، وقد ذكرها في المقدمة (ص ٣٥) ، وهي : (ع) للإشارة إلى موضع ، و (د) إلى بلد ، و (ة) إلى قرية ، و (ج) إلى الجمع ، و (م) إلى معروف . وللسبب ذاته فإنه إذا ذكر صيغة المذكر في الاسم أو الوصف ، وأتبعه المؤنث ، اكتفى بقوله : وهي بهاء ، ولا يعيد الصفة ، ولكنه لم يلزم نفسه بذلك دائماً . واختط لنفسه نهجاً حافظ عليه في معالجته للأبنية ففي حالتها الاسم والفعل يقدم المشهور الفصيح في الغالب ، ثم يتبعه اللغات الزائدة إن كان في الكلمة لغتان أو أكثر ، وفي حالة المصدر يقدم المقيس أولاً ، ويؤخر غيره في الغالب . وفي حالة الصفة يقدم المقيسة ، ثم يتبعها غيرها من المبالغة وغيرها . كما يبدأ بالمذكر فالمؤنث ، وقد يصل بينهما فيذكر المذكر ثم صفاته ثم جموعه ثم المؤنث . أما صيغ الجمع فيقدم المقيس منها ، ثم يذكر غيره في الغالب . وقد يهمل المقيس أحياناً اعتماداً على شهرته . غير أنه يستثنى - كما قال في مقدمته - من قاعدته في ذكر الجموع ، ما جاء في جمع فاعل المعتل العين على فعلة (كباعة وسادة) فإنه لا يذكره لاطراده إلا أن يوضح موضع العين منه (كجولة جمع جائل ، وخولة جمع خائل) .

وقد اهتم الفيروزابادي أيضاً بذكر الأعلام والمحدثين والفقهاء منهم بوجه خاص ، ومصطلحات النبات والحيوان وصفاتهما في إيجاز وإن لوحظ كثرة الحديث عن منافعهما الطيبة .

ويلاحظ كذلك أن الفيروزابادي قد سجل عدداً من الملاحظات على صحاح

الجوهري ، على الرغم من تقديره له واعتماده عليه اعتماداً أساسياً ، رأى أنها مخالفة للصواب ، وهو بذلك لا ينسب إلى الجوهري تعمله التصحيف أو الغلط والتحريف ، وإنما كان غرضه التنبيه ، واستيضاح الصواب واسترباح الثواب ، والاحتراز عن أن ينسب إليه أى شكل من أشكال الخطأ . وكان يستخدم فى التصويب لفظ « غلط / وهم » . واختلفت صور التصويب بين الضبط وتحديد معانى المادة وبينتها . وقد قلنا إن ما أضافه إلى صحاح الجوهري يعدل نصف عدد ما سجل الجوهري ، وكانت المواد المشتركة بينهما توضع بين قوسين . أما المواد التى أضافها الفيروزابادى فقد وضع فوقها خط ممتد .

أخيراً قدر للقاموس المحيط أن ينال شهرة عظيمة ، فقد صار علماً لهذا الصنف من التأليف ، مرادفاً على الألسنة - لمصطلح « معجم » . وقد حقق أهدافه التى أرادها المؤلف ، غير أنه بالغ فى الاختصار - وهو رأى القدماء أيضاً ، فقد قال الحافظ بن حجر عنه « إنه لا مزيد عليه فى حسن الاختصار وجموم الكلمات اللغوية » - غير أن الصعوبة الحقيقية فى استخدامه تكمن فى قلة الشرح عند الاستشهاد ، فكان أن حرص اللاحقون على شرحه والتعقيب عليه ، ومن أهمهم السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ( ت ١٢٠٥ هـ ) فى كتابه ( تاج العروس فى شرح جواهر القاموس ) ، إذ إنه أضاف إليه كثيراً مما فات الفيروزابادى من عدد كبير من المصادر الأساسية ، وإن اعتمد على لسان العرب اعتماداً جوهرياً . أما فى العصر الحديث فقد تتبع أحمد فارس الشدياق فى كتابه « الجاسوس على القاموس » أخطاء القاموس فى دراسة نقدية لغوية قيمة ، وكذلك فعل أحمد تيمور باشا فى كتابه ، « تصحيح القاموس » .

وقد أعيد ترتيبه على أساس ترتيب حروف الهجاء ليسهل استعماله ، كما حدث بالنسبة للسان العرب ، وإن كنا لا نرى فى طريقة الباب والفصل ( الترتيب على أساس الأصول ) أية صعوبة ، فهى تمثل نهجاً عربياً متميزاً .

**وهيما يلي نموذج من ( القاموس المحيط )**

# من معجم « القاموس المحيط » للفيروزآبادي

تحت - حرف

و- يذته، وله: أثر، و- لئلاً: جازة. وقرا الجسلي  
 «حرف يعضه» (١)، أي: جازي حفصة، رضي الله تعالى  
 عنها، يعض ما قلته، لو مناه: أثر يعضه وأعرض  
 عن يعض، ومنه: أنا أحرف للحمين والسي، أي:  
 لا يخفى عليّ ذلك ولا مقابله بما يوافق. والمزف:  
 الريح، طيبة أو سيئة، وأكثر استعماله في الطيبة  
 ولا يجرّ شئك الشؤ من عرف الشؤ: يفرّب  
 للبحر لا ينفك عن كبح قلبه، شبه بجليد لم يذبح  
 للديار. والمزف: نبات، أو الماء، أو تيك ليس  
 يخطف ولا يفساه، وبهاو: الريح، واسم من:  
 اغترّب ساقهم، ويخر، وفرقة تخرج في يعض  
 اللث. وعرفه، كعني، عرفاً، بالفتح: عزت به.  
 والمزف: ضد المتجر. ومزف: قرص سلمة  
 الغاصري، و- ابن مسكان (٢)، باني الكعبة، و- ابن  
 سويد، وابن خردوب: مخلصان، و- ابن قروان  
 الغري: قبره الثماني المجرّب ينداد، وبهاو: قرص (٣)  
 الزجر بن التوام. ورم غزفة: الناصع من ذي الجذبة.  
 وغزفت: تزفت الحاج ذلك اليوم، على أثنى عقرباً  
 من مكة، وغلط الجوهرى لقال: موضع بمنى سوت  
 لأن آتم وحواة تغارلا بها، أو لقول جبريل لإبراهيم،  
 عليهما السلام، لما قلته المنابك: أحزفت؟ قال:  
 عزفت، أو لأنها مقلنة منطنة كانها عزفت، أي:  
 سوت، اسم في لفظ الجمع فلا يجمع، معرقة، وإن  
 كان جمعاً، لأن الأماين لا تزول، فصارت كالشيء  
 الواحد، مضروقة لأن اللفظ يشبه الياه والواو في تسليق  
 وتسلو، والنسبة: غزفي. وزنقل بن شداد الغزفي

وكعيب، والتجمع، والقطعة من الشيء، كالبنين،  
 والصنرة، والصفحة من البوب، وأصل الشجر الذاهب  
 في الأرض، ويحرك، ج: كعيب، ويحرك (٤).  
 وما تذهبت اليوم: ما ذقت قليلاً فضلاً عن كثير.  
 وعذلة: ج.

● العذوب: العذوف في لغتي، والدال لغة ربيعة،  
 وبالمهمل لسان العرب. وعذف يثيف: أكل. وسم  
 عذاف، كعرب: قاتل. وما زلت عاذناً منذ اليوم: لم  
 أفق شيئاً.

● العزوف، كعصفور: الناقة الشديدة الضخمة.  
 ● عراض الإكاف، بالكر، وعرضه وعصفوره:  
 خشية تشدود بين الجنين المقلتين، أو العراض:  
 السوط من العقب، والعقب المستطيل، أو عضة من  
 العقب والقد. والعراض، من الرجل: ارتبة أو ثوب،  
 يجمع بين رؤوس أثناء القتب، في رأس كل جوب  
 ويتدان تشدودان يعقب، أو الخبتان الثتان تشدان بين  
 وأبط الرجل وأجزته يميناً وشمالاً، و- من شيا.  
 البحر: أطراف سلبين ظهره، و- من الخرطوم: عظام  
 تكس في العيسوم. والمزفان: عرفان أدبلا في  
 دجري (٥) القدان. وغزفة: جلبة فشفة منطيلة.  
 والمزف: تيك، يوناني: كانهطوس، إذا شرب من  
 وزه بماء العسل أربعم يوماً أبرا جرق النسي، وسبعة  
 أيام أبرا الزقان.

● غزفة يعرقة معرقة وجرافاً وجرقة، بالكر، وجرافاً،  
 بكسرتين مقلنة القاء: عذبة، فهو عراف وعريف  
 وعروقة، و- القريس عرفاً، بالفتح: جزر عرفه،

(١) ما بين الطامير طويروا عليه بنسبة المؤلف.

(٢) الدرمان: كتبة دج، وهو الخشبة التي تشد عليها حبلية القدان. (ش).

(٣) وهي: (لما نبات به وأظهره الله عليه عرف يعض وأعرض عن يعض) التروم: ٢. وقرابة الجمهور: وعرفه بالشديد.

(٤) سكتوه حوكشان، في النسخ بالسين المهمل، والعرواب: بالجملة. (ش).

(٥) كذا في النسخ، والعرواب أن اسم فرسه: معروف، من غير علم. (ش).

سكتها كتب إليها. وقولهم زكنا غزوة: فيه مؤلدة.  
 والعارف والتمروف: العيور. والنعرفة: المعروف،  
 كالغريف، بالضم، ج: غروف. وكشفا: الكليل،  
 والطيّب، واسم. ولمرّات: معروف. وغريف،  
 كتح: أكثر الطيب. والندف: بالضم: الجود، واسم  
 ما تكلّه وتطعم، وتوج البحر، وفيه الفجر، واسم من  
 الاعتراف، تقول له: غلّي ألف غز، أي: اغترفاً،  
 وبشعرعتي القرم، ونفم رلوة، وع: و- علم،  
 والرمل واللكان المرتفبان، ونفم رلوة، كالغريف،  
 بالضم، ج: كسرذ وأقال، وضرب من الثعلب، أو لؤلؤ  
 ما تكلّم، أو نخلة بالخرنبي تسمى: البرشم، وشجر  
 الأشرج، و- من الرملة: غفرها المشرق، وجنح  
 غروبي: للصابر، وجمع الغزاة من الإبل واليابع،  
 وجمع الأعراب من الخيل والحيات. وغلز الفط غزاه،  
 أي: بعضها خلف بعض. ورجة الغوم غزاً غزفاً:  
 كذلك، قيل: رت: «والمرسلات غزفاً»<sup>(١)</sup>، أو لولد  
 أنها ترسل بالمعروف. وفي الغريف، بالضم: زيمة بن  
 وائل في غزاة الحفرم، من وليه: الصحابي زيمة  
 ابن عذان بن زيمة في الغريف. وغزف، كمتي: ملة  
 ليني أسيد، وع: والمعل بن غزاف، بالضم: من اتباع  
 التايين. وكجربان وعيتان، بضمين مُشَقَّة، وكسرتين  
 مُشَقَّة: جُنْدَب ضخم كالجرادة، لا يكون إلا في مكة  
 أو عطفارة، أو ذبابة صغيرة تكون برمل هالج والفتاه،  
 وتبيل، وكسرتين مُشَقَّة لفظ: صاحب الراعي الذي  
 يقول له:

كفتي جربان الكسرى ونميشة  
 كلوة الشجوم والتملسن مُشَقَّة

فبكت مريم جزته ونسوة  
 وبك أرمه الشجم آبن مخالفة

والنعرف بالشيء: الدال عليه، ونفم. وجرزان،  
 كجبان: مَنَعَةٌ مشهورة. والنعرة، بالضم: لرض بلوة  
 مُشَقَّة، كجك، والحد بين الشكين، ج: غزف.  
 والغزف: ثلاثة عشر موضعاً: غزفة صارة، وغزفة  
 القبان، وغزفة سبي الغزوين، وغزفة الأملح، وغزفة  
 نجما، وغزفة نياط، وغزف ذلك. والأغراف: ضرب من  
 الثعلب، وسود بين الجثة والنار، و- من الرياح:  
 أمالها. وأغراف نخل: مضاب حمر ليني سولة<sup>(٢)</sup>.  
 وأغراف ليني، وأغراف غمرة: مواضع. والغريف،  
 كاسم: من يعرف أصحابه، ج: غزلة. وغزف، ككرم  
 وضرب، غزاة: صلا غزفاً. وكتب بجابة: غيل  
 اليراعة. والغريف: زبيس القوم سمي لأنه عرف  
 بذلك، أو الغيب، وهو دون الرئيس. وغريف بن  
 سريع، وابن مازن: تابعان، و- ابن جشم: شاعر  
 لابس، وابن الغريف: أبو القاسم الحنن بن الوليد  
 الأندلسي: نحوي شاعر. وكزبيو: ابن جوشم، وابن  
 إبراهيم، وابن مذك: محدثون. والعارف بن مالك بن  
 قيس بن غزيب: صحابي. وغزف بن أيد: في نسب  
 حطرمون. وما عرف جزني، بالكسر، إلا بانوة، أي:  
 ما عرفني إلا أخيراً، أو البزفة، بالكسر: المغرفة.  
 والبزف، بالكسر: الضبر. وقد عرف للأمر يعرف،  
 واغترف. والنعرفة، كمرحلة: موضع المعروف من  
 الفرس. والأغزف: مائة غزف. والنعرفة: الفصح،  
 لكثرة شعر زكيتها. ورملة خسة للعارف أي: الزوج،  
 وما يظهر منها، واحدها: كنفق. وهو من المذرف،

(١) للرسالة: ١.  
 (٢) هكذا في النسخ. وهو غلط، وصوابه: حمر في أرض سولة (ش).

أي: المتروفين، وحيا الله المتروك: أي: الوجوه.  
 واغترف: طال عُرْفُه. والتعريف: الإعلام، ويضد  
 التكبير، والوقوف بعرفات. والمنرف: كمعظم:  
 الموقوت بعرفات. واغزوزف: تويها للشرا، والبحر:  
 ارتفعت أمواجه، والشخل: كلف والتف كانه حرف  
 الضيع، والدم: صاله زبد، والقرص: علا عنو.  
 حرفه، والرجل: ارتفع على الاعراف. واغترف به:  
 أقر، ولاناً: سألته عن غير ليعرفه، والشية:  
 حرفه، وذل، وانقاد، والي: أخبرني باسمه وشأبه.  
 وتعرفت ما عندك: تكلبت حتى عرفت، ويقال: اتيه  
 فلتعرفت إليه حتى يتعرفك. وتعازفوا: عرف بعضهم  
 بعضاً، وسموا: حرفه، مخزفة، ومنه: با وكزير وأمير  
 وشذو وقول<sup>(١)</sup>.

● عرفك نفسي: عنه تعرف عرفاً: زيدت و  
 وانصرف عنه، أو ملته، فهو عروف عنه. والعرف  
 والعريف: صوت الجن، وهو جرس يسمع في المغاوير  
 بالليل. وكشاد: سحاب فيه عرف الرعد، ويمل ليبي  
 سعيد، أو خيل بالذهاب على اثني عشر ميلاً من المدينة،  
 سمي لأنه كان يسمع به عرف الجن. وأبرق انمراف:  
 ماه يبي أسد، يجاء من حوامات الذراع إليه، ومنه إلى  
 بطن نخله، ثم الطرب، ثم المدينة. وعرف الرياح:  
 أصواتها. والمعازف: الملاهي، كالعود والمثنوي،  
 الواجد: عرف أو بعرف، كثير ويكتسب. والمعازف:  
 اللاهب بها، والمثني، وع سمي به لأنه تعرف به  
 الجن. وعرف يتعرف: أقام في الأكل والشرب،  
 والبعير: نزل حنجرته عند الموت. والمعرف:

بالضم: الخمام الطورانية. واغترف: سيع عرف  
 الرمالي.

● غف عن الطريق يعيف: مال، وعذل، كغفلت  
 وتغشفت، لو غبطه على غير هداية، وبالكفا:  
 ظلم، ولاناً: استخذه، كغشفت، وغشفت:  
 رعاهم وكفاهم لزمها، وعليه، وله: غبل له،  
 والبعير: اشرف على الموت من الغد، فجعل يفس  
 فترجف حنجرته. وناق عايف وبها عفاقت وصالي،  
 كغراب. والمنف: نفس الموت، والفلح البهيم،  
 والاختيساف بالليل يعني طليق. والمنف: الأجير.  
 والعبد المستعان به<sup>(٢)</sup>، فليل يمتنى فاجل، من عطف  
 له، أو يفتول من غشفه: استخذه. وغشفت:  
 كغشفت: ع على مرحلتين من مكة. وأغف: أخط  
 بعيره نفس الموت، وأخذ غلته بعمل شديد، وعلا  
 بالليل خيط عفاقه، ولزم الشرب في القذح الكبير  
 وغشفه تعيفاً: أعتبه. وتغشفت: ظلمه. وانغشفت:  
 انتظفت. والمنسوف: الظلوم<sup>(٣)</sup>.

● الغشقة: نقيض البكاء، أو أن يرد البكاء فلا يتغير  
 وغشفت في الخبر: هم به ولم يقبل.

● الغشوق، بالضم: الشجرة اليابسة. والمنشف:  
 كمشين: من عرض عليه ما لم يكن يأكل فلم يأكله  
 والبعير لول ما يجاء به من البر لا يأكل الفك والشوك  
 والشعير. وأكله فاعشفت عنه: مرضت، ولم يفت  
 وأنا أغشفت هذا: أقلته، وأكرفه. وما ينشف لي  
 قبيح: ما يعرف. وقد زيك أنرا ما كان ينشف لك  
 يعرف.



## تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي (ت ١٣٠٥ هـ)

لم يكن في إمكان أولئك العلماء المتأخرين تأليف تلك التصانيف الضخمة إلا بتوفر تلك المادة اللغوية الثرية التي توالى جهود عدد كبير من اللغويين الأوائل في جمعها وتدوينها ، في صورة أولية ، لم تكن بالترتيب والتصنيف قدر العناية برصد المواد اللغوية الفصيحة المستعملة أو النادرة أو الغريبة ، مصحوبة بالشواهد الميينة لأوجه الاستعمال . ثم أتبع لمن أوتى منهم القدرة على وضع نهج خاص أن يصنف تلك المادة في ترتيب معين ، فكان النظام الذي انتهى إليه الخليل بن أحمد في العين والنظام الذي انتهى إليه الفارابي في (ديوان الأديب) والنظام الذي انتهى إليه أبو عمرو الشيباني في (الجيم) ، فتوفرت لهؤلاء المتأخرين مادة ثرية ومناهج متعددة .

وفي الحقيقة ينبغي أن نشير هنا إلى أنهم لم يضيفوا إليها شيئاً ، فكانوا يختارون من المادة والمناهج ما يوائم أهدافهم . وقد تبأنت جهودهم ؛ فمنهم من اختار الاختصار متبعاً كل مظاهر الاختصار دون أدنى إضافة أو تعديل ، ومنهم أثر التنبيه على الأوهام والأغلاط والتحريفات والتصحيقات ، في نهج نقدي معتدل عند بعضهم ومسرف عند آخرين ، من خلال مقارنة بين المواد في مؤلفات مختلفة ، ومن ثم اتخذت تصانيفهم صورة حواش أو تعليقات . ومنهم جعل جعل همه التوسع في شرح المادة ، ولكن ليس من خلال إضافات وزيادات خاصة به ، وإنما من خلال جمع المواد اللغوية من أعمال مختلفة وحشد كل ما يمكن الوصول إليه ، مما يتصل بتلك المواد اتصالاً مباشراً أو غير مباشر ، وبذلك صارت تصانيفهم في النهاية موسوعات معجمية ضخمة .

ومن تلك الموسوعات المعجمية الضخمة معجم (تاج العروس من جواهر القاموس) للإمام اللغوي أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي . ولا خلاف في أن الزبيدي قد ألف معجمه شرحاً للقاموس المحيط ، وأراد منه إزالة ما وجه إلى القاموس من إيجاز شديد وغموض عبارته ، فعمل على استدراك مواده ، وتصويب أخطائه أو تصحيقاته وتحريفاته والتنبيه على مصادره وغير ذلك ، مما أدى به إلى صار أضخم المعاجم العربية وأكثرها مادة وشرحاً .

وقد أشار في مقدمته إلى قيمة معجم القاموس المحيط للفيروز ابادى فهو «أجل ما ألف في الفن لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب العرباء وبيضة منطقتها وزيدة حوارها . . . (ج ١/٢)» ، ثم انتقل إلى المؤلفات التي تصدت لكشف غوامضه ودقائقه ، وبين أن الطرق المختلفة التي استخدمت في معالجة مادة القاموس تقصر عما يهدفه إليه ، وبخاصة تلك الحال التي صار عليها أفاضل الناس ، فقصده بكل همه إلى « وضع شرح عليه مزوج العبارة ، جامع لمواده بالتصريح في بعض ، وفي البعض بالإشارة ، واف ببيان ما اختلف من نسخه ، والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول ، حاو لذكر نكته ونوادره والكشف عن معانيه ، والإنباء عن مضاربه وماأخذه بصريح النقول والتقاط الشواهد له .

وقد كشف الزبيدي عن مصادره التي رجع إليها لأداء هذه المهمة بشكل مفصل ، وطريقته في الاستعانة بالمواد التي تحويها . وكان في مقدمة المصادر التي اعتمد عليها المعجمات التي تيسرت له مثل صحاح الجوهري وتهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيده ولسان العرب لابن منظور ، الذي يعد في قمة ما رجع إليه لكثرة نقوله منه ، بل إنه قد نقل فقرات كاملة من مقدمة لسان العرب أيضاً . واستعان أيضاً بالمعاجم التي ألفت إكمالاً أو تهذيباً للمعاجم السابقة . بيد أن ذلك لم يكن كافياً لتأليف معجمه ، فجمع مواد أخرى من مؤلفات مختلفة ، مثل معاجم ألفاظ القرآن والحديث وكتب القراءات والكتب اللغوية وكتب الطبقات والأعلام والتراجم وشروح الدواوين والمجموعات الشعرية وغيرها ، ونص عليها في مقدمته (١/٣ - ٥) ، غير أنه نوه إلى غيرها مما يطول استقصاؤه ، ويصعب إحصاؤه فلم ينص عليها .

وبين طريقته في التعامل مع هذه المصادر ، فيقول (١/٣) : ونقلت بالمباشرة لا بالوسائط عنها ، لكن على نقصان في بعضها نقصاً متفاوتاً بالنسبة إلى القلة والكثرة ، وأرجو منه سبحانه الزيادة عليه . وتلك ميزة من مزايا معجم الزبيدي ، فقد جنبه الرجوع إلى الأصل في معرفة المادة ، ما وقع فيه علماء عصره ومن سبقهم ، أعنى في صور مختلفة من الأخطاء والتصحيف والتحريف ، حين اكتفوا بالوسائط دون الأصول . ولكنه كان يتدخل في المادة ، ليوائم أغراضه . ويفصل ذلك النهج حين أشار إلى أنه : لم يأل جهداً في تحمى الاختصار وسلوك التنقية والاختيار وتجريد الألفاظ عن الفضلات . . . فكان شرحه واضح المنهج كثير الفائدة ، لأنه جمع فيه ما تفرد به العلماء وما نثروه في كتبهم وما تفرق في تصانيفهم . فيستحيل على الطالب أن يفيد

منها فائدة مكتملة ، إذ يمكنه أن يصيب أشياء ، وتغيب عنه أشياء أخرى ، واستلزم تحقيق الفائدة المثلى منها أن يجمع في شرحه ما تفرق ، ويقرن بين ما غرب منها ، فانتظم شمل تلك الأصول والمواد كلها في هذا المجموع .

ويحدد في أمانة انتهاء الأخذ عن الأعراب العظماء مشافهة ، فهذا أمر لا يمكن أن يدعيه ، وما يضمه شرحه فطريقه النقل المباشر عن الكتب ، يقول ( ٥ / ١ ) : وأنا مع ذلك لا أدعى فيه دعوى أقول شافهت أو سمعت أو شددت أو رحلت أو أخطأ فلان أو أصاب أو غلط القائل في الخطاب . . . فقد انتهى عصر المشافهة والرحلة ولكنه يضيف بأنه لم يسلك المسلك النقدي أيضاً ، فلم يصحح أو يعدل أو يعلق . ودوره في هذا المعجم كما يقول ( ٥ / ١ ) : ليس لي في هذا الشرح فضيلة أمت بها ولا وسيلة أتمسك بها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من منطوق ومفهوم وبسطت القول فيه ، ولم أشبع باليسير وطالب العلم منهموم ، فمن وقف فيه على صواب أو زلل أو صحه أو خلل فعهدته على المصنف الأول وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول ، لأنني عن كل كتاب نقلت مضمونه ، فلم أبدل شيئاً فيقال وإنما إثم على الذين يبدلون .

فقد نفى يديه إذن من أي تغيير في النص يمكن أن ينسب إليه ، فمن أراد أن يوجه نقداً فعليه أن يقصد المؤلف الأصلي لأنه لم يبدل أو يعدل . وقد كان أميناً في النقل عن المصادر ، ولم تكن الإضافات والزيادات إلا من نصوص مختلفة نص عليها أيضاً ، ولم يكن له فيها إلا التنسيق ، وكان بذلك يرد نهج الفيروز ابادي الذي أباح لنفسه التصرف في النصوص . يقول ( ٥ / ١ ) : بل أدبت الأمانة في شرح العبارة بالنص ، وأوردت ما زدت على المؤلف بالنص ، وراعت مناسبات ما ضمنه من لطف الإشارة . وقد اختار له هذا الاسم ( تاج العروس من جواهر القاموس ) لثقته في جودة عمله في حد ذاته ، فلا دخل للقدم أو الحدوث في استجداء شيء أو استرداله . وهكذا تصدر معجمه مقدمة طويلة ( حوالى ٣٩ صفحة ) ، يمكن أن نقسمها قسمين ، يضم القسم الأول ( ١٥ صفحة ) عدة مداخل مهمة ، يعرضها في تفصيل وفي لغة يغلب عليها الصنعة ، وتشمل طريقة تبويب معجمه ، وهدفه ، وسبب تأليف شرحه واختيار منهجه ، والمصادر الأساسية التي اعتمدها في تفصيل كما قلنا ، وأسلوبه في النقل . أما المقاصد العشرة التي تشمل عليها المقدمة فأغلبها منقول من كتب اللغة ، وبخاصة «الزهر في علوم اللغة للسيوطي» دون تصرف فيما ينقل إلا نادراً . واكتفى أحياناً بحذف جزء من نص العبارة اختصاراً .

وهذه المقاصد هي : المقصد الأول في بيان هل هي توقيفية أو اصطلاحية ، والثاني في سعة لغة العرب ، والثالث في عدة أبنية الكلام ، والرابع في المتواتر من اللغة والآحاد ، والخامس في بيان الأفصح ، والسادس في بيان المطرد والشاذ والحقيقة والمجاز والمشارك والأضداد والمترادف والعرب والمولد ، والسابع في معرفة آداب اللغوى ، والثامن ويضم نوعاً في مراتب اللغويين ، ونوعاً آخر في أول من صنف في اللغة ، وفيه معالجة للأسانيد ، أى طريقة رواية العلماء ، والتاسع في ترجمة المؤلف ، أى الفيروز ابادى مؤلف القاموس المحيط ، الذى يعد معجم الزبيدى شرحاً له ، وهى ترجمة وافية . أما المقصد العاشر والأخير ففى أسانيد الزبيدى المتصلة إلى المؤلف . ويقع القسم الثانى وهو شرح خطبة المصنف فى (٢٤) صفحة ، وهو شرح مسهب لكل كلمة استخدمها الفيروز ابادى فى مقدمته ، عنى فيه إلى جانب إيضاح المعنى المقصود بجوانب صرفية ونحوية لبعض الألفاظ .

أما منهجه فقد ساء فيه وفق نظام القاموس ( أى نظام الأصول أو الباب والفصل ) دون أدنى تغيير ، يقول فى المقدمة عن نهج الفيروز ابادى (٢/١) : وذلك أنه بويّه فأورد فى كل باب من الحروف ما فى أوله الهمز ، ثم قفى على أثره بما فى أوله الباء وهلم جرا إلى منتهى أبواب الكتاب ، فقدم فى باب الهمزة إياها مع الألف عليها مع الباء ، وفى كل باب إياها مع الألف مع الباءين وهلم جرا إلى منتهى فصول الأبواب ، وكذلك راعى النمط فى أوساط الكلم وأواخرها ، وقدم اللاحق فاللاحق .

وقد صار كل باب بإضافة محدودة له وهى عبارة موجزة تدور فى الوصف الصوتى للحرف المعقود له الباب . وقد التزم فى كل معجمه الفصل بين المتن وهو نص القاموس المحيط وشرحه ، فوضع عبارة الفيروز ابادى بين قوسين ، وأورد بعدها النصوص الشارحة لها التى جمعها من مصادر مختلفة ، مجتهداً فى إيجاد المناسبة بين المتن والشروح المختلفة . وقد حافظ - بحق - على عبارة النصوص المنقولة على نحو يشهد له بالدقة والأمانة ، ولم يلجأ إلى حذف جزئى أو استغناء محدود عن بعض الكلام إلا حين استشعر فى الإطالة استطراداً لا طائل وراءه . بيد أن التزامه خطة المؤلف وعبارته إلى حد الوقوع فى الأغلاط التى وقع فيها صاحب المتن ، على الرغم من أنه قد أشار فى مقدمته إلى المآخذ التى وجهت إلى القاموس من تصحيف وتحريف وخطأ وتكرار واضطراب وبخلصة الخطأ فى وضع بعض المواد والألفاظ والغموض وعدم الدقة فى التعبير والتصرف فى النقول . . . الخ .

ويبدو أنه يطبق موقفه في النصوص الشارحة على لغة القاموس ، مهما كان فيها ، وذلك موقف فيه نظر وغرابة ، كما أن كثرة المصادر التي اعتمد عليها واختلافها وتنوعها قد صعب من مهمته في إيجاد المناسبة بين المتن والشروح ؛ ففي بعض المواضع وفق في ذلك ، وفي مواضع أخرى استعصى عليه ذلك ، فظهرت العلاقة بينهما غير واضحة متكلفة ، وساد الانفصال أو عدم الترابط بينهما . وكذلك غالى في نقل معلومات غير لغوية من كتب في فنون مختلفة وكانت نتيجة إكثاره من إيراده معلومات عن الطب والعقاقير والنبات والأنساب والأماكن والأعلام والمصطلحات وغير ذلك ، أن صار معجمه أقرب إلى أن يكون موسوعة ضخمة أو دائرة معارف من أن يكون معجماً لغوياً . وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٠٦ هـ في عشرة أجزاء ( أو مجلدات ) ، ثم أعيد طبعه في الكويت بعد أن قام عدد من كبار المحققين الأجلاء بتحقيق هذه الموسوعة الضخمة تحقيقاً علمياً رائداً ، فأسدوا بذلك خدمة عظيمة للغة العربية ، إذ يسروا للطالب نصاً سليماً مضبوطاً واضحاً .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهم ميزة لمعجم الزبيدي هي توثيق عبارة القاموس ؛ فقد أوجز الفيروز ابادي فيه غاية الإيجاز . وكان هم الزبيدي في نهج علمي مهم للغاية أن يرد الاقتباسات التي ذكرت في شرح المواد إلى مصادرها وإلى أصحابها سواء أكانوا رواه أو لغويين ، معالجاً جراً الفيرو ابادي في التصريف فيما ينقل ، كما أنه قد توسع في الشواهد والتنبيه على الخلافات بين أقوال المعجمات المختلفة ، فنقل عنها كل ما أغقله القاموس من شواهد وتفسيرات وإضافات ليس له فيها - في الحقيقة - إلا الجمع والترتيب والتنقية .

أما ما استدراكه على القاموس فقد كان يشير إليه بعبارة ( وما يستدرك عليه أو المستدرك ) . وقد أثبت فيه كل المواد التي أهملها القاموس وأوردتها المعجمات الأخرى وبخاصة صحاح العربية . وما يحمد له الانتصاف للخليل من الأزهري ، فقد بينا فيما سبق أن الأزهري قد حمل على كتاب العين بشدة وراح يرصد صوراً من الأغلاط والتصحيحات والاضطراب في مادة العين . وكان رد عبارة الخليل إلى صورتها الصحيحة التي وردت في مؤلفه ، على خلاف ما كان يفعله الأزهري من بتر عبارة العين أو تغييرها ، كان ذلك كفيلاً بكشف سلوك الأزهري ودفع ما نسب إلى العين من اتهامات زائفة في أغلبها .

**وفيما يلي نموذج من معجم**

**( تاج العروس من جواهر القاموس ) لمرتضى الزبيدي**

# من معجم تاج العروس للزبيدي

(فصل الثين من باب الماء) (شرب)

(شرب)

شرب عنه بلفظ شرب سهل \* بمعنى أسرت بين الزور والفتن  
 يلعب أي يذنب والشغل الرقيق والالام تارة الخوض (و) من الجواز (الشاذب) بمعنى (المتنص عن وطنه) الشاذب (المفرد  
 المأبوس من لاجسه) كأنه عرى من الخيشبه بالشدب وهو ما يليق من اقتضاه من الكرايم وغير ذلك (و) الشوقب اسم  
 و (ذوقب شوقب) من قولهم حيروا محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن علي بن شوقب القرقي الواسطي حدثت وشوقب المذني  
 وولي زيد بن ثابت وشوقب أبو معاذ وجمال أبو عثمان تابعان وشاهد بن شوقب الجشمي من أتباع التابعين وشوقب لقب سلطان بن  
 مري بن يشكري (و) من الجواز أيضا (شذبو) إذا (شذوا) قال (رجل شذب الروق) أي (ظاهرا) (شرب) (الماء وغيره  
 (كسهم) يشرب (شربا) مضبوطا عندنا بفتح شيننا بفتح وقلنا على القياس ونقل أيضا أن الفتح أقصع وأجس \* قلت  
 وسأقي ما يتقيه (ويشك) ومنه قوله تعالى فشا ربون شرب الهم بالوجه السلافة قال يحيى بن سعيد الأموي معناه ابن جريح  
 بقرا فشا ربون شرب الهم فذكر ذلك ليعرف من يجد فقال وبسنت كذلك اغاهي شرب الهم قال الفراء وسأرا القرا برفعون الشين  
 وفي حديث أيام التمر بن أبا أيما أكل وشرب بروي بالضم والفتح وهما بمعنى والفتح أقل التفتين وبها قرأ أبو عمرو كذا في لسان  
 العرب (وشربا) بالفتح يكون موشوا ويكون مصدرا وأشد

ويدي ابن محبوب أماني كأنه \* حصى أي العا من غير شرب  
 أي من غير وجه الشرب يسأني (وشربا) بالفتح على أن مال بني عندا رادة الكثير (جرح) ومنه في اللسان وفي قول أبي ذؤيب  
 في وصف عاب \* شربن بما العرم ترفعت \* الباء زائدة وقيل أملا كان شربن \* حى يربن وكان يربن عما يتعدى بالباء  
 عدى شربن بالياء (و) في حديث الألفاظ قد سمعته وهو أن شربته فلو جركم أي سقيته كما سبق العطشان الماء يقال شربت الماء  
 (وأشربت ماء) إذا شربته (أو الشرب) بالفتح أو المتروحة للخلاف على الصواب يوسف من نضفة شينا (مصدر) كاللال  
 والشرب (و) بالضم والكسر اسمان من شربت لا مصدران نص عليه أبو عبيد وقال اسم الشرب بالكسر عن العياشي (و) الشرب  
 (بالفتح القوم يشربون) ويجمعون على الشرب قال ابن سيده فأما الشرب فاسم لجمع شارب كركب ورجل وقيل هو جمع  
 (كالشرب) بالضم قال ابن سيده أما الشرب عندى فجمع شارب كشاهد وشودرجله ابن الأعرابي جمع شرب قال وهو خطأ قال  
 زحدا مما يضيغ عنه علمه بله بالعر قال الأعمى

هو الواهب المسمعات الشرود \* ب بين الحر وروين الكنت

بحسب أطباري على سلبا \* مثل المتداول تعاطى الأشرابا

وقوله أشده تغلب  
 يكون جمع شرب وشرب جمع شارب وهو نادى ولا يسيو به ليدن كراون فاعلا فذكر على أنقل كذا في لسان العرب ونفسه شينا  
 فأجفت في نفسه وفيه في حديث علي وحزبه رضي الله عنهم وهو في هذا البيت في شرب من الأضار (و) قيل الشرب بالفتح المصدر  
 والشرب (بالكسر) الاسم وقيل هو (الماء) بعينه شرب والجمع أشرب (كالشرب) بالكسر وهو الماء الذي يشرب به أو يزيد  
 (و) الشرب بالكسر أيضا (المطعم) أي الماء يقال لشرب من ماء أي نصيب منه ذكرهما ابن السكيت كذا في التهذيب  
 (و) اشرب بالكسر (المورد) لأنه أوزيد جمعه أشرب (و) قيل الشرب هو (وقت الشرب) قال شينا قالو الغليل على الوقت  
 شرب من الجواز والاعتقاف في علاقته قائل (والشرب مشرب) وفي نسخة ما يشرب من أي نوع كان وعلى أي حال كان وجمعه  
 أشرب وقيل الشرب والهداب لا يجمعان كما يأتي للمصنفين \* وقال أبو حنيفة الشرب (كالشرب والشرب) بفتح ذلك  
 إلى أبي زيد وفي لسان العرب الشرب اسم لما يشرب في كل شيء \* فيه فانه قال فيه شربوا وشربوا مشربا (أوها) أي  
 الشرب والشرب (الماء) بين الهدب والمخ وقيل الشرب الذي فيه شئ من العذو بقوله شربنا الناس على ما فيه والشرب  
 (دون العذب) ويسوي شربه الناس الاعتدق قرورة وقد تيمر به البهائم ذكره هذا القرطبي بن تيبية ونسبه الصائغ إلى أبي زيد  
 \* قلت له قولان فيه وقيل الشرب الهدب وقيل الماء الشرب الذي يشرب والمخ الشرب الذي يشرب وما

قاله بالجرحه عام فهمي \* شرب الماء شربا

هكذا أشده أبو عبيد بالجرحه والصواب كالقريحة وفي التهذيب من أوي زحلا الشرب الذي ليس فيه عذوة وقد بشره  
 اقتاس على عتيقه والشرب يدونه في العذوة وبواس شربه الناس الاعتدق قرورة وشبهه حكاه صاحب كتاب المعالم وابن سيده في  
 الخفض والحكم وقال الجشمي شرب وشرب فيه مرارة ولفظة زحلا يفتح من الشرب \* قاله صاحب الواوي وما شرب وطيم  
 بمعنى رطد وفي حديث التوردي جرعة مشرب أنفع من عذب \* وب يستوي فيه المذكور والمؤن شربا وناوصفه بالجرحة مشرب  
 الحديث ملاحظين أحدهما أدوت وأنفع والآخر أضروا ففتح كذا في لسان العرب وعن ابن دريد ما شرب ومياه مشرب وما  
 مشرب مشرب من الإصم (و) الشرب الرجل (سقى) إليه (و) الشرب (عطين) بنفسه قال أشربنا أي عطشنا  
 \* قال حنفي فاني مشرب \* رواه ابن الأعرابي وقسره بأن معناه عطشان يعني نفسه أو أوجه (و) قال غيره أشرب (و) شربا

وعطشت

وهلست رجل مشرب قد شربنا به ومشرب طشنا به وهما عنده (شق) فوسبه الصافي أو البيت وأنشرب الأبل فشررت  
وأشرب الأبل حتى شربت وأشربنا نحن رويتنا وأشربنا مشربنا طشنا البنا (و) أشرب الرجل (جان) لابه (أن شربوا) من  
المجاز أشرب (اللون أشبعه) وكل لون فأنزلوا أن شربوا فأنشربوا على مثال اشباب والاشربا لوت قد أشربوا من لون  
يقال أشرب الأيض جرة أي علاه ذلك فيه شربة من جرة أي اشربا بوجيل مشرب جرة محققا وإذا شدد كان الكثير والمباغنة  
(والشرب من يستق أو يستق معن) بوجه فسر ابن الاعراب قول الرازي

ويشرب بكذا حساس \* شرابه كالخز الخواص

الحساس الشؤم والفعل قول انتظار اياه على الحوض قل لا ولا بلان (و) الشرب (من شاربك) ويورد اياه مع شارب الرجل  
مشاربه وشربا شرب معه وهو شربى قال الرازي

إذا الشرب أخذته أكله \* نغله حتى ينكح

(و) الشرب (كسكت الحويبة الشراب) ومنه في التهذيب ورجل شاربه يشرب ويشرب وشربا وشربا بوجيل بالشراب ورجل شرب  
شديد الشرب (والشاربة الصورت كسكت على صفة) وفي نسخة: يسع انضاد المجنة (التهر) وهم الذين له سها ذلك التهر  
(والشربة النخلة) التي (تبت من التوى) جمع شربات والشرايب والشرايب (و) الشربة (بالضم جرة في الوجه) يقال أشرب  
الايض جرة علاه ذلك وفيه شربة من جرة ورجل شرب جرة وأمسق الدم مثله وفي صفة صلى الله عليه وسلم ايض مشرب جرة  
وسياى بابه (و) الشربة (ع وفتح) في الموضوع ومان ذلك في شرايب القيس والصحيح انه الشربة بتشديد الواو وانما غيرها  
القشروية (و) الشربة (مقدار من الماء كالسورة) والغرفة والقمة (و) الشربة (كوجه الكثرة الشرب) يقال رجل  
أكله شربة كبر الاكل والشرب عن ابن السكيت (كالشروب والشراب) ككأن ورجل شرب شربا شديدا الشرب لا تشدم  
(و) الشربة (الشربة ككثرة الشرب) وجمع شارب ككسبة جمع كسب منه القوي في المصباح قال أبو حنيفة قال أبو عمرو انه  
شربة إذا كانت شربة الشرب (و) الشربة (كالماء) يحفر (حول القلة) أو الشجر بلا ماء (فمع رجا) فتروى منه والجمع شرب  
وشربان قال زهير

يخرجون من شربان ماؤا طملى \* على الجذوع يحضن اقم واخترقا

وأنتدبان الاعرابي مثل القليل روى فرعبها الشرب \* وفي حديث عمر رضي الله عنه اذهب الى شربة من الشربان فذاقت  
وأنت حتى تنقع وفي حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل الى الريع فقلعه وأقبل الى الشربة التي ربيع التهر  
(و) الشربة (كرد الغيرة) وهي المسقاة والجمع من ذلك كله شربات وشرب (و) الشربة (العطش) ولم تزل بمشربة اليوم أي عطش  
قاله العياشي وفي التهذيب جانت الأبل بهما شربة أي عطش وقد اشتقت شربتها وطعام مشربة شرب عليه الماء كثيرا وطعام ذر  
شربة إذا كانت لا روي فيه من الماء وفي لسان العرب ان شربة عطش المال بعد الخبز لا تقول ذلك وهو حال الشرب (و) الشربة  
(شدة الحر) يقال يوم ذو شربة أي شدة الحر شرب فيه الماء أكثر مما يشرب في غيره (والشواوب عروق في الخلق) شرب الماء  
وهي مجارية ويقبل هي هرون لا زفة الحارم وأغلبا لثمة قاله ابن دريد يقان بل مؤخره الى الوين ولها نضب منه يخرج الصوت  
(و) قيل هي (مجارى الماء في العنق) وهي التي يقع فيها الشرى ومنها يخرج الريق وقيل شواوب الفرس ناحية أوداجه حيث يوجد  
اليطار واحد هان في اذنه وشواوب وخارج حب الشواوب من هذا أي شديد التيق وفي الأساس ومن المجاز يقال للمسكر العنق  
حجب الشواوب يشبه بالمجاز انتهى وفي لسان العرب عن ابن الاعرابي الشواوب مجارى الماء في العين قال أبو منصور وأحسبه  
مجارى الماء في العين التي تغرق في الأرض لا مجارى ماء عين الرأس (و) الشواوب (مسائل على القدم من الشعر) قال العياشي قالوا انه  
لعظيم الشواوب قال وهو من الواحد فترق بقول كل جز منه شارب ثم جبهه من ذاد وقد شربا بوجيل انتموهما شاربان انتهى وقيل  
انما هو الشارب والتشبه خطأ قال أبو علي الفارسي لا يكاد انشارب أي وشرب قول أبي حاتم وقال أبو عبيدة قال السكلايون  
شاربان باعتبار الطرفين واجمع شواوب فله شيخنا واشد في الادب المارد من محمد المنصورى بوجه من لسان ابن نباتة

لهذا كنت لي وحدي ويهمل جنتي \* وكلا كانت سرمان مواهب

فأرضني في بوض خنك عارض \* وزاجني في وورد خنك شارب

(و) الشاربان على ما في التهذيب وغيره (ماطل من ناحية السبله أو السبله كلها شارب) بواحدة لله بعضهم وليس بصواب (و) من  
المجاز (أشرب فلان حب فلان) كذا في التفسير وفي غير واحد من الالهات فلانة (أي خالط قلبه) بأشرب قلبه محبة هذا أي حل  
محل الشرب وفي التزليل وأشربوا في قلوبهم الجهل أي حب الجهل غرق المضائق أقيم الضائق اليه مقامه ولا يجوز أن يكون  
الجهل هو الشرب لان الجهل لا يشرب به التلب بل الزاج معناه أي حب فواحب الجهل غرق حب أقيم الجهل مقامه كقول الشاعر

وكيف تزايل من أعبت \* خللته كافي مرعب

أي خللته أي مرعب أشرب قلبه كذا في حل محل اشربا أو اشربا به كذا في الصبح شارب وفي حديث أبي بكر وأشرب



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

(٩)

بناء المعجم على أساس الترتيب الهجائي

- المعجم الوسيط

- معجم اللغة العربية المعاصرة (معجم هانز فير)

- المعجم العربي الحديث (معجم لأروس)

رَفْعُ  
عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

## المعجم الوسيط

أصدره مَجْمَعُ اللغة العربية في مصر في جزأين

الأول في ١٩٦٠ ، والثاني في ١٩٦١

حرص المجمع منذ إنشائه في عام ١٩٣٤ م على أن يفي بالمهمة الأساسية التي أسندت إليه ، وهي المحافظة على سلامة اللغة ، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر . فعمل أعضاؤه ومن استعان بهم من الخبراء والمختصين على دراسة العربية ، ووضع المصطلحات في شتى العلوم والفنون ، ونشرها في مجلته الخاصة ليقف عليها أبناء العربية . وقرر المجمع - تنفيذاً للبيد الثاني من لائحته - وضع معجم تاريخي للغة العربية ، ورأى في النموذج الذي وضعه المستشرق الألماني فيشر بداية طيبة له ، غير أن الحرب العالمية الثانية قد حالت دون إتمامه ، فعدل عنه إلى محاولة تقرب من هذه الغاية ، يلتزم فيها جمع النصوص والشواهد اللغوية ، وترتيبها ترتيباً تاريخياً قدر الإمكان ، في أول معجم يصدره المجمع ، وهو « المعجم الكبير » .

بيد أننا ما نزال نفتقر إلى معجم مصور ، سهل التناول ، محكم الترتيب ، إذ عد المعجم الكبير ذا قيمة علمية كبيرة ، إلا أنه أكثر وفاء بحاجات المتخصصين . فعمل المجمع على تحقيق هذه الرغبة بإصدار معجم ، يليى حاجات العصر ، على أن يكون « محكم الترتيب ، واضح الأسلوب ، سهل التناول ، شتملاً على صور لكل ما يحتاج شرحه إلى تصوير ، وعلى مصطلحات العلوم والفنون . واستغرق إعداده منذ انتظام العمل فيه في سنة ١٩٤٠ ، مدة عشرين عاماً ، حتى صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٦٠ م ، والثاني سنة ١٩٦١ . ويقع في جزأين كبيرين ( في ١٠٨١ صفحة ) يضمان نحو ٣٠ ألف مادة ، ومليون كلمة ، وستمائة صورة .

وقد تصدر المعجم الوسيط مقبلة تضم القواعد التي حددت لتبويه ، وهي :

- قُسم المعجم إلى أبواب بعدد حروف الهجاء ، ويبدأ كل باب بالحرف الأول من حروف المادة الأصلية ( فباب الهمزة مثلاً يجمع كل المواد المبدوءة بالهمزة ) ، ثم ترتب مواد كل باب حسب الحرف الثاني ( من حروفها الأصلية ) ، ثم تلاحظ بقية حروف المادة : الثالث والرابع والخامس . فلا عدول عن الترتيب الهجائي لأى سبب .

- لا يعتد بالكلمة فى الصورة التى تأتى عليها ، إذ يلزم ردها إلى الحروف الأصلية المشكلة لمادة الكلمة .

- جمع بين المادة القديمة والحديثة ، غير أنه أهمل من القديم الألفاظ الحوشية الجافية ، التى هجرها الاستعمال لعدم الحاجة إليها ، والألفاظ التى شرحتها المعاجم شرحاً غامضاً ، والقياس من المشتقات وبعض المترادفات ، واقتصر على باب واحد من الأفعال المتعددة الأبواب إن كانت بمعنى واحد ، وعلى أشهر المصادر ذات المعنى الواحد . . . الخ . وعنى بالحقى السهل المأنوس من الألفاظ ، وبخاصة ما شعر الطالب والمترجم بالحاجة إليه ، وما أقره المجمع ومؤتمراته من ألفاظ حضارية مستحدثة أو مصطلحات جديدة موضوعة أو منقولة أو معربة فى مختلف العلوم والفنون أو تعريفات علمية دقيقة واضحة للأشياء وما استقر من ألفاظ الحياة العامة .

- خالف العرب فى تقييد القياس ، والاعتماد على السماع ، فأطلق استعمال القياس ليزيد الثروة اللغوية ويفى بحاجات العصر ، واتسع فيه ليستعان - إلى جانب الأقيسة المستخدمة الشائعة - بالأقيسة النادرة أو المهجورة ما دامت الحاجة إليها ملحة لاستحداث اسم أو فعل أو مصطلح يلزم استخدامه ( انظر فى المقدمة ص ٣ ، ما أقره المجمع من قرارات راعتها اللجنة فى صياغتها لمواد المعجم ) .

- يرتب المعجم الأفعال ثم الأسماء داخل كل مادة ترتيباً مماثلاً لما فعله فى المعجم الكبير ، فيقدم فى الفعل المجرى على المزيد ، إذا كان كل منهما مستعملاً ، ويقدم اللزوم على المتعدى ، ويلاحظ أن القياس قد عمم فى تعدية الفعل الثلاثى بالهمزة على نحو ما قرر المجمع وأشرنا إليه فيما سبق . ورتب أبنية الأفعال على النحو التالى :

أفعل - فاعل - فعل - افتعل - انفعل - تفاعل - تفعل - افعل - استفعل - افوعل - افعال - افعول .

وتقيد في ترتيب أفعال الثلاثي المجرد بالأوزان الستة الآتية :

فَعَلَ - يَفْعَلُ ، فَعَلَ - يَفْعَلُ ، فَعَلَ - يَفْعَلُ .

فَعَلَ - يَفْعَلُ ، فَعَلَ - يَفْعَلُ ، فَعَلَ - يَفْعَلُ .

أما الأسماء فقد رتبت وفق ترتيب حروف الهجاء . ( المقدمة ص ٣ ) .

- يسر المعجم الشرح بإيثار الأساليب الحية على الميتة ، ويبدأ بوضع المادة بين هلالين ( ) يسبقهما نجم كثير الأشعة \* ويعدهما نقطتان بقصد الشرح والتفسير ، ويكون بلفظ مرادف أو أكثر ، فإذا كان فعلاً له دلالات مختلفة وضع في جمل موضحه وفسرت بعد ذلك . إذا تكررت المادة استخدام الرمز ( و - ) تجنباً للتكرار كما استخدم عدداً محدوداً من الرموز للغرض ذاته ( المقدمة ص ٥ ) . أما الاستشهاد فقد اكتفى بما تدعو إليه الضرورة ، ووضع الآيات القرآنية بين قوسين مسنين . أما نصوص الاستشهاد الأخرى وهي الأحاديث النبوية والأمثال العربية ، والتراكيب البلاغية الماثورة عن فصحاء الكتاب والشعراء فوضعت بين علامتى تنصيص « » وقد روعي في شرح الألفاظ أو تعريفها الدقة والوضوح ، كما روعي تقديم المعنى الحسنى على المعنى العقلى ، والحقيقى على المجازى . واكتفى في الضبط باستخدام رموز الشكل (الفتحة ، الكسرة ، والضمّة ، والشدة ، والتنوين ... ) .

- حرص المجمع على الاستعانة بالصور والرسوم لتوضيح ما يشرحه المعجم من نبات أو حيوان أو أشياء ، كما وجد أنه من الأصوب أن يعرف بالأعلام ، إذا ما اقتضت الضرورة ، تعريفاً مقتضياً موجزاً فيسر بذلك كثيراً من الصعاب التى تنشأ عن الخلط وعدم القدرة على تمثيل ما يعنيه اللفظ .

- لا شك أن القرارات التى أصدرها المجمع أسهمت إلى حد بعيد في تغيير النظرة إلى اللغة وألفاظها ، بل أنها قد حققت طفرة غير مسبوقه فى العمل المعجمى بإثباتها الألفاظ المولدة أو المحدثه أو المعربة أو الدخيلة الضرورية التى أقرها المجمع فى المعجم ، وهى بلا جدال من أهم الوسائل لتطوير اللغة وتنميتها وتوسيع دائرتها إلى جانب الوسائل الأخرى التى حددت فى المقدمة ( ص ١ ) على النحو التالى :

١ - فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق وتجوز وارتجال .

٢ - إطلاق القياس ، ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس .

٣- تحرير السماع من قيود الزمان والمكان ، ليشمل ما يسمع من طوائف المجتمع . .

٤- الاعتداد بالألفاظ المولدة ، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء .

وعلى الرغم مما تعرض المعجم الوسيط من نقد فيما يختص بالمادة أو الشرح أو المصطلح أو غيره ، فإنه يعد خطوة رائدة وعملاً متميزاً في التأليف المعجمي ، حقق ما استهدف من وضعه ، فهو يقدم إلى القارئ المثقف ما يحتاج إليه من مواد لغوية ، في أسلوب واضح ، قريب المأخذ ، سهل التناول .

**وفيما يلي نماذج من ( المعجم الوسيط )**



(رهميش) : تروى بين الفروع أو ظفر  
 كعق . - و عروق في بعض بني الذئب .  
 مردها : رهميش ، ورهميش .  
 (رهميش) : تلغى من الأشياء . يقال : نعلش  
 رهميش . - و تصريف اللغز القليل التخم . و -  
 من الرباب : يقال النسي لا حاسك .  
 \* (رهمش) : بفتح وهاء - زهنا : أخته أختها  
 شعبة . - و المأخذ : ذمته . و - العصبه :  
 لؤقتة . و - ثنابة والحجر : حركتها . و -  
 الشوة : عسرة شديدا . و - فلا في الأثر :  
 لامة . - استخلة .  
 (رهميت) : الدابة : أماتها الرهمسة . فهو  
 ترهمش ، ورهميش . وهي مرهومة ، ورهميش  
 أبتا .  
 (رهميت) : الدابة - زهنا : رهميت .  
 (رهمش) : حل الثوب : أمر عليه . و  
 لمضيت . و - زهنا : أمر عليه . و -  
 من رهميش . و - زهنا : أمر له ترهميش ترهنا  
 فلا يبل . و - الشوة : أخته وأخته . و - الله  
 فلا لخر : جملة متبذرا له زهنا .  
 (رهمسة) : رهمسة ورهميش .  
 (الرهمش) : (الزحان) : الأثر المطروق للعادة  
 ظهر لشي قبل به .  
 (رهمش) : العيون الذي يجعل بعضه حل  
 حض ، فشي به . و - أسهل يتعاطى في المصط .  
 (الرهمش) : أن يصيب بالبن حابر الدابة  
 شوة يوشه أو يزل فيه الماء من الإهواء .  
 (الرهمش) - أسنة ورهميش : لا يترشح مكانه ،  
 كذا رهمش ، أو كذا به يتقال لنا شفي . و -  
 الذي يتلعق في تشبه شيئا .  
 (الرهمش) : من شجيرة : التي ترهمش  
 الثوب لنا وشها . و - لصخور الرهمش  
 الشاة . الرهمسة : زامعة .  
 (الرهميش) : من الصخور : الشاة .  
 (الرهميش) : الفرسحة والرهميشة . (ج) ترهميش .

(رهمش) : فلان - زهنا : أكل شديدا .  
 ويقال : رهمش فلان : أكلها عظيمة .  
 (رهمش) : زهنا . و - لزوم ظهر اللثة للم  
 يزل ، أو يخرق متوكه لم يخرج .  
 (رهمش) : المتخفوا .  
 (رهمش) : ضاع هبت .  
 (رهمش) : ضاع من ثلاث أو سبعة إلى عشرة  
 أو ما دون العشرة . (ج) زهنا ، وكرهنا . (ج)  
 لرهمش ، ولرهمش . وزهنا الرجل : ترويه وقيل  
 الأثريون . و - زهنا : حوسود .  
 \* (رهمش) - زهنا : رقه وختمه . يقال :  
 زهنا سيفه .  
 (رهمش) - زهنا : زهنا ، زهنا : زل وألف .  
 فهو رهمش ، وهي رهمشة . يقال : سيف رهمش ،  
 ويسر رهمش .  
 (رهمش) : زهنا . و - بالكلام : قال حل  
 لشيء دون أن يروى فيه .  
 (الرهمش) : يثنى رجل مرهف : رهمش .  
 ويسر مرهف : لطيف . و - زهنا :  
 عابس قبل منظر الأضلاع . وهي رهمشة .  
 يقال : لقد زهنا : دابة .  
 (الرهمش) : يقال : هو ترخوف البندوب  
 لطيفة ودقته .  
 \* (زهمش) : فلان - زهنا : سبه وخش وجعل .  
 و - زهمش الفرس والتمش . و - عيشي للأتم . و  
 التريل لفرس : ﴿ ترخوفهم زهنا ﴾ : إيتا . و -  
 كذب . و - عجل . فهو زهمش ، وهي زهمشة .  
 و - الصلاة زهنا ، وزهمشها : غسل وجهها .  
 ويقال : زهمش لشيء فلا يذوق . و - الشوة  
 زهنا : كرت به سواد يظنه أو لم يأخذه . و -  
 الشوة فلا : غنية وأخيه . يقال : زهمش فلان .  
 (الرهمش) : تلغى : دنا . و - فلا : شغل على  
 لا يظنه . و - فلا : فتاة وأخر كة . ويقال :  
 لرمها أكل . و - الصلاة : لرمها على دنا يث  
 الأخرى . و - فلا : أفضله . يقال : كرمش

فلان أن أمش . و - فلا شاة : أفضله به .  
 يقال : زهمش حساما ، وكرمشهم لعل : أفضلا  
 لآدم . و - زهمش لرمها : شته ياه .  
 (زهمش) : الصلاة : كرمش كرمش . ويقال  
 أبتا : رافق الصلاة كرمش . ويقال : صلى الظهر  
 مرهفا : ثباتا للثبات .  
 (الرهمش) : يقال : الترمش زهنا ماية  
 زهنا وما يقلدها .  
 (الرهمش) : الترمش .  
 (الرهمشة) : الفرس من بلوغ التمام إلى سن  
 الرشد .  
 (الرهمش) : الترمش : الترمش بفتح الهمزة والفتحة  
 (لا يزل له) . و - الكرمش الفرس الذي يفتنه  
 الضممان . و - الرجل القلس . و - الترمش لوبه .  
 \* (رهمش) : بالكلام - زهنا : أخته . و - الشوة :  
 شاة وكثرة . أو شاة شديدا . و - الثابة :  
 شاة على السرة . فهو ترهمش ، ورهمش .  
 (رهمش) : استرجعت حاملة لى الشسي .  
 و - الترمش : استرجعت .  
 (الرهمش) : استرجعت حاملة لى الشسي من  
 الشب .  
 (رهمش) : شسي كرمش لى شسي .  
 (رهمش) : الشب .  
 (الرهمش) : الضمير لا غيره به . يقال :  
 رجل زهمش ، وثابتة زهمش . ويقال : أرض  
 زهمش : لينة تهمش .  
 (الرهمش) : من الشب : الضام . و - السن  
 من الظباء والجدباء .  
 \* (رهمش) : حنة - زهنا : انخرط وانخرط .  
 و - انخرط وورث من غيره عليه . فهو رجل رهمش  
 زهنا .  
 (رهمش) : حنة زهنا . يقال : زهنا الترمش :  
 انخرطت حانجرة من كرمه .  
 (رهمش) : زهمش .  
 (الرهمش) : لامة الأ

(زغف) : شغف زغف شبه الشغف .  
 \* (زغيب) : الأرم : أمسأنا (زغيب) : يقال :  
 مكنت زغيباً ، وروضة مرعونة . ولا يقال :  
 زغيم ، ولا زغيبنة .  
 (زغيب) : الشغبة : أثبت الزعام . و -  
 الربيع : كثرت زغيبته .  
 (زغمان) : لى ستر الإبل : ليعامل ويخالل من  
 ضئيل أو قزالي .  
 (زغنة) : شغرة العشيبة الغامضة . (ج)  
 زغيم ، و زغيم .  
 (زغوم) : شغزومة من الغم . و - دواء  
 مطبق على به الجروح وزغوما ومرامح الأبر .  
 (مربع) . و (انظر : الزمام) .  
 \* (زغوسن) : تلال : غرض بالشر . و - الأثر :  
 ستره . و - الحيز : أي من يعرف ولم يتضح  
 بمسبو . و - تلاك : سآؤه .  
 \* (زغون) : الشيء - زغنا ، وزغونا : تحت  
 ونام . ويقال : زغون بالمكان : أقيم . و - الرجل  
 والشيء زغونا : حزل وانما . و - الحيز : زغنا :  
 ألبته وأمانته . و - للاك واجتد فلا الشىء : تحت  
 حده يأن . ويقال : زغنته : أى : كتحفة  
 وشغبة فهو مرعونة ، و زغيم .  
 (زغون) لى الشغبة وما : غلى يا يغلى لها  
 ملة حتى أفركها . و - الشىء : ألبته وأمانته .  
 يقال : زغون لم الطعام والشرب . ويقال :  
 زغون لثك القبر : شغته إليه . و - تلاك  
 وغزاه : أشفقه وأصفه . و - للاك الشىء :  
 وقت إليه ، أو دفعه إليه ، ليرفته حد أحد .  
 (زغنة) : على كلكا ترغنة ، و زغنا : علفه  
 وساقه .  
 (زغته) : به : أشغته زغنا .  
 (زغون) : الغوم : أخرج كل واحد منهم زغنا  
 لغز السائل بالجمع بلا قلب .  
 (مستزغ) : طلب به زغنا .  
 (زغيم) : الشغ . يقال : عمارا زغيم . لك .

ويقال : غمتم زغيم : غمتم .  
 (الزغيب) : مؤنث الزمان . ويقال : نعمة  
 و نعمة : دانية .  
 (الزغان) : السباق . و غيل الزغان : هى  
 برافق على سبتها يقال : لو غره . ول الخلل : وهما  
 تخترسى زغانا : يضرب للسيلون لى الفضل  
 وغيره .  
 (الزغون) : (وشرقا) : خميس الشىء : يحق  
 ليعزل به حد تختر ونايه . و - ما يمنع حرك  
 لتيوب تنكب ما أبعد منك (عقل بمعنى مفعول) .  
 (ج) زغان . ول السيل العزير : ﴿ تيناً شتتم  
 على ستر ولم ليجنوا كتاباً قرغان متفرقة ﴾ .  
 ويجمع أهنما على زغين ، وزغون ، وزغين .  
 ويقال : الإنسان ومن عليه : مأثورة به . وأنا  
 لك زغن بكلكا : كليل وضليل .  
 (الزغون) : يقال : مو زغن مال : كعب به  
 وسجل له .  
 (الزغيم) : يقال : أنا زغن بكلكا : مأثورة به . ول  
 العزير السود : ﴿ كل لى لى بنا كسب زغيم ﴾ .  
 (الزغيم) : ما يرمون . ول السيل العزير :  
 ﴿ كل نفس بنا كسبت زغيم ﴾ . (ج)  
 زغان . وأنا لك زغيم بكلكا : ضليل .  
 \* (زغنا) - زغنا : زغق . و - سار سارا  
 سغلا . و - سكر : يقال : زغنا البحر . و - تن  
 وجهه : فتح . و - الطائر : نشر جناحه .  
 (زغنى) : صاف مرعنا زغنا : (واسع) .  
 و - الشىء لك : أشكك . و - الشىء لك :  
 شكك به . و - لم الشىء : ألهه . و - أسكه .  
 و - على قلبه : زغق يا وسكتها .  
 (زغان) : قزبة .  
 (زغنى) : الغوم : اعطوا .  
 (زغنا) : تولعنا .  
 (زغنا) : الشىء : جوايه .  
 (الزغى) - غام زغى : غمتم . و غمتم زغى :  
 ماكن راقه عصب .

(الزغيب) : مؤنث الزمان . و - شغبة .  
 سكرها لى قزيبها .  
 (الزغان) : المكان الواسع للسوى . ويقال :  
 طريق زغان . و - ما شبه الخلدان والقرية .  
 (الزغون) : الساكن . يقال : نغز زغون ، ونغز  
 زغون . ويقال ذلك زغونا : ساكن على بيتك . و -  
 القزعة من الثياب وغزها . و - الغزق . و -  
 الواسع . و - المكان الضيق يجمع به لئلا . و -  
 الكرسي . و - الجماعة من الناس . (ج) زغان .  
 والناس زغونا واحد ما من كذا وكذا : شغزبون .  
 وغزوة زغون : متابعة . و جنت لى زغنا :  
 متتابعة .  
 (الزغوم) : المكان للنفوس يجمع به لئلا .  
 (ج) زغان .  
 (الزغمة) : السيرة السوا . يقال : قرين  
 يزغمة . (ج) زغوم .  
 \* (زغوك) : (انظر : زغك) .  
 (زغوك) : (انظر : زغك) .  
 (زغوك) : (انظر : زغك) .  
 \* (زغنا) : شغف وعجز وتواني . و - السادة :  
 غيات للسطر . ويقال : زغيات الشغبة . و -  
 الشىء وبه : غلط به ولم يهتكنه . يقال : زغنا  
 زغنا : أقتته ولم يهتكنه . وزغنا لى أمه : ليعزم  
 عليه . و - الجبل : جبل أخذ البليكن تقبل من  
 الآخر ولم يشده فهو جبل كلما غلله .  
 (زغنا) : انغزب وغزلا . يقال : زغنا لى  
 أمره : فتم به ثم أسك وهو يريد أن يفعله . و غننه  
 زغنا ، لا يتر مرقنا . و - السحاب : زغنا .  
 و - لى شبه : لابل وتبحر .  
 \* (زغنا) لى الأمر : تروقة ، وتروفا : نظر به  
 وصغته ولم يتأمل جواب .  
 (زغنا) لى الأمر : زغنا به .  
 (الزغ) : أخذ حروف الهجاء . و - شجر  
 شغل لى زغ زغيم أو زغمر ، واسمته : راقه .  
 (الزغمة) : انظر لى الأمر وانفكر به .

• زوب (زوب) : زوبًا - زوبًا : غتر . و - سبغ  
 صرح زوبًا . و - سلال : غتر . و - قرث  
 حنة من شبع فو ناسي ، فو من شرب لبن  
 زوب . و - كفتب . و - انحط عفة زوبًا .  
 ويقال : زوب قنة : حان هلاكه وغتر من القنة .  
 (زوب) : القين : جملة رثيا . و - فلاز :  
 قوتسه في زوب .

(زوب) : القين : لرابه .  
 (الزوب) : من الرجال : المتعمر . و - من  
 قوت قسه من شبع فو ناسي .

(الزوب) : من الأمور : ما ليس فيه شبة  
 ويكثر . و - حلتب أي بكر : هرعك بزوب  
 من الأمور ودع القاب منها : أي طيك تاجس  
 فيه شبة ودع ما فيه ربح . (الزوب الأوب من  
 زوب والثانية من زوب) . و - من الرجل :  
 الأزوب . (ج) زوبى .

(الزوب) : الضيق : يقال : هذا زوب كذا .  
 (الزوب) : القين (زوب) (رسف بانس) .  
 ويقال : ما جنى زوب ولا زوب . ونشوب :  
 القس . و - الحلبت : ولا شوب ولا زوب في  
 شبع وشربة : لا يش ولا شبع .

(الزوبان) : من الرجال : الزوب . (ج) زوبى .  
 (الزوب) : عجيبة من الحايض تأتي في الشئ  
 لزوب .

(الزوب) : الزوب . و - القين المختار . و -  
 يسلاح الشان والأمر . و - الحاخة . و - يقيم  
 قيني . يقال : ما حرم فلان بزوبًا عيب . و -  
 الكريمة من الأرض شجرة شبات . و - الصفة  
 من النجوم . يقال : تلغ الشمس زوبًا زوبًا . و -  
 من الأثر : حشاشة . و - الصائفة من الخيل . و -  
 الحقل . يقال : هو حشاش وأما يذ ذك فلا زوب  
 في زوبًا .

(شيزوب) : زوبه زوب في الشئ . (ج)  
 زوب .  
 • (زوب) : هو المختار - زوبًا : أي زوبًا . و -

لش : أشتك ورتوش ، أي ألقى لك  
 المشين وتلقى على التوب : يضرب لمن يكفر  
 بإسائه إليه .

(الزوب) : رجبه ذي الحجة . (ج) زوب .  
 (الزوب) : ونجدة الزوب . و - ما يلقى من  
 نصب التوب في الزوب إلى الحظ . و - طرف الأثيف  
 حيث يمشى الرجال . و - من القناب : يغازها .

• (زوب) : السفة - زوبًا : ثقث وكثر  
 ملاحيا . و - الأثر زوبًا ، وزوبًا : جاة في  
 سرعة . و - زوب : انحطت قوتها فلا تعلم من  
 أين تمه .

(زوب) : شيل : دم . و - الكمة : جنبه  
 زوب . و - كلاله : زوبه . و - أهبنة فلا تحفظ  
 حيفته .

(الزوب) : الحنقة .  
 (الزوب) - أثر مزوج : غلط .

• (زوب) - زوبًا : سأل في الشئ . ويستعمل  
 في زوب لسؤال أي وقت كان من ليل فو ناسي .  
 وكذلك القن . ويقال : راح القوم ، وراح إليهم ،  
 وصعب ، زوبًا ، وزوبًا : ذهب إليهم . و - الإين  
 وهو حوش زوبًا : ثوب يذع الثوب إلى ثوبها .  
 و - القوم : اشتد ربحه . و - طابت ربه . و -  
 قال للمعروف : راحة : أهدته له بقعة ويناط .  
 و - يذع لكنا ، وبكنا : حثت له . و - للأمر ،  
 زوبًا ، وزوبًا ، وراحة ، وأزوبه ، وراحة :  
 قدره وفرح به . و - فلان معروف راحة : ناله . و -  
 الشئ زوبًا : أخذ ربحه . و - الریح الشئ :  
 أصابه . ويقال : راح النجر : وجد الریح  
 وشعبها . و ریح (البناء للمجهول) فهو زوب ،  
 بزوب .

(زوب) : الشئ - زوبًا : أشع . يقال : تغيب  
 بزوب : وضع . وقصة زوبًا : قصة القفر  
 وسه . و - الزوبل : كان في رحبه شعاع دون  
 الفتح ، وهو أن يجاهد صدر القميين وسائل  
 خبيث . فهو زوب ، وهو زوبًا . (ج) زوب .

(زوب) : تقش . و - استراح . و - صاب . و -  
 الشئ : أثن . و - فلان : دخل في الزوب . و -  
 دخل في الریح . و - نزل من بهر بهر بخت . و - الإبل  
 وغرها : ربحا إلى الشراح . ويقال : أراح عليه خفه :  
 وقه عليه . وأراح عليه الليل حارب فمه : وقه . و -  
 كلاله : أذخه في الراحة . و - معروفًا : ناله . و -  
 الشئ : وجد ربحه .

(زوب) : الشئ : أثن .  
 (زوب) : بين الشين والتمكين : تناول هذا  
 مرة وملا مرة . يقال : أراح بين جنبه : القتب  
 من حب إلى آخر . و - راح بين رحله : قام على  
 كل حياثرة . ويقال : أنا أقابره وأرپحه :  
 أذهب فيه الفضة والزوب .

(زوب) : عليه باليرزوبه : حركها ليجلب فيه  
 نسبة القوم . و - بالقوم : صلى بهم القوم .  
 و - به : أرحه . و - القوم : ذهب إليهم ل  
 زوب . و - شين وميزه : جعل فيه شيا  
 طابت به ربه . و - ثلاثا ، أو الإبل : أراح .  
 (الزوب) : لأمر : شيط بره . و - نذله  
 ورحه : أثنه من أتيه .

(الزوب) : يقال : ما رتو حان صلا : بصالحه .  
 (الزوب) : يقال : فلان يذع زوبًا  
 بالمعروف : تتقن به . و - زوبًا العمل :  
 تتقنه . و - زوبًا الأختاب : تعاقب عليه .

(زوب) : سأل في الشئ ، أو قيل فيه .  
 و - الشئ : أخذ ربح غيره لفره به . يقال :  
 زوب القين ، وزوب الماء . و - شئ : طال .  
 و - الشجر : تغر بالورق بعد إظهار الصيف .  
 و - باليرزوبه : زوب . و - القوم : جتمع في  
 الزوب .

(استراح) : زوبًا : أشع .  
 (استزوح) : استزوحًا : استراح . و - إليه :  
 سكن واستأذ . و - القين : تخاف . و -  
 الرجل : الحثل . و - الشئ : أخذ ربحه .  
 و - نفسه . و - النصر : أزع : أزعته .

## معجم اللغة العربية المعاصرة ( معجم هانز فير ) تأليف المستشرق الألماني هانز فير

يعد هذا المعجم من أهم المعاجم الحديثة التي صبت جل جهدها على العربية الفصحى الحديثة ، فهو ثمرة عمل دؤوب استمر سنوات طويلة قضاها هذا العالم ، أعنى : هانز فير في دراسة العربية وتدريسها ، وتدوين ملاحظاته حول المفردات والتراكيب والنصوص الحديثة بوجه خاص . فهو يدرك أبعاد مشكلة الفصحى المعاصرة ، وعلاقتها بالفصحى في مراحلها المتوالية . فمما لاشك فيه أنه قد تشكلت لديه دراية عميقة وخبرة واسعة في التراث اللغوي العربي ، إذ إنه حلل وناقش وبحث وترجم كثيراً من نصوص النثر والشعر قديماً وحديثاً ، فتكونت لديه قدرة على التمييز بين المستعمل والمهمل ، وبين الواضح والغامض ، وبين البسيط والمعقد من المفردات والصيغ والتراكيب ، بل وتمكن من الكشف عن أصول العرب والدخيل منها أيضاً قديمها وحديثها ، كما أنه بوصفه عالماً مستعرباً يدرك المصاعب التي تواجه الباحث الأجنبي الذي يرغب في دراسة اللغة العربية وفهم نصوصها والترجمة منها وإليها . وهكذا فمثل هذه المعاجم الحديثة تقوم على أسس علمية سليمة ، فأصحابها قد استوعبوا كل ما سبقت الإشارة إليه ، وحين شرعوا في أعمالهم روعيت أسس صناعة المعاجم الحديثة ، إلى جانب تجنب المآخذ التي وسمت بها بعض المعاجم القديمة ، وإبراز المحاسن التي تفردت بها على غيرها . ولذا توفرت في معاجمهم أسباب الذبوع والانتشار .

أشار المؤلف في المقدمة إلى عدد من الصعوبات التي واجهته عند التصدي لهذا العمل ، فقد وجد أن الاتفاق بين الدول العربية في العصر الحديث في لغة الكتابة من الناحية المورفولوجية والنحوية . أما في الثروة اللغوية فالاختلاف بينها اختلاف بين شديد ، كما أنه في التعبيرات المكتوبة التي تستخدم في الاتصال الفعلي أو ترتبط بمسائل محلية خاصة نجد أن اللغة الفصحى تتلون باللهاجات المحلية لكل بلد . وتعد

تلك اللغة لغة الحياة اليومية ، اللغة الطبيعية المكتسبة أولاً التي يستعملها المثقون . ويرى أنه قد صيغت في كل منطقة قائمة مستقلة - محدودة محلياً - من مصطلحات بعض المرافق العامة والمسائل الإدارية والمصالح والمسميات ( الألقاب ) ، وشكل هذا الامتداد للمجال اللغوي صعوبة في جمع الثروة اللغوية العربية المعاصرة .

وقد ركز في جمع المادة اللغوية على لغة الكتابة المصرية ، ويرجع ذلك إلى عدم توفر مصادر لغوية من المناطق الأخرى بقدر كاف في أثناء جمع المادة ، كما أن مصر تتميز - بحق - بأنها أكثر البلاد العربية إنتاجاً للأدب . ومن ثم فقد كان يحافظ في كل منطقة لغوية على الاقتراب من النموذج المصري ، غير أنه قد راعى أيضاً - كلما كان ذلك ممكناً - خصوصيات البلدان الأخرى ، وبخاصة المصطلحات الإدارية ، ولكنه ذهب إلى أنه حتى داخل مصر ذاتها يطرح الموقف اللغوي عدة مشاكل على صانعي المعاجم . وينتهي من ذلك إلى أنه إذا كانت قواميس بعض اللغات الأوربية تسعى إلى الاقتراب من نموذج الكمال الذي يصعب إدراكه فإنه يجب على جامع الثروة اللغوية العربية المعاصرة أن يحجم عن طموح كبير للغاية في هذا الاتجاه (\*) .

وتناول أيضاً اللغة المستعملة في الصحافة والإذاعة ، وذهب إلى أنه قد تشكل أسلوب صحافي ، صار معياراً إلى حد كبير . ويمكن بسهولة استيعاب ثروته اللغوية المحدودة نسبياً . أشار إلى تأثير لغة المقالات اليومية في الصحافة باللغات الأوربية في المقردات والأسلوب ، ولما كانت قطاعات واسعة من أنصاف المثقفين تسمعها وتقرأها ، فقد تكون لديها إحساس لغوي جماعي ثابت إلى حد ما . وقد عدت هذه اللغة المعاصرة لغة أخرى غير « العربية » الخالية من الأخطاء ، التي كانت تحاكي بوجه عام !!؟

وتعرض لمجال المصطلحات أيضاً ، فلاحظ الافتقار إلى المعيار في مجال المصطلحات التقنية والعملية الحديثة ؛ فبعض المؤلفين يضعون صيغاً لغوية خاصة لا حد لها ، لا يفهمها مؤلفون آخرون في التخصص ذاته أو يتشابه عليهم أمرها ، فيستخدمون تعبيرات أخرى من اختراعهم يتبين فيها مدى الصعوبة في تسمية الأشياء التي أدخلت من وسيط ثقافي أجنبي حين لا يرغبون في نقل المصطلح الأجنبي . وانتهى إلى أنه لا قيمة لشواهد من ذلك الخلق اللغوي الفردي لأي مؤلف في المعجم ، ولذا يؤثر مصطلحات نقلت وحددت من قبل ، على الرغم من أن الأمر بوجه عام لم يحسم بعد .

(\*) درس المؤلف العلاقات اللغوية في الشرق العربي المعاصر في مقالة بعنوان : (تطور لغة الكتابة في العصر الحديث والعناية التقليدية بها : 46 - 16 ، ZDMG Bd 97, 1943, S. 16)

وتطرق إلى مشكلة أخرى ، تنعكس بوضوح في لغة الكتابة المعاصرة ، ألا وهي ارتباط الكتاب بالتراث في كتاباتهم ، وينعكس ذلك بخاصة في الأسلوب الرفيع الذي يستخدمونه ، إذ لا يقتصر ذلك على مؤلفي الأدب الجميل فحسب ، ويتضح ذلك في الغالب بصورة غير متوقعة في المقالة الرئيسية في الصحف اليومية . وإذا ما نظرنا إلى التأثير الجمالي أو البلاغي فإن تلك اللغة تخدم التعبير لا الخبر . ويميل المثقفون إلى أن تتضمن لغتهم التعبيرات العربية القديمة والكلاسيكية إلى حد يصير معه الفصل الواضح بين محصول لغوى حى وآخر ميت أمراً مستحيلاً . فهذا التضمين إذن له أساس وقيمة تعبيرية وأسلوبية كبيرة يصعب الاستغناء عنها .

ويرى أن الاستشهاد من القرآن والشعر يفوت على القارئ الأوربي أو لا يمكنه أن يدركه أو يفطن إلى الغاية منه ، بينما يمكن لأي قارئ عربي ذي ثقافة تقليدية ومادة ثرية في الذاكرة أن يحدد مفرداته وبنيته والغاية منه بسرعة ويتعرف عليها دون مشقة كبيرة . ويتساءل هل يعرض القاموس لهذه المفردات قليلة الاستعمال في لغة الكتابة ؟ هل يمكن للمرء أن يركن إلى انتقاء عشوائي للمفردات والدلالات القديمة ؟

ربما لا يتوفر إلا ذلك . ولكنه هنا لا يفوته أن يمس أمراً شديداً الوعورة والدقة معاً ، أعنى استخدام بعض الكتاب للمادة اللغوية القديمة في حرية أسلوبية كبيرة أحياناً ، وهو ما ينتج عنه صور من سوء فهم واضح للدلالات القديمة ، ويعد ذلك السلوك سلوكاً مستغرباً وغير مفهوم لدى فريق آخر من العرب . ويتساءل بعد ذلك : هل من المجدي الإشارة إلى تلك الحالات دون شواهد في القاموس ؟

ويستمر في إثبات أن الثروة اللغوية العربية الحديثة لا تسير وفق معيار صارم خلافاً للغة الكتابة ، التي نتجت معياريتها بطريق طبيعي من خلال تبادل منفصل ، وشفوي أيضاً ؛ أي نتيجة لعمليات التقارب المتبادلة بين الأفراد الذين يستخدمون تلك اللغة . ويرتكز ذلك - بصفة خاصة - على حاجة عملية مباشرة إلى الفهم ، وقد أدى هذا الإحساس المستمر تلقائياً إلى اتفاق لا واع ، وإلى إحساس جماعي ثابت بمجال محدد؛ بما هو صحيح ويمكن ، أي إلى المعيارية . فقد التزمت العربية البناء الشكلي الذي يمكن أن يصاغ في قواعد . وهنا أثر الفهم التقليدي للغة الفصحى القديمة بوصفها اللغة النموذج عبر مئات السنين تأثيراً محافظاً . وقد اختلف الأمر اختلافاً كلياً عن ذلك في مجال الثروة اللغوية والتعبيرات التي يجب أن تفي بشكل مباشر بحاجات تعبيرية متغيرة ولم تخضع للانضباط إلا بقدر ضئيل .

ولا يتسع المقام لتفصيل أسباب الافتقار إلى المعيارية في المجال الأخير ، ولكنه بحق استطاع أن يغوص في أعماق هذه المشكلة ، وأن يضع يده على مظاهرها المتعددة ، وأن يبرز وجهات النظر التي طرحت فيها ، فهو يريد أن يرصد في معجمه الألفاظ الحية في اللغة العربية السائرة المستخدمة على ألسنة الناس ، ولما كان من غير الممكن لتحقيق هذا الهدف تجاهل الألفاظ أو التعبيرات التي ترجع إلى لهجات محلية فقد أثبتتها مبرزاً قيمتها الأسلوبية ولكن في حدود ضيقة ، كما أنه لم يستطع أن يعمم مسألة إيراد المفردات في جمل توضح الفروق الدلالية بينها ، فهذا نموذج تطمح إليه معاجم الجمل ، ولكنه كان يفعل ذلك حين يتحتم عليه .

ارتكز هذا القاموس - كما قلنا - على أساس عملي سليم ، فقد قام المؤلف بحصر المادة ، وتقسيمها وترتيبها وتسجيل التراكيب والتعبيرات التي ترد فيها الكلمة مع مدلولاتها . ويشير المؤلف إلى أنه قد توقف عند سنة ١٩٤٥ م وقد استخدم فيه (٤٥٠٠٠) صفحة ، من مصادر ، حددها في مقدمته ، وهي الصحف والمجلات المصرية ، في المقام الأول ، ثم من الصحف العراقية والشامية ، وبعض الأعمال الأدبية لطف حسين ومحمد حسنين هيكل وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور والمثقلوطى وجبران خليل جبران وأمين الريحاني وغيرهم وبعض المصادر الثانوية التي كان من الأفضل ألا يرجع إليها المؤلف ، فهي تعليمية ، قليلة الفائدة ، محدودة القيمة . وقد اشترك معه عدد من الباحثين والمساعدین في الرصد والترتيب والطباعة والتصحيح والمراجعة وغير ذلك ، وقد ذكر أسماءهم وأثنى على أدائهم ، فقد أدوا دورهم بجد وإخلاص .

وقد حدد أيضاً النهج الذي اتبعه في تنظيم المادة وطريقة معالجتها ، والاختصارات أو الرموز التي يلزم أن يعرفها مستعمل القاموس . وهو يسير وفق الترتيب الهجائي للجذور ؛ يبدأ الجذر الأساسي ، في الأغلب جذر الفعل ، فإذا لم يكن فـجذر الاسم ، ويضع مصدر الفعل بعده بين قوسين . ويشير إلى أبنية (أوزان) الأسماء بعد أبنية الأفعال العشرة الأساسية ، دون مراعاة لكونها مصادر أو أسماء مأخوذة من أفعال أو صيغ المشتقات ، وتكرر الإشارة إليها حين تختص بمعنى معين لم يؤخذ من الفعل أو حين توجد في الألمانية إمكانية ترجمة اسمية أو وصفية لها . وبالنسبة لبيانات الإعراب التي تعقب دلالات الفعل ، فقد استخدم الرمز (٥) يعنى المفعول الشخصي و (هـ) للإشارة إلى شيء ، ويجب أن يلاحظ أن معلومات الإعراب العربية تقرأ بين الأقواس

من اليمين إلى اليسار ، حتى حين يقع بينها لفظ ( أو ) ، كما أنه قد عبر عن الإعراب الألماني من خلال تصريف صيغة ( Jamand ) ، وهي ( J - s ) للقبال ، و n للجر ، و J - m للمفعولية) أو من خلال ( e - rs. ) أو ( etw ) مع الأشياء .

وقد قام في حالات فردية واضحة بالفصل بين الجذور المترادفة التي لا توجد بينها صلة من الناحية الاشتقاقية ؛ فلا ينبغي أن يعبر وضع الكلمات تحت جذر ما بأية حال عن صلة اشتقاقية ، وهو بذلك ينهج نهج المعجمات العربية ، فهو يؤثر ذلك مادام قد انطلق من الجذر أيضاً ، ويرفض دعاوى الفصل بينها وتوزيعها في مواضع مختلفة لأنه يخالف أساس بنية اللغة العربية .

أما الكلمات المعربة والدخيلة فعاملها على نحو آخر ، فقد رأى ألا تندرج ضمن الجذور العربية ، إذ إنها لا تلائم البنية العربية بإدراجها في الصيغ الاسمية ثلاثية أو رباعية الأصول . ولذا فقد رتبت مستقلة حسب تتابع حروفها ، ويشار إلى موضعها من أجل التيسير . واستغنى عن الإشارة إلى أصل الكلمات المعربة القديمة في حين يشار إلى أصل الكلمات الأجنبية الدخيلة ، وبخاصة المأخوذة من لغات أوربية حية ، فيشار إلى نطقها بالكتابة الصوتية للكلمة الأصلية الأجنبية . أما العلامة ( o ) فتشير إلى مصطلحات صيغت حديثاً ، وبخاصة في مجال التقنية ، والعلامة ( □ ) إلى الكلمات المكتوبة بالفصحى ، ولكنها تنطق لهجياً ، وأضيفت المختصرات ( ag ) لللهجة المصرية و ( syr ) لللهجة السورية و ( ir. ) لللهجة العراقية ، و ( tun ) لللهجة التونسية . فإذا كتبت بخط كبير فإنها تعنى مصطلحات فصيحة في كل منها للمرافق العامة والمصالح والهيئات . . . الخ . وأما الخط ( - ) فيعنى أن ما يأتي بعده صيغة جديدة لجمع أو مصدر أو نطق الصورة العربية المكتوبة ، ويشار - بإيجاز - أيضاً إلى استعمال الأفعال والمصادر وحركات المضارع والجموع وصيغ مكملة أخرى . ويشير الرمز ( i.R. ) إلى الفقه الإسلامي . وثمة رموز أخرى تستخدمها القواميس بانتظام ولا تحتاج إلى إيضاح ، مثل ( Zool , med., gramm., Chem., Phys., Bot. ) ، ويشار إلى الأسماء المنوعة من الصرف في الكتابة الصوتية بالإشارة (2) .

ويلاحظ أن المؤلف يميل إلى الارتكاز على الكتابة الصوتية في مواضع كثيرة لإزالة أي نوع من الإبهام ، فبالإضافة إلى ما ذكرنا ، تكتب الأسماء المقصورة والمنقوصة عند التنوين كتابة صوتية ، وكذلك تراكيب وجمل تصور الاستخدام التعبيري والتركيبي للكلمة المدخل .

وقد أشار المؤلف في مقدمته أيضاً إلى أكثر أوزان الأسماء شيوحاً وهي :

١- مصادر الأسماء المأخوذة من أفعال ، ( X و III و II ) : تفعيل ، انفعال ، افتعال ، افعلال ، استفعال .

٢- صيغ المشتقات من الثلاثي : فاعل ، فاعلة ، مفعول ، مفعولة .

٣- أوزان : فاعيل ، فعيلة ، فعال ، فعول ، ( والجمع أيضاً ) فعالة ، فعولة ، وأفعل .

٤- صيغ الجمع : أفعال ، أفعلاء ، فعالل ، أفاعل ، مفاعل ، فاعلل ، مفاعل ، فعالل ، أفاعيل ، تفاعيل ، مفاعيل ، فعالة .

وربما يكون من المجدى أن نذكر الترتيب الذي اتبعه في تناوله الصيغ الفعلية ، على الرغم من أنه قد سلك نهج المعجمين العرب ، وهي على النحو التالي :

فعل فَعَل ، فاعل ، أفعال ، تَفَعَّل ، تفاعل ، انفعال ، افتعل ، افعال ، استفعال ، افعال ، افعولل ، افعول ، افعنل ، افعنلى .

وقد روعيت أيضاً المشكلات التي تنشأ عن النهايات الإعرابية والربط الإضافي وغيرها في الكتابة الصوتية .

ويقع المعجم في ( ٦٨٩ ) صفحة موزعة بين نهرين ، بالإضافة إلى مقدمة في ( ١١ ) صفحة ، وملحق ( ٤٤ ) صفحة ، في الطبعة التي عدت إليها ؛ طبعة ١٩٧٧ ، وقد صدر عن دار هاراسوفيتس ، فيسبادن ، ألمانيا في أكتوبر ١٩٥٢ ، ثم أعيد طبعه عدة طبعات في مكتبة لبنان ، بيروت .

وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية ، وظهرت الترجمة باسم كووان ( J.M. Cowan ) في قطع صغير ( كتاب الجيب ) في نيويورك ١٩٦٠ م ، وقد طبع أيضاً عدة طبعات تلبية - كما يقول المترجم - لزيادة غير عادية في الاهتمام بالعربية . ورأيت أن أقدم النموذج باللغة الإنجليزية ليتمكن قطاع كبيرة من معرفة إمكاناته وكيفية الإفادة منه .

**فيما يلي نماذج من ( معجم اللغة العربية المعاصرة )**

# من معجم اللغة العربية المعاصر، لهانز فير

عدن

عدن *ʿadn* Eden, Paradise; *ʿadan* Aden (city in southern Arabia)

معدن *maʿdin* pl. معدان *maʿdīn* mine; lode; metal; mineral; treasure-trove, bonanza (fig.); (place of) origin, source | علم المعدان *ʿilm al-m.* mineralogy; استمع معدنه to probe into s.o.'s very nature

معدن *maʿdan* (eg.: *syrr. maʿdin*) very good! bravo! well done!

المعدنيات *maʿdīnī* metallic, mineral; المعدنات mineralogy | ماء معدن *maʿdan* mineral water

تعدن *taʿdin* mining of metals and minerals; mining, mining industry

معدن *muʿaddin* miner

عدنان *ʿadnān* legendary ancestor of the North Arabs

عدا *ʿada* u (*ʿadu*) to run, speed, gallop, dash, race; to pass (د. or س. or ع. s.o., s.th.); go past s.o. or s.th. (د. or ع.); to give up, abandon, leave (د. or ع. s.o., s.th.); to pass over, bypass, omit (s.o.), not to bother (ب. s.o. with), exempt, except (ب. s.o. from); to cross, overstep, exceed, transcend (د. s.th.), go beyond s.th. (د.); to exceed the proper bounds; to infect (ل. s.o.); — ع (ع. *ʿadu*, *ʿadū*, عدا *ʿada*, عدوان *ʿadwān*, *ʿidwān*) to engage in aggressive, hostile action, commit an aggression, a hostile act (عل. against); to act unjustly (عل. toward), wrong (عل. s.o.); to assail, assault, attack, raid (عل. s.o., s.th.); — ع (*ʿadu*) to handicap, hamper, impede, obstruct (ع. s.o. in); to prevent, hinder (ع. s.o. from) | عدا طوره (*ʿadā ṭurūh*) لا يمتد لا يتعد to transcend one's bounds or limits; لا يمتد لا يتعد not to fail to do s.th.; to do s.th. inevitably; ... لا يمتد ان يكون it is no more than..., it is only or merely... II to cause to cross, overstep, exceed or transcend; to ferry (s.o., over a river); (gram.) to make transitive (د. a verb); to give up, abandon, leave (د. or ع. s.o.,

s.th.); to cross (د. s.th., e.g., a river) III to treat as an enemy (s.o.), show enmity (د. toward s.o.), be at war, feud (s. with s.o.); to fall out (s. with s.o.), contract the enmity (s. of s.o.); to act hostilely (د. toward s.o.); to counteract, disobey (د. s.o., s.th.), act in opposition (د. s. to), contravene, infringe (د. s.th.) IV to infect (s.o., ع. with a disease) V to cross, overstep (د. s.th.); to traverse (د. s.th.); to exceed, transcend, surpass (د. s.th.), go beyond s.th. (د.); to go beyond s.th. (د.) and turn one's attention to s.th. else (ال. ل) not to be limited to s.th. (د.) but also to comprise (ل. s.th. else), extend beyond s.th. (د.) to s.th. else (ل.); to overtake, pass, outstrip, outdistance, leave behind (د. s.th.); to overcome, surmount (د. s.th., e.g., a crisis); to pass on, shift, spread (ل. to); to transgress, infract, violate, break (د. s.th., e.g., laws); to engage in brutal, hostile action, commit aggression, a hostile act (عل. against); to act unjustly (عل. toward s.o.); to assail, assault, attack, raid (عل. s.o., s.th.); to infringe, encroach, make inroads (عل. upon) | عدى عدى عليه بالقراب (*ʿadī ʿalīhī bil-qarab*) to come to blows with s.o., lay hands upon s.o. VI to harbor mutual enmity, be hostile to one another, be enemies VII to be infected (ب. with a disease), catch an infection (ب. من by, from) VIII to cross, overstep (د. s.th.); to exceed, transcend, surpass (د. s.th.), go beyond s.th. (د.); to act outrageously, brutally, unlawfully (عل. against); to commit excesses (عل. against); to engage in aggressive, brutal, hostile action (عل. against), commit an aggression, a hostile act (عل. against); to act unjustly (عل. toward); to violate (عل. a woman); to assail, assault, attack, raid (عل. s.o., s.th.), infringe, encroach, make inroads (عل. upon), make an attempt on s.o.'s (عل.) life X to appeal for assistance (s.



hinder, handicap, impede, obstruct (s. a.o.) II to afflict, pain, torment, try, agonize, torture, rack (s. a.o.); to punish, chastise, castigate (s. a.o.) V to be punished, suffer punishment; to feel pain, suffer; to torment s.o., be in agony, be harassed X to find (s. a.th.) sweet, pleasant, or agreeable; to think (s. a.th.) beautiful, nice

عذب *ʿaḏb* pl. عذاب *ʿiḏāb* sweet; pleasant, agreeable | عذب ماء *ʿaḏb māʾ* fresh water; عذب الحديث *ʿaḏb al-ḥadīth* entertaining, amusing, companionable, personable

عذاب *ʿaḏāb* pl. -*āb*, عذبة *ʿaḏība* pain, torment, suffering, agony, torture; punishment, chastisement, castigation

عذبة *ʿaḏība* sweetmeats

عذب *ʿaḏāb* sweeter, more pleasant, more agreeable

تعذيب *taʿḏīb* affliction, tormenting, agonising, torture, torturing; punishment, chastisement, castigation

عذر *ʿaḏara* s. (عذر, عذرة *maʿḏira*) to excuse, absolve from guilt (s. a.o.), forgive (من or ق s. o. a.th.) | لم يعذرني | he wouldn't let me give any excuses, he wouldn't take no for an answer, he kept insisting; — *ʿaḏara* s. (*ʿaḏr*) to circumcise (s. a.o.) IV = I; to have an excuse | انذر من انذر (*man anḏara*) he who warns is excused V to be difficult, impossible, impracticable, unfeasible (ل for) VIII to excuse o.s., apologize (من ل or ل to s.o. for s.th.); to give or advance (ب s.th.) as an excuse (من or من for), plead s.th. (ب) in defense of (من or من) X to wish to be excused; to make an apology, excuse o.s., apologize

أبر عذر *ʿaḏar* pl. عذار *ʿaḏār* excuse | أبر عذر *ʿaḏar* sb's *ʿa*. (with foll. genit.) responsible for, answerable for; هو أبر عذر هذا التطور (*taḏawwur*) he is the originator of this development

عذرة *ʿaḏra* virginity, virginhood; name of an Arab tribe | أبو عذرة = أبو عذر see above

عذري *ʿaḏrī* belonging to the tribe of *ʿaḏra* (see above)

العذري *al-ʿaḏrī* platonic love

عذرة *ʿaḏra* pl. عذرة *ʿaḏar* cheek; fluff, first growth of beard (on the cheeks); cheekpiece (of a horse's harness) | خلع عذاره to throw off all restraint, drop all pretenses of shame; خال العذار unrestrained, wanton, uninhibited

عذراء *ʿaḏrāʾ* pl. عذراى *ʿaḏrāʾ* virgin; عذراء *ʿaḏrāʾ* Virgo (*astron.*); the Virgin Mary (*Chr.*) | ثلة عذراء (*ṯalāʾ ʿaḏrāʾ*) maiden, virgin

عذرة *maʿḏira* pl. عذار *maʿḏir* excuse, forgiveness, pardon

عذار *maʿḏir* pl. عذار *maʿḏir* excuse, plea

عذرة *taʿḏīr* difficulty, impossibility, impracticability, unfeasibility

اعتذار *ʿaḏār* apology, excuse, plea

معذور *maʿḏūr* excused, justified, warranted; excusable

عذرة *maʿḏūr* difficult, impossible, impracticable, unfeasible

عذق *ʿaḏāq* pl. عذاق *ʿaḏāq* bunch, cluster (of dates, of grapes)

عذل *ʿaḏala* u (*ʿaḏl*) to blame, censure, reprove, rebuke, reproach (s. a.o.) II = I

عذل *ʿaḏl* blame, censure, reproof, reproach

عذول *ʿaḏūl* stern censorer, rebuker, severe critic

عاذل *ʿaḏāl* pl. عاذل *ʿaḏāl* f. عاذلة *ʿaḏāla* pl. عاذل *ʿaḏāl* censorer, reprovor, critic

عذى *ʿaḏīya* s. عذى *ʿaḏī* u and عذى *ʿaḏī* s. عذرى and عذرى (عذرى) to be healthy (country, city; due to its climate, air, etc.)

عرب *'arra* to be a shame, be a disgrace (أ. . s.o., for s.o., for s.th.); to bring shame or disgrace (أ. . upon s.o., upon s.th.), disgrace, dishonor (أ. . s.o., s.th.)

عربة *'arra* scabies, mange; dung; a disgraceful, shameful thing

عرب *'arar* scabies, mange

عربة *ma'arra* shame, disgrace, ignominy; stain, blemish, stigma

عرب *mu'arr* miserable, wretched; scoundrel, rogue

عرب II to Arabicize, make Arabic (أ. . s.o., s.th.); to translate into Arabic (أ s.th.); to express, voice, state clearly, declare (عن s.th.); to give earnest money, give a handseal, make a down payment IV to Arabicize, make Arabic (أ. . s.o., s.th.), give an Arabic form (أ to s.th.); to make plain or clear, state clearly, declare (عن or أ s.th.), express (unmistakably), utter, voice, proclaim, make known, manifest, give to understand (عن s.th., esp. a sentiment), give expression (عن to s.th., esp. to a sentiment); (gram.) to use desinential inflection, pronounce the *i'rāb* V to assimilate o.s. to the Arabs, become an Arab, adopt the customs of the Arabs X = V

عرب *'arab* (coll.) pl. عرب *'arāb*, عرب *'arab*; عرب *'arāb*, عربان *'arābān*; true Arabs, Arabs of the desert, Bedouins

عربي *'arabi* Arab, Arabic, Arabian; truly Arabic; an Arab; العربية the 'Arabiya, the language of the ancient Arabs; classical, or literary, Arabic

عربة *'arāba* a swift river; (pl. -āt) carriage, vehicle, wagon, cart; (railroad) ear, coach; araba, coach | عربة الإبرة *'a. al-uḡra* cab, hack, hackney; عربة الأكل *'a. al-akl* dining ear, diner; عربة رش *'a. rašš* water wagon, sprinkling wagon; عربة الركوب *'a. al-akān* cab, hack, hackney; عربة الشحن *'a. al-šahān* wagon, lorry; freight car; عربة

عربة (*ma'ām*) dining ear, diner; عربة عربة *'a. an-naql* baby carriage; عربة النقل عربة *'a. an-naqm* sleeping car, sleeper; عربة يد *'a. yad* handcart, pushcart; wheelbarrow

عربية *'arabiya* pl. -āt carriage, vehicle; araba, coach; see عربي

عربي *'arabi* pl. -iyya coachman, cabman

عربانة *'arabāna* car shed, coach house

عرب *'arrib* godfather, sponsor

عربة *'arribā* godmother, sponsor

عربي *'arābī* pl. عرب *'arāb* an Arab of the desert, a Bedouin

عربية *'arāba* Arabism, Arabdom, the Arab idea, the Arab character

عرب *'arīb* Arabicizing, Arabization; translation into Arabic; incorporation (of loanwords) into Arabic

عرب *'arīb* manifestation, declaration, proclamation, pronouncement, utterance; expression (عن of a sentiment); desinential inflection (gram.)

عرب *mu'arrib* translator into Arabic

عرب *mu'arrib* Arabized; translated into Arabic

عرب *mu'arib* desinentially inflective (gram.)

عرب *mu'arib* Arabist

عرب *'arāda* to be quarrelsome, be contentious, pick quarrels; to be noisy, boisterous, riotous, raise : din

عربة *'arāda* quarrelsomeness, contentiousness; noise, din, uproar, riot

عرب *'arīd* quarrelsome, contentious; noisy, boisterous, riotous

عرب *mu'arib* quarrelsome, contentious; noisy, boisterous, riotous

عرب *'arāas* to upset, disturb, confuse (s.o.)

## المعجم العربي الحديث

(معجم لاروس)

تأليف د . خليل الجر (وآخرين)

يعد هذا المعجم من المعاجم الحديثة التي انتشرت ، وكثر عدد مستعملها لما تتميز به من سمات ، وفرت لقطاع كبير من طلاب البحث والمعرفة الحصول على ما يبتغون من مواد لغوية في يسر ، والوصول إلى دلالتها في وضوح . فقد اختلفت الطرق والوسائل التي تنتهجها هذه المعاجم لإزالة أي إبهام يحول دون وصول مدلول اللفظ في جلاء . ولا شك أن هذه الأعمال قد بنيت على معرفة واسعة بفن صناعة المعاجم ؛ أصوله ومبادئه ومناهجه وأساليبه ووسائله وإمكاناته ، ودراسة جادة عميقة للمعاجم العربية الأصيلة للوقوف على ما يمتاز به على المعاجم الأجنبية الحديثة ، وما يطرحة التطور المذهل في صناعة المعاجم الحديثة ، ويمكن الاستفادة منه في عمل معجم حديث يجمع بين الحُسنيين ، يراعى فيه - بلا جدال - عدم المغالاة في محاكاتها والتشبه بها ، وعدم إكراه المادة اللغوية العربية على تقبل ما يتفق معها في الترتيب أو التنظيم أو الشرح والتمثيل أو الاستشهاد أو الاستعانة بوسائل وأدوات لا تناسب اللغة العربية أو لا يستسيغها العقل العربي .

وقد حدد مؤلف معجم لاروس (ومساعدوه) الهدف منه ، حين كشف عن ذلك في مقدمة المعجم ، إذ إن مراده وضع معجم عربي يحل محله اللائق في المجموعة الضخمة من منشورات لاروس اللغوية ، يكون الأول من نوعه في لغتنا العربية . وهذا الطموح يتطلب - بلا مرأى - جهداً كبيراً طويلاً ، وهو ما حدث فعلاً ، إذ استغرق العمل فيه عشرين سنة يتنازعه كما يقول عاملان :

\* عامل الرغبة في إسداء خدمة لأبناء الضاد ودارسيها من الأجانب بوضعي بين أيديهم معيماً حديثاً ، يليق بما صارت إليه اللغة العربية التي أصبحت ، بفضل ما فيها من طواعية وإمكانات اشتقاق ، لغة قادرة على التعبير عن منجزات العصر في مختلف حقول العلم ، وأداة سهلة الاستعمال حتى على المبتدئين الذين يعانون الأمرين في البحث عن الكلمات في مصادرها .

\* وعامل التهييب أمام فتح هذا الباب الجديد الذى يخرج عن التقليد القديم فى وضع المعاجم العربية ، وأمام التبعة الملقاة على عاتقى تجاه اللغة العربية وتجاه مؤسسة لاروس على السواء .

وهكذا فالمؤلف قد سعى إلى تقديم معجم يفى بحاجات الناطقين باللغة العربية وغير الناطقين بها الذين يرغبون فى دراستها معاً ، كما أنه قد وضع نصب عينيه ذلك الجهد العظيم الذى بذلته أجيال متوالية من العلماء فى معاجم للغتهم بنيت على أسس مختلفة . وتطلب مراعاة ذلك التروى والتعمق والحذر فى التعامل مع المادة والمنهج . غير أنه لم يحدد مصادره بدقة ، وإنما عرض لها فى حديث عام ، إذ يقول : سنوات طويلة قضيتها فى البحث والتنقيب فى كتب اللغة والمعاجم القديمة والحديثة والمعاجم الخاصة بالنبات والحيوان والفلك والرياضيات والعلوم المختلفة ، وفى المجالات والمصنفات العلمية ودوائر المعارف ، العربية والأجنبية ، وفى منشورات الجامعات اللغوية والعلمية فى مختلف الأقطار العربية حتى اجتمعت لدى عشرات الألوف من البطاقات التى رحت أقارن بينها وأختار منها المصطلحات الأكثر استعمالاً مع تعريفاتها العملية ، مفضلاً ما كان من أصل عربى على الدخيل ، كلما كان ذلك ممكناً ، دون العدول عن إثبات اللفظة الدخيلة فى محلها إذا كانت شائعة الاستعمال .

هذا يعنى أنه رجع إلى كتب اللغة والمعاجم العامة والخاصة ، القديمة والحديثة على السواء ، دون تمييز أو تحديد ، ولكنه لم يكتف بذلك بل رجع إلى مصادر أخرى جديدة ذكرت بشكل عام أيضاً . ما يهم هنا المعيار الذى اتخذه فى التعامل مع المصطلحات (الألفاظ الدخيلة) فقد كان شيوخ الاستعمال أساس المفاضلة وإيثار المصطلح العربى ، وإن أثبت الدخيل الشائع على الألسنة أيضاً .

أما نهج ترتيب الكلمات فقد حدده فى المحافظة على نهج القدماء باعتماد الترتيب حسب المصادر والأصول ، ثم يضع بعدها جميع مشتقاتها أو اتباع الطريقة التى تتبعها المعاجم فى اللغات الحديثة الأخرى ، رغبة فى تسهيل البحث على الباحثين وترتيب المفردات وفاقاً لحروفها الأولى مضحياً بالغرابة اللغوية بينها .

وعلى الرغم مما يتسم به هذا الكلام من عمومية وعدم دقة ، فلم يكن للقدماء نهج واحد ، كما أن الطريقة التى اتبعها ونسبها إلى المعاجم الحديثة ، كانت من الطرق الأولى التى ابتكرها اللغويين العرب القدماء ، وإن اختلفت معها الطريقة الحديثة فى

أمور وفرها ذلك التطور المذهل في هذا العلم . على كل حال فالمقام لا يتسع للجدل ، ولا شك أن لكل طريقة مزاياها وعيوبها ، حددها فيما يلي :

« فالطريقة الأولى تحول دون تبعر الكلمات التي تعود إلى أصل واحد . . . والثانية تسهل البحث على الباحث لا سيما إذا كان حديث العهد باللغة ، يجهل مصادر الأسماء والمشتقات وأفعالها أو كانت الأسماء جامدة أو لم يكن لها أصل معروف . . . أو إذا كان جمعها من غير لفظها . . . والعتور عليها من باب التنجيم لا من باب البحث اللغوي » .

كما أنه أضاف إلى ذلك جمع المعاجم القديمة لألفاظ ذات دلالات غاية في التباين لمجرد أنها تشترك في جذر واحد ، وقد قدم أمثلة لذلك ، وعلق عليها : بأنه ليست ثمة أية قرابة لغوية بين هذه الكلمات المختلفة التي بعضها دخيل على اللغة العربية ، ولا بينها وبين الفعل الذي وضعت في بابه ولا هي مشتقة منه » .

وعلى الرغم من تجاهله للخاصية الأولى للغة العربية وتفطن اللغويين إليها وابتكارهم طريقاً رأوها أنها الأنسب للمحافظة على هذه اللغة ، أعنى الخاصية الاشتقاقية ، فكان الجذر هو المنطلق للتعامل مع كل المواد التي تخرج منه ، وإن أدى ذلك إلى إدراج ألفاظ ذات دلالات متباعدة تذكر في ذيل تعاملهم مع المادة الأساسية ودلالاتها المركزية . فقد فعلوا ذلك وهم على وعى عميق بهذه اللغة وخصائصها ومشكلاتها ، وعلى الرغم من ذلك فإنه قد انتهى إلى إثارة الطريقة الثانية ، أي ترتيب الكلمات وفقاً لترتيب حروفها الأولى ، يقول : « ولما كان المعجم أداة قبل كل شيء ، وكان من أولى صفات الأداة أن تكون سهلة الاستعمال ، عمدت إلى ترتيب الكلمات وفقاً لترتيب حروفها الأولى ، وكانت تلك أول محاولة من نوعها في العالم العربي ، ولعلها أبرز ما يتميز به معجمنا » .

ولكن تأخره في إصدار هذا المعجم أدى إلى تقدم معاجم أخرى عليه ، تنتهج النهج نفسه الذي أعلن عنه عام ١٩٥٥ م وعن طريقة تنسيقه الأبجدي ، وقد باشر التجارب الطباعية في عام ١٩٥٨ م ، إلا أن ظروفها خاصة حالت دون أن يرى النور . وفي فترة التوقف هذه قامت نهضة كبيرة في تعريف العلوم الحديثة ، أغنت اللغة العربية بمصطلحات لم يكن لها بها عهد من ذي قبل ، فرأى - كما يقول - لزاماً عليه إعادة سبكه سبكاً جديداً كاملاً ، وإدخال هذه المصطلحات الجديدة تمشياً مع تقدم العلم ،

وإعادة النظر فى التعريفات اللغوية والعلمية القديمة بحيث تصبح أكثر وضوحاً ،  
وأسهل فهماً مما كانت عليه ، فلا يحتاج الطالب إلى معجم لفهم تعابيرها .

ويحدد فى المقدمة أيضاً عدداً من الأمور التى راعاها فى العمل ، ومن أهمها :

١ - تحديد الكلمات تحديداً علمياً صحيحاً وواضحاً لا شرحها بضدها ، كما نلاحظ ذلك فى أكثر المعاجم . . . أو يذكر فى بعض الكلمات أنها معروفة ، فلا يوضع لها أى تعريف . وفى هذه الحالة ما الداعى إلى إثباتها .

٢ - الإكثار من الشواهد والأمثلة فى تعريف الكلمات ولا سيما ما ورد منها فى القرآن الكريم .

٣ - الإكثار من الرسوم وإرفاقها بالشروح الوافية ، كلمات دعت الحاجة إلى ذلك ، ولا سيما فى رسوم الآلات والأدوات والتشريح الإنسانى والحيوانى والنباتى .

٤ - حذف الألفاظ النائية والألفاظ التى سقطت من الاستعمال إلا إذا كانت واردة عند مشاهير الكتاب والشعراء الأقدمين ، ولا بد من معرفة معناها لفهم آثارهم ، وإثبات الكلمات الجديدة المستعملة فى مختلف فروع العلوم الحديثة . . . سواء أكانت هذه الكلمات من أصل عربى اتخذت بحكم الاستعمال معانى جديدة أصبحت شائعة لدى رجال اللغة والعلم ، أو كانت دخيلة معربة أو باقية على حالها كالرادار والسينما والتلفزيون والبارومتر وغيرها .

٥ - اعتماد الحرف الأسود للكلمات المعروفة ولمصادر الأفعال للتفريق بينها وبين تعريفاتها ، وذكر الأفعال الواوية والأفعال الياوية من معتلات العين تسهياً للرجوع إليها فى المعاجم التقليدية . وقد أشرنا إلى حركة عين الفعل الثلاثى بالفتحة أو الضمة فوق خط صغير والكسرة تحته : — .

٦ - الاتقان فى الإخراج والأناقة فى الطباعة والتزيين باللوحات العلمية الملونة وغير الملونة واللوحات الفنية ، بحيث لا تقل قيمة المعجم الجمالية عن قيمته اللغوية والعلمية .

ويقع المعجم فى ١٣٠٧ صفحة ، وتنقسم كل صفحة إلى نهريْن ، وكتبت المفردات بخط صغير لتضم أكبر عدد ممكن من الكلمات ، ويحدد المؤلف عدد الكلمات المعروفة بأنها (٥٣٥٠٠) كلمة ، و (٣٥٢٠) رسماً ، و (١٦) صفحة ملون ، ويلاحظ

كذلك أن المعجم يبدأ بمقدمة عن قواعد اللغة العربية ، فيتعرض في إيجاز شديد للغاية لا يتجاوز حدود المعلومات الأساسية ، لأركان الجملة العربية ؛ كل ما يتعلق بالفعل والاسم والضمير والصفة والنعت والظرف والحروف ، ثم يحدد قواعد كتابة الهمزة أيضاً ، ويختتمها بباب صوتى صرفى هو الإعلال . ويلى ذلك قائمة بالمصطلحات المستخدمة فى المعجم ومواضع اللوحات الملونة . أما الخاتمة فتضم عدداً من الأمثال العربية مع ذكر قائلها والظروف التى قيلت فيها واستخدم فيها حرفاً طباعياً جديداً ، وقد عدنا فى تحليل هذا المعجم إلى طبعة مكتبة لاروس ، وكندا ١٩٧٣ م .

**وفيما يلى نماذج من ( المعجم العربى الحديث )**



الشوة : مع و - : تنور في الأمر.  
لبي - نسا : ثلث خلة به.

الشيخ : الشيخ الجيد ما بين الأقطار : فليح.  
الشيخ من الرجال : الشيخ ج : فسخه.  
الشيبة : القودج : تسدي.  
الشيبة : القوط.

الشيبة : موت الشيط و - : ما قطع من الفتر  
وغمره : ج : قاطط.

الشيبة هـ : قطع صغيرة ملونة من الرغام  
وغيره تولدت على أشكال مختلفة وصور متنوعة -  
زر : مرض يكبري يعقب بعض النباتات أعصابها  
الشيخ والحسن والبطاطا.

الشيبل من العيان : القبول ج : قتل - من  
الرجال : القتل ج : قتل - من الأشياء :  
الردال ج : قتل - من الكثرة والحركة : قشيب  
القشيب ج : قتلان - : تبيان تشطع من  
الشجرة تفرس، الواحة قسبة.

الشيبة : موت الشيل ج : نال - : القحة  
الصغيرة تشطع من أصل أنها تفرس - : كل عود  
يظلم من شجره ليخرس ج : قاتل.

الشيبة لوجية يو هـ : علم يثبت من ظواهر الحياة  
في الأحياء أي عن وظائف أعضاءها.

قشا - ششوا شس : اشتر وقاع - : ت اللثية :  
سرحت - : ت أمودهم : انزقت . ولثت عليه  
قبت هـ : اشترت عليه أموره لا يدرى بأينها يقا.  
القشاه : تشيل اللثي وكثرها.

الشفاه : جنس نباتات ليفية مسرة من فصيلة  
الزيتونات تشبه الأشجار وتلثي عليها قشاهها.  
- : البرومة من آدم يرفع بها السقاء.

الشفاه : كحل  
شخ - شخا : باعد ما بين وجهه ليول.  
شخ - شخا هـ : ظلم وطمه - : في الغيب :  
كذب به وطمه.

شخ - شخا الإكدة : أخرج ما فيه من الماء -  
القاق : حلبها في روم - : لبيب - : صه بغير منافع -  
شخا : كان شخا - : ششوا : نجسا - : بين  
القوم : تم ولقد.

شقي تكشفا هـ : كسره وفرقه.  
شقل تكشفا لحيت : قشها - : الرجل : نبه إلى  
القشاة - هـ : جله بشقل.

شقي تكشبة الشية : جله بشق [لوي].  
شقط - شقطا العود : فضحه وهو رطب.  
شخ - ششوا ت اللوة : بيت أهلها.

الشخ : أطراف الذرة إذا بيت، الواحة شخه.  
شخ - ششوا الشية : اتش وشش - : شخا هـ :  
علاه وخلاه - هـ بالسوط : علاه هـ.

شخ - شخا ت التامية : طالت واشترت فقلت  
البيتين.

الشخ : جنس أشجار حرجية وتربيتك من فصيلة  
المتوردات القوسيات أعصابها حلبة لا يعثرها قشاه  
القشاه من التامية : الشخ شقي البيتين - : من  
قشاه : التي في أصلها فرق قح ج : شخ.

الشخه : اللزة من لها و - : ما يكون في جوف  
التمرة من الأيام للشفة ج : شخ.  
الشخا : الكذاب الصحل ما لغيره.

الشخا : موت الشخاش و - : من فوق : الشخه  
شخب - : من الزبد وغمره : التي لا صلابه له.  
شخش شخا : ضعف رأيه - : لفرط في الكلب  
واضحل ما لغيره - : يوله : فضحه.

شقي - شخا الشية : كسره وفرقه.  
شقي - شخا الرجل : اشط حرمه فكان يتركه  
مدا وأخط ما رغبة فرسا فانه جيبا - : شقي :  
يد ما بين قرنيه.

الشقي : مع و - : انشاق في العنود.  
الشقي : الذي اشط حرمه ففرق رأيه.

الشكك : أنابيب شحلا بلوردا وبتقا لحس الألسنة  
التارية، الواحة شككة.

شقل - شقلا لحيت : قشها - : شقولا ت  
لحيت : تشفت.

شقل - شقال : كان شقلا يزلخي عند الشدة.  
شقل - شقلا : ضعف وتراخي وجين عند حرب أو  
شدة : ولا تازعوا فضلا وتلعب ويحكهم هـ (قرآن).

شقل : ستر المودج لو شيء نجمة اللوة أعصابه  
ج : أشال.



الشخ



الشفاه

الجماد: الجماد.  
 الجمادة: مئة جامد. - لجرة الجماد.  
 الجماليس من الرجال: الشديد الزم.  
 الجمال: مد و-: التظام.  
 الجمح: لجماد: عليه في الجمادة. - المصح: عليه غروره. - الجمادة: كان نصيباً فإ بيان. - الأعمى: جاءت لفته فلم يكتم. - العين: غلس بما يشوه فأخلت به ورفوه وفي حاله.  
 الجمح: مد و-: التصح. - العين الذي أعتت زفرته وفي حاله. ج: لجماد.  
 الجمح من الأيام: الصحو الذي لا هيم فيه ولا برؤ.  
 - عند اليهود: عيد ذكرى خروجهم من مصر. - عند المسيحيين: عيد ذكرى قيامة السيد المسيح من بين الأموات.  
 الجمعي: مؤنث الأمتح ج: لجمح. والجمح في البرية: للكلمات التي هي من صميم اللغة.  
 لجمح: لجماد: فيه في الجمح.  
 لجمح: لجماد: كان لجماد، أي عاجز الرمي.  
 لجمد: لجماد: شقة. - المرض: شق حرقه. - له عطفة: لجمه.  
 الجمدة: قيم التي يخرج من لجمود.  
 لجم: لجماد: كذا من كذا: الترحه والتزوه. - لجماد: لجماد: سال بما به. - المرقق: رشح. - الولد: بكى بكاء شديداً. - الجماد: صوت.  
 لجم: مد و-: ما يركب في اللام ونحوه من الجمارة الكريمة. - من العين: حلتها. - من لجم: من الأمر: أصله وحيتته. - من لجم كل عظيم. - أحد لجام عضو حيواني أو نباتي يثبت بشقوقه. ج: لجموس.  
 لجمي: لجم و-: حبيب الله.  
 لجمس: لجمي يبع لجموس ويركبها في اللوام.  
 لجمال من السيف: اللامح. - الذي يمدح الناس يأخذ اللوامر.

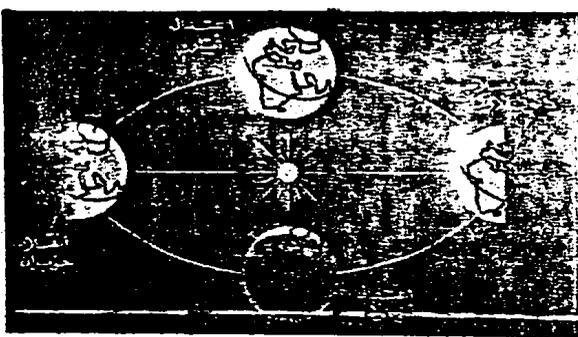


الجم

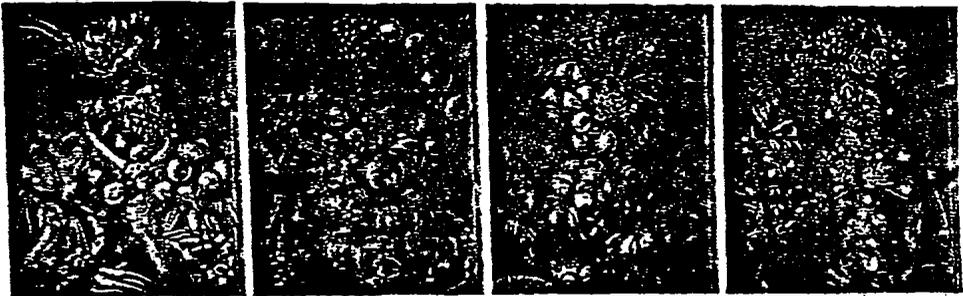


الجم

الفصل



الجمال: مد و-: الحاجز بين الشين. - من الجسد: ملقى العظمن. - من الشيء: التفرغ. - من الكتاب: لطفه من سقته. - من السنة: جزء من أجزاء الأريفة: التزيح والصف والتعريف والتناه.  
 - أحد أجزاء المسرحية. - م: ما يفصل الحدود من غيره من أنواع جنسه، الحد إنما يكون بالجنس والعمل. ج: لجم. - التقاء بين الحق والباطل.  
 - يوم العمل: يوم الدين. - فصل الخطاب: ما كان الحكم له قاطعاً لا راد له.  
 الجملة: الجملة المتعولة من موضعها ج: لجمال.  
 الجملة: وريقة كأس الزهرة.  
 لجم: لجماد: لجماد: كسره من غير أن



النبات

التزيين

العشب

الربيع

تتفرق كستره . - النية : قطعه . - القطة : حنظلها .  
 و نسم آيت : مع : أنهم .  
 التفتيح : الكثير التفتيح القصد إذا قاموه ج :  
 تفتح .  
 لغتي - لغتي النية من النية . وقت : فصله وذاك .  
 - لغتي من الأمر : تخلص . - التهاؤ : كان لا حراً  
 فيه ولا يتردد .  
 لغتي : حب قريب ونحوه . الإحسان : تفتيح .  
 التفتيح من الرجال : ذو القناعة ج : تفتيح . -  
 من الكلام والتكلام : الظاهر لغتي الحسن التنظيم لا يب  
 فيه ج : تفتيح .  
 التفتيح : العاجز الرئي ج : تفتيح .  
 التفتيح : انقصور ج : تفتيح . - دم يفتح ز  
 متى ويكسرى ، القطة منه : تفتيح .  
 التفتيح : تمر يفتح بدم . - : القطة من التفتيح .  
 ج : تفتيح .  
 التفتيح : مع : - : القمص . - : القوي القوي  
 التي كأنه مدحون . - : القحرك والالتواء .  
 التفتيح : ولد التاة إذا تفتيح عن أمه ج : تفتيح  
 وتفتيح .  
 التفتيح : التفتيح ونحوها تفتيح من أمها وتفتيح .  
 - : فتيرة الرجل ورهط الأوتون . ج : تفتيح .  
 وجاءوا بفصلتهم : جاءوا كلهم . - في تصنيف  
 الأحياء : جماع أجناس لما صفات مشتركة وهي تأتي  
 بد التفتيح وقيل التفتيح .  
 التفتيح : القمص . وفاس تفتيح : حنظل .  
 التفتيح : التفتيح من التفتيح . - ما بين الحز والبرد .  
 التفتيح : التفتيح . - : كون لغوي لا حلاً ولا برماً .  
 - : جنس طير صغيرة القدة من التفتيح . ج :  
 تفتيح .  
 لغتي - لغتي المكان : التفتيح . - لغتي الإبتد : علا .  
 التفتيح من التفتيح : اللخط . و لغتي تفتيح بينهم :  
 ليس عليهم أمير .

التفتيح : مع : - : ما اتسع من الأرض . - : ما بين  
 الكواكب والشجر من مسافات ج : التفتيح . و الأرض  
 التفتيح : التفتيح .  
 التفتيح : مع : - : جمع التفتيح لغوة التفتيح  
 التفتيح على المال . - : كشف للملوية .  
 التفتيح : ما يتفرق من النية عند كسره . و طاروا  
 تفتيحاً : متفرقين .  
 التفتيح : ما سقط من الطين عند نفي الكتاب وغيره .  
 التفتيح : جمع التفتيح ، أي ذات التفتيح - :  
 تفتيح يفتيح به الإنسان في يده ج : تفتيح .  
 التفتيح : التفتيح .  
 لغتي - لغتي النية : تفتيح .  
 لغتي - لغتي : كشف ملوه . - : التفتيح :  
 كشف سره وأظهره . - : التفتيح : طلبها بنوره .  
 لغتي - لغتي : كان تفتيحاً أي سبب التفتيح  
 على المال .  
 لغتي - لغتي : كان أبيض غير شديد البياض .  
 لغتي - لغتي التفتيح ونحوه : كسره . - : رأسه :  
 شدته . - : العين : تفتيح .  
 لغتي - لغتي النية : كسره تفتيح كستره . - :  
 ختم الكتاب : تفتيح . - : الأوتون : تفتيح . - : التفتيح :  
 فزكهم . - : التفتيح : تفتيح . - : ما ينمو : تفتيح . - :  
 لغتي : تفتيح .  
 لغتي : مع : - : التفتيح التفتيح . و تفتيح  
 لغتي : متفرق لا يترق بقية يفتيح .  
 التفتيح : ما انتشر من الله عند الانفصال به .  
 و خرج تفتيح من التفتيح : ليرق متفرقة .  
 التفتيح : بالغة التفتيح .  
 لغتي تفتيحاً : تفتيح مرة بعد مرة . - : التفتيح :  
 تفتيح .  
 لغتي تفتيحاً النية : مرهه بالتفتيح لورفته جا .  
 لغتي تفتيحاً : تفتيح إلى التفتيح . - : على صاحبه :  
 حكم له بالتفتيح عليه .



التفتيح

## حروف المعجم وترتيبها

المحرف كما تسمع ترتيبها في الألفبائية	ترتيب الحروف بحسب منظرها			حروف المعجم كما وترتها تصريفها	أبجدية حروف الهجاء العربية			الأبجدية السامية بعد الحلق لزوادة العربية بأبجديتها	الأبجدية عند النسب السامية	العدد
	عند التعلق	عند سبويه	عند الخليل		عند النون حدايق	عند النونية	عند الثالثة			
ا	هـ	ا/هـ	ع	ا	١	ا	ا	ا	ا	١
ب	ح	هـ	ح	ب	٢	ب	ب	ب	ب	٢
ت	ح	ع	هـ	ت	٣	ج	ج	ج	ج	٣
ث	خ	ح	خ	ث	٤	د	د	د	د	٤
ج	غ	غ	غ	ج	٥	هـ	هـ	ذ	هـ	٥
ح	ق	خ	ق	ح	٦	و	و	هـ	و	٦
خ	ك	ق	ك	خ	٧	ز	ز	و	ز	٧
د	ض	ك	ج	د	٨	ح	ح	ز	ح	٨
ذ	ج	ج	ش	ذ	٩	ط	ط	ح	ط	٩
ر	ش	ش	ض	ر	١٠	ي	ي	خ	ي	١٠
ز	ل	ي	ص	ز	٢٠	ك	ك	ط	ك	١١
ط	ر	ض	س	س	٣٠	ل	ل	ظ	ل	١٢
ظ	ن	ل	ز	ش	٤٠	م	م	ي	م	١٣
ك	ط	ن	ط	ص	٥٠	ن	ن	ك	ن	١٤
ل	د	ر	ت	ض	٦٠	ص	س	ل	س	١٥
م	ت	ط	د	ط	٧٠	ح	ح	م	ح	١٦
ن	ص	د	ظ	ظ	٨٠	ف	ف	ن	ف	١٧
ص	ز	ت	ذ	ح	٩٠	ض	ص	س	ص	١٨
ض	س	ز	ث	غ	١٠٠	ق	ق	ح	ق	١٩
ع	ظ	س	ر	ف	٢٠٠	ر	ر	غ	ر	٢٠
غ	ذ	ص	ل	ق	٣٠٠	س	ش	ف	ش	٢١
ف	ث	ظ	ن	ك	٤٠٠	ت	ت	ص	ت	٢٢
ق	ف	ذ	ف	ل	٥٠٠	ث	ث	ض	.	٢٣
س	ب	ث	ب	م	٦٠٠	خ	خ	ق	.	٢٤
ش	م	ف	م	ن	٧٠٠	ذ	ذ	ر	.	٢٥
هـ	و	ب	ي/هـ	هـ	٨٠٠	ظ	ض	ش	.	٢٦
و	ا	م	و	و	٩٠٠	غ	ظ	ت	.	٢٧
ي	ي/هـ	و	ا	ي	١٠٠٠	ش	غ	ث	.	٢٨

( المعجم العربي - عدنان الخطيب )

رَفَع

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

• متن المصادر والمراجع التي درست :

١- رسائل اللغويين الأوائل من :

( أ ) البلغة في شذور اللغة ، نشر لويس شيخو ، بيروت ١٩١٤ م .

( ب ) الكنز اللغوي في اللسان العربي ، نشر أوغست هفتر ، ليزج ١٩٠٥ م .

٢- ( أ ) كتاب ( الهمز ) لأبي زيد الأنصاري .

نشرة الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ١٩١٠ .

( ب ) كتاب ( المذكر والمؤنث للقراء ) .

تحقيق د . رمضان عبد التواب ، دار التراث ، القاهرة ١٩٨٩ .

( ج ) المقصور والمدود لابن ولاد

تحقيق ب . برونله ، ليدن ١٩٠٠

( د ) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج

تحقيق وشرح وتعليق ماجد حسن الزهبي ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ،

١٩٨٤ .

٣- ( أ ) كتاب ( الغريب المصنف ) لأبي عبيد

تحقيق د . رمضان عبد التواب ، ج ١ ، المكتبة الثقافية الدينية ، ١٩٨٩ .

( ب ) كتاب ( الألفاظ الكتابية ) للهمداني .

تحقيق د . البدر اوى زهران ، دار المعارف بمصر ١٩٨٩ .

( ج ) كتاب ( المخصص ) لابن سيده

تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، في دار الآفاق الجديدة ، ج ١ بيروت د . ت .

٤- ( أ ) كتاب ( النوار في اللغة ) لأبي زيد الأنصاري .

نشر سعيد الشرتوني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ٢ ، ١٩٦٧ م .

(ب) كتاب (النوادر) لأبي مسحل الأعرابي

تحقيق د. عزة حسن ، جزءان ، دمشق ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م .

(ج) كتاب (الأضداد) لأبي بكر الأنباري .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٥- (أ) كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت .

تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

(ب) كتاب (لحن العامة) للزيدي .

تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٨١ .

(ج) كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٥ .

(د) كتاب (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) لابن مكى الصقلی

تحقيق د. عبد العزيز مطر ، دار المعارف ١٩٨١ .

٦- (أ) كتاب (الصاحبي في فقه اللغة) لابن فارس

تحقيق السيد أحمد صقر ، ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ١٩٧٧ .

(ب) كتاب (الخصائص) لابن جنى

تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، ط . الهيئة العامة للكتاب ، ٣ أجزاء ١٩٨٦ وما

بعدها .

(ج) كتاب (فقه اللغة وسر العربية) للشعالبي

تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط . مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٧٢ .

(د) كتاب (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) للسيوطي .

تحقيق محمد أحمد جاد المولى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي

ج ١ ، ٢ ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧- كتاب (العين) للخليل بن أحمد .

تحقيق د . عبد الله درويش ، ج ١ ، بغداد ١٩٦٧ م .

( ب ) معجم ( جمهرة اللغة ) لابن دريد

ط . حيدرآباد ، ١٣٤٦ هـ

( ج ) معجم ( تهذيب اللغة ) للأزهري

ط . الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ .

٨- ( أ ) معجم ( صحاح العربية ) للجوهري

تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ط . دار الكتاب العربي ١٩٥٦ .

( ب ) معجم لسان العرب لابن منظور .

أعاد نشره وترتيبه وضبطه هاشم محمد الشاذلي وآخرون ، دار المعارف بمصر ، ج

١ : ٦ ، د . ت .

( ج ) معجم ( القاموس المحيط ) للفيروزآبادي .

تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ م .

( د ) معجم ( تاج العروس ) للزبيدي

ط . دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي د . ت .

٩- ( أ ) المعجم الوسيط ( أصدره مجمع اللغة العربية بمصر ) .

أعدته لجنة مكونة من د . إبراهيم أنيس وآخرين ، القاهرة ١٩٧٢ .

( ب ) معجم اللغة العربية المعاصرة ، عربي / ألماني ( معجم هانز فير ) .

Arabisches Wörterbuch Für die Schriftsprache der Gegenwart und  
Supplement von Hans Wehr, Beirut, London 1976 .

( ج ) المعجم العربي الحديث ( معجم لاروس ) .

تأليف . خليل الجر وآخرين ، مكتبة لاروس ، كندا ١٩٧٣ م .

## • بعض المراجع الحديثة :

- د . أمين فاخر :  
دراسات فى المعاجم العربية ، ط . القاهرة د . ت .
- د . حسين نصار :  
المعجم العربى ، نشأته وتطوره ، مكتبة مصر ، ج ١ ، ٢ ، الطبعة الرابعة ١٩٨٨ م .
- د . رمضان عبد التواب :  
فصول فى فقه اللغة ، دار التراث ، القاهرة ، ط أولى ١٩٧٧ م .  
بحوث ومقالات فى اللغة ، ط . الخانجى ، القاهرة ١٩٨٢ م .
- د . رمضان عبد التواب و د . محمد الزغبى :  
المصادر اللغوية ، محاضرات ، د . ت .
- د . صلاح روى  
المدارس المعجمية العربية ، نشأتها - تطورها - مناهجها ، دار الثقافة العربية ، القاهرة  
١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- د . عبد السميع محمد أحمد :  
المعاجم العربية ، دراسة تحليلية ، دار الفكر العربى ، ط . رابعة ١٩٨٤ م .
- د . عبد العال سالم مكرم :  
جلال الدين السيوطى وأثره فى الدراسات اللغوية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط .  
أولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- د . عبد اللطيف الصوفى :  
اللغة ومعاجمها فى المكتبة العربية ، دار طلاس ، دمشق ١٩٨٦ م .
- د . عبد الله درويش :  
المعاجم العربية ، مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد ، مكتبة الشباب ،  
د . ت .

- د . عدنان الخطيب :

المعجم العربي بين الماضي والحاضر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ،  
١٩٦٦-١٩٦٧ م .

- د . عز الدين إسماعيل :

المصادر الأدبية واللغوية فى التراث العربى ، مكتبة غريب ، د . ت .

- د . محمود سليمان ياقوت :

معاجم الموضوعات فى ضوء علم اللغة الحديثة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية  
١٩٩٤ م .

- د . محمود فهمى حجازى :

المعجمات الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

أسس علم اللغة العربية ، دار الثقافة ، ١٩٧٩ م .

- د . مصطفى الشكعة :

جلال الدين السيوطى ، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ، الدار المصرية اللبنانية ،  
القاهرة ١٩٩٤ م .

## بعض كتب الطبقات وتراجم الرجال والفهارس :

- إنباه الرواة للقفطى .
- البدر الطالع للشوكانى .
- بغية الوعاة للسيوطى .
- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان .
- تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين .
- حسن المحاضرة للسيوطى .
- ضحى الإسلام لأحمد أمين .
- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع للسخاوى .
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدى .
- فهرست ابن النديم .
- فهرسة ما رواه ابن خير .
- كشف الظنون لحاجى خليفة .
- معجم الأدياء لياقوت الحموى .
- نزهة الألباء لابن الأنبارى .
- وفيات الأعيان لابن خلكان .

## ● من كتب التصحيح :

- تصحيح التصحيح وتحرير التحريف .
- لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ، تحقيق السيد الشرفاوى ، ومراجعة د . رمضان عبد التواب ط . أولى ، الخانجى ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .
- التنبية على حدوث التصحيح ،

لحمزة بن الحسن الأصفهاني ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٦٧ م .  
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ،

لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد السكري ، تحقيق عبد العزيز أحمد ، مكتبة  
الخليجي ط . أولى ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

## الفهرست

الموضوع	الصفحة
تصدير	٥ - ٧
مدخل : بدايات التأليف اللغوي عند العرب	٨ : ١٤
١- الرسائل اللغوية ذات الموضوع الواحد	١٥-٣٨
( أ ) مقدمة	١٦-١٧
( ب ) رسالة في الحشرات ، خلق الإنسان ، الخيل ، الإبل ، النخل والكرم	١٧ - ٣٨
٢- رسائل المشكلة اللغوية الواحدة	٣٩ : ٧٠
( أ ) مقدمة	٤٠-٤٣
( ب ) رسالة الهمز لأبي زيد الأنصاري	٤٤-٤٨
( ج ) المذكر والمؤنث للفراء	٤٩-٥٦
( د ) المقصور والمدود لابن ولاد	٥٧-٦٤
( هـ ) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج	٦٥-٧٠
٣- كتب الموضوعات	٧١ : ١٠١
( أ ) مقدمة	٧٢-٧٤
( ب ) كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد	٧٥-٨٤
( ج ) الألفاظ الكتابية للهمداني	٨٥-٩٢
( د ) كتاب المخصص لابن سيده	٩٣-١٠١
٤- كتب الظواهر الخاصة بالألفاظ	١٠٣ : ١٣١
( أ ) مقدمة	١٠٤-١٠٧
( ب ) كتاب الزاد لأبي زيد الأنصاري	١٠٨-١١٦

- (ج) كتاب النوادر لأبي مسحل الأعرابي ..... ١٢٣-١١٧
- (د) كتاب الأضداد لأبي بكر الأنباري ..... ١٣١-١٢٤
- ٥- كتب التثقيف أو التصويب للغوى ..... ١٨٤-١٣٣
- (أ) مقدمة ..... ١٣٧-١٣٤
- (ب) كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت ..... ١٤٦-١٣٨
- (ج) كتاب لحن العامة للزبيدي ..... ١٦٣-١٤٧
- (د) كتاب درة الغواص في أوهام الخواص للحريري ..... ١٧٣-١٦٤
- (هـ) كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلي ..... ١٨٤-١٧٤
- ٦- كتب فقه اللغة ..... ٢٤٧:١٨٥
- (أ) مقدمة ..... ١٩٥-١٨٦
- (ب) كتاب الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ..... ٢٠٣-١٩٦
- (ج) كتاب الخصائص لابن جنى ..... ٢١٤-٢٠٤
- (د) كتاب فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبي ..... ٢٢٦-٢١٥
- (هـ) كتاب المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ..... ٢٤٧-٢٢٧
- ٧- بناء المعجم على أساس صوتى ..... ٢٨٨:٢٤٩
- (أ) مفهوم المعجم ..... ٢٥٤-٢٥٠
- (ب) معجم (العين) للخليل بن أحمد ..... ٢٦٤-٢٥٥
- (ج) معجم (جمهرة اللغة) لابن دريد ..... ٢٧٥-٢٦٥
- (د) معجم (تهذيب اللغة) للأزهري ..... ٢٨٨-٢٧٦
- ٨- بناء المعجم على أساس الأصول (الأخير فالأول) ..... ٣٢٦:٢٨٩
- (أ) معجم (صحاح العربية) للجوهري ..... ٣٠٢-٢٩٠
- (ب) معجم (لسان العرب) لابن منظور ..... ٣١٠-٣٠٣

- ( ج ) معجم ( القاموس المحيط ) للفيروزآبادي ..... ٣١١-٣١٨  
 ( د ) معجم ( تاج العروس ) للزبيدي ..... ٣١٩-٣٢٦  
 ٩- بناء المعجم على أساس هجائي ..... ٣٢٧:٣٥٤  
 ( أ ) المعجم الوسيط ..... ٣٢٨-٣٣٥  
 ( ب ) معجم هانز فير ( معجم اللغة العربية المعاصرة ) ..... ٣٣٦-٣٤٥  
 ( ج ) معجم لاروس ... ( المعجم العربي الحديث ) ..... ٣٤٦-٣٥٤  
 - قائمة بأهم المصادر والمراجع ..... ٣٥٦-٣٦٢  
 - الفهرست ..... ٢٦٣-٢٦٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
 أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي  
أسكنه الله الفردوس

